www.quranonlinelibrary.com

عمادة البحث العلمي
DSR.UQU
جامعة أم القرى
كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم
King Abdullah Bin Abdulaziz Chair For The Holy Quran

الوافي

في هدايات كلام الله الكافي

(تفسير وهدايات جزء عم)

في ضوء تناسقه الموضوعي

إعداد
أ.د. طه بن عابدين طه حمد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

المجلد الثاني

www.Quranonlinelibrary.com

الوافي
في هدايات كلام الله الكافي

«تفسير وهدايات جزء عمَّ»

الجزء الثاني

إعداد
العبد الفقير لربه في علاه
أ. د. طه بن عابدين طه حمد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم
بجامعة أم القرى - بمكة المكرمة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

نسخة إلكترونية

....

للتواصل مع المؤلف

proftaha11@gmail.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

سـورة الفجـر

موضوع السورة:

الحديثُ عن الإيابِ والحسابِ

من خلال ثلاث موضوعات:

- أدلة الإياب والحساب
- أحوال العباد مع أنواع الابتلاء
- بعض ما يكون في يومِ الحساب

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مدخل لدراسة السورة

أولًا: ما جاء من أحاديث عن سورة الفجر:

عَنْ مُحَارِبِ بْنُ دِثَارٍ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِنَاضِحَيْنِ عَلَىٰ مُعَاذٍ وَهُوَ يُصَلِّي الْمَغْرِبَ، فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ فَصَلَّىٰ الرَّجُلُ، ثُمَّ ذَهَبَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: (أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذٍ ؟ أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذُ؟ أَلَّا قَرَأْتَ بِـــ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ)، وَ(الشَّمْسِ وَضُحَاهَا) وَنَحْوِهِمَا)(١).

ثانيًا: موضوعاتِ السورة:

موضوعُ السورةِ الحديثُ عن الإيابِ والحسابِ الذي خُتِمت به سورةُ الغاشية، وذلك من خلالِ ثلاثِ موضوعات:

الموضوعُ الأول: بيانُ بعضِ أدلةِ الإياب، من خلالِ آياتهِ في الكون، وفي إهلاكِ المكذبين.

الموضوعُ الثاني: بيانُ أحوالِ العبادِ من نعمهِ، وكيف ضيعوا شكرَها، وركنوا إليها، وشغلتهم عن آخرتِهم.

الموضوعُ الثالث: بيانُ بعضِ ما يكون في يومِ الإيابِ والحساب، وكشفُ بعضِ أحوالِ العباد.

---

(١) سنن النسائي الكبرىٰ ح رقم (٩٨٤) باب القراءة في المغرب، وصححه الألباني.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ثالثًا: المناسبةُ بين سورةِ الغاشيةِ والفجر:

لما ذكرَ في سورةِ الغاشيةِ حالَ وجوهِ العبادِ في الآخرة، في قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾، و﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾، أتبعَها بذكرِ طوائفِ المتكبرين المكذبين المتجبرين الذين وجوهُهم خاشعة، وأشارَ إلىٰ الصنفِ الآخرِ الذين وجوهُهم ناعمةً بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾.

ولما ألمحَ إلىٰ العذابِ هنالك في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾، بين هنا كيف كان عذابُه الأصغر لهم في الدنيا، فقال: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾.

ولما حثَّ هنالك للاعتبارِ بخلقِ الإبل، ورفعِ السماء، ونصبِ الجبال، وبسطِ الأرض، حث هنا للاعتبارِ بفعلِ اللهِ في الأممِ العاتية، الجاعلةِ من تلك الجبالِ قصورًا إليها خالدة.

ولما ختم هنالك بالحديثِ عن الإيابِ والحساب، ختم هنا ببيانِ كيفية الإياب، وأحوالِ العباد في الحساب.

الموضوعُ الأول

بيانُ أدلةِ الإياب والحساب

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤
هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ٧
ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ٩ وَفِرْعَوْنَ
ذِي ٱلْأَوْتَادِ ١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ
رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ١٤﴾ [الفجر: ١ – ١٤].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾: هو: الصبحُ، وهو وقت انفجارِ الظلمةِ عن النهارِ من كلِّ يومٍ، وهو يشملُ الفجرَ الصادقَ والكاذب. وقيل: المرادُ به فجرٌ معين، وهو فجرُ يومِ النحرِ خاصة، عند اندفاعِ الحاجِ من ليلةِ جَمْعٍ، وهو خاتمةُ الليالي العشر(١).

٢. ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: قيل المرادُ بها عشرُ ذي الحجة، وهي أفضلُ أيامِ السنة. وقيل: أنها العشرُ الأخيرةُ من رمضان، وهي أفضلُ ليالي العام.

٣. ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: الشفعُ: الزوجان، والوتر: الفرد، وقيل الشفعُ الخلقُ كلُّه

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره عن مسروق ومحمد بن كعب القرظي (٨/ ٣٩٠).

﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾، والوتر: هو الله سبحانه وتعالىٰ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

١. ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: أي: إذا سارَ وذهبَ في الظلام.

٤. ﴿لِّذِى حِجْرٍ﴾: أي: لذي عقلٍ ولبٍ وحجا.

٥. ﴿بِعَادٍ﴾: الأمةُ المعروفة، التي كانت تقطنُ جنوبَ الجزيرةِ العربية.

٦. ﴿إِرَمَ﴾: بكسرِ الهمزةِ وفتحِ الراء اسمِ إرَم بن سَامٍ بن نُوح وهو جدُّ عاد، وهو عطفُ بيان لـ (عاد)، وهم عادٌ الموصوفة بـ (الأولىٰ) في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم:٥٠] لئلا يتوهم أن المتحدَّث عنهم قبيلةٌ أخرىٰ تسمىٰ عادًا أيضًا.

٧. ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾: أي ذات البناءِ الرفيع، وقيل: أي ذاتِ الأجسام الطوالِ، يقال رجلٌ معمدٌ إذا كان طويلا، وكلاهما وصفا به.

٨. ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا﴾: أي لم يخلق مثلُ أجسامِهم.

٩. ﴿ٱلْبِلَٰدِ﴾: جمعُ بَلَدٍ، وهي مساحةٌ واسعةٌ من الأرضِ معيَّنةٌ بحدودٍ أو سكان.

١٠. ﴿جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾: قطعوا ونقبوا، تقول جبتُ البلادَ أجوبُها، إذا قطعتُها وجاوزتها.

١١. ﴿ٱلصَّخْرَ﴾: الحجارةُ العظيمة.

١٢. ﴿بِٱلْوَادِ﴾: اسمٌ لأرض كائنةٍ بين جبلين منخفضة، ومنه سمي مجرىٰ الماءِ الكثيرِ واديًا، والواد: علَمٌ بالغلبةِ علىٰ منازلِ ثمود، ويقال له: وادي القُرىٰ.

www.Quranonlinelibrary.com

١٣ . ذِى ٱلْأَوْتَادِ: أي: صاحبُ الأوتاد.

١٤ . ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ: أي جاوزوا الحدَّ بالمعاصي ويقال تمادوا فيها.

١٥ . فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ: من الشركِ والقتل والمعاصي.

٢ . سَوْطَ عَذَابٍ: أي: نوعُ عذاب، أو نصيبُ عذاب، ويقالُ شدتُه، لأن السوطَ كان عندهم نهايةُ ما يعذب ُبه، والسوط: آلةُ ضربٍ تتخذُ من جلودٍ مضفورةٍ تُضْربُ بها الخيلُ للتأديبِ ولتحمِلَها علىٰ المزيد من الجري.

١٦ . لَبِٱلْمِرْصَادِ: أي يرصدُ أعمالَ العبادِ ليجزيَهم عليها.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١ . تفيدُ بيانَ منزلةِ القسم، ودورِه في تأكيدِ الكلام، حيث أقسمَ اللهُ تعالىٰ بخمسةِ أمورٍ لتأكيدِ البعثِ والحسابِ وقدرتهِ علىٰ إهلاكِ الطغاة، والمقسمُ به آياتٌ من آياتهِ الدالةِ علىٰ ما أرادَ إثباتَه من دلائلِ البحثِ والتوحيد. والمقصودُ من هذا القَسَمِ تحقيقُ المقسمُ عليه؛ لأن القسمَ في الكلامِ من طرقِ تأكيدِ الخبر، وقسمُ اللهِ تعالىٰ متمحضٌ لقصدِ التأكيد، والمقصدُ من تطويلِ القسمِ بأشياءَ متنوعةٍ التشويقُ إلىٰ المقسم عليه، والاشارةُ من خلالِها علىٰ براهين محددة.

٢ . فيها تنبيهٌ لآيةِ الفجرِ التي أقسمَ اللهُ به، وهو من دلائلِ بديعِ صنعهِ، حيث يجتمعُ ظلامُ آخرِ الليل، وبدايةُ نورِ النهار، وهو آيةٌ دالةٌ علىٰ كمالِ قدرةِ اللهِ تعالىٰ، وأنه وحده المدبرُ لجميعِ الأمور، الذي لا تنبغي العبادةُ إلا له، وقد مدحَ اللهُ تعالىٰ نفسَه بكونهِ خالقُه، قال تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام:٩٦]، فهو من أعظمِ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

براهين البعث لما يحدثُ فيه للكونِ والإنسانِ والحيوان من خلالهِ من حركةٍ وانتشارٍ بعد ما كان عليه من سكونٍ وظلام أشبه بالبعثِ والنشور، فالنومُ هو شبيهٌ بالموت، بل هو الموتُ الأصغر؛ والفجر يعنىٰ تجدد الحياةِ والانتشارِ، فهو آيةٌ وعبرةٌ لمن تأمله.

٣. فيها ما يشيرُ إلىٰ نعمةِ الفجرِ الذي هو ابتداءُ ظهورِ النور بعد ما تأخذُ ظلمةُ الليلِ في الانصرام، وهو وقتٌ مباركٌ للناسِ حيث يستأنفون فيه حياتَهم في الانتشارِ في طلبِ الرزق، والرجوعِ إلىٰ ما يألفونه من أعمالِهم النافعةِ لهم، ولهذا العقلاءُ يسارعون فيه لتأديةِ الفريضةِ العظيمةِ التي شرعَها اللهُ تعالىٰ فيه شكرًا للذي أنعمَ عليهم بنعمةِ الحياةِ من بعد الموت.

٤. تفيدُ أن التعريفَ في الفجرِ قد يكونُ للجنسِ، وهو الأظهرُ لمناسبةِ عطف ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ والمرادُ فجرُ كلِّ يومٍ، وهو قول قتادة، ويجوزُ أن يرادَ به فجرٌ معين، فقيل: فجرُ يومِ النحر وليلتهِ التي هي ليلةُ عرفة، فتلك الليلةُ من أفضلِ ليالي العام، وما رؤي الشيطانُ في ليلةٍ أدحرَ ولا أحقرَ ولا أغيظَ منه فيها، وهو الفجرُ الذي يكون فيه الحجيج بالمزدلفةِ، قاله ابن عباس وعطاء وعكرمة[١]، فيكون تعريفُ (الفجر) تعريفُ العهد، وهو فجرٌ له خصوصيةٌ خاصةٌ في التذكيرِ بالبعثِ من خلالِ ذلك الجمعِ المشهودِ المبارك.

٥. فيها ما يشيرُ إلىٰ عِظمِ صلاةِ الفجر، ولهذا فسرَّها بعضُ العلماءِ بها منهم عكرمة[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقالوا إنما أقسمَ تعالىٰ بصلاةِ الفجر، لأنها صلاةٌ

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣١٣).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨/ ٣٩٠).

في مفتتحِ النهار، وتجتمعُ لها ملائكةُ النهار، وملائكةُ الليل، وقد نوه اللهُ تعالىٰ بفضلها في قوله تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨].

٦. تشيرُ إلىٰ عظمِ يوم النحرِ الذي فسرَه به عددٌ من العلماءِ، وهو فجرٌ له فضلٌ خاصٌ، وهو أفضلُ الأيامِ عند الله، كما ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال: (أَفْضَلُ الأَيَّام عِنْدَ اللهِ يَوْمُ النَّحْرِ)[1]، وهو آخرُ أيامِ العشر، وهو يومُ الحج الأكبر كما ثبت في صحيحِ البخاري وغيرِه، وهو اليومُ الذي أذنَ فيه مؤذنُ رسولِ الله ﷺ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾، وأن لا يحجَّ بعدَ العامِ مشركٌ، ولا يطوفُ بالبيتِ عريان ولا خلاف أن المؤذنَ أذنَ بذلك في يومِ النحرِ لا في يومِ عرفة.

٧. تفيدُ بيانَ فضلِ الليالي العشر، وأهميةَ اغتنامِها في طاعةِ الله، وهي ليالٍ معلومةٌ للسامعين، موصوفةٌ بأنها عشر، واستُغني عن تعريفِها بتوصيفِها بعشر، وهي عشرٌ متتابعة، وعدلَ عن تعريفِها ليتوصلَ بترْكِ التعريفِ إلىٰ تنوينِها المفيدِ للتعظيمِ والفضلِ، وجاءت مُنكَّرةٌ من بين ما أقسمَ اللهُ به، لأنها ليالٍ مخصوصةٍ بفضائِلَ لا تحصلُ في غيرِها.

٨. فيها إشارةٌ إلىٰ فضلِ العشرِ الليالي الأخيرةِ من رمضان، التي هي أفضلُ ليالي العام، وفيها ليلةُ القدر التي هي خيرٌ من ألفِ شهر، وفي نهارِها صيامُ آخرِ رمضان الذي هو ركنٌ من أركانِ الإسلام قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (كان

---

(١) أخرجه أبو داود ح رقم (١٧٦٥)، وابن حبان ح رقم (٢٨١١)، والطبراني في الأوسط ح رقم (٢٤٢١) وصححه الألباني في سنن أبي داود (٢/ ١٤٨).

www.Quranonlinelibrary.com

رسولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ)[١]. قال التبريزي: «اتفقوا علىٰ أنها العشرُ الأواخر، يعني من رمضان، لم يخالف فيه أحد»[٢].

٩. فيها ما يشيرُ إلىٰ فضلِ العشرِ من ذي الحجة، وهو قولُ معتبر، وهي ليالٍ مشتملةٌ علىٰ أيامٍ فاضلة، ويقعُ فيها من العباداتِ والقرباتِ ما لا يقعُ في غيرِها، وهي وقتُ مناسكِ الحج، ففيها يكونُ الإِحرامُ، ودخولُ مكةَ، وأعمالُ الطواف، وفي ثامنِها ليلةُ التروية، وفي تاسعِها ليلةُ عرفة، التي يغفرُ اللهُ فيها لعبادِه مغفرةً يحزنُ لها الشيطان، وهذه أشياءُ معظمةٌ، مستحقةٌ لأن يقسمَ اللهُ بها، وقد بين النبيُّ ﷺ فضلَها بقوله: (مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبَّ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ) يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: (وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ)[٣].

١٠. تشيرُ إلىٰ عظمِ مناسكِ الحج، الذي فيه كلُّ معاني الذلِّ والخضوعِ لعظمتهِ، وذلك ضدِّ ما سوف يصفُ به عادًا وثمودَ وفرعون من العتوِ والتكبرِ والتجبرِ، فإن النسكَ يتضمنُ غايةُ الخضوعِ لله، وهؤلاء الأممِ مثلوا قمةَ العتو والتكبر عن أمرِ ربهم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحيه كتاب: فضل ليلة القدر، بَابُ: العَمَلِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، ح رقم (٢٠٢٤).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٨/ ٣٥١).

(٣) أخرجه أحمد ح رقم (١٩٦٨)، والدارمي ح رقم (١٨١٤)، وابن ماجه ح رقم (١٧٢٧)، وأبي داود ح رقم (٢٤٣٨)، والترمذي ح رقم (٧٥٧) وصححه الألباني في سنن ابن ماجه (١/ ٥٥٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

١١. تفيدُ أن تعيينَ الأوقاتِ للعباداتِ مما انفردَ اللهُ به، وهو الذي يفضلُ ما يشاءُ من الأيامِ والليالي والشهورِ والأماكنِ والخلق.

١٢. تفيدُ أن التزاوجَ في الخلقِ وتفردَه جل وعلا بالوترِ آيةٌ عظيمة من آياتِهِ المبثوثةِ في الكونِ، الدالةِ علىٰ وحدانيته، فالفجرُ والليلُ شفعان، وكذلك النورُ والظلام، والظلُّ والحرور وغيرها، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، وقال: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النبأ: ٨]، وقد أظهرَ العلمُ الحديث في تزاوجِ الخلقِ ما اللهُ به عليم.

١٣. تفيدُ أنه قد يرادُ بالشفعِ والوترِ صور أخرىٰ لعمومِ اللفظِ، كأيامِ التشريقِ، وهي شفعٌ لمن تعجلَ، ووتر لمن تأخر، وذلك مختارٌ بالنظرِ للسياقِ، لأن فيها تكتملُ أعمالُ الحجِ من الطوافِ والحلقِ والنحرِ وغيرها، كما فسرَها بذلك عددٌ من العلماء، ليتوافقَ المعنىٰ مع السياق.

١٤. تفيدُ التذكيرَ بآيةِ الليلِ في وقتِ سريانهِ وإرخائهِ ظلامَه علىٰ العبادِ، ففيه يسكنون ويستريحون ويطمئنون، رحمةً منه تعالىٰ وحكمة. و(الليل) عطفٌ علىٰ (ليالي عشر) عطفُ الأعمِ علىٰ الأخص، أو عطف علىٰ (الفجر) بجامعِ التضاد. وأقسمَ به لأنه مظهرٌ من مظاهرِ قدرتهِ تعالىٰ وبديعِ حكمته.

١٥. تفيدُ أن هذا الوقتَ من الليلِ مقصودٌ كما أن الفجرَ مقصود، فتقييدُ (الليل) بظرفِ (إذا يسر) لأنه وقتُ تمكنِ ظلمةِ الليل، فحينئذ يكونُ الناسُ أخذوا حظَهم من النومِ فاستطاعوا التهجدَ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦].

www.Quranonlinelibrary.com

١٦. تفيدُ أن التفكرَ في آياتِ الفجرِ والليلِ، وفيما يكونُ فيهما تكفي لمن كان له قلبٌ أو ألقىٰ السمعَ وهو شهيد، فتنكيرُ ﴿قَسَمٌ﴾ للتعظيمِ، أي قسمٌ كافٍ ومُقنعٌ للمُقْسم له إذا كان له عقلٌ يتدبر، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

١٧. تفيدُ مكانةَ العقلِ في الإنسان، وإنما سمي العقلُ حجْرًا؛ لأنه يمنعُ الإنسانَ من تعاطي ما لا يليقُ به من الأفعالِ والأقوال، ومنه حِجْرُ البيت؛ لأنه يمنعُ الطائفَ من اللصوقِ بجداره الشامي، كما سمي عقلًا، لأنه يعْقِل صاحبَه عن التهافتِ كما يعقِلُ العِقالُ البعيرَ عن الضَّلال.

١٨. تشيرُ أن هذه الأشياءَ الخمسةَ التي أقسم الله بها فيها آياتٌ بيناتٌ ودلائل قاطعات علىٰ توحيده وقدرته علىٰ البعث، وعلىٰ إهلاكِ المكذبين لأولي الألباب، ويفهمُ ذلك من الاستفهامِ الذي قُصِدَ به التأكيدُ علىٰ وضوحِ الحجة والبيان.

١٩. تفيدُ التأكيدَ علىٰ الإيابِ والحسابِ والجزاء بالقسم، ومن خلالِ ما أقسم به من أمورٍ دالةٍ علىٰ قدرته، وبما بعده من الاستفهام التقريري في قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾.

٢٠. تفيدُ أن رؤيةَ القلبِ التي هي الرؤيةُ العلمية لها أثرٌ عظيمٌ علىٰ النفسِ البشرية ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، وهي التي تحدثُ تزكيةَ النفوس، وهي المقصودةُ هنا، وحتىٰ رؤيةَ البصرِ لا ثمرة لها إلا برؤيةِ القلبِ والفؤاد.

٢١. فيها بيانُ مقامِ النبيِّ ﷺ حيث أضافَه الله تعالىٰ إلىٰ ربوبيتهِ في قوله: ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾ بما يفيدُ الإشعارَ بالولايةِ والتأييد والإعزازِ والتشريف.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٢٢. فيها أن الاستفهامَ في قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تقرير، وهو يفيدُ التثبيتَ له، ووعدَه بالنصر، وأن سنةَ اللهِ في المكذبين ماثلة بين عينيك، فلا تحزن، ولا تكن في ضيقٍ مما يمكرون، والخطابُ وإن كان خاصًا لكنه عامٌ لكلِّ من علم ذلك.

٢٣. تفيدُ التهديدَ والتعريضَ بالمعاندينِ؛ لأن من مقصودِ حكايتِهم زجرَ الكافرين من الإقامةِ علىٰ مثل ما أدىٰ لهلاكِ هذه الأممِ الثلاث، فهي موعظةٌ وإنذارٌ للقومِ الذين فَعَلوا مثلَ فعلِهم من تكذيبِ رسل الله، حيث أفادَ وقوعَ ذلك وتوقعَ حلوله. لأن التذكيرَ بالنظائرِ واستحضارَ الأمثالِ يقرِّبُ إلىٰ الأذهانِ الأمرَ الغريبَ الوقوع، لأن بُعد العهدِ بحدوثِ أمثالِهِ ينسيه الناسَ، وإذا نُسي استبعَد الناسُ وقوعه، فالتذكيرُ يزيلُ الاستبعاد.

٢٤. تفيدُ أن ذكرَ هذه الأممِ الثلاثةِ هو المناسبُ مع موضوعِ هذه السورة التي قُصِدَ بها الوعظُ والتذكيرُ لهؤلاء المغرورين بنعمِ الله، فإن عادَ غرتْهم عافيتهم، وثمودَ غرَّهم رفه حياتهم، وفرعون غرَّه ملكه.

٢٥. فيها بيانُ قدرةِ اللهِ – تعالىٰ – في خلقِ الأممِ العاتيةِ القويةِ الشديدةِ الطويلةِ القامة والعظيمةِ الجسم، وفي أخذِهم آيةٌ وعبرة تقود إلىٰ الإيمان والخضوعِ للقوي العزيز، قال تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾ [غافر: ٢١].

٢٦. فيها بيانُ معرفةِ الإنسانِ قديمًا بناء الأبنيةِ الرفيعةِ المعتمدةِ علىٰ

www.Quranonlinelibrary.com

الأعمدة، لأن ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾، أي: ذات الأبنيةِ المرفوعةِ علىٰ العمد، وكانوا ينصبون الأعمدة، فيبنون عليها القصور، وآثارُهم تحكي ذلك.

٢٧. فيها بيانُ ما كانت عليه ﴿إِرَمَ﴾ القبيلةُ المعروفةُ في اليمنِ من القوةِ الشديدة، والعتوِّ والتجبر، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي جميعِ البلدان، كما قال لهم نبيُهم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

٢٨. فيها تنبيهٌ وتقريعٌ لمن بعدَهم أن لا يعملوا بمثلِ عملهم فينزلُ بهم ما نزلَ بأولئك، مع بأسِهم وشدتِهم وعددِهم وأموالِهم التي أنفقوها في ذاتِ العماد.

٢٩. فيها «التَّحذيرُ مِنْ التَّطاولِ فِي البنيانِ، وَالتَّعاظمِ بتشييدِ الحجارَةِ(١)، والنَّدبُ إِلَىٰ تحصيلِ الأَعمالِ الَّتِي تُوصِلُ إلىٰ الدَّارِ الآخرَةِ»(٢).

٣٠. فيها بيانُ ما كانت عليه ثمودُ الذين كانوا ينحتون من الجبالِ بيوتًا آمنين وفارهين، وهم أولُ من نحت الجبالَ والصورَ والرخام، وبنوا المدائنَ من الجبالِ، وفي الجبالِ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤].

٣١. فيها بيانُ ما كان عليه فرعونُ من القوةِ ﴿ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ أي: ذي الجنودِ

---

(١) إذا كان ذلك علىٰ وجه التكبر والغرور والغفلة والركون إلىٰ الدنيا.

(٢) قاله ابن العربي، انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٨/ ٥١).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

والعسكرِ الذين كانوا يشدونَ ويثبتون ملكه، كما تثبت الأوتادُ ما يرادُ إمساكُه بها. فهو وصفٌ مستعارٌ للتمكنِ والثبات، علىٰ نحو قوله: ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ [ص: ١٢].

٣٢. فيها بيانٌ لما كان عليه ملكُ فرعونَ من القوةِ ﴿ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ الذي يدلُّ علىٰ أنه ثبّت ملكَه تثبيتَ من يظنُّ أنه لا يزولُ، بالعساكرِ والجنودِ وغيرِهم من كلِّ ما يظن أنه يشدُّ أمرَه، فصارت له اليدُ المبسوطةُ في الملك، فأخذه اللهُ أخذَ عزيزٍ مقتدر.

٣٣. فيها بيانٌ لما كان عليه هؤلاءِ الثلاثةُ من الطغيانِ والظلمِ والفسادِ وشدة العصيان بأوجه مختلفة، لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ والقرآن تحدث عن طغيانهم جميعًا.

٣٤. فيها ذمُّ من اغتر بقوتهِ وسلطانهِ وماله وهم هؤلاء الأممُ الثلاثة، قومُ عاد اغتروا بقوتِهم، كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وقومِ ثمودَ اغتروا بجنانِهم وعيونِهم وزروعِهم وبساتينهم وبيوتِهم الفارهة، ﴿أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ١٤٦ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ١٤٧ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ١٤٨ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٦ - ١٤٩]، وقومِ فرعون اغتروا بالمالِ والرياسةِ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، فصارت عاقبتُهم إلىٰ ما قصَ اللهُ علينا، وهذا شأنُه دائما مع كلِّ من اغترّ بشيءٍ من ذلك لا بد أن يفسدَه عليه ويسلبَه إياه.

www.Quranonlinelibrary.com

٣٥. فيها بيانُ خطورةِ الطغيانِ؛ لأن الطغيانَ الذي يجرئ صاحبَه علىٰ دحضِ حقوق الناس، فهو من جهةٍ يكون قدوةَ سُوءٍ لأمثالِه ومَلئِه، فكلُّ واحدٍ منهم يطغىٰ علىٰ من هو دونه، وذلك فسادٌ عظيم، وهو من جهةٍ أخرىٰ يثيرُ الحفائظَ والضغائن في المطْغيّ عليه من الرعيةِ، فيُضمرون السوءَ للطاغين، وتنطوي نفوسُهم علىٰ كراهيةِ ولاة الأمورِ، وتربصِ الدوائر بهم فيكونُون لهم أعداء غير مخلصي الضمائر، ويكون رجالُ الدولةِ متوجّسين منهم خيفةً فيظنون بهم السوءَ في كلِّ حال ويحْذَرُونهم، فتتوزعُ قوةُ الأمةِ علىٰ أفرادِها فلا تتّحدَ علىٰ أعدائِها، فيصبحُ للأمةِ أعداءٌ في الخارجِ، وأعداءٌ في الداخل، وذلك يفضي إلىٰ فسادٍ عظيم، ومن هنا كان الطغيانُ في أي مجتمعٍ يؤدي إلىٰ فسادٍ عريض(١).

٣٦. تفيدُ التنفيرَ من الفسادِ الذي هو ضدُّ الصلاحِ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وهو من أعظمِ أسبابِ غضب الله عليهم، والله لا يحب الفساد.

٣٧. فيها بيانُ أثرِ القوةِ إذا لم يضبطها إيمانٌ؛ فإنها تؤدي إلىٰ الطغيانِ الذي به فسادُ الدينِ والدنيا.

٣٨. فيها بيانُ عاقبةِ الطغيانِ وكثرةِ الفساد، حيث أفرغَ اللهُ عليهم العذاب، لأن الصبَّ حقيقتُه: إفراغُ ما في الظرف، وهو هنا مستعارٌ لحلولِ العذابِ دَفعةً وإحاطتُه بهم كما يُصبُّ الماءُ علىٰ المغتَسِلِ أو يُصبُّ المطرُ

(١) انظر: التحرير والتنوير (٣٢١ / ٣٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

علىٰ الأرض، فوجه الشبهِ مركبٌ من السرعةِ والكثرة، وكان العذابُ الذي أصابَ هؤلاء عذابًا مفاجئًا قاضيًا.

٣٩. فيها بيانٌ لبلاغةِ القرآن في وصفِ ما حل بهم ﴿سَوۡطَ عَذَابٍ﴾، بإضافةِ ﴿سَوۡطَ﴾ إلىٰ ﴿عَذَابٍ﴾ من إضافةِ الصفةِ إلىٰ الموصوف، أي صب عليهم عذابًا سوطًا، أي كالسوطِ في سرعةِ الإصابة فهو تشبيه بليغ. وقال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذكرُ السوطِ إشارةٌ إلىٰ أن ما أحلَ بهم في الدنيا من العذابِ العظيم بالقياسِ إلىٰ ما أعد لهم في الآخرة، كالسوطِ إذا قيس إلىٰ سائرِ ما يعذب به»[1].

٤٠. فيها عبرٌ وعظةٌ في كيفية أفناهم وأبادَهم ومحا آثارهم، وجعلَهم عبرةً للعالمين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ٨ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ٩ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً﴾ [الحاقة: ٦ - ١٠] وهنا قال: ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾.

٤١. فيها تثبيتٌ للنبي ﷺ بأنَّ اللهَ ينصرُ رسلَه، وتهديدٌ للمعاندين، حيث عرَّضَ بهم، من توقعِ معاملتهِ إياهم بمثلِ ما عامل به المكذبين الأولين، حيث بين تعالىٰ أنه بالمرصادِ لكلِّ طاغ مفسد.

٤٢. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ بِٱلۡمِرۡصَادِ لمن عصاه، يمهله قليلا ثم يأخذه أخذَ عزيز مقتدر، وأنهم لا يفوتونه ولا يعجزونه.

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٤٨).

٤٣. فيها تهديدٌ عظيمٌ للمشركين المعاندين المحاربين لله ورسولِهِ، والعدولُ عن ضميرِ المتكلم أو اسمِ الجلالة إلىٰ ﴿رَبُّكَ﴾ في قوله: ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ إيماءٌ إلىٰ أن فاعلَ ذلك رَبه الذي شأنه أن ينتصرَ له.

٤٤. فيها بيانُ مظاهرِ قدرةِ اللهِ في إهلاكِ الأممِ العاتية والشعوبِ الظالمة، وهو مستلزمٌ لقدرتهِ تعالىٰ علىٰ البعثِ والجزاءِ والتوحيدِ والنبوة وهو ما أنكره أهل مكة كما قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ [فاطر: ٤٤].

٤٥. تفيدُ التحذيرَ من عذابِ اللهِ ونقمتهِ، فإنه تعالىٰ بالمرصادِ لمن خالفَ أمرَه وأفسدَ في أرضهِ، فليحذرِ المنحرفون عن سبيلِ اللهِ، والحاكمون بغيرِ شرعه، والعاملون بغيرِ هداه أن يُصبَّ عليهم سوط عذاب.

٤٦. فيها بيانٌ لعمومِ علمِ اللهِ تعالىٰ بما يكونُ من أعمالِ العباد وحركاتهم، بحالِ اطلاعِ الرصد علىٰ تحركاتِ العدُوّ والمغيرين، وهذا المثلُ كنايةٌ عن مجازاةِ كلِّ عامل بما عمِله، إذ لا يقصدُ من الرصدِ إلا للجزاءِ علىٰ العدوان، وفي ما يفيده من التعليلِ إيماءٌ إلىٰ أن اللهَ تعالىٰ لم يظلمهم فيما أصابهم به.

ثالثًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما ختمت سورةُ الغاشيةِ بأنه لابد من الإيابِ والحساب، وكان تغييرُ الليلِ والنهار دالٌّ علىٰ القدرةِ علىٰ البعث، بدأ قسمَه تعالىٰ هنا بآيةِ الفجرِ فقال: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ﴾، ولما كان التعريفُ قد يفيدُ فجرًا معينًا فسرَه عددٌ من العلماءِ

بفجرِ يومِ النحر الذي هو أعظمُ فجرٍ في الوجود، وهو خاتمةُ الليالي العشرِ الفاضلةِ التي أقسمَ بها بعده، فقال: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، ولما تكلمَ عن فجرِ يومِ النحرِ والليالي العشرِ أتبعه بالقسمِ بالشفعِ والوترِ ليشملَ بعمومهِ ما تبقّي من أيامِ الحجِ، الذي منه من تعجلَ في يومين ﴿وَٱلْوَتْرِ﴾ أي لمن أتمَّ وغيرها من شفع ووتر فقال: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾. ولما كان تعاقبُ الليل والنهارِ أدلَّ علىٰ القدرةِ وأظهرَ في النعمة، قال: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾، فردَ بذلك آخرَ القسمِ علىٰ أوله، ولما كان القسمُ بهذه الأمورِ قد بلغَ منتهاهُ في الحجةِ لأولي النهي قال بعده: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾.

ولما تحدثَ عن الاعتبارِ بآياتهِ في الكون ذكرَ بعدَه وجهًا آخرَ من الاعتبارِ، وهو الاعتبارُ بعاقبةِ المكذبين الطاغين المفسدين، وبدأ بأشدِّهم في ذلك وأعتاهم الذين قالوا: من أشدُّ منا قوة؟ فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾، ولما بدأ بهؤلاء الذين كان أمرُهم أعجب، وقصتُهم أغرب، ثنىٰ بأقربِ الأمم إليهم زمانًا، وأشبهِهم بهم شأنًا؛ لأنهم أترفوا بما حبوا به من جناتٍ وعيون، وزروعٍ ونخلٍ طلعها هضيم، مع ما في آيتِهم، وهي الناقةُ، من عظيمِ الدلالةِ علىٰ القدرة فقال: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾، ولما ذكرَ القبيلتين من العرب، ذكرَ بعضَ من جاورهم من طغاةِ العجم لما في قصتِهم من العتوِّ والجبروت مع ما حوته من الغرائبِ وخوارقِ العجائب لا سيما في القدرةِ علىٰ البعثِ بقلبِ العصا حية وإعادتِها جمادًا مع التكرار، فقال: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ ولما أتمَّ ذكرَهم وما كان عليه أمرُهم، بيَّن سوءَ حالِهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾، ولما كان ذلك موجبًا للعذابِ ذكرَ بعدَه سوءَ عاقبتِهم بما يرهبُ النفوس فقال:

﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾، ولما كان القصدُ العظةَ والاعتبارَ صرحَ بما يدلُّ على ذلك فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ أي لا يفوته شيء، بل هو قادرٌ ومطلعٌ على كلِّ شيء.

www.Quranonlinelibrary.com

الموضوعُ الثاني

بيانُ أحوالِ العبادِ من الابتلاء

قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ١٥ – ٢٠].

أولًا: المناسبة بين الآيات:

لما بينَ تعالىٰ نماذجَ من الأممِ التي أنعمَ اللهُ عليهم بنعمٍ عظيمةٍ، وكيف قادَهم ذلك الإنعامُ إلىٰ الكفرِ والطغيانِ والفساد، وبينَ ما لحقَهم بسببِ ذلك من عذاب، وكان الغرضُ من بيانِ ذلك استخلاصَ العِبرةِ للمشركين وغيرِهم ممن بطروا بالنعمةِ من بعدهم، وظنوا أن تلك النعم ما جاءتهم إلا لما لهم من الإكرامِ عند الله، وأن غيرَهم ما ضيقَ عليهم إلا لهوانِهم ومزلَّتهم، فكان هذا الوهَمُ مُسوِّلًا لهم التكذيبَ بما أنذروا به من وعيد، والاتصافَ بما جعلهم لا يرعون حقَّ الضعيفِ ولا تعرفُ نفوسُهم غيرَ الحبِّ الشديدِ للمالِ ومتاعِ الدنيا القليل.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ثانيًا: معاني الكلمات:

١. فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ : أي: الكافرُ المشرك، وقد يرادُ به جنسُ الإنسان.

٢. ٱبْتَلَىٰهُ : اختبرَه بالمالِ والجاهِ وغيرِهما.

٣. فَأَكْرَمَهُۥ : بالمالِ وما به يكونُ الإكرامُ من وظيفة، ونسبٍ وحسبٍ وغيرها.

٤. وَنَعَّمَهُۥ : بالخيراتِ، وبما وسعَ عليه من الأفضالِ التي متعه بها.

٥. أَكْرَمَنِ : أي: فضلني لما لي من مزايا علىٰ غيري.

٦. فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ : ضيقَ عليه في الرزقِ وقترَه ولم يوسعه.

٧. أَهَٰنَنِ : أي: أذلني بالفقر.

٨. كَلَّا : أي: ليس الأمرُ كما يرىٰ هؤلاء ويعتقدون.

٩. وَلَا تَحَٰٓضُّونَ : لا يحثون، والحضُ علىٰ الأمر: الترغيبُ فيه.

١٠. طَعَامِ : بمعنىٰ إطعام.

١١. ٱلتُّرَاثَ : الميراثُ الذي يُورثُ عن الميت.

١٢. لَّمًّا : أي: سفًا وجمعًا، من قولِهم: لممتُ الطعام: إذا أكلتُه جميعًا.
قال ابنُ زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأكلُ اللَّمُّ: الذي يأكلُ كلَّ شيءٍ يجده، لا يسألُ عنه أحلالٌ هو أم حرام[١].

١٣. جَمًّا : أي كثيرًا.

(١) جامع البيان، للطبري (٢٤/ ٤١٥).

ثالثًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. فيها بيانٌ لطبيعةِ الإنسان، وقصورِ نظره، وسوءِ تقديره، الذي لا علمَ له بعواقبِ الأمور، فيظنُّ أن إكرامَ اللهِ له في الدنيا وإنعامَه عليه دليلًا علىٰ كرامتِهِ عنده، وقربِهِ منه واصطفائه له، وأنه إذا ضَيَّقَ رزقَه أن هذا إهانةٌ له، وهذا الاعتقادُ يقعُ فيه أهلُ الكفرِ بصورةٍ عامة، ومن ضعفَ إيمانُه وقلَّ علمُه من أهلِ الإيمان بصورةٍ خاصة، ولو كان الأمرُ هكذا ما رأيتَ كافرًا مكرمًا برزق، ولا عاصيًا موسعًا عليه بنعمة.

٢. تفيدُ أن اللهَ يبتلي عبادَه ببسطِ الرزق، كما يبتليهم بالتضييقِ فيه، وأن كليهما ابتلاءٌ وامتحان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾ [الأنبياء:٣٥]، وقال تعالىٰ عن سليمانَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فيما أنعمَ اللهُ عليه: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل: ٤٠].

٣. تفيدُ أن كثيرًا ممن ينعمُ اللهُ عليهم ينسون أن ذلك ابتلاءٌ وامتحان من اللهِ لهم، وأن الحكمةَ من وراءِ ذلك كشفُ حالهِ في الشكرِ للنعمة، ومن هنا قلَّ الشكرُ في الناسِ، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

٤. تفيدُ أنه قد يكونُ في النعمةِ البلاء، وفي البلاءِ النعمة، حسبُ ما تكونُ عليه العواقبُ في الشكرِ الذي تكونُ معه الزيادةُ، أو الكفرِ الذي يكونُ معه سلبُ النعمِ، وسوءُ عاقبته، فالبلاءُ إذا تبعَه الصبرُ كانت عاقبتُه حميدةً في الدنيا والآخرة، كما قال تعالىٰ عن أيوبَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص:٤٤]، كما أن النعمةَ إذا لم تحفظ بالشكرِ كانت عاقبتُها وخيمةً في الدنيا

والآخرة، كما قال تعالىٰ عن سبأ الذين بدلوا نعمةَ اللهِ كفرا: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٥ - ١٩].

٥. تفيدُ أن الإكرامَ والنعمةَ من اللهِ وحده، يبتلي بهما من يشاءُ من عباده، ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾، كما أن التضييقَ والتقتيرَ منه وحده جل وعلا ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾، كلُّ ذلك لحكمٍ يعلمُها القابضُ الباسطُ جل وعلا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورىٰ:٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[الزخرف:٣٢]، فللهِ الحكمةُ البالغةُ من وراءِ بسطِ الرزقِ وتقتيره، ولولا هذا التفاوت ما قامت الحياة.

٦. تفيدُ أن الذين لا يؤمنون بالبعثِ يرونَ الكرامةَ في الدنيا والتوسع في متاعِها، والإهانةَ عند فواتِها وعدمِ الوصولِ إلىٰ ما يريدُ من زينتها، لأن المالَ والجاهَ يمثلُ عندهم كلَّ شيءٍ، خلافَ المؤمن الذي ينظرُ للدنيا بأنها عرضٌ زائلٌ، ومتاعٌ قليل، إن جاءته شكر، وإن ولت عنه صبر قال تعالىٰ:

www.Quranonlinelibrary.com

﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد:٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥]. فالقلبُ حين يخلو من الإيمانِ لا يدركُ حكمةَ المنعِ والعطاء، فإذا عُمِرَ قلبُه بالإيمانِ عرفَ ما وراءَ الابتلاءِ من الجزاء، فعملَ له في البسطِ والقبض سواء. واطمأنَّ إلىٰ قدرِ الله به في الحالين؛ وعرفَ قدرَه في ميزان الله بغيرِ هذه القيمِ الظاهرةِ الجوفاء!

٧. تفيدُ أن المالَ من أسبابِ الإنعامِ في الدنيا، وهو نعمةٌ تستوجبُ الشكرَ، فهي تثبتُ إكرامَ اللهِ تعالىٰ للإنسانِ بالنعمة في قوله: ﴿فَأَكْرَمَهُۥ﴾، والإبطالُ للإكرام واردٌ علىٰ ما قصدَه الإنسانُ علىٰ أنه دليلُ رضىٰ وإكرام من الرحمن، ولهذا جاءَ قولُه في الأولِ مطابقٌ في قوله: ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾، ولم يقل في القسمِ الثاني: فأهانه فيقول: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾، لأنه في قوله: ﴿أَكْرَمَنِ﴾ صادقٌ، وفي قوله: ﴿أَهَٰنَنِ﴾ غيرُ صادق، فهو ظنَّ قلةَ الدنيا وتقتيرَها إهانة، وهذا جهلٌ واعتقادٌ فاسد، فكيف يحكي الله سبحانه ذلك عنه(١).

٨. تفيدُ أن كمالَ الإكرامِ أن يكرمَك اللهُ بأن يعطيَك ما يجعلَك عزيزًا بين الناسِ من الجاه والمال، ويجعلَك متنعمًا متلذذًا مترفًا بما أعطاك غيرُ تعبانٍ بسببه، لأنه لو حصلت الأولىٰ دون الثانية ما صار منعمًا، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

(١) انظر: مفاتيح الغيب (٣١ / ١٥٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٩. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ قد يكرمُ المؤمن من بابِ أن يجمعَ له بين حسنةِ الدنيا والآخرة، وحسنِ الجزاءِ علىٰ الطاعة، قال تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح:١٠ - ١٢]، وقد يكرمُ الكافرَ بالنعمةِ في الدنيا من بابِ الاستدراج، قال تعالىٰ: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٥ - ٥٦]، كما أنه قد يبتلي المؤمن، وقد يعجّلُ العقابَ لمن غضبَ عليهم من عباده.

١٠. تفيدُ أن سعادةَ الدنيا وشقاوتَها في مقابلةِ ما في الآخرةِ من السعادة والشقاوة كالقطرة في البحر، ولذا لم يجعل ما فيها محلَّ إكرامٍ حقيق، فهي ليست دارَ جزاءٍ، ولا ما فيها من نعيمٍ يستحقُ أن يذكرَ بجوارِ نعيم الآخرة، فالمتنعمُ في الدنيا لو كان شقيًا في الآخرةِ فذاك التنعمُ ليس بسعادة، والمتألمُ المحتاج في الدنيا لو كان سعيدًا في الآخرةِ فذاك ليس بإهانةِ ولا شقاوة، فنِعَمُ الدنيا لا وزن لها بجوار نِعَم الآخرة، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥]، وقد جاء في الحديث: (يُؤْتَىٰ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ في جَهَنَّمَ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ، هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ فَيَقُولُ لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَىٰ بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا في الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيُصْبَغُ

www.Quranonlinelibrary.com

فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ، هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ فَيَقُولُ لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ)(١).

١١. تفيدُ أن المتنعمَ في الدنيا لا يجوزُ له أن يحكمَ علىٰ نفسهِ بالسعادة والكرامة، والمتألمَ في الدنيا لا يجوزُ له أن يحكمَ علىٰ نفسهِ بالشقاوةِ والهوان، فحصولُ النعمةِ في الدنيا لا يدلُّ علىٰ استحقاقٍ أخروي أو دنيوي عند الله تعالىٰ، فمن ظن أن كريمَ الدنيا هو المكرمُ في الآخرة فما عرفَ كيف يُنالُ ما عند الله، ويكون كما قال تعالىٰ عن صاحبِ الجنتين: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥ - ٣٦].

١٢. تفيدُ ذمَ النظرةِ القاصرةِ للإنعامِ، وحصر ذلك في المال، فالفقيرُ والمحتاجُ للمالِ لا ينبغي أن يغفلَ عما أنعمَ اللهُ عليه من النعم التي لا تحصىٰ من سلامةِ البدنِ والعقلِ والدينِ ودفعِ الآفاتِ والآلامِ التي لا حد لها ولا حصر، فلا ينبغي أن يقضيَ علىٰ نفسهِ بالإهانةِ إذا حرمَ بعضَ النعم، فإنّ ذلك من الشيطانِ ليصدّه عن شكرِ ما هو فيه من نعمة.

١٣. تفيدُ أن معاييرَ الاجتباءِ والتفضيلِ عند اللهِ لا تقومُ علىٰ الماديات؛ بل هي بالمعنوياتِ من الإيمانِ والتقوىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]، فربَّ رجلٍ منعم عليه في الدنيا هو مسخوطٌ عليه

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: صَبْغِ أَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي النَّارِ وَصَبْغِ أَشَدِّهِمْ بُؤْسًا فِي الْجَنَّةِ، ح رقم (٧٢٦٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

في الآخرة، ورب أشعَثَ أغبرَ مطرودٍ بالأبواب لو أقسم علىٰ الله لأبَرَّهُ.

١٤. تفيدُ أن من اعتبرَ الابتلاءَ بالنعمةِ جزاء، والاختبارَ بالتقتيرِ عقوبة، والامتحانَ بهما نتيجةً، ما عرفَ حقيقةَ الدنيا وما أرادَه اللهُ منه، فبسطُ الرزقِ أو قبضُه ابتلاءٌ من اللهِ لعبدِه، والجزاءُ علىٰ ما يظهرُ منه بعد. وليس ما أُعطِي من عرضِ الدنيا أو مُنِعَ هو الجزاء، فالغنىٰ والفقرُ، والسعةُ والضيق، والعافيةُ والمرضُ ابتلاءٌ من الله وامتحانٌ لعباده، والجزاءُ ما يترتبُ عليهم.

١٥. فيها بيانُ سوءِ ظنِ الكافرِ بربه، حيث يشكو ربه ويصفُه بأقبحِ الأوصاف ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾، وسوءُ الظنِّ بالله لا يجوزُ كما قال تعالىٰ: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

١٦. تفيدُ أن من ظنَّ أن اللهَ يكرمُ بالغنىٰ ويذلُّ بالفقر ما عرفَ حقيقةَ الإكرام، فإن الكريمَ عند الله من أكرمَه بمعرفتهِ ومحبتهِ وطاعتهِ ووفقَ للهدىٰ علمًا وعملا، والمهانَ من أعرضَ عنه، وعاشَ علىٰ معصيته، والبعدِ عن طاعتهِ ومغفرته، قال تعالىٰ: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [غافر: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩﴾ [الحج: ١٨].

١٧. فيها بيانُ هوانِ الدنيا عند الله، ولهذا اعطاها من يحبُ ومن لا يحب، ولو كانت الدنيا تسوىٰ عندَه جناحَ بعوضةٍ ما سقىٰ الكافرَ منها شربةَ ماء، كما قال النبي ﷺ: (وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سقىٰ

كَافِرًا مِنْهَا قطرةً أبدًا)[١].

١٨. تفيدُ أن المؤمنَ إذا أكرمَه اللهُ ونعّمَه شكرَ ربَّه علىٰ ذلك، ورأىٰ أن هذا فضلٌ من اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وإحسان، وليس من بابِ الإكرام الذي يقدمُ لصاحبِه علىٰ أنه مستحق، وإذا ابتلاه اللهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقدرَ عليه رزقَه صبرَ واحتسب، وقال هذا بذنبي، والربُّ عَلِم يهني ولم يظلمني، فيكون صابرًا عند البلاء، شاكرًا عند الرخاء.

١٩. فيها إشارةٌ إلىٰ أنه يجبُ علىٰ الإنسانِ أن يتبصرَ فيقولُ مثلًا: لماذا أعطاني اللهُ المال؟ ماذا يريدُ مني؟ يريد مني أن أشكر. لماذا ابتلاني اللهُ بالفقرِ، بالمرض وما أشبه ذلك؟ يريد مني أن أصبرَ.

٢٠. تفيدُ أن ما في دواخلِ الإنسانِ مما يعتقدُه في قلبِهِ ينعكسُ علىٰ سلوكهِ، في قولهِ وفعله، فهو يقول: ربي أكرمني، معتقدًا ذلك، ويقول: ربيَ أهانني، معتقدًا ذلك، ومن هنا كان تعديلُ السلوكي وعلاجه يبدأ بإصلاحِ العقيدة.

٢١. تفيدُ أن كلمةَ ربه في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ﴾، وقولهِ: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ تدعو إلىٰ شكرِه وطاعته في حالةِ النعم، وإلىٰ الصبرِ والرضا في حالة البلاءِ، لأن ربه الذي أوجده وأبدعه، وأنعمَ عليه بنعمهِ وأحسنَ إليه، هو الذي قدر أن يبتليه بهذا أو ذاك.

٢٢. فيها بيانُ شحِ النفوسِ بالنعمةِ، وقصورِ نظرِها إلىٰ نفسِها فقط،

---

(١) أخرجه ابن ماجة ح رقم (٤١١٠)، والطبراني في المعجم الكبير ح رقم (٥٨٤٠)، وصححه الألباني في سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٧٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فهي تنظرُ لإكرامِ الله نظرَ بطرٍ واستكبار، ولا تحبُ أن تجودَ تكرمًا مما أكرمَها اللهُ بها، كما قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾ [الإسراء: ١٠٠].

٢٣. تشيرُ إلىٰ أن من شكرِ النعمةِ إكرامَ الضعفاءِ منها، وأن من يكرمُه اللهُ بالنعمةِ فعليه أن يكرمَ عبادَ اللهِ مما نالَه من إكرامِ اللهِ له.

٢٤. فيها لومٌ من اللهِ تعالىٰ للنفوسِ التي ليس لها اهتمامٌ بأحوالِ الخلق المحتاجين، فقال: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾.

٢٥. تفيدُ وجوبَ إكرامِ اليتيمِ بالإحسانِ إليه، وعدم استقلالِ ضعفهِ في استذلالهِ وإهانته، فهو أحوجُ ما يكونُ إلىٰ جبرِ خاطرِه والإحسانِ إليه، وقد أوصىٰ اللهُ به كثيرًا في القرآن، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضحىٰ: ٩].

٢٦. تفيدُ وجوبَ الحفاظِ علىٰ حقِ اليتيم، فإذا وجبَ إكرامُه من فضلِ أموالِنا فالحفاظُ علىٰ حقهِ وعدمِ ظلمه أوجب، ولذا حذر اللهُ من ظلمهِ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠].

٢٧. فيها بيانُ ما في النفوسِ من قسوةٍ، وعدمِ الرحمة، وعدمِ الرغبةِ في الخيرِ إذا لم تتهذب بنورِ الإيمان والهدىٰ، ولهذا قال في وصفِ الكافرين: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الماعون: ١ – ٣].

٢٨. فيها ذمُّ انقطاعِ المروءةِ في الناس، خاصةً العنايةُ بالضعفاءِ في قوله: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ أي: لا يحضُّ بعضُكم بعضًا علىٰ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إطعام المحاويج من المساكين والفقراء.

٢٩. فيها وجوبُ الحضِّ علىٰ إطعامِ الجياعِ من الفقراءِ والمساكين وغيرِهما.

٣٠. فيها حضُّ النفس علىٰ إطعامِ المسكين من بابِ أولىٰ؛ لأن من يحضُّ غيرَه علىٰ فعلِ شيءٍ يكونُ ملتزمًا به، أو راغبًا علىٰ فعلِهِ إذا تمكن أن يفعلَه.

٣١. فيها نفي الإطعامِ عنهم للمساكين من بابِ أولىٰ بلحنِ الخطابِ، فهم لقلّةِ الاكتراثِ بالمساكين لا ينفعونَهم ولو نفْعَ وساطة، فضلًا أن ينفعوهم بالبذلِ من أموالهم.

٣٢. تفيدُ أن الإسلامَ دينُ رحمةٍ وخيرٍ علىٰ الإنسانيةِ، ولهذا أوصىٰ كثيرًا بحقوقِ الضعفاءِ، من اليتامىٰ والمساكين والفقراءِ والنساءِ والصبيان.

٣٣. تفيدُ أن الغني مبتلىٰ باليتيمِ والمسكين وغيرِهما من الضعفاء، وأن القادرَ علىٰ الشفاعةِ والحثِ علىٰ الخير هو مبتلىٰ كذلك بما له من جاه، وكلُّ نعمةٍ من ورائها ابتلاء.

٣٤. تفيدُ أن من صفاتِ الكافرين أخذَ حقوقِ العبادِ، قال تعالىٰ: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾، لا تبقون علىٰ شيءٍ منه، وجاءت هنا بصيغةِ المضارعِ ليدلَ علىٰ الاستمرارية.

٣٥. تفيدُ وجوبَ إعطاءِ المواريث لمستحقِيها ذكورًا كانوا أو إناثًا، وكان من عادةِ الجاهليةِ لا يورثون النساءِ والصبيان.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٣٦. تفيدُ أن حبَّ الدنيا والركونَ إليها، والمحبةَ الشديدةَ لها، وتمكنها في القلوب من وراءِ كلِّ طمعٍ وظلمٍ وشح.

٣٧. فيها التنديدُ بحبِّ المالِ، والحرصِ الشديدِ عليه، وشدةِ الرغبة فيه بصورةٍ تحملُ علىٰ منعِ الحقوق والصدِ عن الخير والدار الآخرة، والتعلقِ به في سائرِ الأوقات ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠ – ٢١].

٣٨. تفيدُ أن اللهَ ذمَّ الأغنياءَ الذين أُشربَ حبُّ المالِ في قلوبهم وعيَّرهم به، فالمالُ لا يُحبُّ لذاتهِ، وإنما يُحبُّ لغيرهِ، فمن أحبه لذاتهِ بخل به، ومن أحبَّه لغيرِه سخرَه لما أحبَّه في سبيله، ومن هنا ذمهم اللهُ في حبِّهم للمال.

٣٩. فيها تنبيهٌ لمن أعطي النعمةَ ألا يغفلَ طرقَ البذلِ الهامة، ولا يدفعُه حبُّ المالِ علىٰ ظلمِ الضعفاء.

٤٠. فيها ما يدلُّ علىٰ أن اللهَ تعالىٰ الذي أنزلَ هذا الكتابَ شفاءً ورحمةً هو العليمُ بدواخلِ النفسِ البشرية، وما يصلحُ عللَها، ويقومُ سلوكَها، بصورةٍ لا يمكن أن يهتدي إليها عقلٌ بشري.

٤١. تفيدُ أن الذين نظروا للحياةِ بالنظرةِ المادية انعكسَ ذلك في سلوكِهم من حيث التعاملِ مع اليتيمِ والمسكين، وأكلِ الميراث، وحب المال حبًا جما، فالنظريةَ الماديةَ لم تكن حديثةَ عهدٍ في هذا القرون المتأخرة؛ بل هي قديمةٌ تحدَّثَ عنها القرآن من قبلِ أربعةَ عشرَ قرنًا.

٤٢. تفيدُ أن أقبحَ صورةٍ للإنسانِ أن يمنعَ خيرَه عن عبادِ الله، خاصةً الضعفاء، ويتطايرُ شرُّه علىٰ النساءِ، خاصة الضعفاء.

رابعًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

ولما ذكرَ سبحانه تعالىٰ نماذجَ من الأممِ التي أكرمَها اللهُ ونعمَها، وكيف أدىٰ ذلك لطغيانِها وفسادِها، بيَّنَ بعدَه طبيعةَ الإنسانِ عندما يبتليه اللهُ به من بسطِ النعمة وقبضِها في زمانٍ وحالٍ خلا من هدي الرحمنِ، فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾، ولما ذكرَ حالةَ اعتقادِه عند التوسعة، أعقبَه ببيانِ اعتقادِه عند التضييق فقال: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾، ولما كان هذا الاعتقادُ باطلًا، قال رادعًا له بأعظمِ أدواتِ الزجر ﴿كَلَّا﴾ أي إني لا أكرمُ بتكثيرِ الدنيا ولا أهينُ بتقليلِها، ولما بين سوءَ أقوالِهم التي نتجت عن اعتقادِهم الباطل، بين سوءَ أفعالِهم التي بنيت علىٰ تصوراتِهم الخاطئة، حيث لم يقوموا بحقوقِ نعمه من إكرام الضعفاء من خلقهِ، وبدأَ بأضعفهم، فقال: ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾، ولما كانَ الإنسانُ لا يمنعُه من حثِّ غيرِه علىٰ الخيرِ إلا حبُّ الدنيا إن كان المحثوثُ أعظمَ منه فيدخرُه لحوائجه، وإن كان مثلُه فإنه يخشىٰ أن يقارضُه بذلك فيحثُّه علىٰ مسكين آخر، وكان الإحسانُ بالحثِّ علىٰ الإعطاءِ أعظمَ من الإعطاءِ؛ لأنه يلزمُ منه الإعطاءِ بخلافِ العكس، قال: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾، ولما بين حالَهم مع هؤلاء الضعفاءِ مما أكرمهم الله به، وابتلاهم به، بين كيف زادتُهم النعمةُ غفلةً وطمعًا حتىٰ في أموالِ غيرِهم ولو بغيرِ وجهِ حق فقال: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾، ولما بين سلوكهم مع الضعفاءِ من عبادِه، بين دواعيهِ فقال: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، لا يستبقي في نفوسِكم مكرمةً للمحتاجين، بل قادهم ذلك إلىٰ أكل الحرام والركون إلىٰ دار الزوال، ولذا زجرهم بقوله ﴿كَلَّا﴾ لينصرفوا عن حبه إلىٰ ما دعا إليه العقل الذي يعقل النفس عن الهوىٰ والشهوات المحرمة، لتقبل إلىٰ ربها، وتتهيأ بالإقبال إليه بحسن الاستعداد لمقابلته.

www.Quranonlinelibrary.com

الموضوعُ الثالث

ما يكون في يوم الحساب، وكشفُ بعض أَحوالِ العباد

قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ
صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ
ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا
يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨
فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢١ – ٣٠].

أولًا: المناسبة بين الآيات:

- لما ذكرَ تعالىٰ ما حلَّ بالكافرين في الدنيا ذكرَهم بمصيرِهم في الآخرة.
- ولما ذكرَ تشاغلَهم بالدنيا وتنافسَهم فيها، ذكرَهم بالآخرةِ وما فيها من حسراتٍ لمن شغلته الدنيا عن الآخرة.
- ولما وصفَ حالَ من اطمأن إلىٰ الدنيا، وصفَ حالَ من اطمأن إلىٰ اللهِ ووعده في الآخرة.

ثانيًا: معاني الكلمات:

١. كَلَّآ: أي: حقًا.

٢. دُكَّتِ: أي: فتت ودقت وسويت الأرضُ والجبال.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٣. ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾: أي: لفصلِ القضاءِ بين خلقهِ مجيئًا يليقُ بعظمتهِ.

٤. ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾: اسمُ جنسٍ وتعريفُه تعريفُ الجنس فيرادفُه الاستغراق، أي والملائكة.

٥. ﴿صَفًّا صَفًّا﴾: أي صفًا بعدَ صف، والصفُّ: مصدرُ صَفَّ الأشْياءَ إذا جعلَ الواحدَ حذو الآخر، ويطلقُ علىٰ الأشياءِ المصفوفةِ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤].

٦. ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾: أي: تجرُّ بسبعين ألفِ زمام في كلِّ زمامٍ سبعين ألفِ ملكٍ يجرونها كما في الحديث الذي سوف يأتي ذكره.

٧. ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: أي: عملَه وما قدمَه في قديمِ دهرِه وحديثه.

٨. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: أي وكيف تنفعُه الذكرىٰ، وقد فاتَ أوانُها.

٩. ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾: أي: من الإيمانِ والعملِ الصالحِ لحياتي الآخرِة الباقية.

١٠. لا يعذب عذابه أحد: أي لا يعذبُ مثلَ عذابِ اللهِ أحدٌ أي: في قوتهِ وشدته.

١١. ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: أي ولا يوثقُ أحدٌ مثلَ وثاقِ اللهِ عز وجل، والوثاق: هو الأسرُ في السلاسلِ والأغلال.

١٢. ﴿ٱلنَّفْسُ﴾: تطلقُ علىٰ الذاتِ كلِّها كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦]، وتطلق علىٰ الروح التي بها حياة الجسد كما في قوله: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

١٣. ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾: اسمُ فاعلٍ من اطمأنَ إذا كان هادئًا غيرَ مضْطَرِبِ ولا منزعج، والمرادُ المؤمنةُ الساكنة، وهي مطمئنةٌ باللهِ ولوعدِ الله.

١٤. ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾: أي إلىٰ جوارِه وثوابِهِ وما أعدَّه لعبادِه في دارِ كرامتهِ الجنة.

١٥. ﴿رَاضِيَةً﴾: أي في نفسِها، قد رضيت عن اللهِ.

١٦. ﴿مَّرْضِيَّةً﴾: أي: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

١٧. ﴿فِى عِبَٰدِى﴾: أي في جملةِ عبادي المؤمنين المتقين.

١٨. ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾: أي دار كرامتي لأوليائي.

ثالثًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. فيها زجرٌ علىٰ الانكبابِ علىٰ الدنيا، والتنافسِ علىٰ لذاتها في لفظة ﴿كَلَّآ﴾، لأنَّ نعيمَها زائلٌ ومن ورائِها يومٌ عظيم، وهولٌ جسيم، ومن ركنَ إليها ندمَ يومَ تدكُّ الأرضُ، في حين لا ينفعُ الندم.

٢. تفيدُ أنه في يومِ القيامةِ تدكُّ الأرضُ والجبال وما عليها حتىٰ تجعلُ قاعًا صفصفًا لا عوجَ فيه ولا أمتا، فتسوىٰ صخورُها وقصورُها، وتبدلُ معالمُها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٤ - ١٨].

٣. تفيدُ أن اللهَ تبارك وتعالىٰ يجيءُ يومَ القيامةِ لفصلِ القضاءِ بين عبادِه في ظللٍ من الغمام، مجيئًا يليق بجلالهِ وعظمتهِ من غيرِ تشبيهِ ولا تمثيلِ ولا

تكييف ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، وكما قال تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

٤. تفيدُ شرفَ النبيِّ ﷺ حيث أضافه الله تعالىٰ إلىٰ عبوديتِهِ في هذا المقامِ العظيم.

٥. تفيدُ أن الملائكةَ الكرام أهلَ السماواتِ كلَّهم يأتون يومَ القيامةِ صفًّا بعدَ صفٍّ، علىٰ حسبِ مراتبِهم ومنازِلِهم، يحيطون بمن دونَهم من الخلق، في خضوعٍ وذلٍّ للملكِ الجبار ﴿وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾.

٦. فيها بيانٌ لعظمةِ جنودِه، وكثرةِ عبادِه من أهل سماوته، كما أن التعبيرَ بالصفِّ يفيدُ انتظامَهم وخضوعَهم لله ربِّ العالمين.

٧. تفيدُ إثباتَ المجيءِ لجهنمَ في ذلك اليوم، ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ وأنه يُؤتىٰ بها تُقَادُ بسبعين ألفِ زمام، كلُّ زمامٍ بيدي سبعين ألفِ ملك، كما في حديثِ مسلمٍ عن النبي ﷺ قال: (يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا)[1]، بارزةٌ للعيان لأخذِ أهلِها ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ﴾.

٨. تفيدُ أن المجيءَ بجهنمَ تقودُها الملائكةُ مع ما فيه من الدلالةِ علىٰ العظمةِ والهولِ فيه اشارةٌ إلىٰ انقيادِها وخضوعِها.

٩. تدلُّ علىٰ هولِ الآخرةِ حيثُ تدكُّ الأرضُ دكًّا، والجبارُ المتكبرُ يجيء لفصلِ القضاء، والملائكةُ تجيء صفًّا صفا، والنارُ يُؤتىٰ بها في مشهدٍ

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، بَابٌ: فِي شِدَّةِ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ وَبُعْدِ قَعْرِهَا وَمَا تَأْخُذُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ، ح رقم (٢٨٤٢).

مهيبٍ، ترجفُ له القلوب، وتخشعُ له الأبصار، والإنسانُ الذي غفلَ عن حكمةِ الابتلاء بالمنعِ والعطاء والذي أحبَّ المالَ وركنَ إلىٰ الدنيا ولم يقدم لآخرتهِ جيء به في وسطِ هذا الهولِ.

١٠. تفيدُ أن الإنسانَ في ذلك اليومِ العظيمِ يتذكرُ ما قدمَه من خيرٍ وشرٍ في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، وكما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤ – ٣٦].

١١. تفيدُ أن التذكرَ الذي يحدثُ في ذلك اليومِ لا ينفعُ؛ لأنه فاتَ أوانُه، وذهبَ زمانُه ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ فهو تذكرٌ لا يفيدُ إلا الحسرةَ والندامةَ.

١٢. تفيدُ أن التذكرَ والاتعاظَ والتوبةَ قبلَ الموتِ وحضورَ الأجل نافعةٌ للعبد، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

١٣. فيها بيانُ شدةِ حسرةِ المفرطين في طاعةِ الله تعالىٰ، وطاعةِ رسولهِ يومَ القيامة، وندمِهم علىٰ التفريطِ والعصيان فيقول: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥ – ٢٩]، وما من مفرطٍ إلا وسيندمُ علىٰ ما فرطَ في ذلك اليومِ في جنبِ اللهِ تعالىٰ وطاعته.

١٤. تفيدُ أن الحياةَ التي تستحقُّ اسمَ الحياةِ، والتي ينبغي العملُ لها، السعي إليها هي الحياةُ في دارِ القرار، فإنها دارُ الخلدِ والبقاءِ التي لا موتَ لمن فيها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ

﴿ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

١٥. تفيدُ أن الاختيارَ كان في أيديِهم، ومعلقًا بقصدِهم وإرادتهم، وأنهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعاتِ، مجبرين علىٰ المعاصي كمذهبِ أهل الأهواءِ والبدع؛ لأن المحجورَ عن شيءٍ يتمنىٰ أن كان ممكنًا منه، وإلا فما معنىٰ التحسر ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾.

١٦. فيها بيانُ شدِة العذابِ في ذلك اليومِ وهوله، ولا يمكن أن يُعذبَ مثلُه أحدٌ في الدنيا مهما بالغَ في التعذيب ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾.

١٧. تفيدُ أن أهلَ النارِ يوثقون ويقرنون بسلاسلَ من نارٍ بصورةٍ قويةٍ شديدة، ويسحبون علىٰ وجوهِهم في الحميم، ثم في النارِ يسجرون، فهذا جزاءُ المجرمين، ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١ - ٧٢].

١٨. فيها بيانٌ لسوءِ عاقبةِ من لم يؤمن بالآخرةِ ويعملْ لها، وركنَ إلىٰ الدنيا، ونسيَ الأخرةَ.

١٩. تفيدُ أن القرآنَ مثانٍ، فلما ذكرَ حالَ من كانت الدنيا همَه، واطمئنَّ لها، وكانت النارُ مصيرَه، ذكرَ حالَ من اطمأنت نفسُه إلىٰ اللهِ، فسلمَ لأمرِه، وتوكلَ عليه، وبذلَ وسعَه في مرضاتهِ وكانت الجنةُ دارَه وقراره ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾.

٢٠. تفيدُ أن من أعظمِ ثمراتِ الإيمانِ في الدنيا والآخرةِ الطمأنينةِ وعدمِ الخوفِ والقلقِ، وهي قيمةٌ للسعادةِ لا تُشترَىٰ بمالٍ ولا ثمن.

www.Quranonlinelibrary.com

٢١. فيها أهميةُ اطمئنانِ النفسِ باللهِ وثوابهِ وحفظهِ وقضائهِ وقدره وعبادتهِ كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ويكون ذلك عند ما تتيقنُ النفسُ بالحقِّ فلا يخالجُها شك، ثم تطمئنُّ بالطاعةِ فلا تهنأ إلا بها كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

٢٢. فيها بيانُ جزاءِ من اطمأنَّ إلىٰ اللهِ ووعدِه وأيقنَ أن اللهَ تعالىٰ ربَّه وآمنَ به وصدَّقَ رسلَه وأيقنَ بالحقِّ الذي أنزلَه، فيقال له: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾، فينادىٰ في يومِ الفزعِ الأكبرِ بهذا النداءِ الذي يمثلُ كلَّ معاني الطمأنينةِ والسعادة.

٢٣. فيها بيانُ شرفِ مخاطبةِ المؤمن يومَ القيامة بهذا الخطاب، فهو إما يكونُ بواسطةِ ملكٍ أو كفاحًا كما كلمَ اللهُ موسىٰ، وهذا غايةُ الإكرامِ والنعيم.

٢٤. تفيدُ أن الإيمانَ الذي اطمأنَّ إليه المؤمنُ ولم يتطرق إليه شكٌّ هو الذي أورثُه الطمأنينةَ وحققَ له الفوزَ في الآخرة.

٢٥. تفيدُ أن المؤمنَ مطمئنٌّ في عملِه، مطمئنٌّ في ذكرِه، قرت عينُه بالله، وسكنت نفسُه لحبه، مطمئنٌ لقضائه وقدرِه، وعلمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبَها، وأن ما أصابَها لم يكن ليخطئها.

٢٦. فيها بيانٌ لعظمِ ثوابِ النفوسِ المطمئنة بجوارِه الكريمِ ونيلِ رضاه العظيم ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾، فهي راجعةٌ إلىٰ ربِّها الذي رباها بنعمه، وأسدىٰ عليها من إحسانه ما صارت به من أوليائه وأحبابه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢٧. فيها بيانُ شرفِ ومنزلةِ العبوديةِ إذ هم الذين فازوا بخيرِ الآخرةِ ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ الذي بينك وبينه صلة وقربة.

٢٨. تفيدُ أن النفسَ المطمئنَّة تكونُ ﴿رَاضِيَةً﴾ عن اللهِ، وراضيةً عن سعيِها، كما قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ﴾ [الغاشية: ٨-٩]، وراضيةً عن ما أكرمَها به من الثواب، وهو كنايةٌ عن إعطائِها كلَّ ما تطمحُ إليه.

٢٩. تفيدُ أن من أعظمِ النعيمِ في الآخرةِ نيلَ رضا الرحمن ﴿مَّرۡضِيَّةً﴾، والمقصودُ من هذا الوصفِ زيادةُ الثناءِ مع الكنايةِ عن الزيادةِ في إفاضةِ الإنعامِ؛ لأن المرضي عنه يزيدُه الراضي عنه من الهباتِ والعطايا فوقَ ما رضي به هو.

٣٠. فيها بيانُ شرفِ الانتماءِ لعبادِ اللهِ الموحدين الصالحين في الدنيا وفي الآخرة، وهذا خطابٌ للروح عند الموت، ويومِ القيامة كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩]، وكما دعا سليمان عليه السلام بقوله: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

٣١. فيها بيانُ عظمةِ التوحيدِ والدخولِ في عبوديةِ الله ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾، كما قال الشاعرُ:

ومما زادني فخرًا وتيها ... وكدت بأخمصي أطأ الثُّريَّا
دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأَنْ أرسلت أحمدَ لي نبيا[1]

٣٢. فيها بيانُ أعظمِ الجزاء عند ما يقالُ للعبدِ ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾، دارُ الخلود، ومسكنُ الأبرار، ومأوىٰ الصالحين والأخيار.

(١) زاد المسلم والداعية من الشعر والبيان (ص: ٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣٣. فيها بيانُ عظمة الجنةِ التي أعدَها اللهُ للمتقين، ونسبها إليه ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ وإضافةُ (جنة) إلىٰ ضميرِ الجلالةِ إضافةُ تشريفٍ كقوله: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر: ٥٥]، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القصيدة النونية(١):

هي جنة طابت وطاب نعيمها	فنعيمها باق وليس بفان
دار السلام وجنة المأوىٰ ومنـ	ـزل عسكر الايمان والقرآن
فالدار دار سلامة وخطابهم	فيها سلام واسم ذي الغفران

رابعًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

ولما كان ظنُّهم أن المالَ يحسنُ أحوالَهم، ويصلحُ بالَهم، زجرَهم عنه بمجامعِ الزجر فقال: ﴿كَلَّآ﴾ أي ما هكذا ينبغي أن يكونَ الأمرُ، ثم ذكرَ ما يوجبُ الندمَ إن استمروا علىٰ ذلك فقال: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾، ولما دلت التسويةُ علىٰ مجيءِ أمرٍ عظيم، قال بعده: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، ولما تحدثَ عن مجيئِهِ، تحدثَ عن مجيءِ ملائكتهِ بما يبينُ عظمةَ مجيئِهِ وهولِهِ فقال: ﴿وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾، ثم زادَ من هولِ الموقفِ بقوله تعالىٰ: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾، ولما بين هذه الأمورَ الجليلةَ والقوارعَ المهولة من أحوالِ الموقفِ بين حالَ الإنسانِ فقال: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾، ولما كان الندمُ يقتضي أن يعملَ الإنسانُ ما ينافيه، بين أنه ليس هناك عملٌ إلا إظهارُ الندمِ فقال: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾، ولما كان هذا غيرَ نافعٍ له، سببَ عنه قوله: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾، ولما جرت العادةُ بأن المعذبَ يستوثقُ منه

(١) متن القصيدة النونية لابن قيم الجوزية (٢ / ٣٠٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

بسجنٍ أو غيرِه، ويمنعُ من كلِّ شيءٍ يمكن أن يقتلَ به نفسَه، أو أن يهربَ قال: ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾.

ولما كان ذلك الجزاءُ للهلوعِ الجزوعِ المضطربِ النفس الطائشِ في حالِ السراءِ والضراء، الذي لا يكرمُ اليتيم ولا يحضُّ علىٰ طعامِ المسكين، ويحبُّ الدنيا، وكان من المعلومِ أن من الناس من ليس هو كذلك، تشوفت النفسُ إلىٰ جزائهِ فشفىٰ عيَّ هذا التشوفِ بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾، ثم بيّن ما أجملُ من الرجوعِ فقال سبحانه: ﴿رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾.

خامسًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورة وخاتمتها:

بدأت بذكرِ الفجرِ والليالي العشرِ والشفعِ والوترِ والليل إذا يسر، وهي تمثلُ الزمانَ الذي يعيشُ فيه الإنسانُ بأشرفِ أوقاته، وأقسمَ تعالىٰ بها معظمًا لها أن يضيعَها العبدُ في غيرِ طاعة الله، وجوابِ القسمِ تقديرُه: ليبعثنَّ، وختمَ بذكرِ الحياةِ الآخرةِ دارِ الجزاء وبينَ حسرةَ من فرطَ في حياتهِ الفانية من التزودِ لحياته الباقيةِ، وجزاءَ من شمرَّ في طاعةِ ربهِ بيقين واطمئنان.

سادسًا: خصائص السورة في عرض هداياتها:

١. القسمُ بخمسةِ أمورٍ في أولِها، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾.

٢. بيانُ عظمةِ الأمورِ المقسم بها في قولهِ تعالىٰ: ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾.

٣. الدعوةُ للنظرِ في عاقبةِ ثلاثِ أممٍ عاتيةٍ طاغيةٍ فاسدة، وكيف صبَّ

عليهم ربُّك سوط عذاب: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

٤. بيانُ الابتلاءِ بالإعطاءِ والتقتيرِ، وموقفِ الناس من ذلك: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾.

٥. بيانُ حالِ من لم يدخل نورُ الإيمانِ إلىٰ قلوبهم من الضعفاءِ: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝١٨ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾.

٦. الحديثُ عن دكِّ الأرضِ، ومجيءِ الرحمن لفصلِ القضاء، والمجيءِ بجهنم: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾.

٧. بيانُ حالِ الإنسانِ في الآخرة عند تذكره لسعيه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٢٣ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾.

٨. الحديثُ عن عذابهِ ووثاقهِ بصورةٍ خاصة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾.

الحديثُ عن مصيرِ النفسِ المطمئنة: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝٢٩ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

www.Quranonlinelibrary.com

سابعًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. إدراكُ فضلِ فجرِ يومِ النحر، وهو أفضلُ الأيامِ عندَ الله، وفضلِ ليلتهِ التي هي ليلةُ عرفة، وهي من خير الليالي، وفضلِ العشرِ الأوائل من ذي الحجةِ، والعشرِ الأواخرِ من رمضان، فهذه مواسمُ عظيمةٌ للخيراتِ والقرباتِ، فعلىٰ المؤمنِ الاجتهادُ فيها.

٢. اليقينُ بالبعث والنشور وقدرةِ اللهِ تعالىٰ علىٰ أخذِ الطغاةِ وفعلهِ ما يشاءُ متىٰ شاء.

٣. أخذُ العظةِ والعبرِة من مصارعِ الغابرين المتكبرين المفسدين الطاغين، وعدمُ الاغترارِ بالنعمة بكلِّ أنواعها، فإن عادًا غرتْهم عافيتُهم، وثمودَ غرَّهم رفه حياتِهم، وفرعون غرَّه ملكه.

٤. إدراكُ أن اللهَ يبتلي عبادَه ببسطِ الرزق، كما يبتليهم بالتضييقِ فيه، وأن كليهما ابتلاءٌ وامتحان، وأن المؤمنَ إذا أكرمَه اللهُ ونعّمَه شكرَ ربَّه علىٰ ذلك، ورأىٰ أن هذا فضلٌ من اللهِ عليه السلام وإحسان للشكر، وإن قدر عليه رزقَه صبر وأحتسب.

٥. معرفةُ هوانِ الدنيا عندَ الله، ولهذا أعطاها من يحبُّ ومن لا يحبُّ، ولو كانت تسوىٰ عندَه جناحَ بعوضةٍ ما سقىٰ الكافرَ منها شربةَ ماء.

٦. وجوبُ إكرامِ اليتيمِ بالإحسانِ إليه، وعدم استغلالِ ضعفهِ في استذلالهِ واهانته.

٧. وجوبُ الحضِّ علىٰ إطعامِ الجياعِ من الفقراءِ والمساكين وغيرِهما.

٨. وجوبُ إعطاءِ المواريث لمستحقِيها ذكورًا كانوا أو إناثًا.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٩. لا يجوزُ محبةُ المالِ بدرجةٍ تمنعُ من الخير وتؤدي إلىٰ أكلِ الحرام.

١٠. تقديمُ العملِ الصالح قبلَ فواتِ الأوان والتحسرِ علىٰ ما فات.

١١. الخوف من شدة عذاب الله تعالىٰ في الآخرة والرغبة في عظم ثوابه لمن وحده وعاش في رحاب عبوديته.

١٢. اليقين بأنه لا اطمئنان في الدنيا أو الآخرة إلا في ظل معاني الإيمان الصحيح الذي جاء في الكتاب والسنة.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة الفجر ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم٢١جماد الآخر ١٤٣٦هـ

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

سـورة البلـــد

موضوع السورة:

بيان خلق الانسان في كبد وحثه على الخير

من خلال موضوعين:

- خلقُ الإنسانِ وما عليه من غرورٍ وجهلٍ
- الحضُّ علىٰ طريقِ الخيرِ والتحذيرِ من طريقِ الشر

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مدخل لدراسة السورة

أولًا: موضوعُ السورةِ:

الحديثُ عن حالةِ الكبَدِ التي خلقَ اللهُ عليها الناس، ليعلمَ الإنسان ضعفَه وفقرَه لربهِ، ويخضعَ لعبوديتهِ، ويسخرَ آلاءهُ في مرضاتهِ، ويحملَ نفسَه علىٰ المكارِه ليتجاوزَ بها مصاعبَ الآخرةِ وشدتَها، فجاء الكلامُ عن هذا في موضوعين:

الموضوعُ الأول: بيانُ خلقِ الإنسانِ في نصبٍ وتعب، وما هو فيه من غرورٍ وجهل، واللهُ محيطٌ به، عليمٌ بأحوالهِ، أحاطَه بكثيرٍ من نعمه التي ذكَّره ببعضِها وهذا من الآية (١- ١٠).

الموضوعُ الثاني: الحضُّ علىٰ فعلِ الخيرات، وتركِ المحرماتِ التي بها يكونُ تجاوزَ الصعابِ، من فكاكِ الرقاب، والإطعامِ، والتواصي بالصبرِ والمرحمةِ التي هي صفاتُ أهلِ الجنة، مع التحذيرِ من صفاتِ أهلِ المشأمة التي من أعظمها الكفرُ بآياتِ الله من الآية (١١- ٢٠).

ثانيًا: المناسبةُ بين سورةِ الفجر والبلد:

لما ختمَ تعالىٰ سورةَ الفجرِ بالجنةِ التي هي أفضلُ الأماكنِ التي يسكنُها الخلق، وختمَ آياتِها بالنفسِ المطمئنة، افتتحَ هذه السورةَ بالقسمِ بأعظمِ البلاد، وأشرفِ الأنفسِ المطمئنة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولما ذكرَ تعالىٰ في سورةِ الفجر أن بسطَ الرزقِ أو تقتيرَهُ ليس دليلَ كرامةٍ، وإنما هو نوعُ ابتلاءٍ للإنسان، ثم ذكرَ من صفاتِ الكافرِ الذميمةِ ما ذكر والتي تلخصت في الكبرِ، والشحِّ، والطمع، ثم بيَّن ما آل إليه حالُه، وحالُ المؤمن، أتبعَه هنا ببيانِ نوعٍ آخر من الابتلاءِ وهو خلقُ الإنسان في مشقةٍ وعنت، وذكرَ كذلك من صفاتِ الكافرِ الذميمةِ ما ذكر، والتي تلخصت في الغرورِ، والمنِّ، والغفلةِ، ثم بين مآلَه ومآلَ المؤمن الذي باينَه في الصفات.

ولما ذمَّ في سورةِ الفجر من أحبَّ المالَ، وأكلَ التراث، وبين أنهم لا يكرمون اليتيمَ، ولا يحاضّون علىٰ طعامِ المسكين، بيَّن هنا الخصالَ التي تطلبُ من صاحبِ المال من فكِّ الرقابِ، والإطعامِ في يومِ المسغبة، خاصةً لليتيمِ القريب، والمسكينِ المعدم.

ولما ذكرَ في سورةِ الفجر حالَ النفسِ المطمئنة ذكرَ هنا ما يكونُ به الاطمئنان، وبدأ السورةَ بأعظمِ بلدٍ تتطمئنُّ فيه النفوس، وهو البلد الحرام.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الموضوعُ الأول
خلقُ الإنسانِ في كبد، وما هو عليه من غرورٍ وجهلٍ وغفلة

قال تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [البلد: ١ - ١٠].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾: معناه أقسمُ و«لا» صلة، قال الفراءُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو على مذهبِ كلامِ العرب يقولون: لا والله لا أفعل كذا، أي والله، ويجوز أن يكونَ ردًا لزعمِهم من إنكارِ البعثِ أو إنكارِ نبوةِ الرسول، والقسمُ من قولهِ: أقسم، وقال الفراء: هذا الثاني أولى»(١).

٢. ﴿ٱلۡبَلَدِ﴾: مكة، أمُّ القرى في قولِ الجميع.

٣. ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾: فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أي حلالٌ لك أن تقاتلَ في هذا البلد، ولم يحل لأحدٍ قبلك، وقد ثبت أن النبيَّ ﷺ قال: (إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهِيَ

(١) تفسير القرآن العظيم، السمعاني (٦/ ٢٢٥).

حَرَامٌ بِحَرَامِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَلَمْ تَحْلِلْ لِي قَطُّ إِلَّا سَاعَةً مِنْ الدَّهْرِ)[١].

والقولُ الثاني: أن قولَه: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ أي: استحلوا منك ما حرمَه اللهُ من الأذىٰ، وإيصالِ المكروهِ إليك، مع اعتقادِهم حرمَةَ الحرم، ذكره القفال.

والقولُ الثالث: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ أي: نازلٌ بهذا البلد، وهو إشارةٌ إلىٰ زيادةِ حرمةٍ وشرفٍ للبلدِ الحرام عند حلول النبي ﷺ فيه[٢].

٤. ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾: أي: كلَّ والدٍ ومولود.

٥. ﴿كَبَدٍ﴾: في شدةٍ ومشقةٍ ونصب، من مكابدةِ الأمر، وهي معاناةُ شدتهِ ومشقتهِ من كبدِ الرجل كبدًا إذا وجعت كبده.

٦. ﴿لُّبَدًا﴾: أي كثيرًا، ولبدا: أي: بعضُه فوقَ بعض.

٧. ﴿ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾: النجدُ: الطريقُ المرتفع، والمراد بهما هنا، طريقا الخير والشر.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. تفيدُ عظمةَ البلدِ الحرام، مكة، التي هي أفضلُ البلدانِ علىٰ الإطلاق، حيث أقسمَ اللهُ - تعالىٰ - بها تشريفًا لها، وسماهَا بالبلد، وبأسماءٍ عظيمةٍ وكثيرةٍ كأمِّ القرىٰ، والبلدِ الأمين، والمسجد الحرام، وهو البلدُ الذي ولدَ فيه المصطفىٰ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، بَابُ: مَقَامِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ زَمَنَ الفَتْحِ، ح رقم (٤٣١٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، السمعاني (٦/ ٢٢٥).

ﷺ، وكان مهبطًا للوحي، ومنبعًا للرسالةِ الخالدة، ومحطَّ فؤاد المؤمنين.

٢. تفيدُ عظمَ منزلةِ النبيِّ ﷺ وسموِّ مقامه، حيث كان حلولُه فيها يزيدُها فضلًا وتعظيمًا، وذلك بتقديرِ الكلام: أقسمُ بهذا البلدِ الذي أنت حَالٌّ فيه، أي: ساكن، من حلَّ بالمكانِ إذا أقامَ فيه، وإن كان بمعنىٰ حلَّ أي: مستحلٌّ لك هو كذلك يدلُّ علىٰ عظمِ قدرِه ﷺ، أن هذا البلدَ العظيمَ الحرمة أحلَّ له ولم يحل لأحدٍ غيرُه.

٣. تفيدُ أن شرفَ المكانِ يزدادُ بشرفِ أهلهِ الأخيار الذين يكونون فيه.

٤. تفيدُ أن مكةَ لم تحل إلا للنبيِّ ﷺ ساعةً من نهار، وذلك بتقديرِ الكلام «وأنت حِلٌّ بهذا البلد، يحلُّ لك فيه القتلُ وغيرُه»[١] أي: أنت في حلٍّ، غيرُ آثم.

٥. تفيدُ بيانَ عَلَمٍ من أعلامِ النبوة علىٰ المعنىٰ الثاني، لأن السورةَ مكية، وهذا إخبارٌ لما فعلَه بعدَ الهجرةِ، بعدَ نزولِ هذه السورةِ المكيةِ بمدةٍ طويلة.

٦. تفيدُ حرمةَ مَن حلَّ في مكةَ وإن لم يكن محرمًا، فكيف بمن حلَّ فيها محرمًا، فيكون من الإحلالِ ضدُّ الإحرام.

٧. فيها بيانُ حرمةِ مكة، وجليلِ قدرِها في كلِّ حالٍ حتىٰ في الحالِ التي لم يراع أهلُها في معاملتِهم تلك الحرمةَ التي خصَّها اللهُ بها، وأنت حل: أي حلالُ الدم.

٨. فيها بيانُ منزلةِ آدمَ وذريتهِ من ولدِه، وهي شاملةٌ لكلِّ والد وما ولد، والإنسانُ من أعجبِ مخلوقاتهِ التي خلقَها علىٰ وجهِ الأرض لما فيهِ من التبيانِ والنطقِ والتدبيرِ، والآيةُ إذا احتملت عدةَ معانٍ متوافقةٍ الأولىٰ الأخذُ بها جميعًا[٢].

(١) اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٣٤٠).

(٢) وهذا المنهج بيناه في مقدمة الكتاب، وهو مهم في دراسة الهدايات واستيفاء معاني الآية.

www.Quranonlinelibrary.com

٩. فيها إشارةٌ إلىٰ عظمةِ الخالق الذي جعلَ من خلالِ التوالدِ خلقًا عظيمًا، ففاوت تعالىٰ بين المتوالدين في الخصالِ وفي سائر الأحوال، فإن ذكرَ الصنعةِ تنبهُ علىٰ صانعِها وما له من الكمالِ والجلالِ والجمال.

١٠. فيها اشارةٌ إلىٰ استخدامِ الأسلوبِ الذي يشوقُ للمعنىٰ؛ لأن الابتداءِ بالقسم هنا مع ما فيه من تقويةِ المعنىٰ هو يشوقُ لما بعده.

١١. فيها بيانٌ لما يكابدُه الإنسانُ من الشدائدِ في الدنيا من بطنِ أمهِ، وعند ولادتهِ ورضاعتهِ وفطامهِ، وفي حالِ معاشهِ، وما يتعرضُ له من الأمراضِ، والنوائبِ والآفاتِ حتىٰ يعلمَ أنه في دارٍ لا يحظىٰ بهواه، ولا يبلغُ مناه، ولا يدركُ ما اجتباه، ولا ينجو غالبًا مما يخشاه، وأن ذلك مما قدره اللهُ تعالىٰ علىٰ عباده.

١٢. فيها تسليةٌ للنبيِّ ﷺ والمؤمنين وتثبيتٌ للذين يواجهون الأذىٰ والعذاب؛ بأن اللهَ تعالىٰ خلقَ ذلك، وهو من لوازمِ دارِ الزوالِ للابتلاء، لأن الإنسانَ إذا عرفَ أن ذلك من طبيعةِ الحياة، وأنه لا سعادةَ بها، فهي للنصبِ والأحزانِ هان عليه ما يواجهُه فيها، وقلَّ قلقُه وخفت آلامه.

١٣. فيها إثباتٌ لربوبيةِ اللهِ تعالىٰ حيث بيَّن أن للإنسانِ خالقًا مدبرًا يسيرُ حياتَه بحكمةٍ عظيمةٍ، قضىٰ عليه بأحوالٍ لن تفارقَه مدةَ حياته، لو كان الأمرُ إليه ما اختارها، فليستجيبُوا له، ويمتثلُوا أمره، ويخضعوا لربوبيته.

١٤. فيها بيانٌ لكمال حكمتهِ فيما قدرَه من أحوالِ العبادِ المختلفة، ومن ذلك ربطُهُ لحياتِهم بالنصبِ والمشقةِ ليظلَ ارتباطُهم بربِّهم متصلًا، ومصالُحهم مع بعضِهم قائمة، وتعلقُهم بالدنيا ضعيف، فلا يأخذُهم الغرور، وغير ذلك مما يُعيي عدَّه، ويُجهلُ حدَّه.

١٥. فيها تنبيهٌ للطغاةِ والمفسدين بما هم عنه غافلون، وهو هوانُ هذه

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الدنيا وضعفُ نعيمِها، وأنه لا سعادةَ حقيقةً إلا في الجنةِ دارِ السلام، التي طابَ نعيمُها وطاب من فيها.

١٦. فيها بيانٌ لمدىٰ جهلِ الإنسانِ، وغفلتِه عن ربه، فهو الذي خلقَه، وقدرَ حياتَه بما أرادَه، وهو لا يملكُ قدرةً لدفعِها، ومع ذلك يخالُجه الغرور، ويتصرفُ تصرفَ الذي لا يقدرُ عليه أحد، ولو فكرَ في حالهِ، وما يحيطُ به من كبدٍ في حياتهِ لهرع إلىٰ مولاه، واحتمىٰ بحماه.

١٧. تفيدُ أن حياةَ الإنسانِ لا تخلو من تعبٍ وعناءٍ مهما عظمت منزلتُه وقويت شكيمتُه، فهو لا يستطيعُ الخلاصَ من مشاقِّ الحياة وعنتها، وكلُّ إنسان يعاني من قدرٍ من العنت، منهم من يعاني من عنتٍ حسي، ومنهم من يعاني من عنت معنوي.

١٨. تفيدُ أن خلقَ الإنسانِ بصورةٍ معينةٍ يحملُ الكثيرَ من الأسرار، وقد جاءَ الشرعُ متوافقًا بما يحققُ صلاحَه، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، ولكي نفهمَ الحياةَ بصورةٍ صحيحةٍ لمن نتعاملُ معهم وندعُوهم، لا بد أن نفهمَ كينونةَ خلقِهم وخفايا صفاتِهم التي تحدث عنها القرآن الكريم، وهو جانبٌ لم يجد حظه من العنايةِ والبحث، والقرآنُ الكريم تحدثَ عن هذا كثيرًا، كقولهِ تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد:٤]، وكقوله تعالىٰ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وكقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج:١٩].

١٩. فيها تنبيهٌ قويٌّ للمغرورين الذين طغوا وبطروا بالنعمِ أن اللهَ تعالىٰ قادرٌ علىٰ إهلاكِهم وبعثِهم ومعاقبتِهم فعليهم أن يراجعوا حياتهم، فهم من المخلوقات الضعيفةِ العاجزة، قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾.

٢٠. فيها بيانٌ لصنفٍ آخرَ من الأغنياءِ البخلاءِ المرائين المنفقين

أموالهم في شهواتِ أنفسهم، ومحاربةِ اللهِ ورسوله، الذين لا يدركونَ منةَ اللهِ عليهم؛ ولهذا إذا دعوا لفعلِ الخيرات تذرعوا بأنهم أنفقوا الكثيرَ من مالِهم في المكرماتِ، وهم يقولون ذلك تفاخرًا وغرورًا وجهلًا.

٢١. تفيدُ أن المؤمنَ لا يتكلمُ بعملِهِ الذي قدمه لربِّه، لأنه يعلمُ أن الله يعلمُ نفقتَه ويحصيها له، ويجازيه عليها، قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

٢٢. تفيدُ أن اللهَ تبارك وتعالىٰ سمىٰ الإنفاقَ في الشهواتِ والمعاصي إهلاكًا، لأنه لا ينتفعُ المنفقُ بما أنفق، ولا يعودُ عليه من إنفاقهِ إلا الندمُ والخسارةُ، لا كمن أنفقَ مالَه في مرضاةِ اللهِ، فإن هذا قد تاجرَ مع اللهِ، وربحَ أضعافَ أضعافَ ما أنفق.

٢٣. تفيدُ أن المؤمنَ لا يستكثرُ ما يقدمُه لربه، كما قال تعالىٰ لرسولهِ الكريم: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ [المدثر: ٦].

٢٤. فيها توعدٌ من اللهِ -تعالىٰ- لمن يفتخرُ بما أنفقَ خاصةً في المعاصي والشهوات: ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ أي: أيحسب في فعلهِ هذا أن اللهَ لا يراه ويحاسبُه علىٰ الصغيرِ والكبير؟ بل قد رآه اللهُ، وحفظَ عليه أعمالَه، ووكّلَ به الكرامَ الكاتبين، لكلِّ ما عملهُ من خيرٍ وشر.

٢٥. تفيدُ أن الغفلةَ عن مراقبةِ اللهِ من أعظمِ أسبابِ التجريء علىٰ المعاصي والذنوب.

٢٦. فيها بيانٌ لنعمِ اللهِ تعالىٰ علىٰ العبدِ من خلالِ ما رزقَه من جوارحَ بها قيامُ مصالحهِ، واستقامةُ أمورِه ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ﴾.

٢٧. فيها بيانُ نعمةِ العينين التي يبصرُ بهما، وإلا لتعطلَ عليه أكثرُ

ما يريد، شقَّهما له وهو في الرحمِ في ظلماتٍ ثلاث، علىٰ مقدارٍ مناسب لا تزيدُ أحدُاهما علىٰ الأخرىٰ شيئًا، وقدَّرَ البياضَ والسواد، والحجمَ والشكلَ والجمالَ، وغير ذلك من كيفياتٍ داخليةٍ يعجزُ الخلقُ عن إدراكِها، وما كان ذلك منه إلا بمحضِ فضلهِ.

٢٨. فيها بيانُ نعمةِ اللسانِ الذي يترجمُ به عما في ضميرِه، فإذا غرَّ الإنسانَ قوةُ حجتهِ فليس فضلُ ذلك راجعًا إليه وإنما الفضلُ لمن وهبَه ذلك وتفضلَ به عليه.

٢٩. فيها تذكيرٌ بنعمةِ الشفتين اللتين تستران فاهه، ويتجملُ بهما في وجههِ، وتعينانُه علىٰ الأكلِ والشرب، وعلىٰ النطقِ بفصاحة وبلاغةِ علىٰ حدٍ معلومٍ لا يبلغُه غيرُه، وغيرُ ذلك من المنافعِ الضرورية فيهما.

٣٠. فيها التذكيرُ بنعمةِ السمع ضمنا؛ لأن الكلامَ يستلزمُه.

٣١. فيها بيانٌ لقدرةِ الله تعالىٰ المطلقة، وعظيمِ منتهِ علىٰ عباده.

٣٢. فيها إثباتُ رؤيتهِ لكلِّ شيءٍ فمن أعطىٰ العينين لخلقهِ ليبصروا بهما لا بد أن يكون بصيرًا بكلِّ حركاتِ وسكناتِ خلقه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨].

٣٣. تفيدُ أن اللهَ ذكَّرَ عبدَه بنعمهِ عليه ليعلمَ عظيمَ قدرتهِ عليه، وأنه قادرٌ علىٰ إعادتهِ خلقًا جديدًا ومحاسبتهِ علىٰ عمله.

٣٤. تفيدُ أن اللهَ تبارك وتعالىٰ يقررنا بنعمهِ لنشكرَه، ونسخرَها في طاعته، وألا نستعين بها علىٰ معاصيهِ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ

www.Quranonlinelibrary.com

لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩].

٣٥. فيها بيانُ نعمةِ الهدايةِ ببيان طريقي الخيرِ والشر، فقال: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ من خلالِ ما فطرنا عليه من التوحيدِ، وما أكرمنا به من عقلٍ يُميزُ به الأمور، وبما أرسلَ به رسولَه، وما أنزلَه في كتابِه من الهدىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢ - ٣].

٣٦. فيها بيانٌ لمنةِ الله تعالىٰ علىٰ عبادهِ من خلالِ إرسالِ رسلهِ وإنزالِ كتبه.

٣٧. فيها بيانٌ لبلاغةِ القرآنِ الكريم في إيصالِ المعاني الدقيقة، فلما كان للهِ تعالىٰ علىٰ كلِّ أحدٍ، في كلِّ لمحةٍ جديدةٍ منةٌ في إبقاءِ هذه الآلاتِ الثلاث عبر فيها بالمضارعِ، ولما كانت النعمةُ في العقلِ إنما هي بهبتهِ أولًا ثم بحملهِ به علىٰ الخيرِ ثانيًا، وكان أمرُه خفيًا اختير له لفظُ الماضي فقال تعالىٰ: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ﴾ أي بما آتيناه من العقل ﴿ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ أي: طريقي الخيرِ والشر.

٣٨. تفيدُ أن الهدايةَ من اللهِ تعالىٰ، فهو الذي يهدي من يشاءُ إلىٰ صراطِ اللهِ المستقيم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

٣٩. فيها بيانُ أثرِ الاستفهامِ الإنكاري في التنبيهِ والتقريع.

٤٠. فيها بيانُ أثرِ معرفةِ نعمةِ الله علىٰ عبادهِ في تحقيقِ الخضوعِ والمراقبةِ له، لأن الله تعالىٰ بعدَ أن بين له غروره وغفلته ذكره بنعمه عليه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الموضوعُ الثاني

الحضُ على طريقِ الخيرِ والتحذيرِ من طريقِ الشر

قال تعالىٰ: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ [البلد: ١١ – ٢٠].

أولًا: المناسبة بين الآيات:

لما ذكَّرَ تعالىٰ بعظيمِ نعمهِ علىٰ عبادِه، حثَّهم لما يكونُ به خلاصُهم في آخرتهِ من جميلِ الصفات، وكريمِ الأفعال، وبيَّن لهم الوجوه الفاضلةَ التي تنفقُ فيها الأموال وتبذل فيها الأعمار.

ثانيًا: معاني الكلمات:

١. ٱقۡتَحَمَ: الاقتحامُ الرميّ بالنفسِ في الأمرِ الشديدِ من غيرِ روية.

٢. ٱلۡعَقَبَةَ: الطريقُ الصعبُ في الجبلِ، وهي هنا: الأمرُ الشاق، وهو في الدنيا بامتثالِ الأمرِ واجتنابِ النهي، ومخالفةِ هوىٰ النفس، وفي الآخرةِ بالمقاساةِ للأهوالِ، والنجاةِ من النار.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣. فَكُّ رَقَبَةٍ: بمعنىٰ عتقِ رقبة. وإطلاقها، والفك: تخليصُ الشيءِ من الشيء.

٤. مَسْغَبَةٍ: السغبُ: الجوع، والمسغبةُ: المجاعة.

٥. ذَا مَقْرَبَةٍ : ذا قرابةٍ منه.

٦. ذَا مَتْرَبَةٍ : أي: فقرٍ بالغٍ، وهو الذي لا يجدُ صاحبُه طعامًا إلا التراب، ولا مأوىٰ له إلا التراب، قد التصقَ به من الفقرِ، وقيل: ذا زمانة.

٧. ٱلْمَيْمَنَةِ: أي: أصحابُ اليمين، يحتملُ أن تكون من اليُمْن.

٨. ٱلْمَشْـَٔمَةِ: أي أصحابُ الشمال، يحتملُ أن تكون من الشؤم.

٩. مؤصدة: أي: مطبقةٌ عليهم، مغلقةُ الأبواب.

ثالثًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

٤١. تفيدُ أن العاقلَ من يأتي بالأعمالِ الصالحةِ التي تعينُه علىٰ تجاوزِ عقبةِ وصعابِ الآخرة.

٤٢. تفيدُ أن الإقبالَ علىٰ اللهِ يحتاجُ إلىٰ اقتحامِ هوىٰ النفسِ، ونزعاتِ الشياطين، فالعملُ بالهدىٰ في بادئِ الأمرِ شاقٌ مستصعبٌ ثقيلٌ علىٰ النفوسِ حتىٰ كأنه عقبةٌ كؤود لا ينالُ ما فيه من مشقةِ الصعود إلا بعزمِ شديد، وهمةٍ ماضية، ونيةٍ جازمة، ورياضةٍ وتدريب، وتأديبٍ وتهذيب، وشديدِ مجاهدة، وعظيمِ مكابدةٍ للنفسِ والهوىٰ والشيطان، وفي الحديثِ الصحيح: (حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ)[١].

٤٣. تفيدُ الحثَّ علىٰ سلوكِ الطريقِ الذي فيه الخيرُ والنجاة مهما كان

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، ح رقم (٢٨٢٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فيه من مشقةٍ ومهما يجدُ الإنسان من عنتٍ.

٤٤. تفيدُ أن المداومةَ علىٰ العملِ الصالحِ قد تكونُ فيها مشقةٌ لابد من حملِ النفوسِ عليها، لأن العقبة كنايةٌ عن العملِ الذي يشقُّ علىٰ النفوس، ومن هنا كان السيرُ إلىٰ اللهِ يحتاجُ إلىٰ مجاهدةٍ عظيمةٍ للنفس، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٤٥. تفيدُ الحثَّ علىٰ عتقِ الرقاب بعتقِها أو مساعدتِها علىٰ أداءِ كتابتها، ومن بابِ أولىٰ فكاكُ الأسيرِ المسلمِ عند الكفار. وقد قال النبي ﷺ: (مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً كانت فَكَاكُهُ مِنَ النَّارِ)[١]، وفي الحديث المتفق عليه: (مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ)[٢].

٤٦. تفيدُ أن العتقَ من أفضلِ الأعمال، وهو مقدمٌ علىٰ الصدقةِ.

٤٧. فيها بيانٌ لموقفِ الإسلامِ من الرق، ومدىٰ حرصِه وتطلعِه إلىٰ تحريرِ الرقاب، ولذا جعلَه هنا من أفضلِ الأعمالِ لاقتحامِ العقبة، وجعلَه كفارةً لكلِّ يمين، وللظهارِ، والقتلِ الخطأ في الوقتِ الذي لم يفتح للاسترقاقِ إلا بابًا واحدًا، وهو الأسرُ في القتالِ مع المشركين لا غير.

٤٨. تفيدُ الحثَّ علىٰ إطعامِ الطعام وقت الحاجة، أي: في وقتِ الجوعِ والقحطِ لأشدِّ الناسِ حاجة، وهو أفضلُ من الإطعامِ الذي يكونُ لمجردِ الحاجةِ، أو علىٰ مقتضىٰ الشهوة، والإقبالِ عليه دليلُ إيمانٍ عميق، قال تعالىٰ:

---

(١) أخرجه أحمد ح رقم (١٧٠٢٠)، وابن ماجه (٢٥٢٢)، والترمذي ح رقم (١٥٤٧)، والنسائي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٤٨٥٦) وصححه الألباني في سنن ابن ماجه (٢/ ٨٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: كفارات الأيمان، بَابُ: قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: (أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) (المائدة: ٨٩) وَأَيُّ الرِّقَابِ أَزْكَىٰ، ح رقم (٦٧١٥) ومسلم في كتاب: العتق، بَابُ: فَضْلِ الْعِتْقِ، ح رقم (١٥٠٩).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ٨ – ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

٤٩. تفيدُ الحثَّ علىٰ إطعامِ وإعانةِ وكفالةِ الأيتام، وكفالةُ اليتيمِ القريبِ أولىٰ من غيرِه، ويُقدَّمُ قريبُ الرحمِ ثم النسبِ ثم الجوارِ، وقد قال النبيُّ ﷺ: (الصَّدَقَةُ عَلَىٰ الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ وَهِيَ عَلَىٰ ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ)(١).

٥٠. تفيدُ الحثَّ علىٰ مساعدةِ المسكينِ المعدم الذي لا طعامَ له ولا مأوىٰ، خاصةً أصحابُ العاهات.

٥١. تفيدُ أن الصدقةَ علىٰ القريبِ أفضلُ منها علىٰ البعيد، ولذلك بدأ به.

٥٢. فيها أهميةُ التخييرِ في النفقةِ، الخارجُ واحد، والأجرُ يختلف.

٥٣. فيها بيانُ منزلةِ الإيمانِ باللهِ ورسولهِ وآياتهِ ولقائهِ في تقبلِ الأعمالِ الصالحة، وأنه أعظمُ ما تقتحمُ به أهوالُ الآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه: ١١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٤٠]، ومن هنا نحنُ نركزُ علىٰ التوحيدِ الذي هو أساسٌ في قبولِ الأعمال.

---

(١) أخرجه أحمد ح رقم (١٥٠٩)، والدارمي ح رقم (١٧٢٢)، وابن ماجة ح رقم (١٨٤٤, ١)، والنسائي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٢٣٧٤)، والحاكم في المستدرك ح رقم (١٤٧٦)، وصححه الألباني في سنن ابن ماجه (١/ ٥٩١).

www.Quranonlinelibrary.com

٥٤. فيها بيانُ أهميةِ الإخلاصِ في تقبلِ الطاعات، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩].

٥٥. تفيدُ أن الأعمالَ الصالحةَ للكافرِ إذا آمن بعدَها تنفعُه في الآخرة، كما جاء في صحيح مسلم عن عرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: (أَيْ رَسُولَ اللهِ: أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ صَدَقَةٍ، أَوْ عَتَاقَةٍ، أَوْ صِلَةِ رَحِمٍ، أَفِيهَا أَجْرٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (أَسْلَمْتَ عَلَىٰ مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ) [١]، وقد جاء كذلك في رواية عن مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: (لَا يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) [٢]، ومفهومُه أنه لو قالها، أي لو أسلم فقالها كان ينفعُه.

٥٦. تفيدُ الحثَّ علىٰ التواصي بالصبرِ بين أهلِ الحقِّ علىٰ فعلِ الطاعات، وتركِ المحرمات، وعن لذاتِ الدنيا وشهواتِها، وعلىٰ أقدارِ الله المؤلمة، بأن يحث بعضُهم بعضًا علىٰ الانقيادِ لذلك، والإتيانِ به كاملا منشرحًا به الصدر، مطمئنةً به النفس.

٥٧. فيها بيانُ منزلةِ التواصي بالصبر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ – ٣].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، بَابُ: بَيَانِ حُكْمِ عَمَلِ الْكَافِرِ إِذَا أَسْلَمَ بَعْدَهُ، ح رقم (١٢٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، بَابُ: الدَّلِيلِ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ لَا يَنْفَعُهُ عَمَلٌ، ح رقم (٢١٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٥٨. فيها بيانُ منزلةِ الصبرِ، ولهذا كان أهلُ الإيمان يتواصون به، وقد قال النبيُّ ﷺ فيما جاء في الصحيحين: (وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ) (١).

٥٩. تفيدُ الحثَّ علىٰ التراحمِ بين الخلق، خاصةً المسلمين منهم، من إعطاءِ محتاجهم، وتعليمِ جاهلهم، والقيامِ بما يحتاجون إليه من جميعِ الوجوه، ومساعدتِهم علىٰ المصالحِ الدينية والدنيوية، وأن يحبَّ لهم ما يحبُّ لنفسهِ، ويكرَه لهم ما يكرُه لنفسه، وفي الحديث الصحيح في البخاري: (لا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ) (٢)، وقيامُ المؤسسات الخيريةِ يدخلُ في التواصي بالمرحمةِ من الناحيةِ العلميةِ والعمليةِ.

٦٠. فيها بيانُ دقةِ المناسبةِ بين التواصي بالمرحمةِ مع الوصيةِ بالعطفِ علىٰ الرقيقِ والمسكينِ واليتيم.

٦١. تفيدُ أن التواصي بالخيرِ من الصفاتِ المحمودة، والأعمالِ المشكورة التي بها يكون الفوزُ بالجنةِ والنجاة من النار، لأنَّ من يوصي بها في الغالبِ هو الذي عرفَ قدرَها وفضلَها.

٦٢. فيها بيانٌ لما ينبغي أن تنفقَ فيه الأموال، لا أن تنفقَ في المكرِ والخداعِ والفسادِ، فهي تحملُ تنديدًا بمن ينفقُ مالَه في معصيةِ الله.

٦٣. تفيدُ أن لأصحابِ اليمين صفاتٍ يعرفون بها في الدنيا، والتي منها أنهم أدوا ما أمرَ اللهُ به من حقوقهِ وحقوقِ عباده، وتركوا ما نهوا عنه، وهذا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، بَابُ: الِاسْتِعْفَافِ عَنِ المَسْأَلَةِ، ح رقم (١٤٦٩)، ومسلم في كتاب: الزكاة، بَابُ: فَضْلِ التَّعَفُّفِ وَالصَّبْرِ، ح رقم (١٠٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، بَابُ: قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: (قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ) ح رقم (٧٣٧٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

عنوانُ السعادة وعلامتُها.

٦٤. تفيدُ أن الذين وفقوا للأعمالِ الكريمة هم أهلُ السعادة، بجعلِهم أهلَ الميمنة أي الجنة.

٦٥. فيها التعريضُ بالمشركين بأنهم ليسوا أهلَ صبرٍ ولا من أهلِ المرحمة.

٦٦. فيها بيانُ شرفِ أهلِ الميمنة؛ لأنهم أهلُ الجنة، ولأن اللهَ تعالىٰ قال عنهم ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٢٧ – ٤٠].

٦٧. فيها بيانُ عاقبةِ الكفرِ بآياتِ الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾.

٦٨. تفيدُ أن القرآنَ مثانٍ، فلما ذكرَ ما به النجاةُ من العذابِ ذكرَ ما به العذابُ والهلاك، وهما الكفرُ والمعاصي، لأن الكفرَ بآياتِ الله لازمُه البقاءُ علىٰ الشركِ المنافي للتوحيد، والعصيانُ المنافي للطاعة.

٦٩. فيها بيانُ شدةِ عذابِ النار، حيث إنها تكون مغلقةً ومطبقةً عليهم، لا ضوءَ فيها ولا فرجَ ولا خروج، هنالك أعمدةٌ قد مدت من ورائها، لئلا تنفتحُ أبوابُها، وهم في ضيقٍ وغمٍّ مستمر لا يخرجون منها.

٧٠. فيها تصويرٌ للشدةِ والضيقِ والنكدِ والعذابِ الذي هم فيه، حيث جعلت النارُ عليهم، فهي مطبقةٌ عليهم من كلِّ جهة.

٧١. تفيدُ أن النجاةَ من النصبِ والنكدِ في الدنيا والآخرةِ تكون بالملجأِ إلىٰ اللهِ الأحد، الواحدِ الصمد.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

رابعًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما عظمَ الله تعالىٰ البلدَ الحرامَ بالإقسامِ به، بين زيادةَ عظمتهِ بالحالِّ به، إشعارًا بأن شرفَ المكانِ بشرفِ السكان، فقال تعالىٰ: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾، ولما وقعَ القسمُ بسيدِ البلاد، أمِّ القرىٰ، وسيدِ العباد، الحبيبِ المصطفىٰ، أقسمَ بسيدِ المخلوقاتِ في الكون، الإنسانُ المكرمُ من بين سائرِ الخلق، بالعقلِ والنطقِ والبيان وغيرِها، فقال تعالىٰ: ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾، ولما ذكرَ مكةَ التي لا يَصلُ إليها قاصدُوها إلا بشقِ الأنفس، وذكرَ أشرفَ الأنفسِ التي قصدت بجميع أنواع الأذىٰ من الحبسِ والنفيِ والقتلِ حتىٰ قال ﷺ: (مَا أُوذِيَ أَحَدٌ مَا أُوذِيتُ فِي اللهِ)(١) في سبيلِ بلاغِ الحقِّ وبيانه، وذكرَ في خلقِ الإنسانِ صفةَ التوالدِ الذي هو معانةٌ ومعانة، جاء بيانُ المقسمِ عليه ليبيِّنَ أنه تعالىٰ خلقَ الإنسانَ في كبدٍ، فقال: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ لأنه لولا هذه المعاناةُ والبلايا من الموتِ والمرضِ وسائرِ الأنكاد لادَّعىٰ ما لا يليقُ به، وهو مع ضعفهِ ونصبهِ ومشقتهِ التي خُلِقَ عليها يظنُّ من جهلهِ أنه لا يقدرُ عليه أحدٌ من أهلِ الأرضِ أو السماءِ فيغلبُه، حتىٰ أنه يعاندُ خالقَه مع ما ينظرُ من اقتدارِه علىٰ أمثالهِ بنفسه، وبمن شاء من جنودِه، فيعادي رسلَه عليهم الصلاةُ والسلام، وينفقُ مالَه لحربهِ، ويتصرفُ تصرفُ الذي لا رقيبَ عليه، فقال تعالىٰ: ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾. ولما كان فعلُه هذا ناتجًا عن جهلٍ بمقامهِ الذي يستدعي الخضوعَ والشكرَ وليس التعالي والمن ذكرَه ببعضِ آلائهِ التي تستلزمُ أن يكون فاعلُه له

---

(١) أخرجه البخاري صحيحه في كتاب: التوحيد، بَابُ: قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: (قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ)، ح رقم (٧٣٧٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المانُّ عليه به، وهو جزءٌ من بعضِ فيضه، وأنه وحدَه هو العالمُ بجميعِ أمرِه، القادرُ علىٰ نفعهِ وضره بنفسهِ وبمن أرادَ من جنده، فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾.

ولما ذكرَه بآلائهِ التي تستوجبُ الخضوعَ له نبهه بما يجبُ عليه من المسارعةِ لخلاصِ نفسهِ من هولِ ما ينتظرُهُ في آخرتهِ، فقال: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾، وهي لوضوحِها وأهميةِ التعجلِ في سلوكِها عبرَ عنها بما يشيرُ إلىٰ مسارعتهِ في تجاوزِها حتىٰ كأنه أتاها من غيرِ فكرٍ ولا رويةٍ، ثم شرعَ في تفسيرِ العقبةِ بادئًا بتهويلِ أمرِها لعظيمِ قدرها، فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾، ولما تفرغَ القلبُ بالاستفهامِ عما لا يعرفُه، وكان الإنسانُ العاقل أسرع ما يكون استجابة لما يعينه علىٰ تجاوزها، جاء البيان بما يعينه علىٰ ذلك فقالَ تعالىٰ في أولِها: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ شكرًا لمن أولاه الخيرَ وتنفيسًا للكربةِ، ثم ذكر ثانيًا ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾، ثم بين أفضل ما يكونُ الإطعامُ في ﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾.

ولما كانت هذه الأفعالُ لا تصحُ وإن كانت ممدوحةً في كلِّ حالٍ إلا بالإيمان، قال: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ولما كان الإيمانُ حاملًا للإنسانِ علىٰ محاسنِ الأعمالِ ومكارمِ الأفعال، وكان ذلك غيرَ مقدورٍ عليه إلا بالشجاعةِ، وهي لا تكون إلا بعظيمِ الصبر، وكان الصبرُ لمرارتهِ لا يدومُ إلا بالتواصي عليه، قال: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾، فإن الشجاعةَ كما قيل صبرُ ساعة. ولما كان الإنسانُ لا بد أن يعرضَ له من غيرِه من الخلافِ ما يوجبُ قسوتَه عليه، كان التواصي بالرحمةِ من ثمراتِ الاصطبار فقال: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ أي: الرحمةِ العظيمةِ بحسب زمانِها ومكانِها.

ولما كان ذلك من معالي الأخلاقِ، وموجباتِ الفوزِ والفلاح، كانت نتيجتُه لا محالة ما جاء في قولهِ تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾، ولما كان نصيبُ فريقِ الشقاقِ مباينًا لصفاتِ أهلِ الكمال، حيث هدموا أصلَ الإيمان، وتخلقوا بقبائحِ الصفات، فاكتسبوا السيئاتِ، واتبعوا الشهواتِ، وعاملوا الخلقَ بالقسوة بين ذلك من خلالِ الحديثِ عن الكفرِ بآياتِ الله تعالىٰ عطف عليه قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ أي: الخصلةُ المكتسبةُ للشؤمِ والحرمانِ والهلكة، ولما كان معنىٰ هذا أنهم في الجانبِ الذي فيه الشؤم والهلكة، والبعدُ من كلِّ بركةٍ، جاء قولُه: ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ أي مطبقةُ البابِ مع إحاطتِها بهم من جميع الجوانب.

خامسًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورة وخاتمتها:

في أولِها ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾، وآخرِها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وهما قسيما ما ولد.

في أولها ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾، وفي آخرها ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾.

سادسًا: خصائص السورة في عرض هداياتها:

١. البدءُ بالقسمِ بالبلدِ الكريم وحلولِ سيدِ العالمين فيها، وبالوالدِ وما ولد ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾.

٢. الكلامُ عن خلقِ الإنسانِ في كبدٍ وهو مع ذلك في غيهِ وغروره ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾.

www.Quranonlinelibrary.com

٣. التذكيرُ بنعمةِ العينين واللسانِ والشفتين وهدايةِ النجدين ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾.

٤. الحديثُ عن العقبةِ واقتحامِها ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾.

٥. الحثُ علىٰ فكِ الرقابِ والإطعامِ في المجاعاتِ لأهلِ الحاجات ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾.

٦. الحديثُ عن التواصي بالصبرِ والمرحمة ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾.

٧. بيانُ صفاتِ أهلِ الميمنة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾.

٨. بيانُ مصيرِ المكذبين بآياتِ الله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾.

سابعًا: التكاليفُ العمليةُ من هدايات السورة:

١. وجوبُ تعظيمِ البلدِ الحرام ورعايةِ حرمته.

٢. معرفةُ قدرِ النبيِّ ﷺ ومحبتِهِ وتوقيرِه ونصرته.

٣. إدراكُ طبيعةِ الحياةِ الدنيا وما يلازمُها من شدةٍ ونصبٍ وعناءٍ لا ينفك عنها.

٤. بيانُ قدرةِ اللهِ علىٰ خلقِهِ، وعظيم منته عليهم.

٥. النفقةُ في الشرِ إهلاكٌ للنفسِ والمال، والعاقلُ المؤمنُ لا يمن بعملِهِ.

٦. اللهُ عز وجل يراكَ حيث كنت، ويسمعُ قولَك ويعلمُ سركَ ونجواك، ويحاسبُك علىٰ كلِّ ذلك يومَ اللقاء.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٧. أهميةُ تذكرِ نعمِ الجوارح، واستعمالِها في طاعتهِ، وشكرِه باللسان عليها.

٨. العملُ علىٰ حملِ النفس علىٰ المكارِه لتنالَ المكارمَ في الآخرة.

٩. العملُ علىٰ منحِ الحريةِ للناسِ وعدمِ استعبادِهم واستذلالهم.

١٠. الحثُّ علىٰ الإطعامِ خاصةً وقتَ الحاجةِ لأهلِ الحاجةِ مع مراعاةِ أولويات النفقة، وأن الأجرَ مختلفٌ من حالة لأخرىٰ.

١١. تحقيقُ الإخلاصِ في كلِّ ما نقومُ به من عملٍ صالح.

١٢. العملُ علىٰ توصيةِ الناسِ بالصبرِ والرحمة وتحقيق ذلك في حياتنا.

١٣. التصديقُ بكلِّ ما جاء في كتابِ الله فهو من لوازمِ الإيمان بالقرآن.

١٤. النفور من الكفر والإشراك والنفاق الذي هو أعظم أسباب الهلاك والعذاب.

١٥. تصورُ شدةِ النارِ وهولها وشقاءِ أهلها.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة البلد ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ٢٤ ذو الحجة من عام ١٤٣٦هـ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

ســورة الشمس

موضوع السورة:

الترغيبُ في التقوى والطاعاتِ، والترهيبُ من الفجورِ والسيئات

من خلال موضوعين:

- القسمُ لبيانِ ما يكونُ به الفوزُ والخسران
- ذكرُ نموذجٍ لمن دسوا أنفسَهم وتحققَت خيبتُهم

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مدخل لدراسة السورة

أولًا: ما جاء من أحاديث عن سورة الشمس:

جاء في صحيح البخاري عن جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحَيْنِ، وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي فَتَرَكَ نَاضِحَهُ وَأَقْبَلَ إِلَىٰ مُعَاذٍ، فَقَرَأَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ أَوْ النِّسَاءِ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ، وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ، أَوْ أَفَاتِنٌ ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَلَوْلَا صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ، وَالضَّعِيفُ، وَذُو الْحَاجَةِ)(١).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ بِاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ، وَفِي الْعَصْرِ نَحْوَ ذَلِكَ. وَفِي الصُّبْحِ أَطْوَلَ مِنْ ذَلِكَ)(٢).

ثانيًا: موضوعُ السورةِ:

الترغيبُ في التقوىٰ والطاعاتِ، والترهيبُ من الفجورِ والسيئات، فجاء الكلامُ عن هذا في موضوعين:

الموضوعُ الأول: القسمُ بعظيمِ مخلوقاته لبيانِ ما يكونُ به الفوزُ والخسران (١-١٠).

---

(١) أخرجه البخاري صحيحه في كتاب: الأذان، بَابُ: مَنْ شَكَا إِمَامَهُ إِذَا طَوَّلَ، ح رقم (٧٠٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، بَابُ: الْقِرَاءَةِ فِي الصُّبْحِ، ح رقم (٤٥٩).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الموضوعُ الثاني: ذكرُ نموذجٍ لمن دسوا أنفسَهم وتحققَت خيبتُهم (١١- ١٥).

ثالثًا: المناسبةُ بين سورةِ البلد والشمس:

ختمت سورةُ البلدِ بذكرِ أصحابِ الميمنة وأصحابِ المشأمة، وجاء المقسمُ عليه هنا في بيانِ أهلِ الفوزِ وهم أصحابُ الميمنة، وأهلِ الخيبة، وهم أصحابُ المشأمة.

وفي سورةِ البلد ذكرَ صفاتٍ محددةً يكونُ بها الفلاحُ والخسران، وهنا ذكرَ صفاتٍ عامة يكون بها الفلاحُ والخسران، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

وفي سورةِ البلد ذكرَ هدايةَ الإنسانِ للنجدين، وهما طريقا الخيرِ والشر، وهنا ذكرَ أنه ألهمَه ووهبَه ما به يميزُ بين الطريقين، قال تعالىٰ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾.

وسورةُ البلد ختمت ببيانِ شدةِ ما عليه المكذبين الكفارِ في الآخرة، حيثُ النارُ المطبقةُ عليهم، وختمَ هذه ببيانِ مصيرِ المكذبين الكفارِ في الدنيا كيف أطبقَ اللهُ عليهم العذابَ وسوىٰ بهم التراب.

وفي سورةِ البلد ختمَ القسمَ بما يدلُّ علىٰ نفاسةِ النفسِ الإنسانية، وختم القسم هنا بما يدلُ علىٰ ذلك فقالَ تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾.

الموضوعُ الأول
القسمُ بعظيم مخلوقاتهِ
لبيانِ ما يكونُ به الفوزُ والخسران

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣ وَٱلَّيْلِ
إِذَا يَغْشَىٰهَا ٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا
فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١ – ١٠].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ﴿وَضُحَىٰهَا﴾: أي: ضوؤُها إذا أشرقت وقامَ سلطانُها، لأن الضحىٰ: وقتُ ارتفاعِ الشمسِ عن أفقِ مشرقِها وظهورِ شعاعِها بمقدارِ ما يخيلُ للناظرِ أنه طولُ رُمحٍ، وقيل: النهارُ كلُّه، لأن ضوءَ الشمسِ الظاهرِ هو النهار.

٢. ﴿تَلَىٰهَا﴾: أي: تبعَها في الضوءِ والنورِ والطلوعِ، وهذا يكون في الأيامِ البيض إذا غربت الشمسُ تبعَها القمرُ في الطلوعِ والإضاءة، وقيل: تبعَها في الغروبِ وهذا ليلةَ الهلالِ، وقال الفراءُ رَحِمَهُ اللَّهُ: المرادُ من هذا التلو هو: أن القمرَ يأخذُ الضوءَ من الشمسِ يقال: فلانٌ يتبعُ فلانًا في كذا أي يأخذُ منه[(١)].

٣. ﴿إِذَا جَلَّىٰهَا﴾: معنىٰ التجليةِ الإظهارُ والكشف، وفي عودِ الضميرِ قولان:

أحدُهما: وهو قولُ الزجاجِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنه عائدٌ إلىٰ الشمسِ، وذلك لأن النهارَ عبارةٌ عن نورِ الشمس. فكلما كان النهارُ أجلىٰ ظهورًا كانت الشمسُ

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٣١/ ١٧٤).

www.Quranonlinelibrary.com

أجلىٰ ظهورًا، لأن قوةَ الأثرِ وكمالهِ تدلُّ علىٰ قوةِ المؤثر، فكان النهارُ يبرزُ الشمسَ ويظهرُها.

والثاني: وهو قولُ الجمهورِ أنه عائدٌ إلىٰ الظلمة، أو إلىٰ الأرضِ. وإن لم يجر لها ذكر»[1].

٤. ﴿يَغۡشَىٰهَا﴾: أي: يسترُ ضوءَها ويغطيها ويجعلُ ما علىٰ وجهِ الأرضِ مظلمًا، وقيل: الضميرُ عائدٌ إلىٰ الأرضِ علىٰ نحو ما قيل في (والنهار إذا جلاها).

٥. ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾: معناه ومن بناها، فـ «ما» تكونُ موصولةٌ بمعنىٰ «مَن»، وقيل: أن ما هنا مصدريةٌ بمعنىٰ: والسماء وبنائِها المحكمِ المستوي الذي هو في غايةِ الإتقان.

٦. ﴿وَمَا طَحَىٰهَا﴾: أي: ومَن بسطَها ومدَّها ووسعَها ووطأها للسيرِ والجلوسِ وغيرِها.

٧. ﴿وَنَفۡسٖ﴾: والنفسُ ذاتُ الإنسانِ كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾.

٨. ﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾: أي: خلقَها مستويةَ الخلق، مكتملةَ التكوينِ الظاهري والباطني، علىٰ الفطرةِ القويمة.

٩. ﴿فَأَلۡهَمَهَا﴾: أي عرفَها وأعلمَها وبين ذلك لها وهداها إلىٰ ما قدرَ لها. والإلهامُ: يطلقُ ويرادُ به: حدوثُ علمٍ في النفسِ بدونِ تعليمٍ ولا تجربةٍ ولا تفكير، قال الراغبُ: الإلهامُ: إيقاعُ الشيءِ في الروعِ، ويختصُ ذلك بما

(١) انظر: مفاتيح الغيب (٣١/ ١٧٤)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٣٦٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

كان من جهةِ اللهِ تعالىٰ وَجهةِ الملأ الأعلىٰ.

١٠. قَدْ أَفْلَحَ: الفلاحُ: الفوزُ بحصولِ المطلوب.

١١. مَن زَكَّىٰهَا: والتزكيةُ: الزيادةُ والنماءُ والتطهير. والمرادُ هنا طهرَ نفسَه من الذنوبِ، ونقاها من العيوبِ، وأصلحَها وجعلَها زاكيةً بالعلمِ النافع، والعملِ الصالحِ، وقيل: قد أفلحت نفسٌ زكاهَا الله.

١٢. وقد خاب: أي: خسرَ، وهي ضدُّ الفلاحِ، أي: أن يُحرمَ الطالبُ ما طلبه.

١٣. مَن دَسَّىٰهَا: من التدسيسِ وهو إخفاءُ الشيء، أي: أخفىٰ ونقصَ نفسَه وحقرَها بالكفرِ والمعاصي، ومنعَها من فعلِ الخير.

١٤. فُجُورَهَا: ما يكون سببًا في الخسرانِ والهلكة.

١٥. وَتَقْوَىٰهَا: ما يكون سببًا لحفظِ النفسِ من سوءِ العاقبة.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. فيها تذكيرٌ بآيةِ الشمسِ العظيمةِ المتقدةِ عبرَ الزمان، الجاريةِ في فلكِها بانتظامٍ دونَ اختلال، قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٣٨- ٤٠]، فإن خلقَها العظيمَ، وانتظامَها في فلكِها الدقيقَ يدلُّ علىٰ عظمةِ وقدرةِ وعلمٍ وحكمةِ من أبدعها جل وعلا.

٢. فيها التذكيرُ بنعمةِ المنافعِ الصادرةِ من الشمسِ في أثناءِ سيرها، لأن

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القسمَ بضوئِها يذكرُ بما يترتبُ عليه من مصالح، فالناسُ في الليلِ أمواتٌ فإذا انبعثَ هذا الشعاعُ دبت فيهم الحياة، وتعافت الأبدان، وكان صلاحُ الزرعِ والأنعامِ وغيرِها من فوائدَ يكثرُ عدُّها ويعجزُ الوصفُ عن حدها.

٣. فيها التذكيرُ بآيةِ القمرِ ونورِه المضيء، المخففِ لظلمةِ الليلِ، المزينِ لسمائهِ، كما أن في تلوهِ للشمسِ في نظامٍ دقيقٍ وعجيبٍ آية أخرىٰ، فهو آيةٌ من آياتهِ الكبرىٰ، ونعمةٌ من نعمهِ العظيمةِ، فبه تعلمُ عددُ السنين والحسابِ الذي تقومُ عليه الكثيرُ من المصالحِ والعباداتِ من صومٍ وحجٍّ وزكاةٍ وغيرِها، قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥].

٤. فيها ما يشيرُ إلىٰ أن القمرَ يتلو الشمسَ في سيرِه، ونورُه مستفادٌ من نورِ الشمسِ فهو يتبعُها بمعنىٰ يأخذُ منها نورَه، بما يشيرُ إلىٰ أنه ليس نيّرًا بذاته، وهذا إعجازٌ علمي من إعجازِ القرآن الكريم.

٥. فيها تذكيرٌ بآيةِ النهارِ الموضحِ والمجلي لما علىٰ الأرضِ ليتيسرَ طلبُ المعاش والسعي﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾، فهو آيةٌ باهرة، ونعمةٌ بالغة، كما قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٦٧].

٦. فيها بيانٌ لآيةِ الليل وما فيه من حكمٍ عظيمةٍ ونعمٍ جليلةٍ لا يقدرُ علىٰ الإتيانِ بها غيرُه﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴾، قال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيْءٖ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلٗا ﴾ [الإسراء: ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ٧١ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٖ تَسْكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [القصص: ٧١ – ٧٢].

٧. تفيدُ أن تعاقبَ الظلمةِ والضياء، والشمسِ والقمر علىٰ هذا العالمِ بانتظامٍ وإتقانٍ أكبرُ دليلٍ علىٰ أن اللهَ بكلِّ شيءٍ عليم، وعلىٰ كلِّ شيءٍ قدير، وأنه المعبودُ وحدَه بحق، وكلُّ معبودٍ سواه باطل.

٨. تفيدُ أن القسمَ بكلِّ واحدٍ من هذه الأمورِ في الحالةِ الدالةِ علىٰ أعظمِ أحوالهِ دلالةٌ علىٰ عظيمِ صنعِ الله تعالىٰ، وهي راجعة كُلُّها إلىٰ الشمسِ في حالاتٍ مختلفةٍ، في ضحاها، ثم تجليها، ثم تلو القمر لها، ثم بغشيانِ الليل إياها.

٩. فيها بيانٌ لعظمةِ خلقِ السماءِ بصورةٍ قويةٍ متينةٍ مرتفعةٍ مستويةٍ كما يشيرُ لذلك الحديثُ عن بنيانِها بما يدلُ علىٰ عظمةِ وقدرةِ بانيها حيث أحكمَ وضعَها وأجادَ تقديرَها ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

١٠. فيها ما يشيرُ إلىٰ مقصدِ القرآنِ من خلالِ القسمِ بهذه الآياتِ لينظروا في هذا الكونِ نظرةَ من يطلبُ للأثرِ مؤثرا، فينتقلوا من ذلك إلىٰ معرفتهِ تعالىٰ فعبرَ عن نفسه بلفظِ (ما) الذي ينبه علىٰ عظمةِ من بناها.

١١. فيها التذكيرُ بآيةِ الأرضِ وما فيها من نعمةِ البسطِ والتمهيد، وجعلَ الناسَ ينتفعون بما علىٰ ظهرِها من نباتٍ وحيوان، وبما في باطنِها من مختلفِ المدخرات من ماءٍ ومعادنَ وغيرِها ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾.

١٢. فيها بيانُ عظمةِ النفسِ الإنسانيةِ وشرفِها حيث سواها في أعظمِ صورةٍ ظاهرة وباطنة، وهي غايةٌ في الدلالةِ علىٰ القدرةِ والكمالِ والعلمِ بما يبهرُ العقول في السمعِ والبصرِ والشمِ والذوقِ والحسِ والعقلِ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾، ولذا قال تعالىٰ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١].

١٣. تفيدُ أن من أعظمِ ما في النفسِ من تسويةٍ ما زودها به من عقلٍ تميزُ به بين الخيرِ والشر، والهدىٰ والضلال ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

١٤. فيها بيانُ منزلةِ العقولِ؛ لأنه لولا ما أودعَ اللهُ في النفوسِ من إدراكِ المعلومات علىٰ اختلافِ مراتبِها لما فهموا ما تدعُوهم إليه الشرائعُ الإلٰهية، فلولا العقولُ لما تيسّرَ إفهامُ الإنسانِ للفجورِ والتقوىٰ، والعقابِ والثواب.

١٥. تفيدُ أن القسمَ بهذه الأشياءِ المعظمةِ والآياتِ البيناتِ علىٰ بديعِ صنعِ الله تعالىٰ الذي لا يشاركُه فيه غيرُه، وأنه المنفردُ بالإلهية، كما فيه تذكرةٌ بما فيها من منافعَ عظيمة، لأن القسمَ بها يستدعي التأملَ فيها وشكرَ الله تعالىٰ عليها.

١٦. تفيدُ أن نجاةَ العبدِ من النارِ ودخولَه الجنةَ متوقفٌ علىٰ زكاةِ نفسه وتطهيرِها من الذنوب، وتنقيتِها من العيوب، وترقيتِها بالطاعة، وتعليتِها بالعلمِ النافع والعملِ الصالح ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾.

١٧. تفيدُ الحثَّ علىٰ تكميلِ النفسِ وتزكيتِها دائما، كما قال تعالىٰ: ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٦].

١٨. تفيدُ فضلَ اللهِ علىٰ عبادِه بإنزالِه الوحي الذي به تتزكىٰ النفوسُ،

كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

١٩. تفيدُ أن خيبةَ النفسِ وخسرانَها وشقاءها يكون بتدنيسِها بالشرك والمعاصي ومجانبةِ البر والقربات، وركوبِ الجهلِ والهوىٰ ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

٢٠. فيها بيانٌ لسننِ اللهِ تعالىٰ في الأسبابِ والمسببات، فالفلاحُ بسببه، والخسرانُ بسببه.

٢١. تفيدُ أن الإيمانَ والطاعاتِ تُعْلي من شأنِ النفوس، وأن الكفرَ والمعاصي يخفضُها ويخفيها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠].

٢٢. فيها دقةُ المناسبةِ القرآنية حيث قدمَ الفجورَ علىٰ التقوىٰ مراعيًا فيه أحوالَ المخاطبين بهذِه السورة وهم المشركون، وأكثرُ أعمالِهم فجورٌ ولا تقوىٰ لهم، والتقوىٰ صفةُ أعمالِ المسلمين، وهم قليلٌ يومئذ، وقدمَ الفلاحَ علىٰ الخيبةِ لمناسبتهِ للتقوىٰ، وأردفَ بخيبةِ من دسَّ نفسَه لتهيئةِ الانتقالِ إلىٰ لموعظةِ بما حصلَ لثمودَ من عقابٍ علىٰ ما هو أثر التدسية.

www.Quranonlinelibrary.com

الموضوعُ الثاني

ذكرُ نموذج لمن دسوا أنفسَهم فتحققَت خيبتُهم

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس:١١ – ١٥].

أولًا: المناسبةُ بين الآيات:

لما ختمَ ما سبق ببيانِ خيبةِ من دسَّ نفسَه في المعاصي والذنوب، ذكرَ فرقةً فعلت ذلك ليعتبرَ بهم، وخص ثمودَ بالذكرِ لأن قريشًا وسائرَ العرب عارفون بهم لما يرون من آثارهم ويتناقلون من أخبارهم.

ثانيًا: معاني الكلمات:

١. ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾: أي بطغيانِها وترفعِها عن الحقِ وعتوِّها وعدوانها، والطَّغوىٰ والطغيان: مجاوزةُ الحد، والطغوىٰ: اسمُ مصدر يقال: طغا طَغْوًا وطُغيانًا، والطغيان: فرطُ الكِبر.

٢. ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾: أي: خرجَ بسرعةٍ ونشاط.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٣.أَشۡقَىٰهَا : أي: أشقىٰ القبيلة، وهو قُدَارُ بن سالف(١).

٤.فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ : وهو صالحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٥. نَاقَةَ ٱللَّهِ : أي: احذروا ناقةَ الله أن تمسوها بسوء، فهو منصوبٌ بفعلٍ مضمرٍ تقديرُه احذروا.

٦. وَسُقۡيَٰهَا : أي: لا تعتدوا عليها في شربِها الذي اختصَّها به في يومِها، فإن لها شربُ يوم ولكم شربُ يوم معلوم.

٧. فَكَذَّبُوهُ : أي: فكذبوا صالحا فيما جاءهم به.

٨. فَعَقَرُوهَا : أي: فنحروا الناقةَ التي أخرجَها اللهُ من الصخرةِ آيةً لهم وحجةً عليهم.

٩.فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ : أي أطبقَ عليهم العذاب، وعمَّهم ولم يُبقِ منهم أحدا، يقال: دمدمت علىٰ الشيءِ إذا أطبقت عليه. وقيل: فدمرَ عليهم وأهلكَهم هلاكَ استئصال.

١٠. بِذَنۢبِهِمۡ : أي: بسببِ ذنبهم، وهو التكذيبُ وعقرُ الناقة.

١١. فَسَوَّىٰهَا : أي سواهم بالأرضِ فلم يبق منهم أحدًا صغيرًا ولا كبيرا، ويقال سوىٰ بينهم بالعذابِ، قال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الضميرُ للدمدمة أي: سواها بينهم»(٢).

١٢. عُقۡبَٰهَا : وفيه قولان أحدهما: أن اللهَ تعالىٰ لا يخافُ من أحدٍ تبعة

---

(١) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٩).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٦١).

بما فعل فيكون ضميرُ الفاعلِ لله تعالىٰ، قاله الحسن وغيرُه[1]، والقولُ الثاني: لم يخف عاقرُ الناقةِ عاقبةَ فعله.

ثالثًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

٢٤. فيها بيانُ عاقبةِ تكذيبِ رسلِ اللهِ تعالىٰ بعدَ قيامِ الأدلةِ والبراهين.

٢٥. تفيدُ أن الطغيانَ يحملُ النفوسَ علىٰ التكذيبِ وردِ الحق، فهم كذبوا بسببِ طغيانهم، قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾.

٢٦. تفيدُ التحذيرَ من الطغيان، وهو الإسرافُ في الشرِ والفساد، فإنه موجبٌ للهلاكِ والدمارِ في الدنيا، والعذابِ في الآخرة.

٢٧. تفيدُ عاقبةَ المسارعةِ في الشر وأن يكون الإنسانُ فيه رأسًا، قال تعالىٰ: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾.

٢٨. تفيدُ أن مهمةَ الأنبياءِ والدعاةِ الدعوةُ والإنذارُ حتىٰ في حالاتِ إعراض المعرضين، ﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾.

٢٩. فيها بيانٌ لعظمِ ناقةِ صالحٍ عليه السلام حيث أضافَها اللهُ إليه، فهي آيته التي جعلَها برهانًا علىٰ صدقِ رسالةِ صالح عليه السلام؛ ولأن خروجَها لهم كان خارقًا للعادة.

٣٠. فيها بيانُ منزلةِ قولِ الرسول، وعاقبةُ مخالفةِ أمره.

٣١. فيها تسليةٌ للرسول ﷺ والتخفيفُ عنه إذ كذبت قبلَ قريشٍ ثمودُ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، السمعاني (٦/ ٢٣٥).

www.Quranonlinelibrary.com

وغيرُها من الأمم كأصحابِ مدين وقومِ لوط وفرعون، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [فاطر: ٤].

٣٢. فيها إنذارٌ وتهديدٌ للمشركين وكفارِ قريش إذا استمروا علىٰ الشركِ والتكذيبِ والمعاصي والظلمِ والاعتداءِ فقد يهلكُهم اللهُ بإشراكِهم وتكذيبِهم برسالةِ محمد ﷺ كما أهلَك ثمودَ بإشراكِهم وعتوِّهم علىٰ رسولِ اللهِ صالح عليه السلام، فهو القادرُ أن يحلَّ بهم ما حلَّ بثمود، حيثُ كذبوا نبيَّهم فأصابَهم العذاب.

٣٣. تفيدُ أن الفعلَ لو كان به جماعةٌ تمالؤوا عليه فاشتركوا فيه ينسبُ إليهم جميعًا، لأنهم وافقوه ورضوا فعله، كما قال تعالىٰ: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩].

٣٤. تفيدُ أن الذنوبَ والمعاصي موجبةٌ لعذابِ اللهِ في الدنيا والآخرة ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾.

٣٥. تفيدُ عاقبةَ الكفرِ بنعمِ الله تعالىٰ وعدمِ شكرِه عليها، فهذه الناقةُ كانت آيةً ونعمة.

٣٦. تفيدُ عاقبةَ التعدي علىٰ آياتِ اللهِ التي جعلها دليلًا علىٰ صدقِ نبوةِ أنبيائه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

٣٧. تفيدُ أن الذنوبَ سببُ العذابِ والاستئصال حيث لم يبق منهم ديَّارًا ولا نافخَ نار كما أشير لذلك بقوله ﴿فَسَوَّاهَا﴾.

www.Quranonlinelibrary.com

٣٨. تفيدُ شدةَ انتقامهِ من الطغاةِ الظالمين المسرفين، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

٣٩. تدلُّ علىٰ عظمةِ اللهِ تعالىٰ القاهرِ الذي لا يخرجُ عن قهرِه أحدٌ، الحكيم في كل ما قضاه، ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾.

٤٠. تفيدُ أن نفيَه سبحانه وتعالىٰ عن نفسهِ خوفَ عاقبةِ ما فعلَه من إهلاكِ أعدائه يدلُ علىٰ كمالِ علمهِ وقدرتهِ وعدله؛ لأن الخوفَ يتضمنُ نقصانَ العلمِ والقدرةِ والإرادةِ، فإن العالمَ بأن الشيءَ لا يكونُ لا يخافُه، وأما نقصُ القدرةِ فلأن الخائفَ من الشيءِ هو الذي لا يمكنُه دفعَه عن نفسه، فإذا تيقن أنه قادرٌ علىٰ دفعهِ لم يخفه، وأما نقصُ الإرادةِ فلأن الخائفَ يحصلُ له الخوفُ بدون مشيئتهِ واختياره؛ وذلك محالٌ في حقِ من هو بكلِّ شيءٍ عليم، وعلىٰ كلِّ شيء قدير ومن لا يكون شيءٌ إلا بمشيئتهِ وإرادتهِ فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأما كمالُ عدلهِ لأنه لم يظلمهم فيخيفُه الحق، تعالىٰ عن ذلك علوا كبيرا.

٤١. فيها دقةُ القرآن وإحكامه في وضعِ القصصِ بما يتناسبُ مع موضوعِ السورة؛ لأن في تخصيصِ ثمودٍ هنا بالذكرِ دونَ غيرِهم؛ فيها ما يشير إلىٰ أنهم ردوا الهدىٰ بعد ما تيقنوه وكانوا مستبصرين به فاختاروا العمىٰ والضلالةَ كحالِ من خاطبَهم القرآن الكريم.

رابعًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما بينَ سبحانه في سورةِ البلد أنه خلقَ الإنسانَ في كبد، وختمَها بأن من حادَ عن سبيلهِ كان في أنكدِ النكد، وهو النارُ المؤصدة، أقسمَ أولَ هذه

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

السورةِ علىٰ أن الفاعلَ الخالقَ لذلك أولًا وآخرًا هو اللهُ سبحانه، فقال مقسمًا بما يدلُّ علىٰ تمامِ علمهِ، وشمولِ قدرتهِ في الآفاقِ علويها وسفليها، والأنفسِ سعيدِها وشقيها، وبدأ بالعالمِ العلوي، وبدأ في أولِ المقسمِ به بما يتناسبُ مع ما ختمَ به آخرَ تلك من النارِ فقال: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، ولما افتتح بذكرِ آيةِ النهار أتبعَه ذكرِ آيةِ الليلِ فقال: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾، ولما ذكَر الآيتين، ذكرَ ما هما آيتاه، وبدأ بهما؛ لأنه لا صلاحَ له إلا بهما فقال: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾، ولما ذكرَ معدن الضياءِ، ذكرَ محلَّ الظلامِ فقال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾، ولما ذكرَ الآيتين ومحلَّ أثرِهما، ذكرَ محلَّ الكلِّ فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾، ولما ذكرَ البناءَ العلوي ذكرَ المهادَ السفلي فقال: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾، ولما أتمَّ الإشارةَ لأعظمِ ما في الكون، جاء الحديثُ عن أعجبِ ما في الكونِ بما يحثُّ علىٰ تدبرِ أمرها فقال تعالىٰ: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾، ولما تحدثَ عن تسويتِها أشارَ لأعظمِ ما في هذه التسويةِ وهو ما رزقَها من القوةِ التي بها تميزُ ما أرادَه منها فقال تعالىٰ: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾، ولما أتمَّ القسمَ بما أراد جاء جوابُ القسمِ في بيانِ حالِ الفريقين وسلوكِ الطريقين، في فلاحِ من اختارَ رشدَه واستعملَ جهدَه في طاعتهِ ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾، وخيبةَ من غابَ هداه فاتبع هواه فقال: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾، ولما كان السياقُ للترهيبِ قال دالًا علىٰ خيبةِ من دساها ليعتبرَ به من سمعَ خبرَه لا سيما إن كان يعرفُ أثرَه فقال: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾، ولما ذكرَ تكذيبَهم دلَّ عليه بقوله: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾، ولما ذكر ما يدلُّ علىٰ استعدادِهم للشر ذكرَ ما نصحَهم به نبيه المرسل، فقال تعالىٰ: ﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾، ولما بينَ نصحَه بين موقفَهم، فقال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾، ولما بين قبيحَ فعلِهم بين ما حلَّ بهم من شدةِ عذابهِ،

فقال: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾، فلما ذكرَ شدَةَ انتقامهِ أشارَ لعظيمِ صفاتهِ فقال: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾.

خامسًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورة وخاتمتها:

أقسمَ سبحانه وتعالىٰ في بدايتِها علىٰ فلاحِ من زكىٰ نفسَه، وعلىٰ خيبةِ من دساها، ثم ذكرَ نموذجًا لمن دسوا أنفسَهم في المعاصي فدسّهم اللهُ تعالىٰ في الترابِ حيث دمدم عليهم فسوىٰ بهم الأرض.

سادسًا: خصائصُ السورةِ في عرضِ هداياتها:

١. افتتاحُها بأطولِ قسمٍ في القرآنِ الكريم، حيث تتابعَ فيها أحد عشر قسمًا، وهي الشمسُ، وضوؤُها، والقمرُ، والنهارُ، والليلُ، والسماءُ وبنيانُها، والأرضُ وبسطُها، والنفسُ وتسويتُها.

٢. الحديث عن إلهامهِ جل وعلا للنفسِ فجورَها وتقواها.

٣. بيانُ ما به يكونُ الفلاحُ والخسران في الجملة.

٤. بيانُ سببِ تكذيبِ ثمود.

٥. وصفُ عاقرِ الناقةِ بأقبح وصفٍ وهو يتسارعُ للشر.

٦. بيانُ تحذيرِ نبي الله صالحٍ لهم في اثناء إقبالِهم علىٰ سوءِ فعلهم.

٧. بيان ما حلَّ بهم في صورةٍ تدل علىٰ شدةِ غضبهِ تعالىٰ وعظيمِ انتقامهِ.

٨. الحديثُ عن عدمِ خوفهِ جل وعلا عن عاقبةِ فعله بهم بما يدلُّ علىٰ كمالهِ وجلالهِ وعظمته.

www.Quranonlinelibrary.com

سابعًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. أهميةُ التفكرِ في آياتهِ تعالىٰ في الكونِ والأنفسِ من: الشمسِ والقمرِ والنهارِ والليلِ والسماءِ والأرضِ والنفسِ ومعرفةِ عظمةِ الله تعالىٰ ونعمتهِ علىٰ عبادِه من خلالها.

٢. السعيُ لكلِّ ما يحققُ تزكيةَ النفوس وتطهيرَها من علمٍ نافعٍ وعملٍ صالح.

٣. البعدُ عن كلِّ ما يؤدي إلىٰ الخيبةِ والخسران في الدنيا والآخرة.

٤. البعدُ عن الكذبِ والتكذيبِ بآياتِ اللهِ والطغيان.

٥. الحذرُ أن يكونَ الإنسانُ رأسًا في الشرِ ومسارعًا فيما يغضبُ ربَّه.

٦. طاعةُ الرسولِ وعدمُ مخالفةِ أمره.

٧. الخوفُ من شدةِ عذابه جل وعلا خاصةً عند ما يعمُّ الفسادِ.

٨. أخذُ العبرةِ من مصارعِ الأممِ.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة الشمس ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ١٧ محرم ١٤٣٧هـ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

ســورة الليل

موضوع السورة:

اختلافِ سعي الناس، وعاقبةِ أهلِ كلِّ سعي

من خلال موضوعين:

- تفاوت الناس في الخير والشر وعاقبتهما
- الترهيبُ من سعي الشرِ والترغيبُ في سعي الخير

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مدخل لدراسة السورة

أولًا: ما جاء من أحاديث عن سورة الليل:

جاء في صحيح البخاري عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحَيْنِ، وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي فَتَرَكَ نَاضِحَهُ وَأَقْبَلَ إِلَىٰ مُعَاذٍ، فَقَرَأَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ أَوْ النِّسَاءِ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ، وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ، أَوْ أَفَاتِنٌ ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَلَوْلَا صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ، وَالضَّعِيفُ، وَذُو الْحَاجَةِ)[١].

ثانيًا: موضوعُ السورةِ:

بيانُ اختلافِ سعي الناس، وعاقبةِ أهلِ كلِّ سعي في الدنيا والآخرة.

وجاء الكلامُ عن هذا في موضوعين:

الموضوعُ الأول: بيانُ تفاوتِ الناسِ في الخيرِ والشرِ وعاقبةِ كلٍّ منهما في الدنيا والآخرة، وهذا من الآية (١- ١١).

الموضوعُ الثاني: الترهيبُ من سعي الشرِ والترغيبُ في سعي الخيرِ وبيانِ أوصافِ مَن يدخلُ النارَ ومن ينجو منها، وهذا من الآية (١٢- ٢١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، بَابُ: مَنْ شَكَا إِمَامَهُ إِذَا طَوَّلَ، ح رقم (٧٠٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ثالثًا: المناسبةُ بين سورةِ الشمس والليل:

لما ذكرَ في سورة الشمس فلاحَ المزكّين أنفسَهم، وخيبةَ الدَّاسين لها في قوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾، ذكرَ هنا ما يحصلُ به الفلاحُ وما تحصلُ به الخيبة، فهي كالتفصيلِ لسابقِها.

رابعًا: المناسبةُ بين المقسمِ به والمقسمِ عليه:

أقسمَ تعالىٰ بالزمانِ الذي تقعُ فيه أفعالُ العبادِ وهو متباينٌ في صفاتهِ بينِ النورِ والظلام، وهذا هو النورُ والظلامُ الحسي، علىٰ تفاوتِ أحوالِ العبادِ بين الحسنِ والسوء، والخيرِ والشرِ، والعسرِ واليسر، والتصديقِ والتكذيب، وهذا هو النورُ والظلامُ المعنوي، وهو محتوىٰ هذه السورة، وهو نتاجُ الذكرِ والأنثىٰ اللذين منهما خرجت ذريةٌ صالحة، وأخرىٰ سيئة.

الموضوعُ الأول
بيان تفاوت الناس في الخير والشر وعاقبتهما

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ١ – ١١].

أولًا: معاني الكلمات:

١. يَغۡشَىٰ: يغطي ويعمَّ الأفقَ وكلَّ شيءٍ بظلمتهِ.

٢. تَجَلَّىٰ: إذا بانَ وظهرَ وانكشفَ من بين الظلمة، و«إذا» هنا وفي التي قبلَها ظرفية، وليست شرطية.

٣. وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ: فيه قولان: إما «ما» موصولةٌ، بمعنىٰ: ومَن خلق الذكر والانثىٰ، فتكون إقسامًا بنفسهِ الكريمةِ الموصوفةِ بذلك بأنه خالقُ الذكورِ والإناث، وإما «ما» مصدريةٌ، بمعنىٰ: وخلقِ الذكرِ والأنثىٰ، فتكون قسمًا بخلقهِ للذكرِ والأنثىٰ.

٤. سَعۡيَكُمۡ: أعمالَكم.

٥. لَشَتَّىٰ: جمعُ شتيت، من الشتاتِ وهو التباعدُ والافتراقُ والتضاد.

٦. ﴿أَعۡطَىٰ﴾: بذلَ ما ينبغي أن يبذلَ من مالٍ وعلمٍ وغيرهما من حقوقِ اللهِ وخلقه.

٧. ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾: أي اتقىٰ اللهَ فلم يشركْ به ولم يعصه ويواقعْ محارمَه.

٨. ﴿بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: تأنيثُ الأحسن، وهو يحتملُ أمورًا كثيرةً مثل: المثوبةِ، أو النصرِ، أو العاقبةِ الحسنة في الإنفاقِ وغيرِه. وقيل فيه: لا إله إلا الله، وقيل: الجنة، وقيل: الخصلةُ الحسنةُ، وهي الإسلام، وقيل: الخلفُ علىٰ المنفق[1].

٩. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾: من التيسير، وهو جعلُ الشيءِ يسيرَ الحصول.

١٠. ﴿لِلۡيُسۡرَىٰ﴾: أي: نهيئه للطريقةِ اليسرىٰ، وهي فعلُ الخيراتِ وتركُ السيئات، وقيل: الجنة، فييسرُ له العملَ بما يرضىٰ الله.

١١. ﴿بَخِلَ﴾: أي: بخلَ بماله وما عنده، أو بطاعةِ الله علىٰ الإطلاق.

١٢. ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: عن اللهِ فلم يطعه، واستغنىٰ عن فضلهِ فلم يسألْه من فضلهِ، ولم يعملْ صالحًا يتقربُ بهِ إليه، واستغنىٰ بالدنيا عن الآخرة.

١٣. ﴿لِلۡعُسۡرَىٰ﴾: طريق الشر، وهو العملُ الذي يغضبُ ربَّه، ويقودُه إلىٰ النار.

١٤. ﴿تَرَدَّىٰٓ﴾: هلك، وهو مشتق من الرّدىٰ، وهو الموت، وقيل: إذا تردىٰ في النارِ، أو في القبر.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. فيها بيانٌ لآيةِ ونعمةِ الليلِ عندَما يعمُّ الكونَ بظلامهِ، فيسكنُ كلُّ شيءٍ إلىٰ مأواه ومسكنه، ويستريحُ العبادُ من الكدِ والتعب ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾.

---

(١) انظر: أضواء البيان (٨ / ٥٤٧).

٢. فيها بيان لآيةِ ونعمةِ النهارِ الذي جعلَه اللهُ تعالىٰ مشرقًا مضيئًا للخلقِ، فاستضاءوا بنورِه، وانتشروا في مصالحهم ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾.

٣. فيها أن اللهَ تعالىٰ أقسمَ بالليلِ وظلمتهِ، والنهارِ وضوئه، وهما آيتان متقابلتان في دورةِ الفلكِ وفي الخصائص والآثارِ بما ينبه علىٰ الاعتبارِ بهما في الاستدلالِ علىٰ حكمتهِ وبديعِ قدرته من خلالِ ما أودعَه في نظامِ هذا الكون.

٤. فيها تنبيهٌ لآيةٍ أخرىٰ من آياتِ قدرتهِ وعظيمِ حكمتهِ من خلالِ خلقِ الزوجين المتقابلين الذكر والأنثىٰ، مع أنهما يخرجان من أصلٍ واحد، وقادَ كلا منهما إلىٰ الآخرِ بسلسلةِ الشهوة، وجعلَ كلًا منهما مناسبًا للآخر، وتوقفَ التناسلُ علىٰ تزاوجهما، فتبارك الله أحسنُ الخالقين، وهو مظهرٌ لا يقلُ عظمةً عن آيتي الليل والنهار.

٥. تفيدُ أن بيانَ عظمةِ ربوبيتهِ يستلزمُ عبادتَه وحدَه دونَ سواه.

٦. فيها نفي المساوة المطلقة بين الرجل والمرأة التي ينادي بها بعض ضلال هذا العصر، فسعيها غير سعيه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾.

٧. فيها بيانُ تفاوتِ سعي المكلفين تفاوتًا عظيمًا بين ساعٍ في فكاكِ نفسهِ بالحسناتِ التي توصلُ إلىٰ الجنةِ، وساعٍ في عطبِها بالسيئاتِ التي تنتهي به إلىٰ النار، وقد جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِىٰ مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ

www.Quranonlinelibrary.com

نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»(١).

٨. فيها بيانٌ لتفاوتِ سعي أهلِ الاستقامة؛ وذلك بحسبِ تفاوتِ نفسِ الأعمالِ ومقدارِها، والنشاطِ فيها، وبحسبِ الغايةِ المقصودةِ بتلك الأعمال.

٩. تفيدُ أن من أساليبِ القرآن المشوقةِ الإجمالَ ثم التفصيل، فأجملَ في قولِهِ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ بما يشوقُ إلىٰ تفصيلِهِ، ثم جاء التفصيلُ بعده.

١٠. فيها الإشارة والإيماء بوجوب التعاون والتكامل علىٰ خيري الدنيا والآخرة وإن اختلفت المشارب والمذاهب والألوان والأمزجة كما تكامل والتعاون الليل والنهار مع اختلافهما، والرجل والمرأة مع شتات سعيهما.

١١. تفيدُ أن من صفاتِ أهلِ الجنةِ العطاءَ مما أمروا به من العباداتِ المالية، كالزكواتِ، والكفاراتِ، والنفقاتِ، والصدقاتِ، والانفاقِ في وجوهِ الخير، والعباداتِ البدنيةِ كالصلاةِ، والصوم ونحوهما. والعباداتِ المركبةِ منهما كالحجِ والعمرةِ ونحوهما، بل يدخلُ في ذلك إعطاءِ الكلمةِ الطيبةِ وطلاقةِ الوجه وغيرها، أي أعطىٰ نفسَه وماله ووقته وكلَّ ما يملك.

١٢. فيها دليلٌ علىٰ أن الجودَ من مكارمِ الأخلاقِ والبخلِ من أرذلها.

١٣. فيها الحثُ علىٰ الإنفاقِ في سبيلِ الله، وأنه موجبٌ لخيرٍ كثيرٍ في الدنيا والآخرة.

١٤. فيها أهميةُ الانتهاءِ عما نهىٰ اللهُ عنه الإنسانَ من الشركِ والمحرماتِ

---

(١) أخرجه أحمد ح رقم (٢٢٩٠٨)، والدارمي ح رقم (٦٧٩)، وابن ماجه ح رقم (١. ٢٨٠)، والترمذي ح رقم (١. ٣٥١٧)، وصححه الألباني في سنن ابن ماجه (١/ ١٠٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

والمعاصي علىٰ اختلافِ أجناسِها، وكلِّ ما يوصلُ لغضبهِ وعقابهِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾.

١٥ . فيها أهميةُ اتقاءِ الله في الإعطاءِ، وذلك أن يكون في سبيلِ الله، من مالٍ حلال ابتغاء مرضاة الله.

١٦ . فيها أهميةُ اليقين عند النفقةِ بأنَّ اللهَ تعالىٰ سيخلفُ عليه، ويثيبُه ثوابًا عظيمًا كما وعده، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]. وفي الحديثِ الذي في الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)[١]، وفي حديثِ مسلمٍ عَنْ أَبِىٰ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ)[٢].

١٧ . تفيدُ أن الفوزَ لا يكونُ إلا لمن صدق بـ «لا إله إلا الله» وما دلت عليه من جميعِ العقائدِ الدينية، وما ترتب عليها من الجزاءِ الأخروي، والحسنةُ هنا عامة تشملُ الجنة، والمثوبةُ الحسنة، والخلفُ علىٰ المنفقِ في سبيلِ الله.

١٨ . تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ إذا أحبَّ عبدَه يسرَ عليه الخيرَ وكلَّ طريقٍ يوصله للجنة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، بَابُ: قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ، وَصَدَّقَ بِالحُسْنَىٰ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ، وَكَذَّبَ بِالحُسْنَىٰ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ) ح رقم (١٤٤٠)، ومسلم في كتاب: الزكاة، بَابٌ: فِي الْمُنْفِقِ وَالْمُمْسِكِ، ح رقم (١٠١٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، بَابُ: اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ برقم ٢٥٨٨.

www.Quranonlinelibrary.com

١٩ . تفيدُ أن الطاعاتِ تكونُ سببًا لتسهيلِ الأمور وتيسيرها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤].

٢٠ . تفيدُ أن من حسنِ رعايةِ الله للعبدِ أن ييسرَ عليه فعلَ الخيراتِ وترك كل السيئات، بعد أن يأتي العبدُ بأسباب التيسير، قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [غافر: ٩].

٢١ . تفيدُ أن تسميةَ طريق الخير باليسرىٰ؛ لأن عاقبتَه اليسر. وطريق الشر بالعسرىٰ؛ لأن عاقبته العسر والشدة.

٢٢ . فيها ذمُّ البخلِ بما أمرَ به من الانفاقِ الواجبِ والمستحبِ، ولم تسمح نفسُه بأداءِ ما أوجبَ اللهُ عليه، والمنعُ في محلِ الإعطاء بخل.

٢٣ . فيها بيانُ جهلِ الكافرِ حيث استغنىٰ عمن لا غنىٰ له عنه، استغنىٰ عن الولي الحميد، استغنىٰ بماله وولِده وجاههِ الذي لا يغني عنه شيئا؛ بتركِ عبوديتهِ جانبًا، ولم ير نفسَه مفتقرةً غايةَ الافتقارِ إلىٰ ربها، الذي لا نجاة لها ولا فوز ولا فلاح إلا بأن يكونَ هو محبوبُها ومعبودها الذي تقصده وتتوجه إليه.

٢٤ . فيها بيانُ قبحِ التكذيبِ بما أوجبَ اللهُ علىٰ العبادِ التصديق به من العقائدِ الحسنةِ من: الجنةِ، والإخلافِ، ولا إله إلا الله.

٢٥ . تفيدُ أنه كما لليسرىٰ أسبابٌ كذلك للعسرىٰ أسبابٌ توصلُ إليه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٢٦. تفيدُ أن من علاماتِ الشقاءِ أن تشق علىٰ العبدِ الطاعةُ، وبأن تتيسرَ عليه مسالكُ الشر، نسأل الله العافية.

٢٧. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ يجازي من قصدَ الخيرَ بالتوفيق له، ومن قصدَ الشرَ بعكسِ ذلك: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

٢٨. تفيدُ أن المالَ الذي يبخلُ به صاحبُه، ويستغني به عن ربهِ لا ينفعُه شيءٌ منه إذا هلكَ ومات، فإنه لا يصحبُه إلا عملُه الصالح ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾، فالمالُ الذي لم يخرجْ منه الواجبُ فإنه يكون وبالًا عليه.

٢٩. تفيدُ أن المالَ الذي ينفعُ صاحبَه هو المالُ الذي يقدمُه في سبيلِ الله تعالىٰ.

٣٠. تفيدُ أن تفاوت الأعمالِ كما هو مختلفٌ فجزاؤهم مختلف، فليس مصيرُ من أعطىٰ واتقىٰ وصدق بالحسنىٰ كمن بخل واستغنىٰ وكذب بالحسنىٰ.

٣١. تفيدُ أن التوفيقَ للعملِ بالطاعةِ يتوقفُ علىٰ حسبِ سنةِ اللهِ تعالىٰ علىٰ رغبةِ العبد وطلبهِ ذلك، والحرصِ عليه، واختيارِه علىٰ غيرِه، وتسخيرِ النفسِ والجوارحِ له. كما أن العملَ بالسيئاتِ قائمٌ علىٰ اختيارِ العبدِ وطلبهِ وحرصهِ وتسخيرِ نفسه وجوارحهِ لذلك، هذه سنةٌ من سننِ الله تعالىٰ في خلقه.

www.Quranonlinelibrary.com

الموضوعُ الثاني
الترهيبُ من سعي الشرِ والترغيبُ في سعي الخير

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٢ – ٢١].

أولًا: المناسبةُ بين الآيات:

لما عرَّفهم أن سعيَهم شتىٰ، وبيَّنَ ما للمحسنِ من اليسرىٰ، وما للمسيءِ من العسرىٰ أخبرَهم أنه قد أقامَ حجتَه وأعذرَ إلىٰ عبادِه بما بيَّنَه ووضَّحَه من البيِّناتِ والهدىٰ، فقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾، ثم تحدثَ عن مصيرِ كلِّ فريقٍ ممن يسر لليسرىٰ، وممن يسر للعسرىٰ، بعد أن مهد له بكمالِ ملكهِ للدنيا والآخرةِ.

ثانيًا: معاني الكلمات:

١. ﴿لَلْهُدَىٰ﴾: يعنىٰ بيانُ الحقِّ من الباطلِ والخيرِ والشر.

٢. ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾: ملكُ ما في الدنيا والآخرة.

٣. ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾: أي خوفتكم.

٤. ﴿تَلَظَّىٰ﴾: تتوقدُ وتتوهجُ من شدةِ إيقادِها.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٥. لَا يَصۡلَىٰهَآ: أي لا يدخلُها ويحترقُ بلهبِها

٦. ٱلۡأَشۡقَى: الشقي الذي لم يعمل بطاعةِ ربه ويترك معاصيه.

٧. ٱلَّذِى كَذَّبَ: أي كذَّبَ بقلبِهِ ولسانِهِ النبيَّ ﷺ فيما جاءَ به.

٨. وَتَوَلَّىٰ: أي أعرضَ عن الإيمانِ به، وبما جاءَ به من التوحيدِ والطاعةِ للهِ ورسولِهِ بجوارحِهِ وأركانه.

٩. وَسَيُجَنَّبُهَا: أي يُبْعَدُ عنها، فيجعلُ منها علىٰ جانب.

١٠. ٱلۡأَتۡقَى: التقي النقي.

١١. يَتَزَكَّىٰ: من الزكاءِ، أي: يتطهرُ به، فلذا يخليه من النظرِ إلىٰ غيرِ اللهِ، فهو خالٍ من الرياءِ والسمعة، يزكي نفسَه ومالَه بهذِه الصدقة.

١٢. وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ: أي ليس لأحدٍ من الناسِ عليه منة فهو يكافئُه بذلك.

١٣. إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ: أي يؤتي مالَه في ابتغاءِ مرضاةِ اللهِ عز وجل.

١٤. ولسوف يرضىٰ: أي يعطيه اللهُ تعالىٰ من الكرامةِ ما يرضىٰ به في دارِ السلام.

ثالثًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. تفيدُ أن من رحمةِ اللهِ بعبادِه أن بينَ لهم الطريقَ المستقيمَ الذي يوصلُ إليه، ويدني من مرضاتِه، وبه تتحققُ اليسرىٰ، والطرقَ المعوجَّة التي تُؤدي إلىٰ غضبِهِ وعقابه، وذلك من خلالِ كتابِهِ الذي أنزله، ورسولِهِ الكريم الذي أرسله، وبما أقامَه في الكونِ من شواهدِ توحيده، وبما فطرَ النفوسَ عليه،

فمنه الهدىٰ بيانًا وتوفيقًا.

٢. تفيدُ أن ملكَ الدنيا والآخرةِ لله تعالىٰ ليس له فيهما مشارك، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ:٢٢] فليرغبِ الراغبون إليه في الطلبِ، ولينقطعْ رجاؤهم عن المخلوقين، فمن طلبَهما أو شيئًا منهما من غيرِ مالكِهما فقد أخطأ الطريق، وطلبُ الآخرةِ يكونُ بالإيمانِ والتقوىٰ، وطلبُ الدنيا يكون بالعملِ حسب سنتهِ في الكسبِ وحصولِ المال.

٣. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ لا يضرُّه ضلالُ من ضلَّ، ولا ينفعُه اهتداءُ من اهتدىٰ، فهو الغني الحميدُ، قال تعالىٰ: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان:٢٦].

٤. تفيدُ منزلةَ الانذارِ في إصلاحِ القلوب ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ أي: تستعرُ وتتوقدُ.

٥. فيها بيانُ هولِ نارِ جهنم التي أنذرَ اللهُ تعالىٰ عبادَه منها في مواضعَ كثيرةٍ من القرآن الكريم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٦ – ١١].

٦. تفيدُ أن دخولَ النارِ دائمًا يكون بأسبابهِ حيث بيَّن أن شقاءَهم الذي

www.Quranonlinelibrary.com

سببُه المعاصي والذنوب كان هو السببُ لعذابِهم.

٧. فيها أن من علاماتِ الشقاءِ التكذيبَ بالخبرِ، والإعراضَ عن أمرِه جل وعلا ﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ﴾ بالخبر ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الأمر.

٨. فيها بيانُ عاقبةِ التولي عن طاعةِ اللهِ تعالىٰ والإعراضِ عنه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ [الكهف: ٥٧].

٩. تفيدُ أن اتقاءَ الكفرِ والمعاصي يبعدُ العبدَ من النارِ والحومِ حولها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١ – ١٠٢].

١٠. فيها بيانُ منزلةِ التقوىٰ وتحقيقِها في حياةِ الإنسان، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥ – ٤٨].

١١. تفيدُ أن من أعظمِ أسبابِ الفلاحِ في الآخرةِ أن يقصدَ الإنسانُ بنفقتهِ تزكيةَ نفسهِ وتطهيرَها من الذنوبِ والعيوب، وتزكيةَ مالهِ، لأن بالزكاةِ تحلُّ البركةُ ويزيدُ المالُ وينمو.

١٢. تفيدُ أن النفقةَ المباركةَ المقبولة هي التي قَصَدَ بها صاحبُها وجهَ الله تعالىٰ لا رياءَ ولا سمعة ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

١٣. تفيدُ أنه إذا تضمَّنَ الإنفاقُ المستحبُ تركَ واجبٍ، كدينٍ ونفقةٍ ونحوهما، فإنه غيرُ مشروع، بل تكونُ عطيتُه مردودةً عند كثيرٍ من العلماء، لأنه لا يتزكىٰ بفعلِ مستحبٍ يفوتُ عليه الواجب ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾.

١٤. تفيدُ أن النفقةَ المباركةَ ليست التي تكونُ من بابِ المكافأة ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾، فهو لا يقدمُها لأحدٍ عليه فضلٌ ومنة.

١٥. تفيدُ أن النفقةَ التي يرجو صاحبُها من ورائِها منفعةً دنيويةً لا تزكي النفسَ والمالَ، قال تعالىٰ: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٨ – ٣٩].

١٦. فيها بيانُ أجرِ الصدقةِ الخالصةِ في الآخرةِ؛ لأنها ذكرت هنا في أبرزِ صفاتِ أهلِ التقوىٰ الناجين، ولذا يتمنىٰ المفرِّط الرَجعةَ ليتصدقَ من ماله، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

١٧. فيها إثباتُ العلوِ المطلقِ لله تعالىٰ ﴿رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، فهو العلي الكبيرُ العظيم.

١٨. تفيدُ أن الإنسانَ لما علمَ فضلَ اللهِ الذي أوجده ورباه وأحسن إليه عليه، لم ير إحسانًا إلا منه ولا عنده شيء إلا وهو من فضله؛ جعل أعماله كلَّها له، هذا خلاصةُ تجريدِ الوحدانيةِ لله تعالىٰ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

١٩. فيها بيانُ فضلِ أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأنه مبشرٌ بالجنةِ في هذه الآية الكريمة، فهذه الآيةُ الكريمةُ نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد كان في مكةَ يشتري العبيدَ من مواليهم الذين يعذبونَهم من أجلِ إسلامِهم ويعتقُهم لوجهِ الله تعالىٰ ومنهم بلالٌ رضي الله عنه فقال المشركون: إنما فعلَ ذلك ليدٍ عنده، أي: نعمةٍ فهو يكافئُه بها، فأكذبَهم الله في ذلك وأنزل قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ الآيات[1].

٢٠. تفيدُ أن الصديقيةَ لا تنال إلا بالإخلاص الكامل في ابتغاء وجه تعالىٰ، وتحصل تقوىٰ الله تعالىٰ الأعلىٰ.

٢١. فيها دليلٌ علىٰ أنه لا يجزئ دفعُ الزكاةِ إلىٰ الأبوين، ولا إلىٰ أحدٍ يقدمُ إلىٰ المعطي إحسانًا، لأنه يصيرُ مكافأةً ومجازاة، وإنما هي لمن لا يكافئ ولا يجازي، ولا يدفعُ بها ذمًّا، بل تكونُ لله عليه السلام خالصةً لوجهه فقط، فإنما المكافأةُ تكونُ في إخراجِ الأموالِ في التطوعِ لا في الفرض.

٢٢. تفيدُ أن المؤمنَ في الآخرةِ يعطيه اللهُ من الجنةِ والكرامةِ حتىٰ يرضىٰ، وهو وعدٌ كريمٌ بنيلِ ما يبتغيهِ علىٰ أكملِ الوجوهِ وأجملِها إذ به يتحققُّ الرِّضا.

٢٣. تفيدُ أن المؤمنَ يرضيه الله في الدنيا بدينِهِ وبقدرِه فلا يقلقَ ولا يضيق، كما قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١].

٢٤. تفيدُ أن الرضا يحتاجُ إلىٰ بذلِ الكثير، ولا يكفي القليلُ من العطاء.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري (٤/ ٤٠٨).

www.Quranonlinelibrary.com

رابعًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما بين في الشمسِ حالَ من زكىٰ نفسَه وحالَ من دساهَا، وأوضحَ في آخرِها مخالفةَ ثمودٍ لرسولِهم بما أدىٰ إلىٰ ما هلاكهم، فعُلمَ أن الناسَ مختلفون في السعي في تحصيل نجدِ الخير ونجدِ الشر، فمنهم من تغلبُ عليه ظلمةَ اللبسِ، ومنهم من يغلبُ عليه نهارُ الهدىٰ، فتباينوا في مقاصدِهم، وفي مصادرِهم ومواردِهم، فأقسمَ في أولِ هذه السورة بما يدلُ علىٰ ذلك فقال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾، ولما أقسمَ بآيةِ الليلِ أقسمَ بما يقابلُها فقال: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾، ولما ذكرَ المتخالطين معنىً أتبعَهما المتخالطين حسًا، فقال مصرحًا فيهما بما هو مرادٌ في الأول: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾، ولما ذكرَ ما هو محسوسُ التخالفِ من المعاني والأجرام، أتبعَه ما هو معقولُ التباينِ من الأعراضِ فقال: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾، ولما بينَ اختلافَ السعي شرعَ في بيانِ تشتتِ المساعي، وبيانِ الجزاءِ لها، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾، ولما ذكرَ المزكي وثمرتَه، أتبعه المدسي وشقوتَه فقال: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾، ولما كان أهلُ الدنيا إذا وقعوا في ورطةٍ تخلصوا منها بأموالِهم قال: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ أي هلكَ بالسقوطِ في حفرةِ القبرِ والنار.

ولما بيَّنَ لهم عاقبةَ سعيِهم بيَّنَ لهم قيامَ حجتهِ عليهم بما لا عذرَ لمن تولىٰ، فقال: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ﴾، ولما بيَّنَ أن الهدىٰ بيدِه، بين أن ملكَ كلِّ شيء بيده، فقال: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ﴾، ولما أخبرَ سبحانه وتعالىٰ ببيانِه للهدىٰ، وكمالِ ملكهِ للدنيا والآخرة، بما يرهبُ من تولىٰ، ويرغبُ بهِ في مرضاته، جاء ترهيبُه عن طريقِ العسرىٰ، فقال: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥

﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، ولما رهَّبَهم رغَّبهم بقولِهِ تعالىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾. ولما ذكَرَ الصفةَ العامةَ لمن يتجنبها ذكرَ أعظمَ صفةٍ خاصةٍ لهم فقال: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾. ولما كان الإنسانُ قد يعطي ليزكي نفسَه بدافعِ المنةِ والمكافأة قال: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾، ولما نفىٰ أن يكونَ بذلك قصدَ مكافأةً قال مبينًا قصدَه باستثناءٍ منقطع: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، ولما كان هذا مقامٌ ليس فوقَه مقام قال تعالىٰ بعدَ وعدِه من الإنجاءِ من النار: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ أي بإعطاءِ الجنةِ العليا والمزيدِ بوعدٍ لا خلفَ فيه في الحياة الطيبة.

خامسًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورة وخاتمتها:

فاتحةُ السورةِ في اختلافِ سعي العباد، وخاتمتِها في جزاءِ وعاقبةِ كلِّ سعي.

سادسًا: خصائصُ السورةِ في عرضِ هداياتها:

١. البدايةُ في القسمِ بالليلِ إذا يغشىٰ، ثم بالنهارِ إذا تجلىٰ، ثم بما خلقَ من الذكرِ والأنثىٰ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾.

٢. الحديثُ عن اختلافِ سعي العباد ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾.

٣. بيانُ الأعمالِ التي تيسرُ لليسرىٰ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

٤. بيانُ الأعمالِ التي تيسرُ للعسرىٰ ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾.

٥. بيانُ أن المالَ الذي لا يقدمُّه الإنسانُ لآخرتِهِ لا ينفعُه بعدَ موته

www.Quranonlinelibrary.com

﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾.

٦. بيانُ التزامهِ جل وعلا ببيانِ الهدىٰ للناس ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ﴾.

٧. التخويفُ من النارِ التي تتلظىٰ، وبيانُ من يصلاها ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

٨. بيانُ من يكونُ بعيدًا مجانبًا للنار ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى﴾.

٩. بيانُ أعظمِ أوجهٍ في النفقة ﴿ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾.

سابعًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. سعي العبادِ كانَ وما زالَ وسيظلُّ مختلفًا؛ فعلىٰ العبدِ أن يتفحصَ سعيَه في أيِّ جانبٍ هو مسخرٌ طاقتَه، في عبادةِ ربِّه أم في شهواتِهِ؟ في الطاعةِ أم في المعصيةِ؟ في أعمالِ الدنيا أم الآخرةِ؟ في رضا الخلقِ أم الخالقِ؟ فيما يحققُ الخيرَ أم الشرِ؟

٢. التخلقُ بخلقِ العطاءِ المستمر صفةُ أهلِ الجنة، فالإنسان ينبغي أن يعود نفسَه العطاءَ الحسنَ دائمًا من مالٍ وطعامٍ، وعلمٍ، وكلمةٍ طيبة، وابتسامةٍ، فهذا عنوانُ الأتقياء.

٣. الابتعادُ عن المعاصي والذنوبِ الصغيرةِ والكبيرةِ من صفاتِ أهلِ الجنة، خاصةً الإشراكِ باللهِ تعالىٰ.

٤. التصديقُ بكلِّ ما وعد الله به في الدنيا أو الآخرة لأن اللهَ لا يخلفُ الميعاد.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٥. تجنبُ الصفاتِ الرذيلةِ خاصةً البخلِ والاستغناء عن الله تعالىٰ الكذب عليه.

٦. أن المؤمنَ لا يستغني عن ربهِ طرفةِ عين، ولذا فهو يفرُ إليه في كلِّ لحظةٍ بطاعتهِ وذكرِه وشكرِه في حياتهِ بعكسِ الكافرِ الجاهل.

٧. أن يقدِّمَ العبدُ ما يستطيعُ من مالهِ ليومِ معادِه فهو الذي ينفعُه ويرفعُه.

٨. اليقينُ بأنَّ الأمورَ كلَّها بيدِ اللهِ وحده يصرفُها كيفَ يشاء، ولذا من أرادَ الدنيا أو الآخرةَ أو كلتيهما توجَه إلىٰ الله وحدَه جل وعلا.

٩. ينبغي أن نخلصَ في صدقاتِنا فنجعلُها في سبيلِ اللهِ ولابتغاءِ مرضاتهِ حتىٰ تزكوَ بها أنفسَنا ويرفعَ اللهُ بها درجتِنا ويرضىٰ بها عنا.

١٠. توقير أبو بكر الصديق رضي الله عنه، والشهادة له بالصدق والإخلاص، وعدم تنقيصه وسائر أصحاب الرسول ﷺ والتبري مما يصنعه الروافض.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة الليل ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ٢٣ محرم من عام ١٤٣٧هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

سـورة الضحى

موضوع السورة:

بيانُ قدرِ النبيِّ ﷺ، وكمالِ عنايةِ اللّٰه به

من خلال أربع موضوعات:

- تبشيرُ النبيُّ ﷺ ببشاراتٍ عظيمةٍ من ربِّه
- بيانُ بعضِ منِنهِ جلَّ وعلا علىٰ رسولهِ ﷺ
- تكليفُه ﷺ ببعضِ الوصايا.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

مدخل لدراسة السورة

أولًا: موضوعُ السورةِ:

بيانُ قدرِ النبيِّ ﷺ وعلوِ مكانتِهِ، وكمالِ عنايةِ الله به، مع بيانِ ما يلزمُ من ذلك، وجاء الكلامُ عن هذا في ثلاثةِ موضوعات فرعية:

الموضوعُ الأول: تبشيرُ النبيِّ ﷺ ببشاراتٍ عظيمةٍ من ربِّه، من الآيةِ (١-٥).

الموضوعُ الثاني: بيانُ بعضِ منّهِ جلَّ وعلا علىٰ رسولهِ ﷺ في حياتهِ السابقة، من الآيةِ (٦-٨).

الموضوع الثالث: تكليفُه ﷺ ببعضِ الوصايا، من الآيةِ (٩-١١).

ثانيًا: المناسبةُ بين سورةِ الليل والضحى:

قيل: إن التي قبلَها في الصديقِ رضي الله عنه الذي هو أعلىٰ الناسِ في درجةِ الصديقية: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ [الليل: ١٧-٢١]، وهنا في الرسولِ ﷺ الذي هو أعلىٰ الناسِ في درجةِ النبوة: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحىٰ: ٣-٥]، مع الفارق الكبير في العطاء والخطاب.

وقيل: لما ذكرَ فيما قبلَها ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾، وكان سيدُ الأتقياء رسول الله ﷺ ذكرَ تعالىٰ هنا نعمه عليه.

ثالثًا: سببُ نزولِ سورةِ الضحى:

قد جاء في الصحيحين عن الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدُبَ بْنَ سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اشْتَكَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلَهُ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[1]. وفي رواية مسلم عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ جُنْدُبًا يَقُولُ أَبْطَأَ جِبْرِيلُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: قَدْ وُدِّعَ مُحَمَّدٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[2].

رابعًا: المناسبةُ بين المقسمِ به والمقسمِ عليه:

لما أرادَ أن يبينَ عنايتَه الكاملةَ به، وحبَه المستمرَ له أقسمَ بطرفي الزمان، وطرفِي الحركةِ والسكون بأنه ما ودعك ربُّك وما قلىٰ لا في ليل ولا في نهار.

وقال ابنُ القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ -: « فتأملْ مطابقةَ هذا القسم، وهو نورُ الضحىٰ الذي يوافي بعدَ ظلامِ الليل للمقسمِ عليه وهو نورُ الوحي الذي وافاه بعدَ احتباسِهِ عنه حتىٰ قال أعداؤُه ودعَ محمدًا ربُّه فأقسمَ بضوءِ النهارِ بعدَ ظلمةِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، بَابُ: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ) ح رقم (٤٥٩٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَذَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، ح رقم (١٧٩٧).

www.Quranonlinelibrary.com

الليل علىٰ ضوءِ الوحي ونورِه بعد ظلمةِ احتباسهِ واحتجابه.

وأيضا: فإن فالقَ ظلمةِ الليلِ عن ضوءِ النهارِ هو الذي فلقَ ظلمةَ الجهلِ والشركِ بنورِ الوحي والنبوةِ فهذان للحسِ وهذان للعقل.

وأيضا: فإن الذي اقتضت رحمتُه ألا يتركَ عبادَه في ظلمةِ الليلِ سرمدا بل هداهم بضوءِ النهارِ إلىٰ مصالِحهم ومعايشِهم لا يليقُ به أن يتركَهم في ظلمةِ الجهلِ والغي؛ بل يهديهم بنورِ الوحي والنبوةِ إلىٰ مصالحِ دنياهم وآخرتهم»[1].

(١) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (٢/ ٧٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

موضوع السورة ومحاورها

بيانُ قدرِ النبيِّ ﷺ، وكمالِ عنايةِ الله به

قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③
وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ④ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ⑤ أَلَمۡ يَجِدۡكَ
يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ⑥ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ⑦ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ⑧ فَأَمَّا
ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ⑨ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ⑩ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضحى:
١ - ١١].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾: وقت الضحوة، وهو وقتُ ارتفاعِ الشمسِ قيدَ رمحٍ إلىٰ الزوال، وقيل: المرادُ به النهارُ كلُّه.

٢. ﴿سَجَىٰ﴾: قيل: أقبلَ، وقيل: إذا أظلمَ وغطىٰ المعمورةَ بظلامهِ مثل ما يُسجَّىٰ الرجلُ بالثوب، فسجىٰ الليل: إذا امتدَ وطالَ مدةَ ظلامهِ مثل سجو المرءِ بالغطاءِ إذا غطي به جميعُ جسدِه، وقيل: إذا سكن، أي: استقرَ واستوىٰ، كما يقالُ بحرٌ ساجٍ إذا كان ساكنا، ومنه ليلةٌ ساجيةٌ إذا كانت ساكنةُ الريحِ، ومعناه: سكونُ الناسِ والأصواتِ فيه(١).

٣. ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾: من الوداعِ، بمعنىٰ التركِ والتخلي، تقولُ العرب: دعْ هذا

(١) انظر: جامع البيان(٢٦/ ٣١٥)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(٤٦٤ / ٥).

وذرْ هذا، واتركْ هذا بمعنىٰ واحد، والتوديعُ أبلغُ من الوداعِ، لأن من ودعَك مفارقًا فقد بالغَ في تركك.

٤. وَمَا قَلَىٰ: أي ما أبغضَك.

٥. وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ: أي: الدارُ الآخرةُ خيرٌ لك من الدنيا، ويحتملُ أن يريدَ بالآخرةِ حالَه بعدَ نزولِ هذه السورة، ويريدُ بالأولىٰ حالَه قبلَ نزولها.

٦. وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ: وعدٌ له بعطاءٍ في الدنيا والآخرةِ بما يرضيه.

٧. أَلَمْ يَجِدْكَ: مضارع وجَد، بمعنىٰ: ألفىٰ ولقي.

٨. يَتِيمًا: أي فاقدُ الأب، إذا مات والدُه قبلَ ولادته.

٩. فَـَٔاوَىٰ: أي: جعلَ لك مأوىٰ، والمرادُ هنا: الكفالةُ وكفايةُ الحاجة.

١٠. ضَآلًّا: من الضّلالِ وهو: عدمُ الاهتداءِ إلىٰ الطريقِ الموصلِ إلىٰ مكانٍ مقصودٍ سواء سلَك السائرُ طريقًا آخرَ يبلغُ إلىٰ غيرِ المقصود، أم وقفَ حائرًا لا يعرف أيَّ طريقٍ يسلك، وهي بمعنىٰ: لا تعرفُ دينا ولا هدىٰ. «وليس المرادُ بالضلالِ هنا اتباعُ الباطل، فإن الأنبياءَ معصومون من الإشراكِ قبلَ النبوة باتفاقِ علمائنا، وإنما اختلفوا في عصمتِهم من أنواعِ الذنوبِ الأخرىٰ» (١).

١١. عَآئِلًا: أي: فقيرًا، والفقرُ يسمىٰ عَيْلَةً، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ [التوبة: ٢٨].

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٠٠).

www.Quranonlinelibrary.com

١٢ . فَأَغْنَىٰ : أي بالقناعةِ في القلب، إذ ألقىٰ في قلبهِ قلةَ الاهتمامِ بالدنيا، وغنىٰ المالِ بما يَسَّرَ لك من مالِ خديجة وأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وبما فتحَ له من الغنائمِ وغيرها.

١٣ . تَقْهَرْ: أي: لا تحقرُه وتذلُه وتهنه، فالقهرُ: الغلبةُ والإذلالُ وهو المناسبُ هنا.

١٤ .تَنْهَرْ: وهو الانتهارُ والزجر.

١٥ .بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ: أي اذكرْ ما أنعمَ الله تعالىٰ به عليك شكرا له علىٰ ذلك.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الموضوعُ الأول

تبشيرُ النبيِّ ﷺ ببشاراتٍ عظيمةٍ من ربِّه

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. تفيدُ كمالَ قدرةِ اللهِ، وحسنَ تدبيرِه في الكونِ من خلالِ خلقهِ لهاتين الآيتين العظيمتين المتقابلتين، وقد قابلَ بينَ آيةِ الضحىٰ التي هي وقتُ الإشراقِ الذي يأخذُ الناسُ فيه النشاطَ والحركة، ووقتُ الليلِ إذا أظلمَ وسكنَ وهجعَ فيه الناسُ بعد عناءِ العمل.

٢. فيها تنبيه عن شرفِ هذين الوقتين، الضحىٰ الذي قال النبي ﷺ علىٰ شرفِ صلاتِها كما جاء في صحيح مسلم عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَهْلِ قُبَاءٍ وَهُمْ يُصَلُّونَ فَقَالَ: (صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ إِذَا رَمِضَتِ الْفِصَالُ)[1]، وفضلُ صلاةِ الليلِ أدلتُها أكثرُ من أن تحصىٰ، قال تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة:١٦ – ١٧].

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ: صَلَاةِ الْأَوَّابِينَ حِينَ تَرْمَضُ الْفِصَالُ، ح رقم (٧٤٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٣. تفيدُ أن القسمَ من أعظمِ مؤكداتِ الكلام، فالقسمُ هنا لتأكيدِ الخبر، ردًّا علىٰ زعمِ المشركين أن الوحي انقطعَ عن النبيِّ ﷺ حين رأوه لم يقم بضعَ ليالٍ بالقرآن.

٤. فيها بيانُ منزلةِ النبيِّ ﷺ واعتناءِ اللهِ به، حيث ما تركه ربُّه من يومِ أن تولاه وكفلَه ورعاه، بل لم يزل يربيه أعظمَ تربية، ويعليه درجةً بعد درجة، وفي إضافتهِ إلىٰ ضميرِ المخاطبِ لبيانِ مزيدِ الإشعارِ بعنايتهِ وتشريفه.

٥. فيها بيانٌ لدقةِ اللفظةِ القرآنيةِ في التعبيرِ عن دلالةِ معاني اللطف والتعظيم ما لا يخفىٰ من خلالِ قوله ﴿وَدَّعَكَ﴾ فإن الوداعَ إنما يكونُ بين الأحبابِ ومن تعزُّ مفارقتُه، وهو إنما يكونُ لمن يحبُّ ويرجىٰ عودهُ.

٦. فيها بيانُ كمالِ محبةِ اللهِ العظيمةِ لرسولهِ محمدٍ ﷺ واستمرارِها حيثُ لم يبغضه منذ أن أحبَّه، فإنَّ نفيَ الضدِّ دليلٌ علىٰ ثبوتِ ضده، والنفي المحضُ لا يكونُ مدحًا إلا إذا تضمنَ ثبوتَ كمال.

٧. فيها بيانُ كمالِ عبوديةِ النبيِّ ﷺ لربهِ الماضيةِ والحاضرةِ حيثُ أضافَه لربوبيتهِ، ولأنه ما كملت له هذه العنايةُ والمحبةُ إلا لما كملَ في عبوديتهِ لربه.

٨. فيها بشارةٌ عظيمةٌ لاتباعِ المصطفىٰ، بأن الله ما قلاكَ، ولا قلىٰ أحدًا من أصحابكِ، ولا أحدًا يحبكَ ويتبعُ هديك، لأنه أطلقَ الفعلَ هنا ولم يقيدُه بالضمير، وقد جاء في الصحيحين عَنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَىٰ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ: (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)[1].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الآداب، بَابُ: عَلَامَةِ حُبِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ح رقم (٦١٦٩)،

www.Quranonlinelibrary.com

٩. فيها دليلٌ علىٰ أن القرآنَ من عند الله، إذ لو كان من عند محمد ﷺ لما جاء ذكرُ امتناعِ الوحي عنه.

١٠. فيها بشارةٌ عظيمةٌ للنبيِّ ﷺ حيث بشرَه ربُّه بأن كلَّ حالةٍ متأخرةٍ من أحوالهِ خيرٌ من الحالةِ السابقة، وأن عاقبتَه أحسنُ من بدايته، فلم يزل ﷺ يصعدُ في درج المعالي، ويمكنُ اللهُ له دينَه، وينصرُه علىٰ أعدائهِ، ويسددُ له أحوالَه حتىٰ مات، وقد وصلَ إلىٰ حالٍ لا يصلُ إليها الأولون والآخرون من الفضائلِ والنعم، وقرةِ العينِ، وسرورِ القلب.

١١. تفيدُ أن معيةَ الله تعالىٰ لنبيه ﷺ لم تنقطع ولن تنقطع.

١٢. فيها تشويق لنبيه ﷺ بما ينتظره في الآخرة من النعم العظام التي تليق بسيد الأنبياء والمرسلين الكرام.

١٣. تفيدُ أن السعيدَ من كانت آخر أحواله خير له من أولها.

١٤. فيها إخبارٌ بالغيب، وتحققُه في حياةِ الرسولِ ﷺ هو دليلٌ علىٰ صدقِ ما أخبرَ اللهُ به في كتابه.

١٥. فيها بيانٌ لما أعدَّه اللهُ لرسولهِ ﷺ في الآخرةِ من الملكِ الكبير، والنعيمِ العظيمِ المقيم من: المقامِ المحمود، والحوضِ المورود، والوسيلةِ تلك المنزلةُ الرفيعةُ التي لا تنبغي إلا لعبدٍ واحدٍ من عباده، وهو أولىٰ الناسِ بها، وما خصَّه بالشفاعةِ الكبرىٰ وغيرها من الشفاعةِ والنعمِ العظيمة فهي أعظمُ مما أعطاه ربُّه في الدنيا من الكراماتِ والمكرماتِ التي نالها.

ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، بَابُ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، ح رقم (٢٦٤٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

١٦. تدلُّ علىٰ سعة ما أكرمَ اللهُ تعالىٰ به نبيَه في الدنيا، وعلىٰ رأس ذلك ما أكرمَه به من النبوة، ولكن ما يكونُ له في الآخرةِ فهو خيرٌ وأفضلُ مما أعطاه في الدنيا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، وذلك لدلالتهِ علىٰ اشتراكِ الأمرين في الوصف، وزيادةِ أحدِهما علىٰ الآخر، ومن خلالِ الدلالةِ عليه بفعلِ التفضيل.

١٧. فيها بيانُ هوانِ الدنيا عندَ اللهِ، وأنها لا تخلو من كدرٍ ومنغصات، ولهذا أدخرَ الآخرةَ لأوليائه، فإن نعيمَ الدنيا قليلٌ وفانٍ، ونعيمُ الآخرةِ عظيمٌ وباقٍ، الأولىٰ دارُ عملٍ وتكليفٍ وجهاد، والآخرة دارُ جزاءٍ وثوابٍ وإكرام، والأولىٰ مشوبةٌ بالأكدارِ منغصةٌ بالعوارضِ البشريةِ، وهي كأحلامِ نائمٍ أو كظلٍ زائلٍ، ولهذا فهي ليست بالنسبةِ إلىٰ الاخرة شيئا، فهي لا شك أفضلُ من الأولىٰ.

١٨. فيها ما يزهدُ في الدنيا وما يرغبُ في الآخرة، لأن العاقلَ يقصدُ الدارَ التي هي خيرٌ وأبقىٰ، وجاء ذكرُ الأولىٰ بعدَ ذكرِ الآخرة.

١٩. تفيدُ أن النبيَّ ﷺ لما علمَ حقيقةَ الدنيا، وسمعَ مثلَ هذه المعاني العظيمةِ كان أزهدَ الناسِ فيها.

٢٠. فيها بيانٌ لبلاغةِ القرآن في بيانِ سعةِ العطاء، لأن حذفَ المفعولِ الثاني: لـ﴿يُعۡطِيكَ﴾ ليعمَّ كلَّ ما يرجوه ﷺ من خيرٍ لنفسهِ ولأمتهِ فكان مفادُ هذه الجملةِ تعميمَ العطاء، كما أفادت الجملةُ قبلَها تعميمَ الأزمنة.

٢١. فيها بيانُ عظمةِ فضلِ اللهِ علىٰ نبيهِ حيثُ أعطاه من الكرامةِ ما يرضيه، وهذا أمرٌ لا يمكن التعبير عنه بغيرِ هذه العبارةِ الجامعةِ الشاملة، فهذه

الآيةُ جامعةٌ لوجوهِ الكرامةِ وأنواعِ السعادة وشتاتِ الإنعام في الدارين، حيث أجملهُ ووكلهُ إلىٰ رضاهُ وهذا غاية الإحسان والإكرام.

٢٢. تفيدُ أن الرضا غايةُ كلِّ عطاءٍ عظيم، وليس بعد الرضا مطلب، وهذا يعم ما يعطيه من القرآنِ والهدىٰ والنصرِ وكثرةِ الاتباع ورفعِ ذكره وإعلاءِ كلمته وما يعطيه بعد مماتهِ وما يعطيه في موقفِ القيامة وما يعطيه في الجنة.

٢٣. تشير إلىٰ أن عطاءَ النبيِّ ﷺ فوقَ كلِّ عطاء، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٧ - ٨٨]، ولفظُ العطاءِ يدلُّ علىٰ الكثرة، فكيف إذا كان من ربٍّ كريمٍ لخير عبادهِ.

٢٤. تفيدُ أن تعريفَ اللهِ تعالىٰ لقدرِ نبيه، وما أكرمَه به من العنايةِ والمحبةِ وما خصَه به من الفضلِ والنعمةِ حتىٰ يعرفَ العبادُ حقه ويقوموا بما يجبُ تجاهه.

٢٥. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ يدافعُ عن أوليائهِ فقالوا: ودعه، فقال: ما ودعك.

٢٦. تفيدُ اعتبار ارضائه عليه السلام، فربه تبارك وتعالىٰ جعل حدَّ إعطائه له رضاه؛ فدلَّ أنه من باب أولىٰ وجوب إرضائه ﷺ في أتباعه.

www.Quranonlinelibrary.com

الموضوعُ الثاني

بيانُ بعضِ مننه عز وجلَّ على رسولهِ ﷺ في حياتهِ السابقة

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾

الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

٢٧. تفيدُ تحققَ ما وعدَ اللهُ به رسولَه؛ لأنه وعدٌ جارٍ علىٰ سننِ ما سبقَ من عنايةِ الله به من مبدأ نشأتهِ باطرادٍ في سائرِ أطوارِ حياتهِ فلا يحتملُ أن يكون ذلك من قبيلِ الصدفِ؛ لأن شأنَ الصدفِ أن لا تتكررَ.

٢٨. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ يعدد نعمَه علىٰ عبدِه حتىٰ تطيبَ نفسُه ويقوىٰ رجاؤه فيقيسُ ما يستقبلُ علىٰ ما مضىٰ من عمرِه فيستشهدُ بالحاضرِ الموجود علىٰ المترقبِ الموعود فيطمئنُّ قلبهُ وينشرحُ صدره.

٢٩. فيها بيانٌ لعنايتهِ جلَّ وعلا برسولهِ الكريم في وقتٍ أحوجَ ما كان لعنايتهِ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ أي: وجدك لا أمَّ لك، ولا أب، بل قد مات أبوُه وأمُه وهو لا يستطيعُ تدبيرَ نفسهِ، فآواه الله، وكفلَه جدُّه عبدُ المطلب، ثم لما مات جده كفلَه عمه أبو طالب، حتىٰ أيدَه الله بنصرِه وبالمؤمنين، ولقد تعهدَه اللهُ سبحانه من صغرِه فصانه عن دنسِ الشرك، وطهَّره وشقَ صدره

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ونقاه، وكان رغمَ يتمهِ سيدَ شبابِ قريش، حيث قال عمه عند خطبته خديجة لزواجه بها فقال: (فتىٰ لا يعادله فتىً من قريش، حلمًا وعقلًا وخلقًا، إلا رجح عليه)(١).

٣٠. تفيدُ أن اليتمَ ليس عيبًا ولا نقصًا في حياةِ الإنسان؛ بل هو مدرسةٌ تصنعُ فيها الرجالُ والقادةُ، قيل: لجعفرِ الصادق لِمَ نشأ النبيُّ ﷺ يتيما فقال: «لئلا يكونَ عليه حقٌّ لمخلوق»(٢).

٣١. تفيدُ أن اليتيمَ حقيقةً هو من تخلىٰ عنه ربُّه ولم يحظ بعنايتِهِ وكفالته، أما من تولاه الله تعالىٰ فهو العزيز الكريم وإن سمي يتيمًا.

٣٢. تفيدُ أن النبيَّ ﷺ كان ضالًا عن معرفةِ الشريعة فهداه اللهُ إليها، وأكرمَه بنزولها عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ:٥٢]، ومعناه: أنه لم يكن يعرفُ تفصيلَ الشريعةِ وفروعها حتىٰ بعثَه الله، ولكنه ما كفرَ باللهِ ولا أشركَ به لأنه كان معصومًا من ذلك قبلَ النبوةِ وبعدها.

٣٣. فيها بيانُ فضلِ اللهِ علىٰ رسولهِ بالنبوةِ والهدىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف:٣]، فقد كان ﷺ يعيشُ في مكةَ كأحدِ

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ٥٥٧).

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٥/ ٤٩٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (٢/ ٤٩٠).

رجالاتها لا يعرفُ علمًا ولا شرعًا حتىٰ مَنَّ الله عليه بذلك، قال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: ١٦].

٣٤. فيها بيانُ منتهِ جل وعلا علىٰ رسولهِ بالغنىٰ بعدَ الحاجةِ، فقد مات والدُه ولم يخلفْ أكثرَ من جاريةٍ هي: بركة أم أيمن، وبضعةَ جمال، فأغناه اللهُ بغنىٰ القناعة فلم يمدْ يدَه لأحدٍ قط، وكان يقولُ: (لَيْسَ الْغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْسِ)(١).

٣٥. فيها تثبيتٌ عظيمٌ للنبيِّ ﷺ، فإن الذي أزالَ عنك هذه النقائصَ في وقت غفلتِك، سيزيلُ عنك كلَّ نقص، والذي أوصلك إلىٰ الغنىٰ، وآواك ونصرك وهداك لم يزل يرعاك.

٣٦. فيها مشروعيةُ التذكيرِ بالنعم حملًا للعبدِ علىٰ الشكرِ، ولذا قال تعالىٰ: ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٩].

٣٧. تفيدُ أن الإيواءَ والهدىٰ والغنىٰ من اللهِ لإسنادِها هنا لله تعالىٰ، بل كلُّ نعمةٍ منه جل وعلا، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

٣٨. فيها إشارةٌ للمراحلِ الثلاثةِ التي يمر بها الإنسان، كلُّ مرحلةٍ لها حاجاتُها الخاصة، ففي صغرِه يحتاجُ إلىٰ من يؤويه، وفي صباه يحتاجُ إلىٰ من يرشدُه ويعلمُه ويهديه، وفي كبرِه يحتاجُ للمال الذي يغنيه من سؤال الناس.

٣٩. تفيدُ أن من كمالِ الأدبِ ألا ينسبَ إلىٰ اللهِ فعلَ المكروهِ، لأنه بحكمته

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، بَابُ: الغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْسِ، ح رقم (٦٤٤٦)، ومسلم في كتاب: الزكاة، بَابُ: لَيْسَ الْغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، ح رقم (١٠٥١).

www.Quranonlinelibrary.com

جعله يتيمًا أو فقيرًا، أما النعمُ فتنسبُ إليه كما في قوله: فآوىٰ، فهدىٰ، فأغنىٰ.

٤٠. تفيدُ أن الإيواءَ والهدايةَ والإغناءَ ليست خاصةً بالنبيِّ ﷺ، بل هي له ولغيرِه؛ ولذا لم يقل: فآواك، فهداك، فأغناك، بل أطلقَه، لأنه آواه وآوىٰ به، وهداه وهدىٰ به، وأغناه وأغنىٰ به.

٤١. فيها بيانُ كمالِ منةِ اللهِ علىٰ سائرِ خلقهِ من الأنبياءِ والرسلِ والملائكةِ وغيرهم.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الموضوعُ الثالث

تكليفُه ﷺ ببعضِ الوصايا العظيمة

قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ: ٩ – ١١].

٤٢. تفيدُ أن كلَّ نعمةٍ لها موجباتٌ من الشكرِ، فقد جُعلَ الشكرُ هنا مناسبًا للنعمةِ المشكورِ عليها، فقوبلت النعمُ الثلاثُ المتفرعُ عليها هذا التفصيلَ بثلاثةِ أعمالٍ تقابلُها، فكما آواكَ ربُّك وحفظَك من عوارضِ النقصِ المعتادِ لليُتمِ فكن أنت مُكرمًا للأيتامِ رفيقًا بهم، وكما أغناكَ اللهُ فالتزمْ أمرَه بإعطاءِ السائل، وكما علمَك اللهُ بعد الضلالِ فعلم السائلَ المسترشد، وهذا من شكرِ النعمة.

٤٣. تفيدُ النهي عن ظلمِ اليتيمِ وأخذِ حقه والتقوِّي عليه. ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي: لا تسيء معاملةَ اليتيم، ولا يضقْ صدرُك عليه، ولا تنهره.

٤٤. فيها الأمرُ بإكرامِ اليتيم، وإعطائهِ ما تيسر، أو ردِّه برفقٍ ولينٍ مع الدعاءِ له، واصنعْ به كما تحبُّ أن يصنعَ بولدِك من بعدِك، فكن له كالأبِ الرحيم.

٤٥. تفيدُ أنه إذا نهىٰ عن قهرِ اليتيم مع كثرةِ الأسبابِ لقهره؛ لأن القهرَ قد يصدرُ من جراءِ القلق من مطالبِ حاجاته، فمن باب أولىٰ النهيُ عن قهرِ غيرِه.

www.Quranonlinelibrary.com

٤٦. فيها النهيُ عن زجرِ السائلِ وردِّه بشراسة، بل أعطِه ما تيسرَ عندك أو رُدَّه بمعروفٍ وإحسان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]، وهذا يدخلُ فيه السائلُ للمالِ، والسائلُ للعلم، والسائلُ عن الطريقِ أو غيرِ ذلك، فالتعريفُ في ﴿ٱلسَّآئِلَ﴾ تعريفُ الجنس فيعمُ كلَّ سائل.

٤٧. فيها بيانُ أهميةِ الاعتناءِ بسائلِ المال والسعي لقضاءِ حاجتِهِ وهذا فعلُ الكبارِ من الناس، قال إبراهيمُ بن أدهم: «نِعم القومُ السُؤَّالُ يحملون زادَنا إلىٰ الآخرة»[1].

٤٨. فيها النهيُّ عن ردِّ سائلِ العلم وعدمِ إكرامه، ولهذا كان المعلمُ مأمورًا بحسنِ الخلقِ مع المتعلم، ومباشرتهِ بالإكرام، والتحننِ عليه، فإن في ذلك معونةً له علىٰ مقصدِه، وإكرامًا لمن كان يسعىٰ في نفعِ العباد والبلاد، وقد حثَّ ﷺ علىٰ إكرامِ طالبِ العلم، وبين أن الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها له رضىً بما يصنع.

٤٩. فيها بيانُ رقي الإسلامِ من خلالِ عنايتِهِ بمشاعرِ الضعفاء حيث نهي نبيه الكريم عن نهر السائل مع أنه كان يتعاملُ مع أحوالٍ مختلفةٍ للسائلين، فمنهم أهلُ الكتابِ الممارون، ومنهم الأعرابُ الجفاة، ومنهم من كان يُسألُ عما لا يسالُ عنه الأنبياء، مع ذلك أمرَ بالرفقِ وعدمِ النهر.

٥٠. فيها دليلٌ علىٰ حرمةِ اليتيمِ والسائل، وإيجابِ حقِهما، وتركِ الاستهانة بهما، ولكن الناسَ اليومَ إلا من رحمَ اللهُ أهملوا أمرَهما وضيعوا حقوقَهما.

---

(١) معالم التنزيل، البغوي (٥/ ٢٧٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٥١. فيها إشارةٌ إلىٰ أن جبرَ الخواطرِ وملاطفةِ الخلق من أعظمِ المقاصدِ في تمام الدين.

٥٢. فيها أمرُه سبحانه للرسولِ ﷺ بالتحدثِ بنعمِ الله عليه، وإظهارِها للناسِ، والظاهرُ: النعمةُ علىٰ العمومِ من غيرِ تخصيصٍ بفردٍ من أفرادِها أو نوعٍ من أنواعِها لأن النعمةَ هنا عامةٌ لتنكيرِها وإضافتها.

٥٣. تفيدُ الحثَّ علىٰ التحدثِ بنعم الله وإظهارِها، وإظهارِ آثارها، لأن هذه الوصايا لرسولِ الله ﷺ هي له ولأمتهِ لأنه أسوتُهم، قال القرطبيُّ: الخطابُ للنبيِّ ﷺ والحكمُ عامٌ له ولغيرِه، وقد جاءَ في الحديث: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُرَىٰ أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ)(١).

٥٤. فيها الأمرُ بذكرِ النعمةِ، والثناءِ علىٰ اللهِ بها، وخصُّها بالذكرِ إن كان هناك مصلحة، فإن التحدثَ بنعمةِ اللهِ شكر، ولذلك كان بعضُ السلفِ يقول: لقد أعطاني اللهُ كذا، ولقد صلَّيتُ البارحة كذا، وهذا إنما يجوز إذا ذكرَه علىٰ وجهِ الشكر، أو ليُقتدىٰ به، فأمّا علىٰ وجهِ الفخر والرياء فلا يجوز. وقد جاء عن الحسنِ بن علي رضي الله عنهما أنه قال: «إذا أصبتَ خيرًا، أو عملتَ خيرًا فحدث به الثقةَ من إخوانك»(٢). قال الفخر الرازي رحمه الله: «إلا أن هذا إنما يحسنُ إذا لم يتضمن رياءً وظن أن غيرَه يقتدي به»(٣).

٥٥. تفيدُ الحثَّ علىٰ التحدثِ بكلِ نعمة، فليس المرادُ بنعمةِ ربك

---

(١) أخرجه الترمذي ح رقم (٢٨١٩)، وقال: حديث حسن، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في سنن الترمذي (٥/ ١٢٣).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، محققا (١٠/ ٣٤٤٤)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٥٤٥).

(٣) مفاتيح الغيب (٣١/ ٢٠٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

نعمةً خاصة، وإنما أريدَ الجنسُ فيفيدُ عمومًا في المقام الخطابي، أي حدث ما أنعمَ اللهُ به عليك من النعم، فحصلَ في ذلك الأمرُ بشكرِ نِعمة الإغناء، وحصلَ الأمرُ بشكرِ جميعِ النعم لتكون الجملة تذييلًا جامعًا.

٥٦. تفيدُ الحثَّ علىٰ تذكيرِ الناسِ بنعمِ اللهِ الدينية والدنيوية، فإن التحدثَ بنعمةِ اللهِ داعٍ لشكرِها، وموجبٌ لتحبيبِ القلوبِ إلىٰ من أنعمَ بها، فإن القلوبَ مجبولةٌ علىٰ محبةِ المحسن.

٥٧. تفيدُ أن النعمَ تقابلُ بالشكرِ، وشكرُها يكونُ بصرفها في مرضاةِ المنعم عز وجل.

٥٨. تفيدُ أنه لما كان عادةُ الكرماءِ يظهرون بالبذلِ بما آتاهم اللهُ من فضله ويجهرون بالحمدِ لما أفاضَ عليهم من رزقهِ، وعادةُ البخلاءِ أن يكتموا مالَهم، لتقومَ لهم الحجةُ في قبضِ أيديهم عن البذل، جاء الأمرُ هنا بالتحدثِ بالنعمةِ كنايةً عن البذلِ وإطعام الفقراء وإعانة المحتاجين، وليس القصدُ مجردَ ذكرِ الثروة، فإن هذا من الفخفخةِ التي يتنزه عنها النبيُّ ﷺ، ولم يعرف عنه في امتثالِ هذا الأمرِ أنه كان يذكرُ ما عنده من نقودٍ وعروض، ولكن الذي عُرِفَ منه أنه كان ينفقُ ما عنده ويبيت طاويًا.

٥٩. تفيدُ الحثَّ علىٰ تعليمِ القرآن والسنة وهي أعظمُ نعمةٍ أمرَ النبيَّ ﷺ أن يحدث عنها.

ثالثًا: التناسقُ الموضوعي بين السورة:

لما حكمَ في آخرِ الليلِ بإسعادِ الأتقياء، وكان النبيُّ ﷺ أتقىٰ الخلقِ مطلقًا، أقسمَ سبحانه وتعالىٰ هنا بالضحىٰ والليل إذا سجىٰ علىٰ أنه أسعدُ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الخلائقِ دنيا وآخرة، فقال مقدمًا ما يناسبُ حالَ الأتقىٰ من النورِ الذي يملأُ الأقطار، ويمحو كلَّ ظلام: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، ولما ذكرَ النهارَ بأشرفِ ما فيه، أتبعَه بالليلِ مقيدًا له بما يُشيرُ إلىٰ إخلاصهِ وعبوديته فيه حين يسكنُ كلُّ شيءٍ فيه فيقومُ الأتقياءُ لربهم، فقال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، ولما أقسمَ بهذا القسمِ المناسب لحالهِ ﷺ أجابَه بقولهِ تعالىٰ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾، ولما كان ربَّما تعنت متعنت فقال: ما تركَه ولكنه لا يحبُّه، فكم من مواصلٍ وليس بواصل، قال نافيًا لكلِّ ذلك: ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾، ولما ذكرَ حالَه الماضي، وما له في الدنيا بأنه لا يزالُ يواصلُه بالوحي والكرامةِ صرَّحَ بحالِ الآتي وما له في الآخرةِ، فقال: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾، ولما ذكرَ سبحانه أن الآخرةَ خيرٌ من الأولىٰ بينَ بعدَه عظمَ ذلك التفاوتِ، وأنه ينتهي إلىٰ غايةٍ لا توصف إلا في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾، ولما وعدَه بأنه لا يزالُ في كلِّ لحظةٍ يرقيهِ في مراقي العلا والشرف ذكرَه بما رقاه به قبلَ ذلك من حينِ توفي أبوه بما يؤكدُ كمالَ عنايتهِ، فقال مقررًا له: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾، ولما كان الإنسان في حال صباه يحتاج إلىٰ علم ينقذه من الضلال، قال: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾. ولما كان الإنسان يحتاج بعد ذلك لقوم حياته إلىٰ مال، قال تعالىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾، ولما ذكَّره بما أنعمَ عليه به من هذه النعمِ الثلاث أوصاه بما يفعلُ في ثلاثٍ مقابلةٍ لها، فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾، ولما بدأ بما كان بدايةٍ له ثنىٰ بما هو نهايةٌ له من حيثُ كونه يصيرُ رأسَ الخلقِ ومحطَّ الرجالِ في كلِّ سؤالٍ من علمٍ ومال، فقال: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾، ولما ذكرَ له تفصيلَ ما يفعلُ في اليتيمِ والفقيرِ والجاهل، أمرَه بما يفعلُ في جميعِ ما أنعم اللهُ عليه فقال: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾.

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورة وخاتمتها:

فاتحتُها في بيانِ ما خصّه به من نعمٍ عظيمة، وخاتمتُها في أمرِه بالتحدثِ بها.

خامسًا: خصائصُ السورةِ في عرضِ هداياتها:

١. البدءُ بالقسمِ بالضحىٰ والليلِ إذا سجىٰ، فقال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.

٢. بيانُ كمالِ رعايتِهِ وكفالتِهِ ومحبتِهِ له، واستمرارِ عطائهِ له فقال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾.

٣. بيانُ ما حفَّه به من ألطافهِ وعنايته في صباه، وفي فتوتهِ، وفي وقت كهولته، فقال: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾.

٤. أمرَه بالشكرِ علىٰ تلك النعمِ بما يناسبُها من نفعٍ لعبيده وثناءٍ علىٰ اللهِ بما هو أهله ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾.

٥. الأمرُ بالتحدثِ بنعمِ اللهِ عليه ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. وجوبُ معرفةِ قدرِ النبيِّ ﷺ ومكانتهِ وتوقيرِه ونصرتهِ وتعزيره، قال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٢. وجوبُ محبةِ النبيِّ ﷺ الذي أحبَّه الله، وجعلَ حبَّه تعالىٰ متمثلًا في اتباعه، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ٣١].

٣. الزهدُ في الدنيا والسعيُ لنيلِ نعيمِ الآخرةِ الذي قال اللهُ تعالىٰ عنها: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦].

٤. اليقينُ علىٰ أن المؤوي والهادي والمغني هو اللهُ تعالىٰ، فيجبُ طلبُ ذلك منه جل وعلا.

٥. العملُ علىٰ إكرامِ اليتيمِ والإحسانِ إليه وتجنبِ ما فيه قهرٌ وإذلالٌ له.

٦. العملُ علىٰ الاعتناءِ بكلِّ سائلٍ للمالِ أو العلمِ أو غيرِهما، ولا يردُّ بغلظةٍ وجفاء.

٧. شكرُ اللهِ علىٰ كلِّ نعمةٍ والتحدثِ بها ثناءً علىٰ اللهِ تعالىٰ، ومحبةً لمن تفضلَ بها.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة الضحى ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ١٥ صفر من عام ١٤٣٧هـ

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

ســورة الشرح

موضوع السورة:

عنايةِ الله تعالى بالرسولِ ﷺ
مع بيان ما يلزم ذلك من الشكر

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

مدخل لدراسة السورة

أولًا: موضوعُ السورةِ:

بيانُ عنايةِ اللهِ - تعالىٰ - بالرسولِ ﷺ بتقريرِه ببعضِ الهباتِ الربانيةِ له، وتبشيرِه باليسرِ في مستقبلِ أيامه، بإزالة العقبات أمامَ دعوته، مع بيانِ ما يلزمُ ذلك من موجباتِ الشكر، بحثه ﷺ علىٰ النَّصَبِ في عبادةِ اللهِ والرغبةِ فيما عنده.

ثانيًا: المناسبةُ بين سورةِ الضحى والشرح:

المناسبةُ بين السورتين بينة، وهما في تعدادِ نعمهِ سبحانه وتعالىٰ علىٰ رسوله ﷺ، وما يجبُ علىٰ ذلك من موجباتِ الشكرِ من: التحدثِ بنعمه، والاجتهادِ في عبادته، والرغبةِ في فضلهِ، وجاء الأسلوبُ فيهما واحد، وهو أسلوبُ التقرير.

www.Quranonlinelibrary.com

موضوع السورة

بيانُ عنايةِ اللهِ تعالى بالرسولِ ﷺ

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ① وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ② ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ③ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ⑥ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ⑦ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ١ – ٨].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ألم: استفهامٌ للتقرير، أي: إن اللهَ تعالىٰ يقررُ رسولَه بنعمهِ عليه.

٢. نَشْرَحْ: الشرحُ البسطُ والتوسعةُ التي تؤدي إلىٰ انبساطِ النفسِ، وانشراحِ صدرِه كان بالنبوةِ، وبشقهِ وتطهيرِه وملئهِ إيمانًا وحكمةَ وغيرِها.

٣. وَوَضَعْنَا: حططنا.

٤. وِزْرَكَ: أي: ذنبُك، وقيل الوزر: الحملُ الثقيل، كما قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]، أي: أثقالُها من سلاحٍ ونحوه.

٥. أَنقَضَ ظَهْرَكَ: أي: أثقلَك حملُه، والظهرُ إذا أثقلَه الحملُ سُمِعَ له نقيض، أي صوتٌ خفي، وهو: صوتُ عظامِ المفاصل، وفرقعةُ الأصابع.

٦. وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ: أي أعليناه.

٧. ٱلْعُسْرِ: الشدةُ والمشقةُ في تحصيلِ المرغوب والعملِ المقصود.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٨. يُسۡرًا: سهولةُ تحصيلِ المرغوبِ وعدمِ التعب فيه.

٩.فَرَغۡتَ: الفراغُ: خلو باطنِ الظرفِ أو الإناء؛ لأنَّ شأنَه أن يظرفَ فيه، فرغُه يفيدُ أنه كان مملوءًا بشيء.

١٠. فَٱنصَبۡ: من النَّصب بمعنىٰ: التعب.

١١.فَٱرۡغَب: الرغبة: طلبُ حصولِ ما هو محبوب.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. فيها بيانُ فضلِ اللهِ علىٰ رسولهِ ﷺ حيثُ شرحَ صدرَه للحقِّ وشرائعِ الدين، والإقبالِ علىٰ الآخرة، والتخلقِ بمكارمِ الأخلاقِ فيما سيلقاه من قومهِ من سيء القولِ وباطلِ الكلامِ الذي يضيقُ به الإنسان، فكان هديُه العفوَ من أعدائهِ، ومقابلتَهُ الإساءِة بالإحسانِ حتىٰ إنه ليسعُ العدوَ كما يسعُ الصديق.

٢. تفيدُ أن شرح صدره عليه السلام كان تمهيدًا لأعباء النبوة؛ وذلك لأن الصدر إذا ضاق لم يصلح لدعوة الخلق وتحمل مشاق الدعوة؛ لأن السالك طريق الدعوة سيجد من الناس ما يضيق به صدره كما قال تعالىٰ: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴾ [هود: ١٢].

٣. فيها إشارةٌ لما حدثَ للنبيِّ ﷺ من شقِ جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لصدرِه في صغرِه، أو في وقتِ الإسراءِ حين أخرجَ قلبَه وغسلَه، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا؛ لأن ذلك الشق كان بهدفِ شرحه صدره، كما في الصحيحين من حديثِ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وَذَكَرَ يَعْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَىٰ مَرَاقِّ الْبَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا»(١).

٤. تفيدُ أن شرحَ الصدرِ لتقبلِ الهدىٰ علمًا وعملًا واتساعَه لتحَمُلِ الأذىٰ في سبيلِ اللهِ من النعمِ العظيمةِ التي يمنُ اللهُ بها علىٰ عبادِه، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام:١٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٢٢].

٥. تفيدُ أن ضيقَ الصدرِ وعدمَ تقبلِهِ للحقِّ دليلٌ علىٰ الضلالِ، وسوءِ العاقبة.

٦. فيها توجيهٌ لكلِّ داعيةٍ إلىٰ اللهِ أن يكونَ واسعَ الصدرِ، منشرحَ النفسِ، هادئَ الطبعِ، متجملًا بالصبرِ في دعوته، ولهذا موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عند ما كلفَ بالدعوةِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٧ – ٢٨].

٧. فيها بيانُ مكانةِ ومنزلةِ الصدرِ الذي فيه القلب، لأنه محلُّ أحوالِ النفس من العلومِ والإدراكات، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ﴾ [آل عمران:٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدأ الخلق، بَابُ: ذِكْرِ المَلَائِكَةِ، ح رقم (٣٢٠٧)، ومسلم في كتاب: الإيمان، بَابُ: الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ ح رقم (١٦٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٨. فيها بيانٌ لفضلِ اللهِ علىٰ رسولهِ محمدﷺ حيث وضعَ عنه ما كان يثقلُ قلبَه من هموم، وغفرَ له ذنبه، كما قال تعالىٰ: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢]، وقد جاء لفظُ الوزرِ هنا مطلقًا ولم يبين ما هو وما نوعُه، فاختلفُ فيه اختلافًا كثيرًا، والأولىٰ في ذلك أن نقولَ بما قال به القرآن الكريم، وعصمتُه ﷺ من الكبائرِ يجبُ القطعُ بها، لنصِ القرآنِ الكريم في وجوبِ التأسي به كما قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب:٢١].

٩. فيها حجةٌ علىٰ من يجوزُ صغائرَ الذنوبِ علىٰ الأنبياء عليهم السلام.

١٠. تفيدُ أن النبيَّ ﷺ وإن لم تكن له سيئاتٌ ظاهرة، لكنه لصفاءِ قلبهِ ومعرفتهِ بما يجبُ لربهِ من كمالِ العبوديةِ كان يشعرُ بالتقصيرِ، ويعتبرُه ذنبًا يستثقلُه ويستغفرُ منه، كما كان إذا خرجَ من الخلاءِ قال: « غفرانك »، مع أنه ليس من موجبٍ للاستغفار، إلا ما قيلَ شعورُه بتركِ الذكرِ في تلك الحالة استوجبَ منه ذلك(١).

١١. تفيدُ أنه علىٰ قدرِ صفاءِ القلبِ ينظرُ لثقلِ المعاصي، فقد وصفت ذنوبُه بالحملِ الثقيلِ مع أنها صغائرُ أو شعورٌ بالتقصير؛ وذلك لعلو همتهِ في عبوديته، وكمالِ خوفهِ من ربه.

١٢. فيها أن للذنبِ ثقلًا علىٰ المؤمنِ ينوء به لا يخففُه إلا التوبةُ وحطُه عنه.

١٣. تفيدُ أن مغفرةَ الذنوبِ والتجاوزِ عن الأخطاءِ والعيوبِ من النعمِ

(١) انظر: أضواء البيان (٨ / ٥٧٧).

www.Quranonlinelibrary.com

العظيمة التي يمنُ اللهُ بها علىٰ من يشاء من عبادِه.

١٤ . تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ أعلىٰ ذكرَ نبيهِ ﷺ حسيًا ومعنويًا، فجعلَ له الثناءَ الحسنَ العالي الذي لم يصل إليه أحدٌ من الخلق، فلا يذكرُ إلا بصفاتِ الكمال، ولا يذكرُ اللهُ تعالىٰ إلا ذكرَ معه رسولَه ﷺ، كما في الدخولِ في الإسلام، وفي الأذانِ، والإقامةِ، والخطبِ، وأمرَ بالصلاةِ عليه، وأمرَ بطاعتهِ، وغيرُ ذلك حتىٰ ملأ ذكرُه السمواتِ والأرضين، كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أَغَــرُّ، عَلَيْــهِ لِلنُّبُــوَّةِ خَاتَــمٌ ... مِـنَ اللهِ مَشْـهُودٌ يَلُـوحُ وَيُشْـهَدُ

وضمَّ الإلهُ اسمَ النبيّ إلىٰ اسمهِ ... إذا قَالَ في الخَمْسِ المُؤَذِّنُ أَشْهَدُ

وشــقّ لــهُ مــنِ اســمهِ ليجلــهُ ... فذو العرشِ محمودٌ، وهذا محمدُ[1].

١٥ . تفيدُ أن الثناءَ الحسن من اللهِ تعالىٰ يمن به علىٰ من يشاءُ من عبادهِ، وهو من النعمِ التي تستوجبُ الشكرَ وعدمَ الغرور.

١٦ . تفيدُ أن الذكرَ الحسن من الأمورِ التي ينبغي أن يحرصَ عليه الدعاة، وهو من الأمورِ المعينةِ علىٰ تقبلِ الدعوةِ والاجتماعِ حول الداعية، ولهذا دعا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

١٧ . تفيدُ أن تعديدَ النعمِ وتذكرَها فيه تسليةٌ وتأنيسٌ وتقويةٌ للقلوب.

١٨ . فيها بشارةٌ عظيمةٌ للنبيِّ ﷺ والمؤمنين أنه كلما وُجِدَ عسرٌ فإنَّ اليسرَ يقارنُه ويصاحبُه، حتىٰ لو دخلَ العسرُ جحرَ ضبٍ لدخلَ عليه اليسر فأخرجَه كما قال تعالىٰ: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، وكما قال

(١) ديوان حسان بن ثابت (ص: ٤٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

النبي ﷺ: (وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)(١)، فمع الفقرِ غنىٰ، ومع الضيقِ فرج، ومع الحزنِ سهولة، ومع الشدةِ رخاء.

١٩. تفيدُ قربَ اليسرِ من العسرِ حتىٰ كأنه يأتي معه، ولهذا ذكرَه بلفظِ ﴿مَعَ﴾ الذي يدلُ علىٰ المقاربة.

٢٠. فيها بيانٌ لسعةِ فضلهِ سبحانه علىٰ عبادهِ؛ لأن في «تعريفِ» العسر» في الآيتين دليل علىٰ أنه واحد، وتنكيرُ «اليسرِ» يدلُ علىٰ تكرارِه، فلن يغلبَ عسرٌ يسرين. قال المفسرون: ومعنىٰ قوله: «لن يغلبَ عسرٌ يسرين» أن اللهَ -تعالىٰ- كرر العُسرَ بلفظِ المعرفةِ واليُسْرَ بلفظِ النكرة، ومن عادةِ العربِ إذا ذكرت اسمًا معرفًا، ثم أعادتُه كان الثاني هو الأول، وإذا ذكرت نكرةً ثم أعادتُه مثله صارَ الثاني غيرُ الأول، وإذا أعادته معرفةً فالثاني هو الأول، كقولك: إذا كسبت درهمًا أنفقت، درهمًا، فالثاني غير الأول، وإذا قلت: إذا كسبتَ درهمًا فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول، فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف(٢)، فكان عسرًا واحدًا، واليسر مكرر بلفظ التنكير، فكانا يسرين، فكأنه قال: فإن مع العسرِ يسرا، إن مع ذلك العسر يسرا آخر. وفي تعريفهِ بالألفِ واللامِ الدالةِ علىٰ الاستغراقِ والعموم يدلُ علىٰ أن كلَّ عسرٍ -وإن بلغَ من الصعوبةِ ما بلغ- فإنه في آخرِه التيسيرُ ملازمٌ له.

٢١. فيها بشارةٌ للمؤمنِ ليطمئنَ قلبه ولا يضيقُ صدرُه من عسرٍ يلحقه

(١) أخرجه أحمد ح رقم (٢٨٠٣)، والترمذي ح رقم ٢٥١٦، والطبراني في المعجم الكبير ح رقم (١١٢٤٣)، والحاكم ح رقم (٦٣٠٤)، والبيهقي في شعب الإيمان ح رقم ١٠٤٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) معالم التنزيل، البغوي (٨/ ٤٦٥).

فإن مع كلِّ عسر يسرين.

٢٢. تفيدُ الحثَّ للنبيِّ ﷺ والأمةِ تبعًا له أنه كلَّ ما فرغَ من عبادةٍ أن يجتهدَ في عبادةٍ أخرىٰ، قال مجاهدُ وقتادةُ والضحاك والكلبي ومقاتل: إذا فرغت من الصلاةِ فانصبْ للدعاءِ وارغبْ إلىٰ اللهِ في المسألة، وقال: ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا فرغت من الفرائضِ فانصبْ لقيامِ الليل»(١)، وعن بعضِهم: «إذا فرغت من تبليغِ الرسالة فانصب لجهادِ الكفار، ولا تكن ممن إذا فرغُوا وتفرغُوا لعبوا وأعرضوا عن ربّهم وعن ذكرِه، فتكون من الخاسرين»(٢).

٢٣. تفيدُ الحثَّ علىٰ الاستمراريةِ في العملِ والعطاءِ بجدٍ متصل، فهي كذلك بمعنىٰ إذا فرغت من عملٍ ديني فانصب لعملٍ دنيوي، وإذا فرغت من عمل دنيوي فانصبْ لعمل ديني أخروي، فحياةُ المؤمنِ ليس فيها لهوٌ ولا باطلٌ ولا فراغٌ لا عملَ فيه أبدا، فهي دعوةٌ ليعمرَ أوقاته كلَّها بالأعمالِ الصالحة، لأن العلماءَ اختلفوا في تعيين المفروغ منه، وهو اختلافٌ في الأمثلة، لأن حذفَ المتعلقِ هنا لقصدِ العموم.

٢٤. تفيدُ الأمرَ من اللهِ لرسولهِ أصلا والمؤمنين تبعًا بشكرِه والقيامِ بواجبِ نعمه بأنه إذا تفرغَ من أشغالهِ، ولم يبق في قلبهِ ما يعوقُه، أن يجتهدَ في العبادةِ والدعاء.

٢٥. تفيدُ أن الشكرَ مفتاحُ اليسرِ؛ لأنه لما عددَ عليه نعمَه السالفة،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم - محققا (١٠/ ٣٤٤٦)، ومعالم التنزيل البغوي (٥/ ٢٧٦)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (١٥/ ٥٠٤).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، السمعاني (٦/ ٢٥٢)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٢٩).

ووعدَه بنعمٍ آتية حثَه علىٰ الشكرِ بالاجتهادِ في العبادة والنصبِ فيها، ولا يُخلِي وقتًا من أوقاته من الاجتهاد في العبودية.

٢٦. تفيدُ الحثَّ علىٰ الرغبةِ فيما عندَ اللهِ وحده دونَ غيرِه كائنا من كان، فلا يطلبُ حاجاتِه إلا منه، فقدمَ الجارَ والمجرور ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ علىٰ ﴿فَٱرۡغَب﴾ ليدلَّ علىٰ الحصرِ والاختصاص أي: فلا ترغب في غيرِه ولا تطلب سواه.

٢٧. تفيدُ الحثَّ علىٰ الرغبةِ فيما عند اللهِ في كلِّ صغيرٍ وكبير، لأنه حُذفَ مفعولُ (ارغب) ليعمَّ كلَّ ما يرغبُه النبيُّ ﷺ.

٢٨. تفيدُ الحثَّ علىٰ دعاءِ اللهِ والرغبةِ في إجابةِ الدعاءِ وقبولِ العباداتِ ونيلِ ثوابهِ وفضلهِ، لأن هذا من أعظمِ ما يرغبُ فيه الراغبون.

٢٩. تفيدُ أن من عرفَ فضلَ اللهِ عليه وعلىٰ الناسِ لا يرغبُ في ما عند غيرِه، كأنه يقول: الذي أنعم عليك بكلِّ ما تقدم، هو الذي ترغبُ فيما عنده لا سواه.

٣٠. تفيدُ أن تذكرَ نعمَ اللهِ وإحسانهِ علىٰ عبدِه مما يؤدي لشرحِ الصدرِ والاجتهادِ في عبادتهِ شكرًا لله.

٣١. تفيدُ أنه علىٰ قدرِ قيامِ العبدِ بحقِّ عبوديتهِ يشرحُ اللهُ صدره، ويضعُ عنه وزره، ويرفعُ ذكرَه، وييسرُ أمره، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرًا﴾ [الطلاق: ٤].

ثالثًا: التناسقُ الموضوعي في السورة:

لما أمرَه تعالىٰ في آخرِ الضحىٰ بالتحدثِ بنعمهِ التي عددَ عليه بعضَها،

www.Quranonlinelibrary.com

ذكرَه هنا كذلك ببعضِها الآخر فقال: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾، ولما كانت سعةُ الصدرِ بالعلمِ والحكمةِ هي الجمالُ باجتماعِ المحاسن، وكان الجمالُ بجمعِ المحاسن لا يكملُ إلا إذا جُمِعَ معه انتفاءُ الرذائل قال: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾، ولما شرفَه في نفسِهِ بالكمالِ الجامعِ للجلالِ إلىٰ الجمالِ، وكان ذلك يؤدي إلىٰ شرفِ الحالِ قال: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾، ولما ذكرَه بنعمِهِ السالفة، بشرَه بنعمِهِ الآتية فقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾، ولما كان العسرُ مكروهًا إلىٰ النفوسِ كررَه بما يؤكدُ عليه، فقال: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾، ولما بشرَه بنعمِهِ ذكرَه بموجباتِ الشكر فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾، ولما ذكرَه بعظيمِ نعمِهِ، ودلَه علىٰ موجباتِ الزيادة بشكرِه، حثَه لطلبِ المزيدِ من فضلِهِ بقولِه: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾، لأنه المختصُ بالعظمةِ الذي منه كلُّ نعمة.

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورة وخاتمتها:

فاتحةُ السورةِ كانت في التذكيرِ بعظيمِ نعمه عليه، وخاتمتُها كانت حثٌ له علىٰ طلبِ المزيد من فضلِهِ.

خامسًا: خصائصُ السورةِ في عرضِ هداياتها:

١. الحديثُ عن شرحِ صدرِ النبيِّ ﷺ ووضعِ وزره الذي أثقله، ورفعِ ذكره ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾.

٢. البشارةُ بأنَّ كلَّ عسرٍ سيتبعُه يسر، وكلَّ ضيقٍ سيأتي من بعدِه فرج ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣. أمرُه ﷺ بالمداومةِ علىٰ الأعمالِ الصالحة ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾.

٤. حثُه ﷺ علىٰ الرغبةِ فيما عند اللهِ وحده ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. إدراكُ عظيمِ منتهِ جل وعلا علىٰ سائرِ عباده.

٢. معرفةُ قدرهِ ﷺ الذي اصطنعَه ربُّه لرسالته.

٣. سؤالُ اللهِ تعالىٰ شرحَ الصدر ووضعَ الوزر ورفعَ الذكر.

٤. اليقينُ بأن كلَّ شدةٍ لفرج، وكلَّ عسرٍ ليسر، وكلَّ ضيقٍ لسعة.

٥. الاجتهادُ في عبادةِ الله دون توقفٍ.

٦. العطاءُ المستمرُ بين أعمالِ الدنيا والآخرة، وعدمُ تضيعِ الأعمارِ في اللهوِ والباطلِ، مع استثمار الأوقات فيما يفيد في الدنيا والآخرة.

٧. الرغبةُ في فضلِ الله وما ادخره لعباده من الطيباتِ والرزق الكريم.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة الشرح ولله الحمد

والمنة ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ٢٨ صفر من عام ١٤٣٧هـ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

ســورة التين

موضوع السورة:

بيانُ عنايةِ اللهِ تعالى بالإنسانِ
وما به يكون سفوله وعلوه

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مدخل لدراسة السورة

أولًا: ما جاء من أحاديث عن سورة التين:

جاء في الصحيحين واللفظُ لمسلمٍ عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ فِي الْعِشَاءِ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ(١).

ثانيًا: موضوعُ السورةِ:

بيانُ عنايةِ اللهِ تعالىٰ بالإنسانِ، من خلالِ: القسمِ بتلك الأماكنِ الثلاثةِ التي هي موضعٌ لأعظمِ رسالاته، وهي تدلُ علىٰ عنايتِهِ تعالىٰ بخلقِهِ، ومن خلالِ حسنِ خلقهِ للإنسانِ واستقامةِ فطرته، وبيانِ ما يكونُ به انحطاطُه وتسفيلُه إن انحرفَ عن تلك الفطرةِ وهدي أنبيائهِ، وما يكون به رفعتُه ونجاتُه، مع التأكيدِ علىٰ مسألةِ الحساب.

ثالثًا: المناسبةُ بين الأمور المقسمِ بها:

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال بعضُ الأئمةِ: هذه مَحَالٌّ ثلاثةٌ، بعثَ اللهُ في كلِّ واحدٍ منها نبيًا مرسلًا من أولي العزمِ، أصحابِ الشرائعِ الكبار، فالأولُ: محلُه التين والزيتون، وهي بيتُ المقدسِ التي بعثَ اللهُ فيها عيسىٰ بنِ مريم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، بَابُ: القِرَاءَةِ فِي العِشَاءِ ح رقم (٧٦٩)، ومسلم في كتاب: الصلاة، بَابُ: الْقِرَاءَةِ فِي الْعِشَاءِ، ح رقم (٤٦٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والثاني: طورُ سينين، الذي كلمَ اللهُ عليه موسىٰ بن عمران. والثالث: مكة، وهو البلدُ الأمين الذي من دخلَه كان آمنا، وهو الذي أرسلَ فيه محمدا ﷺ... فترقىٰ في هذا القسمِ من الفاضلِ إلىٰ الأفضلِ منه، ثم ختمِه بالأفضلِ منهما، موضعُ مظهرِ عبدِه ورسوله وأكرمِ الخلق عليه»[(١)].

رابعًا: المناسبةُ بين سورةِ الشرح والتين:

تحدثَ تعالىٰ في سورةِ الشرح عن عنايته بأكرم الخلق، وما كملَه به، وختمَها بالأمر بتخصيصهِ سبحانه وتعالىٰ بالرغبةِ إليه، ذكرَ هنا عنايتَه تعالىٰ بالإنسانِ، وقد جعلَ ذاتَه هنالك أكملَ ذواتِ المخلوقات، جعلَ هنا نوعَه ﷺ أكملَ الأنواعِ، وهو الإنسان، وجعلَ رسالتَه أعظمَ الرسالات، وبلدَه أفضلَ البلادِ، وهي مكة، وأن من عادَاه بمنابذةِ شرعهِ جعلَه في أسفلِ سافلين.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨/ ٤٢٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

موضوع السورة

بيانُ عنايةِ اللهِ تعالى بالإنسانِ وما به يكون سفوله وعلوه

قال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ١ - ٨].

أولًا: معاني الكلمات:

١. وَٱلتِّينِ: هو التينُ الذي يؤكل.

٢. وَٱلزَّيْتُونِ: هو نفسُ الزيتونِ الذي يعصرُ ويستخرجُ منه الزيت.

٣. وَطُورِ: والطور: هو الجبلُ الذي كلمَ الله فيه موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٤. سِينِينَ: بمعنىٰ مبارك. وقيل: سينين وسيناء: اسمٌ للموضعِ الذي فيه الجبلُ.

٥. ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ: مكة، وهو من الأمن.

٦. لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ: جنسُ الإنسانِ آدمُ عليه السلام وذريتُه.

٧. أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ: أي في أعدلِ قامةٍ، وأحسنِ صورةٍ، مع كمالِ العقلِ

www.Quranonlinelibrary.com

والقوة. والتقويمُ: تصييرُ الشيءِ علىٰ ما ينبغي أن يكونَ في التأليفِ والتعديل.

٨. أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ : أي: إلىٰ الهرمِ وأرذلِ العمر حتىٰ يصبحَ لا يعلمُ من بعد علمٍ شيئًا، والسافلون هم: الضعفاءُ والزمْنَىٰ، فالشيخُ الكبيرُ أسفلُ من هؤلاء جميعًا. وقيل: هي النار.

٩. مَمۡنُونٖ: مقطوع، فالشيخُ الهرمُ الخرفُ المسلمُ يكتبُ له ما كان يفعلُه أيامَ قدرتهِ علىٰ العملِ، فأجرُه لا ينقطعُ إلا بموته، وقيل: لا يمتنُّ به عليهم أحدٌ سوىٰ اللهِ تعالىٰ.

١٠.فَمَا يُكَذِّبُكَ : أي شيء يحملُك علىٰ الكذب، والخطاب للإنسان الكافر، والاستفهام فيع تقريع وتوبيخ مع تضمن إلزام الحجة، وقيل: الخطاب موجه للنبي ﷺ بمعنىٰ: أيس شيء يكذبك بعد ظهور الدلائل الناطقة بصدقك.

١١. بِٱلدِّينِ : الحسابُ والجزاء. وقيل: الإسلام.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. فيها بيانُ فضلِ التين، حيثُ قدَّمَه وبدأَ القسمَ به، وسميت السورةُ به، فهو فاكهةٌ شهيةٌ حلوةٌ، وغذاءٌ يقيمُ الصلبَ، وقوتٌ كالبرِّ، ودواءٌ كثيرُ النفع، يزيدُ في القوةِ، وينفعُ من البواسيرِ والنقرسِ وغيرِها، وقد قال كثيرٌ من أهلِ الطب: « إن التينَ أنفعُ الفواكِه للبدنِ، وأكثرُها غذاء »[1].

٢. فيها بيانُ فضلِ الزيتون، حيثُ فيه من مصالحِ الخلقِ ما لا يخفىٰ،

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ٢٩٩).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

فهو إدامٌ ودواءٌ، وزيتُه للإنارةِ والادهان، وبه من المنافعِ والفضائلِ الجمةِ الشيءُ الكثير.

٣. فيها امتنانٌ من اللهِ تعالىٰ علىٰ الناسِ إذ خلَقَ لهم هذه الثمارَ النافعةَ الصالحةَ الكثيرةَ المنافع، التي تكفي الناسَ حوائجَهم في طعامِهم وإضاءتهم وعلاجِهم، وهي تنبتُ في عامةِ البلاد، وهي سهلةُ النبات لا تحتاجُ إلىٰ كثرةِ عمل وعلاج. وحالتُها دالةٌ علىٰ دقةِ صنعِ اللهِ، ومؤذنةٌ بعلمِهِ وقدرتهِ ورحمتهِ.

٤. فيها استحبابُ فضل هاتين الشجرتين، والعنايةِ بهما لكثرةِ منافعهما حيث أقسم الله بهما وخصهما بالذكر.

٥. فيها بيانُ فضلِ بلادِ الشام، البلادِ المباركة، منبت هذه الأشجارِ المباركة، وأرضُ النبواتِ السابقة؛ لأن القسمَ بهذه الأشياءِ فيه إشارةٌ إلىٰ شرفِها في نفسِها، وفي عجيبِ صنعها، وشرفِ البقاع التي تكون بها.

٦. فيها بيانُ فضلِ جبلِ الطورِ الذي تم فيه أكبرُ حدثٍ في تاريخ الحياة؛ حيثُ كلمَ اللهُ فيه موسىٰ تكليمًا، وتجلىٰ للجبلِ فجعلَه دكا، وهو محلُّ نبوةِ موسىٰ عليه السلام، وقد جاءت سورةٌ كاملةٌ في القرآن باسمِ الطور.

٧. فيها بيانُ فضلِ مكةَ، حرمَه المنيف، الذي يُزينُه بيتُه العتيق، ومنه كان مبعثُ النبيِّ الحبيبِ الكريم صلى الله عليه وسلم.

٨. فيها بيانُ ما خصَّ اللهُ تعالىٰ به مكةَ من نعمةِ الأمنِ بين سائرِ البلدان، والناس يتخطفون من حولِها، وأمنُها شاملٌ لكلِّ ما يخشىٰ قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

www.Quranonlinelibrary.com

٩ . فيها بيانُ فضلِ هذه المواضعِ المقدسةِ التي أقسمَ بها، حيثُ اختارَها وابتعثَ منها أفضلَ النبواتِ وأشرفَها، فهي مواضعُ لهبوطِ الوحي، ونزولِ أعظمِ الشرائع، ومنها أضاءت الهدايةُ للبشرية.

١٠ . تفيدُ أن ابتداءَ السورةِ بالقَسَمِ بهذه الأمورِ الأربعةِ فيه براعةُ استهلالٍ متناسبٍ مع غرضِ السورة، لأن غرضَها في بيانِ خلقِ الإنسانِ في أحسنِ تقويم وما به يكونُ الفوزُ والخسران، وهي من الآياتِ والأدلةِ التي تدلُ علىٰ وجودِ الخالقِ ووحدانيتِهِ، وإثباتِ النبوةِ والبعث.

١١ . فيها بيانُ أهميةِ الأمرِ المقسم عليه، المساقِ له الكلام، وإطالةُ القَسَم تشويقٌ إلىٰ المُقْسَمِ عليه، فالمقسمُ عظيم، والمقسمُ به عظيم، وكذلك المقسم عليه.

١٢ . فيها بيانُ فضلِ اللهِ تعالىٰ ومنتهِ علىٰ الإنسانِ حيثُ خلقَه في أحسنِ صورةٍ وأعدلِ قامة، متناسبُ الأعضاء، لم يفقد مما يحتاجُ إليه ظاهرًا أو باطنًا شيئًا.

١٣ . فيها إشارةٌ إلىٰ الكمالِ والحسنِ الباطني للإنسان، فحسنُ التقويم كما يشملُ صورتَه الظاهرة، يشملُ صورتَه الباطنة، بل هي المقصودُ الأبينُ في هذه السورة؛ لأنها هي المؤثرةُ في الصلاحِ، المعتبرةُ عند اللهِ تعالىٰ؛ لأن ذلك هو الذي تصدرُ عنه أعمالُ الجسدِ إذ الجسمُ آلةٌ خادمةٌ للعقل.

١٤ . تفيدُ أن الإنسانَ مفطورٌ علىٰ الخير، مجبولٌ علىٰ جلبِ النفعِ والصلاحِ لنفسه، وكراهةِ ما يظنُّه باطلًا أو هلاكًا لأن ذلك من لوازمِ حسنِ التقويم؛ لذلك تراه يسرُ بالعدلِ والإنصاف، ويغيثُ الملهوفَ، ويعاملُ بالحسنىٰ، ويغارُ علىٰ المستضعفين، ويشمئزُّ من الظلمِ ما دام مجردًا عن

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

رَوْمِ نفعٍ يجلبُه لنفسِه، أو إرضاءِ شهوةٍ يريدُ قضاءَها، أو إشفاءِ غضبٍ يجيشُ بصدره، تلك العوارضُ التي تحول بينه وبين فطرته زمنًا.

١٥. فيها بيانٌ لأعظمِ مظهرٍ من مظاهرِ وجودِه جل وعلا وقدرتهِ وحكمتهِ وعلمهِ وصفاتِ كمالهِ جل وعلا، من خلالِ خلقِ الإنسانِ في أحسنِ خلقة؛ فإن تعديلَ خلقِه بنصبِ قامته، وتسويةِ أعضائه، وجمالِ منظرِه دالٌّ علىٰ علمٍ وقدرةٍ، وهي موجبةٌ للإيمانِ بالله ولقائه؛ إذ القادرُ علىٰ خلقِ ذلك قادرٌ علىٰ خلقهِ كما شاء متىٰ شاء ولا يردُّ هذا إلا أحمقٌ جاهل.

١٦. تفيدُ أن نعمةَ الخلِق في أحسنِ تقويم إذا قابلَها العبدُ بالإيمانِ والعملِ الصالح انتقلَ من هذه الدارِ إلىٰ أعلىٰ عليين، وإلا ردَّ إلىٰ أسفلِ سافلين.

١٧. تفيدُ أن الإنسانَ أحسنُ خلقِ الله، حيثُ خلقَه في أحسنِ تقويمٍ ظاهري وباطني من جمالِ هيئة، وبديعِ تركيب، وخصَّه بصفاتٍ تميز بها عن سائرِ الخلقِ من العقلِ والعلمِ والكلامِ والحكمة؛ ولذلك قالت الفلاسفة: إنها العالمُ الأصغر؛ حيث جمع ما في المخلوقاتِ من المحاسنِ والعجائبِ جميعا.

١٨. فيها بيانٌ آخرُ لقدرةِ اللهِ تعالىٰ من خلالِ ردِّه في الخلقِ مرةً أخرىٰ لأضعفِ صورة؛ والنزولِ بهم إلىٰ ما أسفلِ من سنِ الطفولة فيفقدُ قواه العقليةِ والبدنية، فيقوسُ ظهرُه بعد اعتدالهِ، ويبيضُّ شعرُه بعد سوادِه، ويضعفُ عقلُه بعد كمالهِ، وتفترُ قواه بعد شبابهِ، وييبسُ جلدُه بعد نضارته، قال تعالىٰ:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ

قُوَّةٍ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤]، وقال تعالىٰ:
﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ ﴾[الحج:٥]،
وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [يس: ٦٨].

١٩. تفيدُ أن حسنَ الصورةِ إذا لم يتبعه حسنُ عملٍ سوف يكونُ مصيرُه أسفلَ سافلين، أي: إلىٰ النارِ، موضعِ العصاة المتمردين علىٰ ربهم.

٢٠. تفيدُ سعةَ رحمةِ الله بالمؤمنين عامة، وبمن أسنَّ في الإسلامِ خاصة؛ حيث يكتبُ لهم بعد الهرمِ والخرفِ من الأجرِ مثل الذي كانوا يعملون في حالِ الشبابِ والصحةِ ولا يقطعه عنهم فقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ وهو أن ما كانوا يقومون به من الفرائضِ والنوافلِ وسائرِ الطاعاتِ والقرباتِ لا ينقطعُ أجرُهم منها بكبرِهم وعدم قيامِهم بها في سنِ الشيخوخةِ والهرمِ والخرفِ، بخلافِ الكافرِ والفاجرِ والفاسق؛ كما قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا)[(١)].

٢١. فيها بيانُ غفلةِ أكثرِ الناس عن هذه النعمِ العظيمة، التي ينبغي عليهم القيام بشكرِها، فأكثرُ الخلقِ منحرفون عن شكرِ المنعم، مشتغلون باللهوِ واللعب، قد رضوا لأنفسِهم بأسافلِ الأمور، وسفسافِ الأخلاق، ومن هنا جاءَ التعبيرُ بالبرِّ علىٰ القولِ الثاني لأكثرِهم.

٢٢. تفيدُ فضلَ الإيمانِ والعملِ الصالحِ حيثُ بيَّن أن لهم ﴿أَجۡرٌ غَيۡرُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، بَابُ: يُكْتَبُ لِلْمُسَافِرِ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي الإِقَامَةِ، ح رقم (٢٩٩٦).

مَمْنُونِ﴾ أي: غيرُ مقطوع ولا منقوص، بل لذاتٌ متوافرة، وأفراحٌ متواترة، ونعمٌ متكاثرة، في أبدٍ لا يزول، ونعيمٍ لا يحول، أكلُها دائمٌ وظلُها.

٢٣. تفيدُ عظمَ ثوابِ الله تعالىٰ، فالأعمالُ محدودةٌ، والأجرُ ممدودٌ، غيرُ مقطوعٍ، كما قال تعالىٰ في سورة الانشقاق: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ [الانشقاق: ٢٥].

٢٤. تفيدُ أنه ليس لمكذبٍ بالدينِ حجةٌ، وقد علمَ البداءَة، وحسنَ الصورةِ التي خلقَ عليها، ومن قدرَ عليها فهو لما سواها أقدر ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ أي: أي شيءٍ يكذبُك أيها الإنسانُ بيومِ الجزاءِ علىٰ الأعمال، وقد رأيت من آياتِ اللهِ الكثيرة ما به يحصلُ لك اليقين.

٢٥. تفيدُ صعوبةَ التكذيبِ بالرسولِ بعد هذه الآياتِ والحججِ والبراهين الدالةِ علىٰ قدرةِ اللهِ وعلمِه ورحمتِه وحكمتِه، فمن يكذبُ فإن تكذيبَه قائمٌ علىٰ أساسِ العنادِ والمكابرةِ لا غير.

٢٦. تفيدُ أن من علمَ عدلَ اللهِ علمَ أن ذلك يستلزمُ الحساب ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾، فإن حكمتَه تقتضي أن لا يتركَ الخلقَ بعد أعمالِهم لا يثابون ولا يعاقبون، فهذا ظلمٌ وباطلٌ ومنكرٌ ينزه عنه أحكم الحاكمين.

٢٧. فيها إشارةٌ إلىٰ نصرةِ اللهِ لرسولِه، لأن حكمَه يتضمنُ نصرَه لرسولهِ علىٰ مَنْ كذبه، وجحدَ ما جاء به.

٢٨. تفيدُ أن الجزاءَ لكلِّ أحدٍ يكون في الآخرةِ بما يستحقُه علىٰ سبيلِ العدلِ والإنصافِ، فكلُّ عاملٍ يدينُ لعملِه.

www.Quranonlinelibrary.com

٢٩. تفيدُ أنه تعالىٰ هو الحكيمُ علمًا وقدرة وعدلًا وحكمة، الذي لا حكيمَ غيره، العليمُ الذي لا عليمَ سواه.

٣٠. فيها بيانُ عظمةِ شرعِهِ الذي حكمَ به بين عبادِه، فهو من أعدلِ الحاكمين، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

٣١. تفيدُ أن مَن تفكرَ في صورتِهِ وشبابِهِ وهرمِهِ علم أن الذي فعلَ به ذلك قادرٌ علىٰ بعثِهِ وحسابه، فكيف وإذ كان هو أحكمُ الحاكمين.

٣٢. فيها بيانٌ دقيقٌ لإثباتِ التوحيدِ والنبوة والمعاد.

ثالثًا: التناسقُ الموضوعي في السورة:

لما كان المقصود من المقسم به في السورة إبراز مكانة أعظم الرسالات التي من بها علىٰ عباده، بدأ بمنطلق دعوة الأنبياء الذي آخرهم عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مشيراً بذكر أعظم ما فيها من فاكهةٍ وغذاءٍ ودواءٍ ومنافعٍ كثيرة إلىٰ الأرضِ المقدسةِ وما باركه حوله في بلادِ الشامِ، فقال تعالىٰ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾، ولما أشار إلىٰ دعوة الأنبياء الذي آخرهم عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أحدُ أولي العزمِ، أشارَ بعدَه بالطورِ إلىٰ مبعثِ كليمهِ الكريم موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾، ثم أشار سبحانه وتعالىٰ بعده إلىٰ خاتمِ النبين والمرسلين ختامًا للقسمِ بأكملِ المقسم به فقال: ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾، ولما كان هذا القسمُ جامعًا لبدائع المصنوعاتِ جاء جوابُ القسمِ عن أبدعِ مصنوعاتهِ في الكون فقال: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾، ولما ذكرَ قدرتَه علىٰ إكمالِ خلقِ الإنسانِ بين قدرتَه علىٰ نقصانه ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ هذا علىٰ وجهٍ في التفسير، وعلىٰ وجهٍ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

آخرَ خلقَه علىٰ أحسنِ تقويمٍ وفطرةٍ ليعبدَه فيرفعَه إلىٰ أعلىٰ عليين، فلما كفرَ به وعصاه ردَّه إلىٰ أسفلِ سافلين، لأن الردَّ هنا إما في الخلقةِ وهو الوجه الأول، أو في المصيرِ والعاقبةِ وهو الوجه الثاني، ولما بين قدرتَه علىٰ عبادِه علىٰ الوجهِ الأول، وعاقبةَ أعدائهِ علىٰ الوجه الثاني، بين فضلَه علىٰ أوليائهِ الذين استمروا علىٰ عبادتهِ حتىٰ الموت، أو عبدُوه وقطعَهم العذرُ لكونِهم سعوا في مرضاةِ اللهِ سبحانه وتعالىٰ وعزموا عزمًا صادقًا أنهم لا ينقصون من أعمالِ البرِ ذرةً ولو عاشوا مدىٰ الدهر، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾، وهو عكسُ من تابعَ هواه في السفولِ فردَّ في الجحيمِ في أسفلِ سافلين. ولما ختمَ الكلامَ بما يدلُّ علىٰ الجزاءِ، جاء الكلامُ في صيغةِ الاستنكارِ لمن يكذبُ بالدين، وهو يرىٰ آياتِه في العالمين، ويعلمُ أن خالقَه خلقه لعبادتهِ، هو أعدلُ الحاكمين فكيف يتركُهم بغيرِ جزاءٍ مع ما يشاهدون من ظلمِ بعضِهم لبعض، ومن هنا جاء الانكارُ الشديدُ علىٰ من يظنُّ أن اللهَ يهملُ عبادَه من الحكم بينهم بمجازاةِ كلٍّ من المطيعِ والعاصي بما عمل، فقال: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ﴾، ولما صحَّ أن تركَ الظالمِ بغيرِ انتقامٍ والمحسنِ بلا إكرامٍ ليس علىٰ منهاجِ العدل الذي شرعه الله تعالىٰ؛ ولذا ختمت السورة بهذا الإنكارِ العظيم في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾، فإن كان ذلك صفتَه فلابد أن يقيمَ الجزاءَ ويضعَ الموازين القسطَ ليوم القيامة فيظهرُ لعبادِه عدلُه وحكمتُه.

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورة وخاتمتها:

بدايةُ السورةُ في مبدأ خلقِ الإنسان، وخاتمُتها في بيانِ معادِه، وهو ردُه إلىٰ أسفلِ سافلين وهو النار أو إلىٰ أجرٍ غيرِ ممنون وهو الجنة. والاستنكارُ

الذي في خاتمتِها يرتبطُ بفاتحتِها، فما يكذبُك أيها الإنسانُ بعد تلك الصورةِ الحسنةِ التي ركبك بها.

خامسًا: خصائصُ السورةِ في عرضِ هداياتها:

١. القسمُ بأربعةِ أمورٍ مهمة: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾.

٢. الحديثُ عن خلقِ الإنسانِ في أحسنِ تقويم، وردِه أسفلَ سافلين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾.

٣. بينت ما للذين آمنوا وعملوا الصالحات من أجرٍ غيرِ منون في الدنيا والآخرة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

٤. استنكارُ التكذيبِ بيوم الدين: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾.

٥. بينت أن اللهَ أحكم الحاكمين: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. شكرُ اللهِ علىٰ نعمتهِ المتصلةِ علىٰ خلقهِ من خلالِ إرسالِ رسلهِ وإنزالِ شرائعه.

٢. إدراكُ فضلِ أماكنِ مهبطِ الوحي، ومنبعِ مبعثِ الرسالات، خاصةً مكةَ، وفضلِ من بعثَ فيه للعالمين.

٣. معرفةُ منة اللهِ تعالىٰ علىٰ عبادِه بخلقهِ للإنسانِ في أحسنِ تقويم، بما يجعلُه يجتهدُ في عبوديتهِ.

www.Quranonlinelibrary.com

٤. إدراكُ أدلةِ وحدانيةِ اللهِ وقدرتهِ علىٰ البعثِ وسعةِ علمهِ وحكمتهِ من خلالِ التفكرِ في خلقِ الإنسانِ في أحسنِ تقويم وردِّه في أسفلِ السافلين.

٥. عدمُ التحسرِ والقلقِ من ضعفِ الأجرِ أو انقطاعهِ بسببِ مرضٍ أو هرمٍ يصيبُ الإنسانَ ما دامَ مواظبًا علىٰ الطاعةِ في وقتِ عافيتهِ وشبابه، وما دامت نيتُه متصلة.

٦. الحرصُ علىٰ تحقيقِ الإيمانِ الصحيحِ والزيادةِ من الأعمالِ الصالحةِ التي بها ربحُ الدنيا والآخرة.

٧. اليقينُ بيوم الحسابِ والجزاء، وهو يومٌ ليس لمنكرهِ حجة.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة التين ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ٢٠ ربيع الثاني ١٤٣٧هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

ســورة العلق

موضوع السورة:

بيان نعمة الله الظاهرة والباطنة على الإنسان

من خلال موضوعين:

- الحديثُ عن خلقِ الإنسانِ وتعليمه.
- الحديـثُ عـن طغيـانِ الإنسـانِ وأسـبابِ علاجـه وبيـان نمـوذج منـه وكيفيـة التعامـل معـه

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مدخل لدراسة السورة

أولًا: ما قاله العلماء عن فضلِ السورة:

يكفي في فضلِها أن صدرَها هو أولَ آياتِ الكتاب نزولًا، فهن أولُ رحمةٍ ونعمةٍ من اللهِ لعبادِه أضاء بهنَّ الكونَ والقلوبَ المؤمنة. قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ أولَ سورةِ اقرأ مشتملٌ علىٰ نظيرِ ما اشتملت عليه الفاتحة، من براعةِ الاستهلالِ لكونِها أولَ ما نزلَ من القرآن، فإنّ فيها الأمرُ بالقراءةِ، وفيها البدءُ باسمِ الله، وفيها الإشارةَ إلىٰ علمِ الأحكام، وفيها ما يتعلقُ بتوحيدِ الرب، وإثباتِ ذاتهِ وصفاته، من صفةِ ذات، أو صفةِ فعل، وفي هذا الإشارةُ إلىٰ أصولِ الدين، وفيها ما يتعلقُ بالأخبارِ من قوله تعالىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:٥]، ولهذا قيل إنها جديرةٌ أن تسمىٰ عنوانُ القرآن؛ لأن عنوانَ الكتابِ يجمعُ مقاصدَه بعبارةٍ وجيزةٍ في أوله»[(١)].

ثانيًا: أسباب نزول صدر السورة:

فقد جاء في الصحيحين عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَىٰ رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ

(١) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٩٦٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الْخَلاَءُ فكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي أُولاَتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّىٰ فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: (مَا أَنَا بِقَارِئٍ - قَالَ - فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّىٰ الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ - قَالَ - فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّىٰ الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّىٰ الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي. فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾). فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ فَقَالَ: (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي). فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: (أَيْ خَدِيجَةُ مَا لِي). وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ قَالَ: (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِىٰ). قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ كَلاَّ أَبْشِرْ فَوَاللهِ لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، وَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِىٰ الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّىٰ أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ ابْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِو أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِىَ. فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ أَيْ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ. قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَىٰ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَآهُ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِىٰ أُنْزِلَ عَلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ). قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ

www.Quranonlinelibrary.com

بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا»[١].

ثالثًا: موضوعُ السورةِ:

في بيانِ نعمةِ اللهِ الظاهرةِ والباطنةِ علىٰ الإنسانِ من خلالِ خلقهِ وتعليمهِ وتوافرِ نعمهِ عليه، ثم طغيانهِ بعد أن خلقَه وقواه وأغناه، مع بيانِ نموذجٍ من هذا الطغيان. وقد جاء الكلامُ عن ذلك في موضوعين وهما:

الموضوعُ الأول: الحديثُ عن خلقِ الإنسانِ وتعليمه (الآيات١-٥).

الموضوعُ الثاني: الحديثُ عن طغيانِ الإنسانِ وأسبابِ علاجه، وبيان نموذج منه وكيفية التعامل معه (الآيات ٦-١٩).

رابعًا: المناسبةُ بين سورةِ التين والعلق:

سورةُ التين في الحثِّ علىٰ عبوديةِ من خلقَ الإنسانَ في أحسنِ تقويم، ثم ردَّه بقدرتهِ لأسفلِ سافلين، شكرًا لإحسانهِ، واجتنابًا لكفرانه، وطمعًا في جنانه، وخوفًا من نيرانهِ، مع انكارِ تكذيبِ من يكذبُ بيومِ الدين بعد ذلك الإحسانِ العظيم، وبروزِ الأدلةِ والبراهين، ومعرفتِهم لصفاتِ ربِّهم العظيم.

وسورةُ العلقِ في بيانِ مزيدٍ من براهين العبودية، مع الحثِ علىٰ المداومةِ عليها من خلالِ الأمرِ بقراءةِ الوحي، ومعرفةِ أصلِ خلقهِ من علق، وكيف علمَه اللهُ ما لم يكن يعلم، وتفضلَ عليه بنعمٍ كثيرةٍ كان ينبغي أن تدعوه لعبوديتهِ وشكرِه، وكيف أدت إلىٰ طغيانهِ وكفره، وجعلته يصدُّ عن سبيله،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدأ الوحي، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ح رقم (٣)، ومسلم في كتاب: الإيمان، بَابُ: بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ح رقم (١٦٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وهي كما تحملُ براهين العبودية تحملُ براهين البعث؛ لأن من عرفَ أنه مخلوقٌ من دمٍ عرفَ أن خالقَه قادرٌ علىٰ إعادتهِ من تراب، فإن الترابَ أقبلُ للحياةِ من الدم، ومن صدقَ بالإعادةِ عملَ لها، وخيرُ ما يعملُ ويدخرُ للآخرةِ الاجتهادُ في عبادةِ الرحمن، وعدمُ الاستجابةِ لمن كفرَ بعبوديتهِ، ولذا جاء الختامُ بقولهِ الرحمن: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الموضوعُ الأول
الحديثُ عن خلقِ الإنسانِ وتعليمِهِ

قال تعالىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١ – ٥].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ﴿ٱقۡرَأۡ﴾: أي: أوجد القراءةَ، وهي جمعُ الكلماتِ ذاتِ الحروفِ باللسان، والقراءةُ نطقٌ بكلامٍ معيَّن مكتوبٍ أو محفوظٍ عن ظهرِ قلب.

٢. ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾: أي بذكرِ اسمِ ربك.

٣. ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾: أي: سائرَ الخلق.

٤. ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: أي: الإنسان الذي هو ذريةُ آدم.

٥. ﴿مِنۡ عَلَقٍ﴾: والعلقُ: جمعُ عَلَقَة، وهي القطعةُ اليسيرةُ من الدمِ الغليظ.

٦. ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾: أي الذي لا يوازيه كريمٌ، ولا يعادلُه ولا يساويه. والكرم: التفضلُ بعطاءِ ما ينفعُ المعطَىٰ.

٧. ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾: يعني الخطَّ والكتابة؛ أي علمَ الإنسانَ الخطَ بالقلم.

٨. ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: أي جنسَ الإنسان.

www.Quranonlinelibrary.com

٩. ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾: أي ما لم يكن يعلمُه من سائرِ العلومِ والمعارف.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. فيها بيانٌ لفضلِ القراءةِ ومنزلتِها، حيثُ افتتحت السورةُ والوحي بالأمرِ بها، فهي أولُ أمرٍ رباني للنبيِّ ﷺ، والأمةُ تبعٌ له في ذلك، لأنَّ ما خوطبَ به النبيُّ ﷺ من أمرٍ ونهي فالأمةُ مخاطبةٌ به ما لم يقم دليلُ التخصيصِ، وهذا يدلُ علىٰ أهميةِ هذا الأمرِ وخصوصيتهِ من بين سائرِ ما أمرَ اللهُ عز وجل به، والمبادرةُ إليها تعتبرُ من أعظمِ أبوابِ المسارعةِ للخيرات، وهذا يؤكدُ مبدأَ العلمِ قبلَ القولِ والعمل.

٢. فيها إشارةٌ أن رسولَ الله ﷺ كان لا يقرأُ حتىٰ جاءه جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الآياتِ وأمرَه أن يقرأ، ولهذا قال النبيُّ ﷺ لجبريلَ حين قال له اقرأ: (ما أنا بقارئ)، فهي تؤكدُ أميتُه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

٣. تفيدُ تاريخَ بدء النبوة مكانًا وزمانًا؛ لأن كلمةَ «اقرأ» تمثلُ بدايةَ الوحي والنبوة، ومنطلقًا لأكبرِ تحولٍ تمَّ في تاريخِ الإنسانيةِ من كفرِها وشركِها وضلالِها إلىٰ نورِ الإيمانِ والتوحيدِ والهدىٰ، ومن سوءِ العاداتِ إلىٰ سموِ القيم والأخلاق، ومن عمىٰ القلوبِ إلىٰ بصائر الإيمان.

٤. تفيدُ دليلًا من أدلةِ صدقِ رسالته، ومعجزة من معجزاتِ النبوةِ، إذ أصبحَ الذي لا يقرأُ قارئًا بقولهِ تعالىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وأتىٰ بكلامٍ قرأَه علىٰ الناسِ فعجزوا أن يأتوا بمثله، ولن يأتوا بمثلهِ أبدًا، لأن القراءةَ من المهاراتِ التي لا يمكن أن يكتسبَها الإنسانُ إلا عن طريقِ التعلمِ والتدرجِ عبرَ الليالي والأيام،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

إلا النبيُّ ﷺ وحده هو الذي تعلمَها بقولِه تعالىٰ له: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ فتعلمها مباشرةً بتعليمِ اللهِ له.

٥. فيها إشارةٌ لبشائرِ التحولِ القادم، لأن القراءةَ طريقُ العلم، وأساسُ اكتسابِ المعرفة، وأبرزُ عنوانٍ للتقدمِ والرقي، فبالقراءةِ تحولت الأمةُ الأميةُ إلىٰ أمةٍ سادت في الناسِ بعلمِها، بل أصبحَ ذلك الميراثَ المتقاسمَ بين أجيالِها، وأصبحت القراءةُ شعارَها المعبرَ عن وجودِها وثقافتِها.

٦. تفيدُ الحثَّ علىٰ قراءةِ القرآنِ والإكثارِ منه، الذي هو أشرفُ مقروء، لأنَّ معنىٰ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ أي: اقرأ ما يوحىٰ إليك من القرآن، قال الشنقيطيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ «والمرادُ به القرآنُ بالإجماع»(١)، وقد تضافرت الأدلةُ الكثيرةُ في الكتابِ والسنةِ التي تبينُ أن القرآنَ أعظمُ مقروءٍ يقرأه الإنسانُ في حياتِه، وقد رتبَ اللهُ عز وجل علىٰ قراءتِه من الأجرِ والثوابِ ما ليس في غيرِه إذ إن الحرفَ الواحدَ بعشرِ حسنات، وجعلَ تلاوتَه تجارةً رابحة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠]، وقال النبيُّ ﷺ: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ)(٢)، فلا ينبغي لقارئٍ أن يغفلَ عن أعظمِ ما أمرَ بقراءته فيخسرُ خسرانًا مبينا.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ١٤).

(٢) أخرجه الترمذي ح رقم (٢٩١٠)، وقال هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في سنن الترمذي (٥/ ١٧٥).

www.Quranonlinelibrary.com

٧. فيها بيانُ شرفِ الإنسانِ من خلالِ توجيهِ هذا الخطابِ إليه دون غيرِه من المخلوقات، وذلك لأن القراءةَ من لوازمِ العقلِ والإدراك، وهي داخلةٌ في معنىٰ التكريم الذي شرفَ الله به بني آدم في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٠].

٨. تفيدُ الحثَّ علىٰ الابتداءِ بذكرِ اسمِ اللهِ عز وجل عند القراءةِ والكتابةِ والتعلمِ والتعليم، وكلِّ أمرٍ ذي بال ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، لأنه عند جمهورِ المفسرين الباءُ متعلقةٌ بمحذوفٍ تقديرُه «اقرأ مبتدًا به أو مفتتحًا باسمه، ولذا افتتحت سورُ القرآنِ ما عدا التوبةُ ببسمِ الله الرحمن الرحيم.

٩. تفيدُ الحثَّ علىٰ الاستعانةِ باللهِ عند القراءةِ والتعليمِ والتعلم والعمل؛ لأنه قيل: الباءُ للاستعانةِ، أي: مستعينًا باسمِ ربك(١)، والقراءةُ ليوفقَ فيها العبدُ يحتاجُ إلىٰ إعانةٍ ربانية، ومن استعانَ باللهِ دائمًا في أمورِه أعانَه الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، وكثيرٌ ممن يقرءون القرآنَ أو العلومَ يُغفلون جانبَ الاستعانةِ بالله، فيتوكلون علىٰ الأسبابِ الماديةِ فقط فيخذلون، وتقلُّ بركةُ جهودِهم وتنقطع، لأن ما يقرأُ يحتاجُ إلىٰ فهم، والمفهمُ هو الله، ويحتاجُ إلىٰ حفظٍ، والحافظُ للعقولِ وما فيها هو الله، ويحتاجُ إلىٰ بقاءِ قوةِ الحواسِ المساعدة للقراءة، والذي يبقيها هو الله.

١٠. تفيدُ الحثَّ أن تكونَ القراءةُ لله؛ لأن في طلبِ العبدِ أن يبدأَ قراءته بذكرِ اسمِ الله عز وجل بلسانهِ ليكونَ اللسانُ منبهًا للجنان، وذلك لتكونَ

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (٢٠ / ٤١٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

القراءةُ والتعلمُ والعملُ لله عز وجل وحده دون سواه، قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما طلبت التسميةُ باللسانِ لتكون منبهةً للضميرِ في بدايةِ كلِّ عمل، وإلىٰ أن يرجعَ إلىٰ اللهِ في ذلك العمل، ويلاحظُ أنه يعملُ لاسمه، لا لاسم غيرِه سبحانه... فاللهُ أمرَك أن تكونَ قراءتُك تبدأُ باسمِ الله، وتكونَ ما بعده عملًا تنفذُه لله لا لغيرِه... فلو فرضَ أنه قرأ وجعلَ قراءته لله لا لأحدٍ سواه ولم يذكر الاسمَ فهو قارئٌ باسمِ الله»⁽¹⁾، والقراءةُ إذا لم تكن للهِ لا يثابُ العبدُ علي قراءتهِ لأن الأعمال بالنيات، بل يكون ذلك من أسبابِ العذاب الأليم في الآخرة لأن أولَ من تسعرُ بهم النارُ يومَ القيامة رجل قرأ القرآن ليقال قارئ، كما قال النبي ﷺ: (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ من ذلك وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآن، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ...)⁽²⁾.

١١. تفيدُ أن من أعظمِ المعيناتِ علىٰ القراءةِ أن تجعلها عبوديةً لله، فإن من تدبرَ في قولِه تعالىٰ: ﴿اقْرَأْ﴾ كان ذلك أعظمَ دافعٍ إليه نحو القراءة والتعلم، لأنَّها جعلت من القراءةِ عبادة، ومن المذاكرةِ تسبيحًا، ومن الهجرةِ إليها هجرةً في سبيلِ الله، فالأمةُ المدركةُ لمعاني العبوديةِ من خلالِ القراءةِ هي الأمةُ المؤهلةُ لتحملِ الغالي والنفيسِ في سبيلِ الوصولِ إليها، وهي الأمةُ المؤهلةُ كذلك لأن تسودَ وتبقىٰ؛ لأن الأمةَ التي لا تعرفُ في حياتِها غيرَ المالِ

(١) محاسن التأويل (٩/ ٥٠٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، بَابُ: مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، ح رقم (١٩٠٥).

والأكلِ والشرابِ والنكاح، كما هو شأنُ أي أمةٍ متخلفةٍ في التاريخ، تذهبُ أدراجَ الرياح.

١٢. فيها الأمر بالتقرب إلىٰ الله بذكر اسمه، وكل اسم له حسن، ويلزم من حسن الاسم حسن مدلوله، ومن تعظيم الاسم تعظيم المسمىٰ وجميع ما يتصف به وينسب إليه.

١٣. تفيدُ أن القراءة لا تكون تامة إلا بالتسمية، ولكونه في سياق الأمر بالطاعة.

١٤. تفيدُ أن ذكرَ اسمِ الربِ هنا دون لفظِ الجلالةِ لما في لفظِ الربِ من تنبيهٍ للعبدِ إلىٰ ما أولاه إياه من التربيةِ والرعايةِ والعناية، إذ الربُّ يفعلُ لعبدِه ما يصلحه، ومن كمالِ إصلاحهِ أن يرسلَ إليه من يقرأ عليه وحيه الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة.

١٥. تفيدُ أن الاضافةَ في قولهِ: ﴿رَبِّكَ﴾ علىٰ الإيناسِ له، وبيانِ مكانتهِ وقدرِه عند ربه، حيث أفردَه بالربوبيةِ، ولم يتخذ هو ربا غيرَه، وفي ضمن ذلك ردًّا علىٰ الذين جعلوا لأنفسهم أربابًا من دون الله.

١٦. تفيدُ أن العبوديةَ منزلةٌ يتشرفُ بها الأنبياءُ والأخيارُ في كلِّ زمانٍ، ومن حققها فقد حققَ مقاصدَ الدينِ.

١٧. تفيدُ أن النبيَّ ﷺ هو القدوة للإمة في عبوديةِ اللهِ؛ لأن اللهَ شرفه ومدحَه بها، ومن ظن أن هنالك طريقًا للعبوديةِ بغير سبيلهِ ومنهجهِ فقد ضلَّ ضلالًا مبينا.

١٨. فيها بيانُ تفردِه جلَّ وعلا بعمومِ الخلق ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ وحذفَ المفعولَ لقصدِ العموم، كأنه قال الذي خلقَ كلَّ شيء، وأن غيرَه لا يخلقون شيئا، قال تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام:١٠١ - ١٠٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، فهو الذي يحي ويميت.

١٩. تفيدُ أن البدء في هذه السورة بالحديث عن صفته بأنه الذي خلق؛ لأنها أدل الصفات علىٰ الوجود وعظيم القدرة وكمال الحكمة، وهو يفيد أن أول الواجبات معرفة الله.

٢٠. تفيدُ أن كلَّ شيء يدخل في الوجود فهو من صنعه ومتردد بين إذنه ومنعه وضره ونفعه

٢١. فيها بيانُ عظمةِ مقامِ الربوبيةِ عند التفكرِ في كلِّ هذا الخلقِ كثرةً وعظمةً وتدبيرًا، وارجاع كلِّ ذلك إليه.

٢٢. تفيدُ أن تخصيصَ خلقِ الإنسانِ بالذكرِ بعدَ الكلامِ عن عمومِ الخلقِ الذي إليه نزل الوحي يدل علىٰ مكانته وأهميته ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾، حيث خصَّه لما أودعَ فيه من العجائبِ والعبرِ الدالةِ علىٰ ربوبيتهِ وقدرتهِ وعلمهِ وحكمتهِ وكمالِ رحمته، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه. كما فيه تفخيمٌ لشأنهِ إذ هو أشرفُهم وإليه التنزيلُ، وهو المأمورُ بالقراءةِ أولًا.

٢٣. تفيدُ أن ابتداءَ خلقِ الإنسانِ من علق ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾؛ لأن

www.Quranonlinelibrary.com

النطفةَ تتطورُ إلىٰ علقة، بعدَ أن تعلقَ بجدارِ الرحم يبدأ التخلق، وأنه قبلَ أن يكونَ علقةً ليس بإنسان.

٢٤. تفيدُ دليلًا من أدلةِ الإعجاز العلمي في خلقِ الإنسانِ حيث أثبت الطبُّ أن نطفةَ الرجلِ بعدَ أن تُخلطَ بماء المرأةِ وتصير أمشاجًا وتعلقُ بالرحمِ بشعيراتٍ لا ترىٰ بالعينِ المجردةِ يبدأ التخلق، وهذا الذي توصل إليهِ العلمُ الحديثُ ذكرَه القرآن الكريم قبل ألف وأربع مائة سنة.

٢٥. فيها التذكيرُ بنعمةِ الخلقِ التي هي أولُ نعمة، وأعظمُ نعمة ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ قيل: أراد أن يبين قدرَ نعمتهِ عليه، بأن خلقَه من علقةٍ مهينة، حتىٰ صارَ بشرا سويا، وعاقلا مميزا.

٢٦. فيها بيانٌ لانفرادِ اللهِ بالإلهيةِ؛ لأن الخلقَ من أدلِ الأوصافِ الملزمةِ لوحدانيته، فالذي خلقَ هو الذي يستحقُ أن يعبدَ دون سواه، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[هود:٦١].

٢٧. فيها تنبيهٌ علىٰ البعثِ وقدرتهِ – سبحانه – علىٰ تعليمِ الكتابة؛ لأن من قدرَ علىٰ خلقِ الإنسانِ علىٰ ما هو عليه من الحياة، قادرٌ علىٰ تعليمِ القراءةِ للحي العالمِ المتكلم، كما هو قادرٌ علىٰ إعادتهِ متىٰ شاء من بعد موتهِ، فإن خلْقَ الإنسانِ من علقٍ الذي يمثلُ حالتَه الأولىٰ، وتعلمِه ما لا يعلم الذي يمثلُ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

حالته الآخرة في الاستواء، من أقوىٰ الأدلةِ علىٰ كمالِ قدرته علىٰ ما يشاء وعلمه وحكمته.

٢٨. تفيدُ أن الذي خلقَ الإنسانَ من علقٍ واعتنىٰ بتدبيرِه في معاشِهِ، لا بد أن يدبرَه كذلك بالأمرِ والنهي، وذلك بإرسالِ الرسول إليهم، وإنزالِ الكتبِ عليهم، ولهذا ذكرَ بعد الأمرِ بالقراءة ربوبيته.

٢٩. تفيدُ أن ربطَ القراءةِ بالخلقِ دعوةٌ للإنسانِ للتعرفِ من خلالها علىٰ عظمةِ ودقةِ خلقه؛ وعظيمِ نعمةِ اللهِ عليه، فهو الذي خلقَ له العقلَ الذي يعي به، والبنانَ المتحرك الذي يخطُّ به، ودعمَ البنانَ بالكفِ، ودعمَ الكفَ بالساعد، والعينَ التي يبصرُ بها، والأذنَ التي يسمعُ بها، والعقلَ الذي يعي به، فكم للهِ من آيةٍ نحن غافلون عنها في التعلمِ بالقلمِ، فهي معرِّفةٌ ومبصِّرةٌ للإنسانِ بقدرةِ الله، ونعمِهِ، وكرمِهِ عليه، بل وعلىٰ علمِهِ، ورحمتِهِ، وحكمتِهِ بالإنسان.

٣٠. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ تفضلَ علىٰ الإنسان بالنعمِ التي يستطيعُ من خلالها تلبيةُ أمره، فهو قبلَ أن يأمره بالقراءةِ هيأ له الأسبابَ التي تؤهلُه لفعلِ هذا الأمر الإلهي، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[النحل: ٧٨].

٣١. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ أخبرَ عن نفسهِ أنه الأكرم ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾، وهو علىٰ وزنِ الأفعل من الكرم، وهو كثرةُ الخيرِ والإحسانِ والجود، فهو الكريمُ الذي لا يوازيه كريم، ولا أحدٌ أولىٰ بذلك منه سبحانه، فإن الخيرَ كلَّه بيديهِ،

www.Quranonlinelibrary.com

والخيرَ كلَّه منه، والنعمَ كلَّها هو موليها، فهو الاكرمُ حقا، والأكرمُ: صفةٌ تدلُ علىٰ المبالغةِ في الكرمِ للدلالةِ علىٰ قوةِ الاتصافِ بالكرمِ، وليس مصوغًا للمفاضلةِ فهو مسلوبُ المفاضلة، فهو الاكرمُ في ذاتِه وأوصافِه وأفعالِه.

٣٢. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ لسعةِ كرمِهِ ينعمُ بالنعمِ التي لا تحصىٰ، ويحلمُ علىٰ الجاني، ويقبلُ التوبة ولو بلغتِ الذنوبُ عنانَ السماءِ، ويتجاوزُ عن السيئة، ومن كرمِهِ أن يعبدَ الآدمي غيرَه ولا يقطعُ عنه رزقه.

٣٣. تفيدُ أن من علمَ صفاتِ ربه، وسعةَ كرمه عليه استحىٰ، وسارعَ في الاستجابةِ لأمرِ ربه ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾، فإنَ الكريمَ لا يردُ له طلبًا، فكيفَ بأكرمِ الأكرمين، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦].

٣٤. فيها بيانٌ لنوعٍ مهمٍ من كرمِ اللهِ تعالىٰ علىٰ الإنسانِ حيث علمَه ما لم يعلم، بعد أن أخرجَه من بطنِ أمهِ لا يعلمُ شيئًا، وجعل له السمعَ والبصرَ والفؤاد، ويسر له أسبابَ العلم، فكلُّ العلومِ التي تعلمَها الناسُ من فضلهِ وجودِه علىٰ خلقه.

٣٥. فيها دقةُ مجيء أوصافِ اللهِ في كتابِهِ، فالأكرمُ الذي هو يعطي بدون مقابل، ولا انتظارَ مقابل، لم تردْ في القرآنِ إلا هنا، لما في هذه الصفةِ من تلاؤمٍ للسياق ما لا يناسبُ مكانَها غيرُها لعظمِ العطاء وجزيلِ المنة، فهذا الخلقُ والتعليمُ إنما نشأ من كرمِهِ وبرِهِ وإحسانِهِ لا من حاجةٍ دعته إلىٰ ذلك وهو الغني الحميد.

٣٦. فيها إشارةٌ إلىٰ تكرمِ الله تعالىٰ للعلماءِ بالتعليم، بما يستوجبُ إكرامهم.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣٧. تفيدُ أن التعلمَ بالقلم آيةٌ عظيمةٌ من آياتِ اللهِ في خلقِهِ ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾، وهي تعني كلَّ مراحلِ التعلم، فإن التعليمَ بالقلمِ يستلزمُ المراتبَ الثلاثةَ للتعلمِ: مرتبةُ الوجودِ الذهني بإجراءِ المعاني علىٰ القلبِ، والوجودِ اللفظي بإجراءِ العباراتِ الدالةِ عليها علىٰ اللسانِ، والوجودِ الرسمي عند تحركِ البنان لنقشها، فقد دل التعليم بالقلم علىٰ أنه سبحانه هو المعطي لهذه المراتب.

٣٨. تفيدُ الحثَّ علىٰ الإكثارِ من القراءةِ؛ وذلك لأن الأمرَ بـ﴿ٱقْرَأْ﴾ عامٌ غيرُ مقيدٍ بزمانٍ محدد، ولا مكانٍ معين، فكلما أكثرَ الإنسانُ منها زادَ نفعُه، وكلمَّا أكثرَ من تكرارِ المقروء ثبت مضمونُه في القلبِ، قال الشيخُ مصطفىٰ المراغي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكررَ الأمر أي: بالقراءةِ؛ لأن القراءةَ لا تكسبُها النفسُ إلا بالتكرارِ والتعودِ علىٰ ما جرت به العادة، وتكرارُ الأمرِ الإلهي يقومُ مقامَ تكرارِ المقروء»(١)، وهذه قاعدةٌ معروفةٌ في التعلمِ، بأن الإنسانَ كلما أكثرَ من تكرارِ الشيء رسخَ ذلك في عقله، وقلَّما ينساه في حياتِهِ، وقد جربنا ذلك في حفظِ كلامِ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فوجدناه من أنفعِ الطرقِ للمحافظةِ عليه، وقد جاء في صحيح مسلمٍ ما يؤكدُ عليه: (وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ)(٢).

٣٩. فيها بيانُ فضلِ القلم، الذي به تحفظُ العلوم، وتخلدُ بين الأجيال، وتضبطُ الحقوقُ، وأخبارُ الأولين ومقالاتُهم، وبه تنمو الحضاراتِ وتسمو

---

(١) تفسير المراغي (٣٠/ ١٩٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافر وقصرها، بَابُ: الْأَمْرِ بِتَعَهُّدِ الْقُرْآنِ، وَكَرَاهَةِ قَوْلِ نَسِيتُ آيَةَ كَذَا، وَجَوَازِ قَوْلِ أُنْسِيتُهَا، ح رقم (٧٨٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الأفكار، وتحفظُ الأديان، وتنشرُ الهداية، وتكون رسلًا للناس تنوبُ منابَ خطابِهم، قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: « القلمُ نعمةٌ من اللهِ عظيمة، لولا ذلك لم يقم دينٌ ولم يصلح عيش » فلله الحمدُ والمنة، الذي أنعمَ علىٰ عبادِه بهذه النعمِ التي لا يقدرون لها علىٰ جزاءٍ ولا شكور. قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «التعليمُ بالقلمِ الذي هو من أعظمِ نعمِهِ علىٰ عبادِه إذ به تخلدُ العلوم، وتثبتُ الحقوق، وتعلمُ الوصايا، وتحفظُ الشهادات، ويضبطُ حسابُ المعاملاتِ الواقعةِ بين الناس، وبه تقيدُ اخبارُ الماضين للباقين اللاحقين ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض ودرست السننُ، وتخبطت الاحكام، ولم يعرف الخلفُ مذاهبَ السلفِ... فنعمةُ اللهِ عز وجل بتعليمِ القلمِ بعد القرآنِ من أجل النعم»[1].

٤٠. فيها بيانُ دورِ وسائلِ التعلم في تحصيلِ العلم، من الدفاترِ والكتبِ وغيرها.

٤١. تفيدُ أن التعليمَ من أكبرِ نعمِهِ جل وعلا علىٰ الإنسانِ بعد خلقِهِ، حيث خصَ اللهُ هذه النعمة بالذكرِ في أول الوحي؛ لأن العلمَ به أخرجَ الناسَ من ظلماتِ الجهلِ والكفرِ والمعصيةِ إلىٰ نور العلمِ والإيمانِ والطاعة، وبه شرفَ الإنسانُ وكرم، وهو القدرُ الذي تميزَ به أبو البريةِ آدمُ علىٰ الملائكة.

٤٢. فيها بيانٌ لفضلِ علم الكتابة، لما فيه من المنافعِ العظيمة التي لا يحيطُ بها إلا هو، حيث تقضىٰ بها المآربُ الكثيرة، وتُبلغ بها الحاجاتُ التي في الصدور، وترسلُ إلىٰ الاقطارِ النائية، والجهاتِ المتباعدة فتقومُ مقامَ المتكلمِ

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٧٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وتترجمُ عنه وتتكلمُ علىٰ لسانه؛ ولولا هي ما استقامت أمورُ الدين والدنيا، ولو لم يكن علىٰ دقيقِ حكمةِ اللهِ تعالىٰ ولطيفِ تدبيره دليلٌ إلا أمرَ الخطِّ والقلمِ لكفىٰ به(١).

٤٣. فيها بيانٌ لكمالِ النعمةِ الباطنةِ للإنسانِ بعد كمالِ النعمةِ الظاهرةِ من خلال خلقه، حيث أنعمَ عليه بالبيانِ النطقي من خلال خلق اللسان، وأنعمَ عليه بالبيان الخطي من خلال خلق القلم، وبهما قيامُ مصالحِ الخلق، فهنا صرحَ بالبيان الخطي في قوله ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾، والبيانُ اللفظي من لوازم التعليم بالقلم؛ لأن الكتابةَ فرعُ النطق، والنطقُ فرع التصور، فهو الخالقُ المعلم، وكلُّ شيءٍ في الخارجِ فبخلقهِ وجد، وكلُّ علمٍ في الذهن فبتعليمهِ حصل، وكلُّ لفظٍ في اللسانِ أو خطٍ في البنان فبتقديره وخلقه وتعليمه وهذا من آيات قدرته وبراهين حكمته لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

٤٤. فيها إشارةٌ إلىٰ الاهتمامِ بعلمِ الكتابة، وبأن اللهَ يريدُ أن يُكتَب للنبيِّ ﷺ ما ينزلُ عليه من القرآن، فمن أجلِ ذلك اتخذ النبيُّ ﷺ كتابًا للوحي من مبدأ بعثته.

٤٥. تفيدُ أن الاقتصارَ علىٰ أمرِ الرسولِ ﷺ بالقراءةِ ثم إخبارِه بأن اللهَ علّمَ الإنسانَ بالقلمِ إيماءً إلىٰ استمرارِ صفةِ الأميةِ للنبيِّ ﷺ لأنّها وصفٌ مكمِّلٌ لإعجازِ القرآن قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

٤٦. فيها بيانٌ لعظمِ حضارةِ الإسلام حيث افتتحت الرسالةُ المحمديةُ بأمرِ القراءة والكتابةِ والتعليم.

---

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٥٠٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٤٧. فيها بيانٌ لفضلِ تعلمِ القرآنِ والسنة، لأنهما أعظمُ ما تعلمهما الناس، كما قال تعالىٰ لرسوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٣]، وأرسلَ رسولَه لتعليمِهما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجمعة: ٢].

٤٨. تفيدُ أن اللهَ وحده هو الذي علمَ الإنسانَ ما لم يعلم، وكلُّ ما تعلمه الإنسان فهو من الله، وهل الرسالةُ والنبوةُ إلا تعليمُ الرسول ما لم يكن يعلم؟ وفي حذفِ المفعولِ أولا، وإيرادُه بعنوانِ عدم المعلومية ثانيا من الدلالةِ علىٰ كمالِ قدرته تعالىٰ، وكمالِ كرمه، والإشعارِ بأنه تعالىٰ يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول.

٤٩. تفيدُ أن قولَه: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ أن العلمَ مسبوقٌ بالجهلِ، فكلُّ علمٍ يحصلُ فهو علمُ ما لم يكن يُعلَم من قبل؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

٥٠. تفيدُ أن هذه الآياتِ مع اختصارِها ووجازتِها جمعت مراتبَ الوجودِ بأسرِها مسندةً إليه تعالىٰ خلقا وتعليما، حيث ذكرَ فيها خلقين وتعليمين، خلقا عاما وخلقا خاصا، وتعليما خاصا وتعليما عاما.

٥١. تفيدُ أن الربطَ بين نعمةِ الخلقِ والتعليمِ، لأنهما نعمتان متكاملتان في تحقيقِ الحياةِ التي يريدُها الله، فالحياةُ الأولىٰ: هي التي بها أوجدَه من العدمِ بالخلق، والحياةُ الثانية: هي التي أحياه بها بالعلمِ بعد موته بالجهل،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولا يكون هذا كله إلاَّ من الرب الأكرم سبحانه.

٥٢. تفيدُ أن هذه الآياتِ الخمسَ من أولِ السورة قد جمعت أصولَ الصفاتِ الإلهية، فوَصفُ الربِّ يتضمنُ الوجود والوحدانية، ووصف ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، ووصف ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ يقتضيان صفاتِ الأفعال، ووصف ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾ يتضمنُ صفاتِ الكمالِ والتنزيهِ عن النقائص[١].

٥٣. فيها بيانُ ضعفِ الإنسانِ وفقرِه لربهِ في خلقهِ وتعليمهِ وسائرِ أمورهِ، وفقرُ العبودية يبدأ بإدراكِ هذهِ الحقيقة المهمةِ وعدم الغفلة عنها.

٥٤. فيها بيانُ شرفِ العلمِ والتعلم؛ لأنه لو كان شيءٌ من العطاءِ والنعمِ أشرفَ من العلمِ لذكرَه عقبَ صفةِ الأكرمية.

٥٥. فيها الإشارة إلىٰ أهميةِ النظر والتدبر في آياتهِ المنظورةِ التي هي خلقُه، وآياتهِ المتلوة التي هي قوله جل وعلا؛ إذ بهما الهداية والتوفيق لما يحبه الله تعالىٰ ويرضاه.

(١) انظر: الوسيط لسيد طنطاوي (ص: ٤٥٤١).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الموضوع الثاني
بيانُ طغيانِ الإنسانِ
وأسبابُ علاجه وذكر نموذج منه

قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق: ٦ – ١٩].

أولًا: المناسبة بين الآيات:

الآياتُ السابقة كانت تتحدث عما أنعمَ اللهُ تعالىٰ بهِ علىٰ الإنسانِ من نعمٍ كثيرةٍ؛ من ذلك نعمةُ الخلقِ من علق، وكيف طوره في الخلقِ حتىٰ بلغَ أشده، وعلمَه ما لم يكن يعلم، وعلىٰ رأسِ ذلك علومُ الوحي، ثم جاءت الآياتُ في بيانِ حالِ من لم يهذبه الوحي، كيف تطغيه النعمةُ، وتنسيه لقاءَ المنعم إن لم يتهذبْ بأنوار الوحي.

ولما تكلمَ الله تعالىٰ عن الطغيانِ، وأسبابِهِ، وعلاجِهِ، تحدثَ عن نموذجٍ من الطغيانِ وممارساتهِ، وكيف يصدّون عن سبيلهِ، ويؤذون أولياءَه، مع بيانِ المنهجِ الأمثلِ في التعاملِ معه.

www.Quranonlinelibrary.com

ثانيًا: سبب نزول الآيات:

عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ قَالَ: فَقِيلَ نَعَمْ. فَقَالَ: وَاللاَّتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ - قَالَ - فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ - قَالَ - فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ وَهُوَ يَنْكِصُ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ - قَالَ - فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلاً وَأَجْنِحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَوْ دَنَا مِنِّي لاَخْتَطَفَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا). قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لاَ نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ -يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ- ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾[1].

ثالثًا: معاني الكلمات:

١. ﴿كَلَّآ﴾: أي: أداةُ استفتاحٍ وتنبيهٍ لكسر إن بعدها.

٢. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: أي: ابنُ آدمَ قبلَ أن تتهذبَ مشاعرُه وأخلاقُه بالإيمانِ والآداب الشرعية.

٣. ﴿لَيَطْغَىٰٓ﴾: أي: يتجاوزُ الحدَّ في العصيان.

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، بَابُ: قَوْلِهِ: (إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى)، ح رقم (٢٧٩٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٤ . أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ: أي: عندما يرىٰ نفسَه قد استغنىٰ بمالهِ أو ولدِه أو سلطانهِ أو قوته.

٥ . إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ: أي: الرجوعُ والمصيرُ، وهي مصدرٌ علىٰ وزن فُعلىٰ.

٦ .ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ: أي: أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي لعنه الله.

٧ .إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ: أي هو رسولُ اللهِ محمدٌ ﷺ.

٨ . لِبِن لَّمْ يَنتَهِ : أي من أذيةِ رسولنِا محمد ﷺ ومنعهِ من الصلاةِ خلف المقام.

٩ .لَنَسْفَعًۢا : من سفعتِ الشيءَ إذا أخذته وجذبته بشدة.

١٠ .بِٱلنَّاصِيَةِ: شعرُ مقدمةِ الرأس.

١١ . نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ : أي: صاحبُها كاذبٌ في قولهِا خاطئٌ في فعلها. والخاطئُ معاقبٌ مأخوذ. والمخطئ غيرُ مأخوذ.

١٢ . فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ: أهلُ ناديهِ، أي: قومُه وعشيرتُه، أي فليستنصرْ بهم، والنادي: هو المجلسُ الذي يجلسُ فيه القوم.

١٣ . ٱلزَّبَانِيَةَ : جمعُ زِبْنيٍّ مأخوذٌ من الزِّبْن وهو الدفع، قال ابن عباس: يريدُ زبانيةَ جهنم، سموا بها لأنهم يدفعون أهلَ النارِ إليها، قال الزجاج: هم الملائكةُ الغلاظ الشداد، أي خزان جهنم.

١٤ . وَٱقْتَرِب : أي: اقترب من اللهِ، وذلك بطاعتهِ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

رابعًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. فيها بيانُ حالِ الإنسانِ إذا أغناه اللهُ، وزادَه من نعمه، ورأىٰ نفسَه مستغنيًا بمالِهِ وجاهه، فإنه يجاوزُ الحدَّ، ويستكبرُ علىٰ ربه، وينسىٰ أن اللهَ تعالىٰ هو الذي مَنَّ عليه بالخلقِ والرزقِ والقوةِ وكلِّ نعمة، بل ربما وصلت به الحالُ أنه يتركُ الهدىٰ، ويدعو غيرَه إلىٰ تركه.

٢. فيها ذمُّ الطغيانِ الذي ينافي صفةَ العبدِ، وما خُلِقَ من أجلهِ الإنسانُ، ومن هنا كان الطغيانُ موجبًا لفسادِ الإنسانِ وهلاكه.

٣. تفيدُ أن الطغيانَ سببُه رؤيةُ الإنسانِ لغنىٰ نفسهِ، وعدم شهودِه لفقرِه إلىٰ ربه في كلِّ أحواله حتىٰ في حالِ غناه، وهو منافٍ لأكبرِ منازلِ العبودية، وهي منزلةُ الفقر التي هي روحُ كلِّ منزلةٍ وسرُّها ولبُّها وغايتُها، وهي المنزلةُ التي لا يخرج عنها مخلوقٌ، فقيرٌ أو غني، كبيرٌ أو صغير، ملكٌ أو مملوك، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: ١٥ – ١٧].

٤. فيها بيانُ طبعِ الإنسانِ الخالي قلبه من الإيمانِ والتقوىٰ، لأن المؤمنَ يغنيه اللهُ ولا يطغىٰ، بل يزيدُه الغنىٰ تواضعًا وشكرًا للمنعم، وإظهارًا لشدةِ الفقرِ إليه، والكافرُ عكس ذلك، كما قال تعالىٰ عن نبيِّ اللهَ سليمانَ عليه السلام الذي أوتي ملكًا لا يكون من بعده لأحد من العباد: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل: ٣٨ - ٤٠]، وقد نصَّ في نفسِ السورةِ علىٰ شكرِهِ لربه، قال تعالىٰ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٧ - ١٩]، وقد كان جميعُ الأنبياء في ذروةِ الفقر لله مع ما أغناهم الله به من النعم، فكانوا أغنياءَ في فقرِهم، فقراءَ في غناهُم.

٥. تفيدُ بلاغةَ القرآن في التعبير في قوله تعالىٰ: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾، حيث تفيدُ أن هذا الطغيانَ الذي وقعَ فيه نوعٌ من الوهم، تراءىٰ له، لأن حقيقةَ المالِ ولو كان جبالًا، ليس له منه إلاَّ ما أكلَ ولبسَ وأنفق، وهل يستطيعُ أن يأكلَ لقمةً واحدةً إلا بنعمةِ العافية، وإذا أكلَها هل يستفيدُ منها إلا بنعمةٍ من الله عليه.

٦. تفيدُ أنه لا غنىٰ للعبدِ عن مولاه طرفةَ عين، وأن الاستغناءَ عن اللهِ سببُه الجهلُ والغرورُ ووهم، لأن الفقرَ صفة ملازمةٌ للعبد، كما أن الغنىٰ صفةٌ لله دائمة، لأن العبدَ وكلَّ ما فيه من خيرٍ فهو محضُ جودِ اللهِ وإحسانِهِ، وليس للعبدِ من ذاتِهِ سوىٰ العدمِ، ومن هنا كان من أدركَ فقره لله، أدركَ غناه بالله، وغناه عن غير الله، وهذا كمال الغنىٰ وحقيقتُه، لأن حقيقةَ غنىٰ القلبِ تعلُّقُهُ بالله وحده، وحقيقةَ فقرِه المذمومِ تعلُّقُهُ بغيره.

٧. تفيدُ أن غنىٰ أهلِ الغفلةِ بالأسبابِ؛ ولذلك أن راه استغنىٰ، وغنىٰ العارفين بالمسبِّب؛ لأنه هو الذي أوجدَ السببَ من العدمِ، وهي فقيرةٌ إليه،

ومن هنا كان المالُ لا يلهيهم ولا يطغيهم، ومن هنا كان من وجدَ اللهَ فما فقد، لأن كل موجود منه، وكل سبب راجع إليه، ومن فقدَ اللهَ فما وجد، لأن الغنىٰ بغيرهِ غنىٰ بمعدومٍ فقير.

٨. فيها ذمُّ الغنىٰ الذي يطغي ويلهي عن اللهِ ومرضاتهِ، كما قال تعالىٰ عن قارونَ: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص:٧٦ – ٧٨].

٩. تفيدُ أن الفقرَ الذي يورثُ تلك العبوديةَ خيرٌ من الغنىٰ الذي يؤدي إلىٰ التمردِ علىٰ عبوديةِ اللهِ تعالىٰ وطاعته.

١٠. تفيدُ أن من أدركَ فقرَه إلىٰ ربهِ سارعَ إلىٰ مرضاتهِ ولا يجدُ بدا من امتثالِ أوامرهِ، ولا تطغيه النعمة، ومن لم يرَ فقرَه فإنه يطغىٰ ويتجاوزُ الحدَ في المعاصي واتباعِ هوىٰ النفس، وذلك باستغنائهِ عن ربه بتركِ طاعته وعبوديته

١١. تفيدُ أن من تذكرَ خلقَه الذي جاء في أولِ هذه السورة، كيف خلقَه اللهُ من علقٍ ثم تولاه بلطفهِ ورحمتهِ في جميعِ أطوارِ حياته، حيث صارَ مضغةً، ثم عظامًا، ثم كسا العظامَ لحمًا، ثم أنشأه خلقًا آخر، ثم أخرجَه إلىٰ الدنيا طفلًا، ثم يشبَّ ويصيرُ غلامًا يافعًا، ثم يبلغُ أشدَه عرفَ أن طغيانَه من أعظمِ أسباب جهله وغفلته، كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ

خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧-٧٩].

١٢. تفيدُ أن تذكرَ الموتِ ولقاءِ اللهِ من أعظمِ أسبابِ علاجِ طغيانِ النفس، ولهذا ربطَ الطغيانَ بإيثارِ الحياة الدنيا، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩]، فإيثارُ الحياةِ الدنيا هو من موجبِ الطغيان، ولهذا ذكرَه الله تعالىٰ هنا بالرجعىٰ.

١٣. فيها بيانٌ لمصيرِ جميعِ العباد، وهو موتُهم ورجوعُهم إلىٰ الله، وتقديمُ الجارِ والمجرور عليه لقصرِه عليه، أي إن إلىٰ مالكِ أمرك رجوعَ الكلِّ بالموت والبعث لا إلىٰ غيرِه استقلالًا ولا اشتراكا.

١٤. فيها بيانٌ لحتميةِ الحسابِ لكلِّ تصرفاتِ العباد؛ لأن هذا الرجوعَ يستلزمُ الحساب.

١٥. تفيدُ تهديدًا للطاغي وتحذيرٌ له من عاقبةِ الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد، فسترىٰ حينئذ عاقبة طغيانك ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾.

١٦. فيها بيان سوء عاقبة الطغيان في الآخرة.

١٧. فيها بيانُ قبحِ فعلِ أبي جهل؛ وذلك لتوعدِه للنبيِّ ﷺ علىٰ الصلاةِ عند البيت، كما جاء في صحيح البخاري عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ أَبُو جَهْلٍ: «لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ عُنُقِهِ فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: (لَوْ فَعَلَهُ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ)»(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، بَابُ: (كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ)، ح رقم (٤٩٥٨).

www.Quranonlinelibrary.com

١٨. فيها بيانُ مكانةِ النبيِّ وقدرِهِ وعلو منزلتِهِ عند ربه، حيث دافع عنه، ونصرَه، وأخذَ وخذلَ عدوه.

١٩. فيها بيانُ منزلةِ العبوديةِ وهي أشرفُ وصفٍ للإنسانِ، وحيثُ وُصِفَ بها أشرفُ الخلقِ الصلاة والسلام.

٢٠. فيها بيانُ مكانةِ وأهميةِ الصلاةِ والمحافظةِ عليها، وهي التي أمرَ الله بالمحافظةِ عليها علىٰ الدوام، كما قال تعالىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

٢١. فيها تقبيحٌ وتشنيعٌ لحالِ من ينهىٰ عن فعلِ الطاعاتِ والخيرات، وأنها من الشناعةِ والغرابةِ بحيثُ يجبُ أن يراها كلُّ من تتأتىٰ منه الرؤيةُ.

٢٢. فيها بيانُ خطورةِ الوقوفِ في وجهِ أهلِ الهدىٰ والخير ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾.

٢٣. فيها بيانُ تمكنِ النبيِّ ﷺ من الهدىٰ تمكن المستعلي عليهِ ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

٢٤. فيها بيانُ منزلةِ الأمرِ بالتقوىٰ، والحثُّ عليها، وهي الإخلاصُ والتوحيد والعملُ الصالحُ الذي تتقىٰ به النار.

٢٥. فيها ما يبينُ أن الناهيَ عن فعلِ الخيرات علىٰ غيرِ الهدىٰ، وعلىٰ خلاف التقوىٰ، وإلا ما فعل هذا.

٢٦. فيها بيانُ قبحِ انقلابِ الحقائقِ في الكون، لأن تقديرَ نظمِ الآية: أرأيت الذي ينهىٰ عبدًا إذا صلىٰ، والمنهي علىٰ الهدىٰ، آمِرٌ بالتقوىٰ، والناهي

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مكذِّبٌ مُتوَلٍّ عن الإيمان، فما أعجب من هذا!

٢٧. فيها بيانُ قبحِ التكذيبِ بالحقِّ والتولي عن أمرِ الربِّ جل وعلا.

٢٨. فيها بيانُ علمِ اللهِ واطلاعهِ علىٰ كلِّ ما يجري في الكون، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٥٩ – ٦٠]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤].

٢٩. فيها التهديدُ الشديدُ، والتحذيرُ البليغ لمن يستمرُّ في الصدِّ عن سبيل الله تعالىٰ، وذلك في قولهِ تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾، وهذا له ما بعده، وقولُه تعالىٰ: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أي: كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها.

٣٠. فيها ذمُّ الكذبِ، وأخذُ الكاذبِ بكذبه، وبيانُ سوءِ عاقبتِه، فجاء ذكرُ الناصيةِ وهي مقدمُ شعرِ الرأس؛ لأنها أشدُّ نكارةً علىٰ صاحبِها ونكالًا به.

٣١. فيها ما يشيرُ إلىٰ أن الصدقَ يرفعُ الرأس، والكذبَ ينكسه ذلًّا وخزيًا.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣٢. فيها بيانُ قبحِ التكذيبِ بالهدىٰ، ومن جاء به، والتولي عن العملِ بهما، وهي صورةٌ تجمعُ خرابَ الباطنِ والظاهر، والتكذيبُ والتولي من غيرِ دليلٍ شرٌ محض، فكيف إذا كان الدليلُ قائمًا علىٰ ضدهما.

٣٣. تفيدُ أن لا أحدَ يقي من عذابِ الله تعالىٰ، ولهذا قال تعالىٰ له: ﴿فَلْيَدْعُ﴾ هذا الذي حقَّ عليه العقابُ أهلَ مجلسه وأصحابَه ومن حوله، ليعينوه علىٰ ما نزل به، ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ أي: خزنةُ جهنم، لأخذِه وعقوبته، فلينظر أي الفريقين أقوىٰ وأقدر؟

٣٤. فيها بيانُ ضررِ الاغترارِ بالأتباعِ والمحبين من دونِ ربِّ العالمين.

٣٥. فيها بيانٌ لنصرةِ اللهِ لرسوله ﷺ بالملائكةِ عيانا في المسجدِ الحرام.

٣٦. فيها تسجيلُ لعنةِ اللهِ علىٰ فرعون الأمةِ أبي جهل، وأنه كان أظلمَ قريشٍ لرسولِ الله وأصحابِه.

٣٧. تفيدُ أن من صفاتِ أهلِ الفسادِ في كلِّ زمانٍ عداوةَ أهلِ الفضل، وصدَّهم عن الخيرِ لئلا يختصوا بالكمال.

٣٨. فيها وجهٌ من أوجهِ الإعجازِ، وهو خنوعُ هذا الطاغيةِ واستسلامه، وعدمُ مضيِّه في هذا التحدي.

٣٩. فيها بيانٌ لكيفيةِ نصرة اللهِ لأوليائه، وخذلانِه لأعدائه.

٤٠. فيها بيانُ ما للهِ تعالىٰ من جنودٍ لا يعلمُهم غيرُه جل وعلا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤].

٤١. فيها النهيُّ عن طاعةِ من يصدُّ عن طاعةِ اللهِ ورضوانه، لأنهم لا يأمرون إلا بما فيه خسارةُ الدارين.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٤٢. فيها أهميةُ المداومةِ علىٰ الصلاةِ والاستمرارِ عليها مدىٰ الحياة.

٤٣. تفيدُ الحثَّ علىٰ الثباتِ علىٰ الحقِّ وعدمِ الاستجابةِ للضغوط.

٤٤. فيها بيانُ فضلِ السجود، حيثُ أطلقَ السجودَ وأرادَ الصلاة، لأن السجودَ أخصُّ صفاتِها.

٤٥. تفيدُ أن الربطَ بين السجودِ والاقترابِ من اللهِ يبينُ أن العبدَ في حالِ السجود أقرب ما يكون لربهِ ﴿وَٱقۡتَرِب﴾: المعنىٰ اكتسب القربَ من ربِّك في السجود، فإنه أقربُ ما يكون العبدُ من ربهِ في سجوده؛ لأنها نهايةُ العبوديةِ والذلةِ لله، ولله غايةُ العزة، وله العزةُ التي لا مقدار لها، فلما بعدت من صفتهِ قربت من جنته، ودنوت من جوارِه في داره، وقد جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِىٰ هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ)(١).

٤٦. تفيدُ أن القربَ من اللهِ تعالىٰ يكون بالاجتهادِ في الطاعاتِ وترك المنكرات والتذلل والخضوع لله وحده.

ثالثًا: التناسقُ الموضوعي في السورة:

لما كانت هذه الآياتُ هي مفتتحُ الوحي كان من المناسبِ أن تبدأ بالأمرِ بالقراءةِ التي هي سبيلُ العلمِ والمعرفة، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ وحذفَ مفعولَه إشارةً إلىٰ أنه لا قراءةَ إلا بما أمرَه به، وهو القرآنُ الجامعُ لكلِّ خير، ولما كانت القراءةُ محتاجةً إلىٰ إخلاصٍ واستعانةٍ قال: ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، ولما أمرَ نبيَه الأمي أن يقرأَ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، ح رقم (١١١١).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

بيَّن قدرتَه علىٰ أن يجعلَه قارئًا، حيث هو الذي خلقَ عمومَ الخلق، فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، ولما كان الإنسانُ أكملَ المخلوقات، وأدلَها علىٰ تمامِ القدرةِ لكونِ خلقهِ أبدع من خلقِ غيرِه، خصَّه فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾، ولما تكلمَ عن محضِ فضلهِ علىٰ الإنسانِ من خلالِ الحديثِ عن بدء خلقهِ، تكلَّمَ عن ما به يكونُ كمالُه ورفعتُه، وأظهرَ من خلالهِ كمالَ قدرتهِ وفضلهِ علىٰ رسوله، فقال مكررًا للأمرِ بالقراءةِ تنبيهًا علىٰ عظمِ شأنها وتأنيسًا له ﷺ وتسكينًا لروعه عندما فاجأه الوحي: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾، ولما تكلم عن فضلهِ علىٰ رسولهِ أشارَ إلىٰ فضلهِ علىٰ أمتهِ الأمية وغيرها بنعمةِ الخط، فقال: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾، ولما نبه بذلك علىٰ ما في الكتابةِ من المنافعِ التي لا يحيط بها غيره سبحانه وتعالىٰ، زادَ ذلك عظمةً علىٰ وجهٍ يعمُّ غيرَه فقال: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، ولما بيَّن كمالَ نعمهِ علىٰ عبدِه، بيَّن سوءَ حالِه عند ما يغنيهِ بفضلهِ إلا من عصمَهُ بدينهِ فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾، ولما بيَّن حالَه بيَّن سببَه فقال: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾، فهذا هو الطبعُ الغالبُ في الإنسانِ متىٰ استغنىٰ عن شيءٍ عمي عن مواضعِ افتقاره، فتغيرت أحوالُه معه، وتجاوزَ فيما ما ينبغي له الوقوفُ عنده، ولما أخبرَ بطغيانهِ، وبيَّن سببَ دائه، أشارَ إلىٰ علاجهِ حتىٰ يبادرَ بالدواءِ قبلَ أن يستحكمَ الداء، فذكَّره برجوعهِ وجزائه، فقال: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾.

ولما تحدثَ عن ذمِّ الطغيانِ عمومًا ذكرَ نموذجًا لأفحشِ ما يكونُ من حالاتهِ، من خلالِ بيانِ صدِّ أبي جهلٍ للنبيِّ ﷺ عن عبادةِ ربه فقال: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾، ولما بيَّنَ قبحَ نهيه عن الخير، بيَّنَ حالَ من ينهاه زيادةً في التقبيحِ من حاله، فقال: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾، ولما بيَّن كمالَ حالِه في تكميلِ نفسه، بيَّن سعيَه في إكمالِ غيرِه فقال: ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾، ولما بيَّنَ حالَ المنهي

بيَّن حالَ الناهي زيادةً في التوبيخِ والتعجيبِ، فقال: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، ولما بيَّنَ فسادَه الظاهرَ والباطنَ جاء التهديدُ القاصمُ له فقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾، فهو يعلم كُلَّ معلومٍ ويبصرُ كلَّ مبصر، ومن كان له ذلك كان جديرًا بأن يهلكَ من يراه علىٰ الضلالِ والإضلالِ وينصرُ من يطيعُ أمرَه علىٰ كلِّ من يعاديه، ولما كان هذا الخبيثُ معرضًا عن هذا العلمِ، غافلًا عن ما يمكن أن يلحقه من العذاب الأليم، جاءه الردعُ الصريحُ بعدَ ذلك التلويحِ في أعظمِ صورةٍ في التهديدِ فقال: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾، ولما تكلمَ عن أخذِه من مقدمةِ رأسِه، وهو أشرفُ ما فيه بيَّنَ سببَ ذلك الأخذِ المهين لهذه الناصيةِ فقال: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾، ولما كان هذا هو غايةُ الإهانة، وكان الكفارُ إنما يقصدون بإعراضِهم الأنفةَ والعزة الناتجة بسببِ قومِهم، وأهلِ ناديه، قال تعالىٰ مبينًا ما يكسرُ غرورهم: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾، ولما كان كأنه قيل: فلو دعا ناديه يكون ماذا؟ قال: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾، ولما كان ما سبقَ في بيانِ عجزِه، أمر نبيه أن لا يجيبَه إلىٰ تركِ الصلاةِ وغيرها، فقال: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾، ولما كان السجودُ أشرفَ ما في الصلاةِ عبر به عنها، قال: ﴿وَٱسْجُدْ﴾، ولما كان السجودُ أقربَ مقربٍ للعبدِ إلىٰ اللهِ قال: ﴿وَٱقْتَرِب﴾ أي اجتهدْ في بلوغِ درجةِ القربِ إلىٰ ربِّك والتحببِ إليه بكلِّ عبادةٍ لا سيما الصلاة، فإنه أقربُ ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجد.

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورة وخاتمتها:

فاتحتُها كان في الأمرِ بالقراءة، وأعظمُ ما يُقرأُ القرآن، وأعظمُ ما في القرآنِ سورةُ الفاتحةِ التي لا تكونُ الصلاةُ التي خُتِمَ الأمرُ بها إلا بقراءتها، وبهذا رجعَ آخرُ أمرٍ فيها بأولِ أمر، وتحققَ الربطِ بينهما علىٰ أحسنِ وجهٍ وأكمله.

www.Quranonlinelibrary.com

كما أن الأمرَ بالقراءةِ سببٌ، الاقتراب غاية، فبدأ بذكر السبب الذي يوصل للغاية.

خامسًا: خصائصُ السورةِ في عرضِ هداياتها:

١. الأمرُ بالقراءةِ، والبدءُ باسمِ اللهِ تبركًا واستعانةً وإخلاصًا ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾.

٢. الحديثُ عن خلقِ الإنسانِ من علق ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾.

٣. بيانُ تعليمِهِ تعالىٰ للخلقِ بالقلم، وأن ذلك من كمالِ كرمه ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾.

٤. الحديثُ عن تعليمِهِ للإنسانِ ما لم يكن يعلم من أمورِ الدين والدنيا ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾.

٥. بيانُ طغيانِ الإنسانِ وسببِهِ وعلاجه ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾.

٦. بيانُ قبحِ ممارسات أبي جهل مع النبيِّ ﷺ وهو نموذجٌ للطغيان ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾.

٧. تهديدُ أبي جهلٍ وقصمُ ظهرِه ودفاعُ اللهِ عن نبيه ﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ۝١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾.

٨. الحثُّ علىٰ السجودِ والاجتهادِ فيما يقربُ العبدَ من ربِّه وعدمِ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الاستجابةِ لمن يصد عن سبيله ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١ . ممارسةُ القراءةِ عمومًا عبوديةً لله، والإكثارُ منها، خاصةً القرآن، مع الالتزامِ بآدابِهِ من البدءِ باسمِ الله، والاستعانةِ به، والإخلاصِ له.

٢ . التدبرُ الدائمُ في آياتِ اللهِ المنظورةِ، والمقروءةِ، فإنها تعمقُ الإيمانَ، وتعرفُ العبدَ بعظمةِ خالقهِ جل وعلا، وتفردهِ بالربوبيةِ والألوهية.

٣ . اليقينُ بأن اللهَ وحدَه هو المستحقُ للعبادةِ دون سواه، حيث هو الذي خلقَ، ورزقَ، ودبَّرَ، وعلَّم، مع اليقين بقدرتهِ علىٰ البعثِ والنشورِ والحساب والجزاء.

٤ . معرفةُ العبدِ لضعفهِ وفقرهِ وحاجتهِ لربِّه، وأنه لا غنىٰ له عنه، والفقرُ إليه غنىٰ، والغنىٰ بغيرِه فقر.

٥ . تكريم أهل القراءة والعلم لا سيما قرّاء القرآن وأهله العاملون به.

٦ . عدمُ الاستغناءِ بالنعمةِ عن المنعم، وعدمُ الاعتمادِ علىٰ السببِ وترك المسبِّب.

٧ . عدمُ الوقوفِ في وجهِ من يفعلُ الخيرَ أو يحث عليه.

٨ . اليقينُ بقدرةِ اللهِ علىٰ أخذِ الطغاةِ متىٰ شاء، وأنه لا ينجي من عذابهِ أحد.

٩ . المحافظةُ علىٰ الصلاةِ وسائرِ العباداتِ التي تقربُ إلىٰ الله تعالىٰ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

١٠. الإكثار من السجود الذي هو أكثر ما يقرب العبد لربه تعالىٰ.

سابعًا: بعض أوجه الإعجاز في السورة:

فيها ثلاثةُ أوجهٍ من أوجه الإعجاز:

الوجهُ الأول: في قولهِ تعالىٰ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، فأصبحَ بذلك قارئًا، وأتىٰ بكلامٍ قرأه علىٰ الناسِ فعجزوا أن يأتوا بمثلهِ، ولن يأتوا بمثلهِ أبدًا.

الوجهُ الثاني: الإخبارُ بقوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾، فبينت أن الخلقَ يكون من العلقِ، وهي أن نطفةَ الذكرِ ونطفةَ المرأةِ بعدَ الاختلاطِ ومضي مدةٍ كافيَة تصيران علقةً، فإذا صارت علقةً فقد أخذت في أطوارِ التكوّنِ بعد أن تعلق بجدار الرحم، فجعلت الآيةُ العلقةَ مبدأَ الخلق، ولم تجعلْ النطفةَ مبدأَ الخلقِ؛ لأن النطفةَ اشتهرت في ماءِ الرجلِ فلو لم تخالطه نطفةُ المرأةِ لم تصر العلقةُ، فلا يتخلقُ الجنين «وهي من إعجازِ القرآن العلمي ذكر العلقة؛ لأن الثابت في العلم الآن أن الإنسان يتخلق من بويضة دقيقة جدًا لا ترىٰ إلا بالمرآة المكبِّرة أضعافًا، تكون في مبدأ ظهورِها كرويةَ الشكلِ سابحةً في دمِ حيضِ المرأة فلا تقبل التخلق حتىٰ تخالطها نطفة الرجل فتمتزج معها فتعلقُ بجدارِ الرحم فتأخذُ في التخلق».

الوجه الثالث: التحدي الذي وجه لأبي جهل، وخنوعه.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة العلق ولله الحمد
والمنة ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ١٠ جمادي الأولى ١٤٣٧ هـ.

تفسير وهدايات

سورة القدر

موضوع السورة:

بيانِ فضلِ القرآنِ الكريم
ببيانِ فضلِ الليلةِ التي أنزلَ فيها

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مدخل لدراسة السورة

أولًا: موضوعُ السورةِ:

في بيانِ فضلِ القرآنِ الكريم، من خلالِ بيانِ فضلِ وأهميةِ الليلةِ التي نزلَ فيها، وهي ليلةٌ مشهودةٌ معمورةٌ بالخيراتِ والبركات.

ثانيًا: المناسبةُ بين سورةِ العلق والقدر:

لما أمرَ اللهُ تعالىٰ بقراءةِ القرآنِ الكريم في سورةِ العلق التي قبلَها، وكانت تلك الآياتُ هي أولُ ما نزلَ من الوحي، في خيرِ بلدةٍ في الأرض، جاء هنا التصريحُ ببيانِ فضلِ القرآن الذي أمرَ بقراءته، من خلالِ بيانِ فضلِ الزمانِ الذي نزلَ فيه، حيث نزلَ في ليلةٍ لها من الكمالِ والجلالِ والجمالِ ما لها.

ولما كان السجودُ الذي أمرَ به في خاتمةِ العلقِ من أعظمِ ما يوصلُ للقربِ من الله، فكذلك القرآنُ وليلةُ القدرِ من أعظمِ ما يرفعان من قدرِ العبدِ عند ربه.

ثالثًا: مقاصدُ السورة:

- بيانُ فضلِ القرآنِ وعظمتِه بإسنادِ إنزاله إلىٰ الله تعالىٰ.
- الردُّ علىٰ الذين جحدوا أن يكون القرآنُ منزلًا من اللهِ تعالىٰ.
- رفعُ شأنِ الوقت الذي أنزلَ فيه القرآنُ من كلِّ عام.
- حضُ المسلمين علىٰ تحيّنِ ليلةِ القدرِ بالقيامِ والتصدق.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

موضوع السورة

بيانِ فضلِ القرآنِ الكريمِ
ببيانِ فضلِ الليلةِ التي أنزلَ فيها

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر: ١ – ٥].

أولًا: معاني كلمات السورة:

١. ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾: أي القرآنُ جملةً واحدةً من اللوحِ المحفوظِ إلىٰ سماءِ الدنيا.

٢. ﴿ٱلۡقَدۡرِ﴾: أي: الرفعةُ والعظمةُ والشرف، من قولِهم لفلانٍ قدرٌ عند فلان: أي: منزلةٌ وشرف. وقيل: ليلةُ الحكمِ والتقديرِ التي يقضىٰ فيها قضاءُ السنةِ كلِّها.

٣. ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾: أي إن شأنَها عظيم.

٤. ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾: أي العملُ الصالحُ فيها من صلاةٍ وتلاوةِ قرآن ودعاءٍ خيرٌ من عبادةِ ألفِ شهرٍ ليس فيها ليلةُ القدر، وهي ثلاثٌ وثمانون سنةً وأربعةُ أشهر.

٥. ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أي تتنزلُ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٦. ﴿وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾: أي جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في ليلةِ القدر.

٧. ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾: أي ينزلون بأمرِه تعالىٰ لهم بالتنزلِ فيها.

٨. ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٍ﴾: أي بكلِّ أمرٍ قضاه اللهُ تعالىٰ في تلك السنةِ من رزقٍ وأجلٍ وغيرِ ذلك.

٩. ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾: أي هي سلامٌ من الشرِ كلِّه من غروبِ الشمس إلىٰ طلوعِ الفجر.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. فيها بيانٌ لليلةِ التي أُنزلَ فيها القرآنُ الكريم، وأنه نزلَ في ليلةِ القدر، وهي الليلةُ المباركةُ التي قال تعالىٰ عنها: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾ [الدخان:٣-٥].

٢. تفيدُ أن ليلةَ القدرِ في شهرِ رمضان، لقولهِ تعالىٰ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة:١٨٥]، ولم يبين أيَّ ليلةٍ فيه، وبيَّنت السنةُ أنها في العشرِ الأواخر، وفي أوتارِها خاصة، والوترُ: أفضلُ الأعدادِ عند اللهِ كما دلَّ عليه حديث: (إن اللهَ وِترٌ يحبُّ الوتر)(١)، وأنّها ليست ليلةً معينةً مطّردةً في كلِّ السنين، بل هي متنقلةٌ في الأعوامِ وفي العشرِ الأواخر، في أوتارِها علىٰ المختار من الأقوال،

(١) أخرجه الترمذي في السنن ح رقم (٤٥٢)، والنسائي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٤٤٠)، والبيهقي ح رقم (٤٢٤٤)، وابن ماجة ح رقم (١١٦٩)، وابن ابي شيبة ح رقم (١٩٨)، وصححه الإمام الألباني في صحيح وضعيف الجامع ح رقم (٢٥٣٨).

www.Quranonlinelibrary.com

وقد جاء في مسندِ الإمام أحمد وغيرِه بسندٍ صحيحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: لَمَّا حَضَرَ رَمَضَانُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَيُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا قَدْ حُرِمَ) (١).

٣. تفيدُ أن القرآنَ نزلَ جملةً في هذه الليلةِ إلىٰ السماءِ الدنيا، كما ابتدأ نزولُه علىٰ النبيِّ ﷺ في هذه الليلةِ، ثم نزلَ منجمًا علىٰ الرسولِ ﷺ في ثلاثٍ وعشرين سنة.

٤. تفيدُ فضلَ ليلةِ القدر، وعلوَّ قدرِها، حيث سماها اللهُ بما يدلُّ علىٰ شرفِها، وشوَّقَ إليها، وبيَّنَ ما اختصَها به من خيرٍ عظيم، واختارَها لنزولِ الملائكة، وبيَّن ما فيها من سلامٍ وخير وبركة، وقد جاء في فضلِها الحديثُ المتفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)(٢).

٥. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ أخفىٰ أمرَها لحكمٍ عظيمةٍ حتىٰ يحيي من يريدُها الليالي الكثيرة: طلبًا لموافقتِها، وطمعًا في إدراكِها، فتكثرُ عبادتُه ويتضاعفُ

(١) أخرجه أحمد في المسند ح رقم (٩٤٩٧)، والنسائي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٢٤٢٧)، والبيهقي في شعب الإيمان ح رقم ٣٣٢٨، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه علىٰ أحاديث المسند: صحيح وهذا إسناد رجاله رجال الشيخين وأبو قلابة روايته عن أبي هريرة مرسلة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصوم، بَابُ: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَنِيَّةً، ح رقم (١٩٠١)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ: التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، وَهُوَ التَّرَاوِيحُ، ح رقم (٧٦٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ثوابُه، وأن لا يتكلَ الناسُ عند إظهارِها علىٰ إصابةِ الفضل فيها فيفرِّطوا في غيرِها، والسنةُ بيَّنت أن لها علامة تعرف بها، كما جاء عَنْ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيْضَاءَ لَا شُعَاعَ لَهَا)[1].

٦. تفيدُ أن النفيسَ لا يوصلُ إليه دائمًا إلا باجتهادٍ كبيرٍ إظهارًا لنفاستهِ، وإعظامًا للرغبةِ فيه، وإيذانًا بالسرورِ به.

٧. تفيدُ أن ليلةَ القدرِ جمعت بين عظيمِ قدرِها عند اللهِ لما فيها من خيرٍ كثير، وأنه يقدِّرُ اللهُ فيها أمرَ السنةِ في عبادِه وبلادِه، قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤]. قيل للحسينِ بن الفضل: «أليس قد قدَّرَ اللهُ المقاديرَ قبلَ أن يخلقَ السمواتِ والأرض؟ قال: بلىٰ، قيل: فما معنىٰ ليلةُ القدر؟ قال: سَوْق المقاديرِ إلىٰ المواقيت، وتنفيذُ القضاءِ المقدر»[2]. ما قضاه اللهُ تعالىٰ وحكمَ بوجوده قد كتبَ في اللوحِ المحفوظ، ومنه القرآنُ الكريم، ثم في ليلةِ القدرِ تؤخذُ نسخةٌ من أحداثِ السنةِ فتعطىٰ الملائكةُ وتنفذُ حرفيًا في تلك السنة.

٨. فيها تقريرُ عقيدةِ القضاءِ والقدرِ، كما قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢ – ٢٣].

٩. تفيدُ أن اسم ﴿لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ اختارَه الله تعالىٰ لهذِه الليلةِ التي ابتدأ فيها

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ: التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، وَهُوَ التَّرَاوِيحُ، ح رقم (٧٦٢).

(٢) معالم التنزيل، البغوي (٧/ ٤٤٧).

www.Quranonlinelibrary.com

نزولُ القرآن، ويظهرُ أن أولَ تسميتِها بهذا الاسمِ كان في هذه الآيةِ، ولم تكن معروفةً عند المسلمين، وبذلك يكون ذكرُها بهذا الاسم تشويقًا لمعرفتِها؛ ولذلك عقبَ بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾.

١٠. تفيدُ أن اختيارَ هذا الاسمِ يدلُّ علىٰ فضلِها؛ لأنه قيل إنها سميت بذلك: لعظيمِ قدرِها وشرفِها من قولهم: لفلانٍ قدرٌ، أي شرفٌ ومنزلة. وقيل سميت بذلك: لأن للطاعاتِ فيها قدرًا عظيمًا وثوابًا جزيلا، وقال الخليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سميت ليلةُ القدرِ: لأن الأرضَ تضيقُ فيها بالملائكةِ كقوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧] أي ضيق»(١).

١١. تفيدُ فضلَ القرآن الكريم، ودلَ علىٰ ذلك: افتتاحُها بحرفِ ﴿إِنَّآ﴾، وبالإخبارِ عنها بالجملةِ الفعلية، وكلاهما من طرقِ التأكيدِ والتقوّي، ثم ذكرَ ضميرَه دونَ اسمِهِ الظاهر دلالةً علىٰ شهرته، والاستغناءَ عن تسميته، وأنه اختارَ لإنزالِهِ أفضلَ الأوقات، وأن اللهَ أسندَ إنزالَه إليهِ بضميرِ العظمة، وجعله مختصًا به دون غيرِه، وإسنادُ الإنزالِ إليه تشريفٌ عظيمٌ للقرآن نفسه(٢).

١٢. تفيدُ أن الآياتِ الأولىٰ من القرآنِ نزلت ليلًا، وهو الذي يؤكدُه حديثُ بَدْءِ الوحي في (الصحيحين) لقولِ عائشةَ فيه: (فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ أُولَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ) (٣) فكان تعبدُه ليلًا، ويظهرُ أن يكون الملكُ قد نزلَ عليه إثرَ فراغهِ من تعبده.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٠/ ١٣١).

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (٢/ ٤٩٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدأ الوحي، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ ح رقم(٣)، ومسلم في كتاب: الإيمان، بَابُ: بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ح رقم (١٦٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

١٣. تفيدُ أن المقصودَ من تشريفِ الليلةِ التي كان ابتداءُ نزولِ القرآن فيها تشريفًا آخرَ للقرآنِ بتشريفِ زمانِ ظهوره، تنبيهًا علىٰ أنه تعالىٰ اختارَ لابتداءِ إنزاله وقتًا شريفًا مباركًا؛ لأن عظمَ قدرِ الفعلِ يقتضي أن يُختار لإيقاعهِ فَضْل الأوقات والأمكنة.

١٤. فيها بيانُ فضلِ الليلِ مع القرآنِ حيث خصَّه فيه بالنزول، وجاءت الأدلةُ الأخرىٰ التي تبين ذلك، كما قال تعالىٰ عن قراءتهِ في الليل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦].

١٥. فيها إثباتُ علو اللهِ تعالىٰ، حيث أسندَ إنزالَه إليه دون غيرِه، وهو أمرٌ معلومٌ مقطوعٌ به بأدلةٍ أكثرَ من أن تحصىٰ.

١٦. تفيدُ أن النبيَّ ﷺ لا يعلمُ من الغيبِ إلا ما أعلمَه اللهُ تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾، والمعنىٰ: أيُّ شيءٍ يُعَرِّفك ما هي ليلةُ القدر، وما مقدارُها.

١٧. فيها إيماءٌ إلىٰ أن شرفَها مما لا يحيطُ به علمُ العلماء وإنما يعلمُه علامُ الغيوب.

١٨. تفيدُ أن ليلةَ القدرِ جمعت مع شرفِ نزول القرآن فيها، وأنه يقدرُ فيها ما يكون في العامِ من الآجالِ والأرزاقِ والمقاديرِ المقدرة، أن ثوابَ العملِ فيها أكثرُ من ثوابِ العملِ في ألفِ شهرٍ ليس فيها ليلةُ القدر.

١٩. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ له أن يفضلَ ما يشاءُ من الشهورِ والليالي والأماكنِ لمعنىٰ من المعاني التي تدعو إلىٰ التفضيلِ وله الحكمة البالغة.

www.Quranonlinelibrary.com

٢٠. فيها ما يشيرُ إلىٰ فضل العبادة في ليلةِ القدر، وأن العملَ الصالحَ يكون فيها ذا قدرٍ عند الله لكونه مرغوبًا فيها.

٢١. فيها بيانُ فضلِ اللهِ علىٰ رسولِه والمؤمنين حيث خصَّهم بهذا الفضلِ العظيم تعويضًا لهم في قصرِ أعمارهم، ليبلغوا بها وحدَها فوقَ ما بلغَ الأممُ السالفة من طولِ أعمارهم ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾.

٢٢. فيها بيانُ سعةِ فضلِ اللهِ تعالىٰ لدرجةٍ تحتارُ فيها الألباب، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

٢٣. فيها أهميةُ الإيمانِ بالملائكة، وأنهم ينزلون للأرضِ لمهامٍ محددة، لا نعلمُ منها إلا ما أخبرنا عنه القرآنُ والسنة ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾.

٢٤. فيها بيانُ منزلةِ ومكانةِ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث خصَّه بالذكرِ مع دخولهِ في عموم من سبقه، كما قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

٢٥. تفيدُ أن نزولَ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ والملائكة في هذه الليلةِ يدلُّ علىٰ كثرةِ بركتِها ورحمتِها، كما أنه يدلُّ علىٰ هيبتها؛ لأنهم ينزلون مصحوبين بكلِّ أمرٍ قضاه اللهُ وحكمَ به، وقدرَه في تلك السنةِ من رزقٍ وأجلٍ وغيرِها.

٢٦. تفيدُ أن نزولَ الملائكةِ لا يتمُ إلا بإذنٍ من اللهِ تعالىٰ، ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤].

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٢٧. فيها ما يدلُّ علىٰ أنهم استأذنوا أولًا فأذن لهم، بما يشيرُ محبتهم للمؤمنين، ورغبتهم في لقائهم؛ لكن كانوا ينتظرون الإذن ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧-٩].

٢٨. فيها دليلٌ علىٰ عصمةِ الملائكةِ، كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، وهي تفيد إلىٰ أنهم لا يتصرفون تصرفًا ما إلا بإذنه.

٢٩. فيها إشارةٌ إلىٰ أن نزولَهم كان عبادةً لله تعالىٰ، فكأنهم قالوا: ما نزلنا إلىٰ الأرضِ لهوىٰ أنفسنا، لكن لأجلِ كلِّ أمرٍ قدره الله. وقالوا: تنزلُ الملائكةُ والروحُ في ليلةِ القدرِ بالخيراتِ والسعاداتِ ولا ينزلُ فيها من تقديرِ المضار شيء، فما ينزل في هذه الليلةِ فهو سلامٌ، أي سلامةٌ ونفعٌ وخير.

٣٠. تفيدُ أن الليالي والأوقات والأحوال التي تنزل فيها الملائكة مقدرة معظمة كليلة القدر، وعشية عرفة، ومجلس الذكر، والتحام الصفوف، حيث جعل هنا أول سبب لخير ليلة القدر وعظمتها.

٣١. فيها بيانٌ لعظمةِ سلطانهِ جل وعلا وهيبتهِ، وأنه لا ملكٌ يترك من مكانهِ إلا بإذنه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

www.Quranonlinelibrary.com

٣٢. فيها بيانُ تسليمِ الملائكةِ علىٰ العابدين المجتهدين في تلك الليلة ﴿سَلَٰمٌ﴾؛ وذلك لأنه يطلقُ السلامُ بمعنىٰ التحيةِ، والقولُ الحسنُ مراد به ثناءُ الملائكةِ علىٰ أهلِ ليلة القدر كدأبهم مع أهل الجنة فيما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ – ٢٤].

٣٣. فيها بيانٌ لسلامةِ تلك الليلةِ من كلِّ آفةٍ وشرٍ من عملِ الشياطين والكهان وغيرِهم؛ وذلك لكثرةِ خيرها؛ ولأن السلامَ: مصدرُ معناه السلامةُ، قال تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

٣٤. فيها استحبابُ تحري هذه الليلةِ، والاعتكافِ لها رجاءَ إدراكِ بركتِها والفوزِ بفضلها؛ لأن اللهَ سبحانه وتعالىٰ أعلمَنا بقدرِها لنعتمدَها في مظانِّ دعائنا وتعلقِ رجائنا ونجتهدَ في العملِ لعلنا نوافقها.

٣٥. تفيدُ أنه من حُرِمَ فضلَ ليلة القدرِ فقد حرمَ خيرًا كثيرًا، ولهذا قال النبي ﷺ: (مَنْ حُرِمَهَا فقد حُرِمَ الخَيْرَ كُلَّهُ، ولا يُحْرَمُ خَيْرَها إلاّ مَحْرُومٌ)[1].

٣٦. تفيدُ أن خيرَ تلك الليلةِ يشملُ جميعَ أوقاتها، فجميعُ أوقاتها معمورةٌ بنزولِ الملائكةِ والسلامة، وجيء بحرفِ ﴿حَتَّىٰ﴾ لإدخالِ الغايةِ لبيانِ أن ليلة القدر تمتدُ حتىٰ مطلعِ الفجر، فالغاية هنا مؤكدةٌ لمدلولِ الليلة؛ لأن الليلةَ قد تطلقُ علىٰ بعض أجزائها كما ثبت في قول النبي ﷺ (من قام ليلةَ القدرِ إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذَنْبه)[2]، أي من قام بعضها.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، برقم (١٦٤٤)، وقال المنذري: إسناده حسن، و صححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الصوم، بَابُ: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَنِيَّةً،ح

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣٧. تفيدُ أن ليلةَ القدرِ كلَّها سلامةٌ وأمنٌ وخيرٌ وبركةٌ من مبدئِها إلىٰ نهايتها.

٣٨. فيها تعليمٌ للمسلمين أن يعتنوا بالأيامِ الفاضلة، ويجتهدوا في نيلِ فضلها.

٣٩. تفيدُ أن الليلَ ينتهي بطلوعِ الفجر ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾.

٤٠. تفيدُ أن أعظم سلام تحقق للإنسانية في ليلة القدر نزول القرآن.

٤١. فيها ما يشيرُ إلىٰ أن اللهَ هو السلامُ، ومنه السلامُ، وإليه السلام، حيث أنزلَ كتابَه الذي يدعو إلىٰ السلامِ، ويوصلَ إلىٰ دار السلامِ في ليلةِ السلام، قال تعالىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥].

ثالثًا: التناسقُ الموضوعي في السورة:

لما كان مقصودُ السورةِ بيانَ فضلِ القرآن ابتدأ تعالىٰ بتفخيمهِ بأمور منها: إضمارُه، وإسنادُ إنزالهِ إليه، وجعل ذلك في مظهرِ العظمة، فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾، ولما عظمَه بما ذكر، زاده عظمةً ببيانِ فضلِ الوقتِ الذي اختارَه

رقم (١٩٠١)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ: التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، وَهُوَ التَّرَاوِيحُ، ح رقم (٧٦٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

لإنزالِهِ فيه فقال: ﴿فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾، ولما افادَ السياقُ تعظيمَها بعظمةِ ما أنزل فيها، قال مؤكدًا لعظمتها: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾. ولما بين عظمتَها بالتنبيه علىٰ أنها أهلٌ لأن يسألُ عن خصائصِها، بين عظيمَ فضلِها: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، ولما بين عظيمَ فضلها ذكرَ أوجهًا لعظمتِها وخصائصها فقال: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، ولما ذكرَ سبحانه هذه الفضائلَ والخصائصَ، كانت النتيجةُ أنها متصفةٌ بالسلامةِ التامة كاتصافِ الجنة بما يدلُ علىٰ تمام عظمتها فقال تعالىٰ: ﴿سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾.

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورة وخاتمتها:

أولُ السورةِ في بيانِ فضلِ القرآن واسمِ الليلةِ التي نزلَ فيها، وآخرُها في بيانِ شرفِ تلك الليلة.

وذكر في أولها الليلة وختمت بمطلع الفجر.

خامسًا: خصائصُ السورةِ في عرضِ هداياتها:

١. الحديثُ عن وقتِ نزولِ القرآن، واسمِ الليلةِ التي نزلَ فيها ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.

٢. بيانُ فضلِ ليلةِ القدر ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾

٣. بيانُ ما يحدثُ في ليلةِ القدر من خصائص ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾.

www.Quranonlinelibrary.com

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. تعظيمُ القرآنِ ومحبتُه والاقبالُ عليه بالكليةِ إيمانًا، وتلاوة، وتدبرًا وعملًا.

٢. الحرصُ علىٰ قيامِ ليلةِ القدر في كلِّ سنةٍ، والاعتكافُ لها، لينالَ من فضلها ما لا يحصيه إلىٰ الله تعالىٰ.

٣. اغتنامُ فرصِ الأزمنةِ والأمكنةِ الفاضلة في التجارةِ مع الله تعالىٰ.

٤. الإيمانُ بالملائكةِ وأنهم لا ينزلون إلا بأمرِ الله لمهامٍ محددة.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة القدر ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ٢٣ جمادي الأولى ١٤٣٧هـ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

ســورة البينة

موضوع السورة:

حال أهل الكتاب والمشركين
تجاه البينة ومصيرهم وجزاء المؤمنين

من خلال موضوعين:

- بيان حال الكفار عند نزول القرآن وتناقضهم.
- بيان مصير الكافرين بالبينة وجزاء المؤمنين بها

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مدخل لدراسة السورة

أولًا: فضلُ السورة:

فقد جاء في صحيحِ البخاري ومسلمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُبَيٍّ: (إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَبَكَىٰ)[1] أي: من الفرح، والفضلُ يظهرُ في تخصيصها بالقراءة من بين سائرِ السور.

ثانيًا: موضوعاتِ السورة:

موضوعُ السورةِ في بيانِ حالِ أهلِ الكتاب والمشركين تجاه البينة: الرسولُ المرسل، والكتابُ المنزل الذي يتلوه، وجزاءُ كلِّ فريقٍ ممن كفر وآمن، وجاء هذا في موضوعين:

الموضوعُ الأول: بيانُ حالِ الكفارِ وتناقضِهم عند نزولِ القرآن حيث كفروا بالبينةِ التي كانوا ينتظرون مجيئَها، ويبشرونَ بها (الآيات١- ٥).

الموضوعُ الثاني: بيانُ مصيرِ الكافرين بالبينةِ وجزاءُ المؤمنين بها (الآيات:٦- ٨).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، سُورَةُ لَمْ يَكُنْ،ح رقم (٤٩٥٩)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ: اسْتِحْبَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ أَهْلِ الْفَضْلِ، وَالْحُذَّاقِ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ الْقَارِئُ أَفْضَلَ مِنَ الْمَقْرُوءِ عَلَيْهِ، ح رقم (٧٩٩).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثالثًا: المناسبةُ بين سورةِ القدر والبينة:

لما ذكرَ تعالىٰ إنزالَ القرآنِ، وبينَ وصفَ الليلةِ التي أنزلَ فيها، ذكرَ هنا العلةَ التي من أجلِها أنزلَه، وهي أن الكفارَ لم يكونوا منفكين عما هم عليه حتىٰ يأتيهم رسولٌ من عند اللهِ يتلو عليهم ما أنزلَ عليه من الصحفِ المطهرة التي أمرَ بقراءتها، وبين كذلك عظمةَ ما احتواه هذا الكتابُ المنزل ُمن نفائسِ العلوم.

وقال الإمامُ أبو جعفر بن الزبير الغرناطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هي من كمالِ ما تقدمَها؛ لأنه لما أمرَه عليه الصلاةُ والسلامُ بقراءةِ كتابهِ الذي به اتضحَ سبيلُه وقامت حجتُه، وأتبعَ ذلك بالتعريفِ بليلةِ إنزالهِ وتعظيمِها ما أهلت له مما أنزلَ فيها، أتبع ذلك ﷺ بأنَّ هذا الكتاب هو الذي كانت اليهودُ تستفتحُ به علىٰ مشركي العرب، وتعظمُ أمرَه وأمرَ الآتي به، حتىٰ إذا حصل ذلك مشاهدًا لهم كانوا هم أولَ كافرٍ به»(١).

(١) البرهان في تناسب سور القرآن (ص: ٢١٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الموضوعُ الأول

بيانُ حالِ الكفارِ عند نزولِ القرآن وتناقضِهم

قال تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ١ – ٥].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: هم اليهودُ والنصارىٰ.

٢. ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾: هم عبدةُ الأوثانِ والنيرانِ وغيرُهما من العربِ والعجم.

٣.﴿مُنفَكِّينَ﴾: زائلين عما هم فيه، منتهين عنه، ومفارقين له.

٤.﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾: وهي الحجةُ الواضحةُ التي تبينُ الحقَّ، وهو محمدٌ ﷺ والقرآن.

٥. ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: وهو محمدٌ ﷺ.

٦. ﴿يَتْلُوا۟﴾: التلاوةُ: إعادةُ الكلامِ دونَ زيادةٍ عليه، ولا نقصٍ منه، سواءً أكان كلامًا مكتوبًا أو محفوظًا عن ظهرِ قلب.

٧. ﴿صُحُفًا﴾: الصحفُ جمعُ صحيفةٍ، وهو ما يكتبُ فيه من الأوراقِ والجلودِ وغيرِها.

٨. مُّطَهَّرَةً: أي: مبرأةٌ من الباطلِ والزورِ والضلالِ والزيادةِ والنقصان.

٩. كُتُبٌ: أي: أحكامٌ أو موضوعات، كما يقال: كتابُ الصلاةِ والزكاةِ ونحوها.

١٠. قَيِّمَةٌ: مستقيمةٌ، ومستويةٌ ومحكمةٌ وهو يدلُ علىٰ كمالِها وصوابِها.

١١. إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ: أي الرسولُ محمد ﷺ وكتابُه القرآنُ الكريم.

١٢. وَمَآ أُمِرُوٓاْ: أي في كتبِهم التوراةِ والإنجيل.

١٣. مُخۡلِصِينَ: والإخلاصُ: التصفيةُ والإنقاء، أي غيرُ مشاركين في عبادتهِ معه غيره.

١٤. ٱلدِّينَ: العبادةُ.

١٥. حُنَفَآءَ: جمعُ حنيف، وهو في الأصلِ المائلُ المنحرف، والمراد: مائلين عن الأديانِ كلِّها إلىٰ الإسلام، ومن الشركِ إلىٰ التوحيدِ، وهو لقبٌ للذي يؤمن باللهِ وحده دون شريك، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

١٦. دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ: الشديدةُ الاستقامة، أو الملةُ العادلةُ المعتدلة.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. فيها بيانُ حالِ أهلِ الدياناتِ السابقةِ للإسلام، وما وصلَ إليه الناسُ من انحرافٍ وضلالٍ عند مبعثِ الرسول، ولم تصبحْ تلك الدياناتُ صالحةً لهدايةِ البشرية، ولا فرقَ في ذلك بين اليهوديةِ والنصرانيةِ وغيرها، كما قال

www.Quranonlinelibrary.com

تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

٢. تفيدُ أن بعثةَ الرسولِ ﷺ كانت ضرورية لتحويلِ الذين كفروا إلىٰ الإيمانِ مما انتهوا إليه من الضلالِ والاختلافِ الذي بدون ذلك لا يمكن أن يحدث، حيث بيَّن تعالىٰ أنهم كانوا في حالةٍ من الكفرِ والشركِ لا ينتهون عنها إلا ببعثةِ رسولٍ وإنزالِ كتابٍ يبين لهم الحقَّ من الباطلِ في أديانِهم وعقائدِهم، ويبين لهم ما ضلوا فيه.

٣. فيها بيانُ أصنافِ الكفار، حيث قسمَهم إلىٰ أهلِ الكتابِ والمشركين، فهم جميعًا كفرة، وهي تفيدُ أن المشركين ليسوا من أهلِ الكتاب لوجودِ العطف، فأهلُ الكتابِ هم اليهودُ والنصارىٰ، والمشركون هم عبدةُ الأوثان، وإن كان وصفُ الكفرِ والشركِ يجمعهما، ولكن لأهلِ الكتابِ أحكامٌ تخصُّهم في النكاحِ والطعامِ وغيرِها.

٤. تفيدُ أن الكفرَ والفسوقَ قد ينغمسُ فيهما الإنسانُ فلا يجدُ للانفكاكِ سبيلًا إلا أن يدركَه الله برحمته.

٥. تفيدُ أن القرآنَ الكريم مشتملٌ علىٰ البيناتِ القاطعةِ علىٰ صدقِ الرسالة، وأنه منزلٌ من عند اللهِ تعالىٰ، وأن ما هم عليه ضلالٌ وجهل.

٦. فيها بيانُ أثرِ الأدلةِ القاطعةِ والبراهين الساطعةِ في هدمِ الباطلِ وإقامةِ الحق.

٧. فيها بيانُ عظمةِ وشرفِ الرسولِ محمد ﷺ؛ لأنه رسولٌ مرسلٌ من عند اللهِ ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٨. تفيدُ أن الرسولَ محمدًا ﷺ مرسلٌ من عند الله بالهدىٰ والحقِّ المبين ليخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلىٰ النور، وهذه نعمةٌ تستوجبُ الشكرَ، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

٩. فيها بيانُ مهمةِ الرسولِ، وهي تلاوةُ القرآنِ وبيانُه للناس بعد بلاغهِ، ليخرجَهم من الظلماتِ إلىٰ النور، ويزكِيهم به.

١٠. فيها بيانُ منزلة تلاوةِ القرآنِ حيث خصت بالذكر، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

١١. فيها بيانُ منزلةِ وعظمةِ القرآن حيث هو في صحفٍ مطهرةٍ بأيدي الملائكة الكرامِ البررةِ في الملأ الأعلىٰ، قال تعالىٰ: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣ - ١٦].

١٢. تفيدُ أن آياتِ الكتابِ مطهرةٌ من الكذبِ والباطلِ والتناقضِ والضلالِ، مطهرةٌ من الزيادةِ والنقصانِ، والأدناسِ والأنجاس، مشتملةٌ علىٰ الصدقِ والهدىٰ والحقِّ المبين، ليس فيها تحريفٌ أو لبسٌ، فالمطهرةُ نعتٌ للصحفِ في الظاهر، وهي نعتٌ لما في الصحفِ من القرآن، وقيل الصحفُ المطهرة: هي التي في السماء، وكلاهما وارد.

١٣. تفيدُ دلالةً علىٰ التطهيرِ الحسيِّ للمصحفِ؛ فلا يتلىٰ إلا علىٰ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

طهارةٍ ولا يدخلُ به الأماكنَ النجسة، ولا يسافرُ به إلىٰ أرضِ العدوِّ مخافةَ إهانتِه.

١٤. فيها بيانُ عظمةِ ما اشتملَ عليه القرآنُ من أحكامٍ وموضوعاتٍ قيمةٍ، تحملُ أخبارًا صادقةً، وأوامرَ عادلةً، تهدي إلىٰ الحقِّ وإلىٰ صراطٍ مستقيم ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾.

١٥. تفيدُ أن أهلَ الكتابِ بصورةٍ خاصةٍ كانوا منتظرين بعثةَ الرسولِ محمدٍ بفارغِ الصبرِ لعلمِهم بما أصابَ دينَهُم من فساد، ولما أخبرتْ وبشرتْ به كتبُهم، ولما جاءهم الرسولُ ﷺ وجاءتهم البينةُ علىٰ صدقِهِ تفرقوا واختلفوا، فآمن البعضُ وكفرَ البعض، قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

١٦. تفيدُ فسادَ حالِ أهلِ الكتاب، وانقطاعَ أعذارِهم حيث عرفوا الهدىٰ واستحبوا الضلالة؛ لأنهم اختلفوا وتفرقوا في أمرِه بعد ما علموا أنه الحق وفي هذا تشنيع لحالهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

١٧. فيها ذمُّ التفرقِ والاختلافِ في الدين بعدَ ظهورِ الأدلةِ والبيناتِ، قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [الشورىٰ: ١٣ - ١٤].

١٨. فيها تسليةٌ للرسولِ ﷺ ببيانِ فسادِ حالِ أهلِ الكتاب فإن تفرقَهم هذا ليس لقصورٍ في الحجةِ، أو غموضٍ في الأدلة، أو تقصيرٍ في المرسلِ؛ بل لعنادِهم الذي عرفوا به منذُ القدم، فسلفُهم هكذا كانوا، هذا إذا حملنا الآية علىٰ حالةٍ سابقةٍ وهي محتملةٌ، لأنهم لم يتفرقوا في عيسىٰ وغيرِه إلا بعد ما جاءتهم البينة.

١٩. فيها بيانٌ ثانٍ لانقطاعِ عذرهم في تفرقِهم حيث لم يكلفوا بأمرٍ شاقٍ أو جديدٍ عليهم، وإنما أمروا بما هو في كتبِهم، وبما يصلحُ دينَهم ودنياهم، وما يحققُ سعادتَهم في معايشِهم ومعادِهم من خلالِ إخلاصِ العبوديةِ لله ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾.

٢٠. تفيدُ أن الكتبَ كلَّها جاءت بأصلٍ واحد، فقد أمروا في سائرِ الشرائعِ أن يعبدوا ﴿ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾، قاصدين بجميعِ عباداتِهم الظاهرةِ والباطنةِ وجه الله، وطلب الزلفىٰ لديه، مائلين عن سائرِ الأديان المخالفةِ لدين التوحيد، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٢١. تفيدُ أن التوحيدَ الذي هو تجريدُ الأعمالِ عن كلِّ شيءٍ إلا لوجهِهِ الكريم هو أعظمُ ما أُمِرَ به الرسولُ، وجميعُ الرسلِ من قبله، وهو أولىٰ ما يعتني به الدعاةُ والمصلحون في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

٢٢. تفيدُ أن الفلاحَ مرهونٌ بعدَ الشهادةِ بإقامةِ الصلاةِ في وقتها، وبإقامةِ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ظاهرِها في أركانِها وشروطِها وسننِها، وبإقامةِ باطنِها بالخشوع، وتدبرِ ما يتلوه من قرآن، وما يقولُه من أذكار.

٢٣. فيها وجوبُ أداءِ الزكاةِ في الأموالِ إلىٰ مستحقيها وأهلها دون تراخٍ أو تساهلٍ بصورةٍ مستمرةٍ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

٢٤. فيها بيانُ فضلِ الصلاةِ والزكاةِ حيث خصَّهما بالذكرِ مع أنهما داخلتان في قولِهِ: ﴿لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ لفضلِهما وشرفِهما، وكونِهما العبادتين اللتين من قامَ بهما قامَ حفزتهما للقيام بجميعِ شرائع الدين، وهما العبادتان اللتان بهما تعصم الدماء، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ٥]، وبهما تثبت الأخوة في الدين، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١].

٢٥. تفيدُ أن إخلاصَ العبادةِ للخالقِ هو ﴿دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ أي: الدينُ المستقيم، الموصلُ إلىٰ جناتِ النعيم، وما سواه فطرقٌ موصلةٌ إلىٰ الجحيم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

٢٦. فيها إلزامٌ لهم بأحقيةِ الإسلام وأنه الدينُ القيم، قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ

www.Quranonlinelibrary.com

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

٢٧. تفيدُ أن إقامةَ التوحيدِ والصلاةِ والصيامِ مقررةٌ في كلِّ الأديان، وهو الدينُ القويم الذي لا عوجَ فيه، كما قال تعالىٰ عن عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾ [مريم: ٣١]، وقال تعالىٰ عن إسماعيلَ عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ [مريم: ٥٥]؛ ولكن هيئات الصلاة والصيام تختلف من شرعية إلىٰ أخرىٰ.

٢٨. تفيدُ أن اليهودَ والنصارىٰ أمروا في التوراةِ والإنجيلِ بما جاء به الإسلام، وهو أن يعبدوا اللهَ مخلصين له الدين في كلِّ وقت، وذلك مع الاقتصادِ لئلا يملَّ الإنسانُ فيخل، أو يحصلُ له الإعجابُ فتفسدُ عبادتُه.

٢٩. تفيدُ ما يدعو إلىٰ التعجبِ من حالِ أهل الكتابِ، فما بالهم لما جاءهم الإسلامُ بمثل ما أمروا به كفروا به وعادوه.

٣٠. تفيدُ أن الملةَ القيمةَ، والدينَ المنجي من العذابِ، المحققَ للإسعادِ والكمالِ ما قامَ علىٰ أساسِ عبادةِ اللهِ وحده، وإقام الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، والميلِ عن كلِّ دين إلىٰ هذا الدينِ الإسلامي ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾.

٣١. فيها تنويهٌ بفضلِ القرآنِ الكريم علىٰ غيرِه من الكتبِ باشتمالهِ علىٰ ما في الكتبِ السابقة، واشتمالهِ علىٰ الدينِ المستقيمِ الكامل.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الموضوع الثاني

بيانُ مصيرِ الكافرين بالبينةِ وجزاءِ المؤمنين بها

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٦ – ٨].

أولًا: المناسبة بين الآيات:

لما بيَّنَ حالَهم من البينةِ بين جزاءَ الذين كفروا، وعاقبةَ الذين آمنوا باللهِ وصدقوا رسوله.

ثانيًا: معاني الكلمات:

١. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أي بالإسلامِ ونبيهِ وكتابه.

٢. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾: ماكثين فيها لا يحولون عنها ولا يزولون.

٣. ﴿شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾: شرُ الخليقة؛ أي شرُّ من برأَهُ اللهُ وخلقَه؛ لأن اللهَ برأهم وأوجدَهم من العدم

٤. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي بالإسلامِ ونبيهِ وكتابهِ وهم اليهودُ والنصارىٰ.

www.Quranonlinelibrary.com

٥. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾: أي شرُ الخليقةِ.

٦. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: أي آمنوا بالإسلامِ ونبيهِ وكتابهِ وعملوا الصالحات.

٧. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾: أي هم خيرُ الخليقة.

٨. ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾: أي: بساتينُ إقامةٍ دائمة.

٩. رضي اللهُ عنهم: أي بطاعتهِ في الدنيا، بإكرامه بجنته في الآخرة، وإن كان الرضىٰ أعظم من الإنعام الحسي في الجنات، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢] نسأل الله الكريم من فضله.

١٠. ورضوا عنه: بما أنعم عليهم من جلائل النعم وعظائم المِنَنْ من نعيمِ الآخرة.

ثالثًا: هدايات المستفادة من الآيات:

١. فيها بيانُ مصيرِ وجزاءِ الكافرين من اليهودِ والنصارىٰ والمشركين وغيرِهم الذين جحدَوا بمحمدٍ ﷺ وبالقرآنِ بعد ما أعرضوا عن البيناتِ والهدىٰ.

٢. تفيدُ أن الكافرَ خالدٌ في نارِ جهنَّم لا يخرج منها ولا يموتُ فيها، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ [فاطر: ٣٦].

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣. تفيدُ أن الكافرين هم شرُ البرية حالًا ومصيرًا، وهذا حكمٌ قاطعٌ لا جدالَ فيه مهما كان لهم من صلاحٍ في بعضِ أعمالهم.

٤. تفيدُ أن عقوبةَ العالِمِ أشدُّ من عقوبةِ غيرِه؛ ولذا قدمَ أهلَ الكتابِ علىٰ المشركين.

٥. تفيدُ أن أهلَ الإيمانِ والعملِ الصالحِ الذين عرفوا اللهَ وعبدُوه هم خيرُ البريةِ حالًا ومآلًا.

٦. تفيدُ أنه لما كان نعيمُ القلبِ أعظم، قدَّمَه علىٰ نعيمِ البدنِ إبلاغًا في مدحِهم فقال: ﴿هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾.

٧. فيها بيانُ عظمِ ثوابِ الإيمانِ والعملِ الصالح ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾.

٨. تفيدُ أن الله تعالىٰ وصفَ نعيمَ المؤمنين بخمسةِ أوصاف ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾، فإنه مدَّخرٌ لهم عند ربِّهم يومَ يلقونه تكرمةً لهم لما في ﴿عِندَ﴾ من الإيماء إلىٰ الحظوةِ والعناية، وما في لفظِ ربِّهم من الإيماءِ إلىٰ إجزالِ الجزاء بما يناسبُ عظمَ المضاف إليه كقوله تعالىٰ: ﴿نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ [فصلت:٣٢]، ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾، أي: جناتُ إقامة لا ظعنَ فيها ولا رحيل، ولا طلبَ لغايةٍ فوقها، ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ من تحتِ قصورِها وأشجارِها وأرضِها، والأعظمُ من ذلك ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾، والأعظمُ منها: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ فهذا الرضا من اللهِ هو أعلىٰ وأندىٰ من كلِّ نعيم، ورضوا به وبإنعامهِ رضًا يورثُ النفوسَ طمأنينةً وفرحًا وسرورًا، وهذا أعظمُ مراتبِ الكرامة، قال

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

٩. تفيدُ أنهم نالوا من إحسانِ اللهِ ما لا مطلبَ لهم فوقه؛ لأنهم لم تبق لهم أمنيةٌ إلا أعطوها مع علمِهم أنه متفضلٌ في جميع ذلك، لا يجبُ عليه لأحدٍ شيء، فلو أخذَ الخلقَ بما يستحقونَه لأهلكهم، وأعظمُ نعمهِ عليهم ما منّ عليهم به من متابعتِهم رسولَ اللهِ ﷺ، فإن ذلك كان سببًا لكلِّ خير لقوله ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾.

١٠. تفيدُ أن أعظمَ الرضا هو الرضا به ربًّا مدبِّرًا، والرضا عنه فيما يقدرُه ويقضي به، والرضا بثوابِه، ومن لم يرض باللهِ فكيف يرجو رضاه.

١١. فيها بيانُ فضلِ خشيةِ اللهِ تعالىٰ التي هي من أجلِّ المنازلِ الإيمانية، وأنفعِها للقلبِ، لأن ذلك الجزاءَ والرضوان ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾، ولهذا مدحَ أهلَها في كتابه وأثنىٰ عليهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ
(٥٧) وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَٱلَّذِينَ
يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ (٦٠) أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا
سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

١٢. تفيدُ أن الخشيةَ التي هي خوفٌ مقرونٌ بمعرفةٍ لله تعالىٰ ليسَت مقصودةً لذاتها بل هي مقصودةٌ لغيرِها قصدَ الوسائل، ولهذا الخشيةُ الحقيقةُ هي التي تدفعُ صاحبَها إلىٰ الإحجامِ عن معصيةِ الله، والقيامِ بما أوجبه علىٰ عبادِه، وهي التي تدفعُه لكلِّ صلاحٍ وتنهاه عن كلِّ فساد، وهي التي تورثُ

المراقبةَ، وتجعلُ الأعمالَ خالصةً لوجهِ اللهِ الكريم، وهي التي تقربُ العبدَ منه؛ لأن من عرف اللهَ عرفَ أن أمنَه وسعادتَه ونجاتَه في القربِ منه، والمسارعةِ في مرضاته.

١٣. فيها بيانُ فضلِ العلماءِ، وأن العلماءَ هم خيرُ البرية، لأن كلَّ من يخشىٰ اللهَ عالمٌ باللهِ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، عالمٌ بعظمتهِ وجلالهِ وكبريائهِ وقهرهِ، عالم بعظيم صفاتهِ، عالمٌ بعظيمِ آلائهِ ومنتهِ وفضلهِ وسعةِ جودهِ علىٰ عباده، عالمٌ بعظمةِ أمرهِ وشدةِ عقوبتهِ وبأسه وأخذهِ للعاصين له.

١٤. فيها بيانُ سببِ العطاءِ وسببِ الحرمان، وهو خشيةُ اللهِ تعالىٰ بمنطوقِ الصلة ومفهومِها، ومن هنا كان السائرون إلىٰ اللهِ يطيرونَ بجناحي الخوفِ والرجاء، كما قال تعالىٰ عن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]؛ ولكنَّ السلفَ استحبوا أن يقوىٰ في الصِّحَّة جناحُ الخوفِ علىٰ جناحِ الرجاء، وعند الخروجِ من الدنيا يقْوىٰ جناحُ الرجاء.

١٥. تفيدُ أن ذكرَ الربِّ هنا دون أن يقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾، تعريضٌ بأن الكفارَ لم يرعوا حقَّ الربوبيةِ إذ لم يخشوا ربَّهم.

رابعًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما أخبرَ سبحانه وتعالىٰ عن حالِ الليلةِ الشريفةِ التي أنزلَ فيها القرآن، بينَ حالَ العبادِ عند نزولِ القرآن، وحاجتَهم الماسة للهدىٰ والبينات، فقال: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾،

ثم بينَ هذه البينةَ التي تعرفُهم الحقَّ وتهديهم إليه، فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾. ولما نزه كتابَه عن الباطلِ بينَ ما فيه من كمالِ الهدىٰ فقال: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾، ثم سلىٰ رسولَه في إعراضِ من أعرضَ عن تلك البيناتِ، وعلومِهِ القيمة ببيانِ حالِ من جاءهم الهدىٰ الذين كانوا ينتظرونه؛ بل ويبشرون به مجتمعون من قبلُ، حيث كان أهلُ الكتابِ يؤمنون بالنبيِّ ﷺ لما عندهم من البشائرِ الصريحةِ به، والمشركون يقولون: لئن جاءنا نذيرٌ لنكونَن أهدىٰ من إحدىٰ الأمم، فلما جاءهم النبيُّ ﷺ بما لا شبهةَ فيه تفرقوا، فبعضُهم آمن وبعضُهم كفر، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾، ولما كشفَ أن اختلافَهم الذي كان عن علمٍ بما يفضحُ حالَهم، زادَ في توبيخِهم فبينَ أنهم أعرضوا كذلك عن الهدىٰ الذي جاء موافقًا لما في كتبِهم المتمثل في إفراده جل وعلا بالعبادةِ، فقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، ثم أكدَ الإخلاص بقوله: ﴿حُنَفَآءَ﴾، ولما ذكرَ أصلَ الدينِ أتبعَه الفروع، فبدأَ بأعظمِها بعد الشهادةِ، فقال: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ولما ذكرَ صلةَ الخالق، أتبعَها بصلةِ الخلائقِ فقال: ﴿وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾. ولما كان هذا دينٌ حسنٌ زادَ في توبيخِهم بمدحهِ فقال: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾.

ولما بينَ أفعالَهم وانحرافَهم وضلالَهم بين جزاءَهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾، ثم زادَ من التنفيرِ عنهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ حيث أهملوا إصلاحَ أنفسِهم، وفرطوا في حوائجِهم ومآربهم. ولما ذكرَ جزاءَ الجاحدين الكافرين أتبعَه بجزاءِ المؤمنين الخاشعين، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾. ولما خصَّهم بالخيريةِ ذكرَ ثوابَهم، فقال: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى

﴿مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾. ولما كانت اللذةُ لا تكملُ إلا بالدوامِ قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾، ولما كان هذا كلُّه ثمرةُ الرضا، وكان التصريحُ به أقرَّ للعين، فقال مستأنفًا أو معللًا: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾، ولما كان الرضا إذا كان من الجانبين، كان أتمَّ وأعلىٰ لهم قال: ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾، ولما أتمَّ ذكرَ الجزاءِ بين سببَ جزائهم فقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ أي خافَ المحسنُ إليه خوفًا يليقُ به، فإن الخشيةَ ملاكُ الأمر، والباعثُ علىٰ كلِّ خير، وهي للعارفين.

خامسًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورةِ وخاتمتها:

ذكرَ في أولِ السورةِ حالَ الكفارِ من أهلِ الكتابِ والمشركين عند نزولِ القرآن، وكيف حصلَ منهم التفرقُ والاختلاف بعدَ ما جاءتهم البيناتِ، وذكرَ في آخرِ السورةِ جزاءَ كلِّ فريقٍ ممن كفر وآمن.

وذكرَ في أولِها عدمَ انفكاكِ الكفار، وذكرَ في آخرِها علاجَ ذلك الداء، فإن من خافَ ربَّه انفك من جميعِ ما عنده مما لا يليقُ بجنابه سبحانه، ولم يقدحْ في البينةِ ولا توقفَ فيها، وما فارقَ الخوفُ قلبًا إلا خرب، وقد رجعَ آخرُ السورةِ علىٰ أولها بذلك، وبتصنيفِ الناسِ صنفين، صنفٌ انفك عن هوىٰ نفسهِ فأنجاها، وصنفٌ استمرَ في أسرِها فأرداها.

سادسًا: خصائص السورة في عرض هداياتها:

١. الحديثُ عن حالِ أهلِ الكتابِ والمشركين عند نزولِ القرآنِ الكريم ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾.

٢. بيانُ البينةِ التي جاءت عن اللهِ لهدايةِ عبادِه، المتمثلةُ في الرسولِ

والكتاب ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾.

٣. بيانُ عظمةِ ما جاء في القرآنِ من نفائسِ العلوم ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾.

٤. بيانُ اختلافِ وتفرقِ أهلِ الكتاب بعدَ قيامِ البينات ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾.

٥. بيان أعظم ما أمر الله به في سائر الديانات ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾.

٦. بيانُ جزاءِ الكافرين من أهلِ الكتابِ والمشركين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

٧. بيانُ وصفِ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وجزائهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾.

٨. بيان سببِ نعيمِ أهل الجنة ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾.

سابعًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. وجوبُ اتباعِ البيناتِ التي جاءت في القرآنِ والسنةِ والإيمانِ والعملِ بها.

٢. اعتقادُ نزاهةِ القرآنِ من كلِّ كذبٍ وباطلٍ وتناقضٍ وزيادةٍ ونقصان وتحريفٍ أو لبسٍ، فهو مشتملٌ على الصدقِ والهدى والحقِّ المبين واليقين، وخيرِ علوم الأولين والآخرين.

٣. إدراكُ سببِ ضلالِ أهلِ الكتاب الذي سببُه ما في نفوسِهم من الهوى والعناد.

www.Quranonlinelibrary.com

٤. العملُ علىٰ تحقيقِ التوحيدِ، وإقامةِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة الذي هو أعظمُ ما في الأديانِ كلِّها.

٥. النفورُ من الكفرِ بمعرفةِ عواقبِهِ ووصفِ أهلِهِ بأنَّهم شرُّ خلقِ اللهِ تعالىٰ.

٦. السعي في تحقيقِ الإيمانِ والإكثارِ من العملِ الصالحِ الذي يرفعُ العبدَ ويجعلُه من خيرِ البريةِ منزلًا وثوابًا.

٧. الرضا باللهِ ربًا خالقًا مدبرًا حكيمًا مقدرا، والرضا بما يقسمه، وبما ينزله.

٨. تحقيقُ منزلةِ الخشيةِ من اللهِ التي هي سببُ كلِّ خيرٍ ونعيم.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة البينة ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ١٦ جمادي الثاني ١٤٣٧هـ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

ســورة الزلزلة

موضوع السورة:

بيانِ حالِ الأرضِ وساكنِيها يوم القيامة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مدخل لدراسة السورة

أولًا: فضلُ السورة:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَتَىٰ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: اقْرَأْ ثَلاثًا مِنْ ذَوَاتِ الر، فَقَالَ الرَّجُلُ: كَبِرَ سِنِّي وَاشْتَدَّ قَلْبِي وَغَلُظَ لِسَانِي، قَالَ: فَاقْرَأْ ثَلاثًا مِنْ ذَوَاتِ حم، فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ الأُولَىٰ، قَالَ: فَاقْرَأْ ثَلاثًا مِنَ الْمُسَبِّحَاتِ، فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللهِ سُورَةً جَامِعَةً، فَأَقْرَأَهُ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ حَتَّىٰ فَرَغَ مِنْهَا فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ أَزِيدُ عَلَيْهَا أَبَدًا، ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ، أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ، ثُمَّ قَالَ: عَلَيَّ بِهِ، فَقَالَ لَهُ: أُمِرْتُ بِيَوْمِ الأَضْحَىٰ عِيدًا جَعَلَهُ اللهُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَفَرَأَيْتَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ إِلاَّ مَنِيحَةً أُضَحِّي بِهَا؟ قَالَ: لاَ وَلَكِنْ تَأْخُذُ مِنْ شَعْرِكَ، وَتُقَلِّمُ أَظْفَارَكَ، وَتَقُصُّ شَارِبَكَ، وَتَحْلِقُ عَانَتَكَ، فَذَلِكَ تَمَامُ أُضْحِيَتِكَ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ) (١).

وقد جاء في صحيح البخاري بأن النبيَّ ﷺ وصفَ آيةً فيها بأنها آيةٌ جامعة، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وقد سُئِلَ الْحُمُرِ فَقَالَ: (مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَاذَّةُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ

---

(١) أخرجه أحمد ح رقم (٦٥٧٥)، وأبو داود ح رقم (١٣٩٩)، والنسائي ح رقم (٧٩٧٣)، والحاكم (٣٩٦٤)، والبزار ح رقم (٢٤٥٩)، وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[١].

قال ابنُ العربي رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه السورة: «وفضلُها كثير، وتحتوي علىٰ عظيمٍ؛ قال إبراهيمُ التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ: لقد أدركتُ سبعين شيخًا في مسجدِنا هذا، أصغرُهم الحارث بن سُويد، وسمعتَه يقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾، حتىٰ إذا بلغَ إلىٰ قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ بكىٰ ثم قال: إن هذه لإحكامٍ شديدة»[٢].

ثانيًا: موضوع السورة:

موضوعُ السورةِ في بيانِ حالِ الأرضِ وساكنِيها يوم القيامة، من خلال الحديثِ عن زلزلةِ الأرضِ وما يحدثُ معها، ودهشةُ الناسِ حينئذ، وشهادةِ الأرضِ وأسباب الشهادة مع بيانِ كيفيةِ ذهابِ الناسِ للحساب، ورؤيتهم لعملِهم من خيرٍ وشر.

ثالثًا: المناسبةُ بين سورةِ البينة والزلزلة:

لما ذكرَ في خاتمةِ البينةِ جزاءَ المؤمنين والكافرين، بين هنا وقت ذلك الجزاءِ وعلاماتِه، وكيفيةِ مجيء الناسِ للحسابِ وكيفية الحساب.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المساقاة، بَابُ: شُرْبِ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ مِنَ الْأَنْهَارِ، ح رقم (٢٣٧١).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١١٤).

www.Quranonlinelibrary.com

موضوع السورة

بيانُ حالِ الأرضِ وساكنيها يوم القيامة

قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ١ – ٨].

أولًا: معاني الكلمات:

١. زُلْزِلَتِ: أي تحركت حركةً شديدةً واضطربت من أسفلَ حتىٰ يتكسرَ كلُّ شيءٍ عليها.

٢. أَثْقَالَهَا: جمعُ ثقل، وهو ما فيها من الدفائنِ كالكنوزِ والأمواتِ وغيرِها.

٣. وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا: مستنكرًا تحولَ أمرِها بعد ما كانت ساكنةً ثابتةً مستقرة.

٤. تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا: أي: تتحدثُ بما عَمِلَ العاملون علىٰ ظهرِها من خيرٍ وشر.

٥. أَوْحَىٰ لَهَا: أي أمرَها بذلك، وأوحىٰ إليها، والوحي إعلانٌ في خفية.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٦. يصدر الناس: أي: يرجعُ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَا نَسۡقِى حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ [القصص:٢٣].

٧. أَشۡتَاتًا: جمعُ شَتّ بفتحِ الشين وتشديدِ الفوقية وهو المتفرقُ، والمرادُ: يصدرون متفرقين جماعاتٍ كلٌّ إلىٰ جهةٍ بحسبِ أعمالهم وما عُيّن لهم من منازلهم.

٨. ذَرَّةٍ: يعني مقدارَ الذرة، والذرةُ قيل: النملةُ الصغيرة، وقيل هو: الهباءُ الذي يُرىٰ في شعاعِ الشمس.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. فيها بيانٌ لما يحدثُ عند الساعةِ من تزلزلِ الأرض زلزالًا شديدًا حتىٰ يسقطَ ما عليها من بناءٍ وعَلَمٍ، فتندك جبالُها، وتسوىٰ تلالُها، وتكون قاعًا صفصفًا لا عوجَ فيه ولا أمت، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ٤ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ٥ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾ [الواقعة: ٤ – ٦].

٢. فيها بيانُ عظمِ تلك الزلزلةِ في قوله ﴿زِلۡزَالَهَا﴾ بالمصدرِ حتىٰ كأنه يقولُ الزلزلةُ التي تليقُ بها علىٰ عظمِ جرمها، كقولك أهن الكافرَ إهانتَه، تريد ما يستوجبُه، فهي تفيدُ عظمَ تلك الزلزلةِ التي تشملُ الأرضَ كلَّها لا كما كان يقعُ اليوم من زلزلةٍ بعضها دون بعض، ولثوانٍ محددة، وقد بين القرآنُ عظمَ هذه الزلزلة صراحةً في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ١ – ٢].

٣. فيها بيانٌ ثانٍ لشدةِ تلك الزلزلةِ حيث إن الأرضَ بعد تزلزلِها تخرجُ

ما في بطنِها من الأمواتِ والكنوز كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣-٤].

٤. فيها بيانُ هولِ الصورةِ التي حملَها المعنىٰ، حيث تُخرجُ الأرضُ كلُّها علىٰ امتدادها ما في باطنِها وتلقيهِ علىٰ ظهرِها من إنسانٍ وحيوانٍ ونباتٍ ومعادنَ وغيرِها.

٥. تفيدُ أن هذه الأرضَ محملةٌ بكثيرٍ من الأثقالِ التي فوقَ ما يتصورُ العباد.

٦. فيها بيانٌ ثالثٌ لشدةِ ذلك الموقفِ وهولِ ما يحدثُ فيه حيث بينت الآياتُ شدةَ حيرةِ الناس ودهشتِهم لما يروا من هولها ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ إذا رأىٰ ما عراها من الأمرِ العظيم مستعظمًا لذلك: ﴿مَا لَهَا﴾ ؟ أي: أي شيءٍ عرضَ لها؟ والتعريفُ في ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ تعريفُ الجنسِ المفيدِ للاستغراق، أي: وقال الناسُ بعضُهم لبعضٍ ما لها، أو قال كلُّ أحدٍ في نفسهِ حتىٰ استوىٰ في ذلك الجَبانُ والشجاعُ، والطائشُ والحكيم، لأنه زلزالٌ تجاوزَ الحدَّ الذي يَصبرُ علىٰ مثلهِ الصَّبور.

٧. تفيدُ أن الأرضَ تشهدُ علىٰ العاملين بما عملوا علىٰ ظهرِها من خيرٍ وشر، فإن الأرضَ من جملةِ الشهود الذين يشهدون علىٰ العبادِ بأعمالهم، وقد جاء في سنن الترمذي والنسائي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قرأ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ثُمَّ قَالَ: (أَتَدْرونَ مَا أَخْبَارُهَا) ؟ قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (فإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بما عَمِلَ عَلَىٰ

ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وكَذَا في يوم كَذَا وكَذَا فَهذِهِ أخْبَارُهَا)[١].

وقد جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (تَقِيءُ الأَرْضُ أَفْلاَذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ فِي هَذَا قَتَلْتُ. وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي. وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلاَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا)[٢].

٨. تفيدُ أن تكلمَ الأرضِ يومَ القيامةِ من آياتِ اللهِ الدالةِ على قدرتهِ وعلمهِ وحكمتهِ، وإن الذي أنطقَ الجلودَ قادرٌ على أن يُنطقَ الأرضَ، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢١]، وقد جاء في البخاري عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ الأَنْصَارِيِّ ثُمَّ الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ بِالصَّلاَةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ)[٣].

٩. فيها تذكيرٌ للكفارِ بشدةِ الأحوالِ يومَ القيامةِ، حيث تحدثُ الأرضُ

---

(١) أخرجه أحمد ح رقم (٨٨٦٧)، والترمذي ح رقم (٢٤٢٩)، والنسائي ح رقم (١١٦٢٩)، وابن حبان ح رقم (٧٣٦٠) والحاكم ح رقم (٣٠١٢) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، بَابُ: التَّرْغِيبِ فِي الصَّدَقَةِ قَبْلَ أَنْ لاَ يُوجَدَ مَنْ يَقْبَلُهَا، ح رقم (١٠١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، بَابُ: رَفْعِ الصَّوْتِ بِالنِّدَاءِ ح رقم (٦٠٩).

عن أخبارِها حتىٰ يستيقظوا من غفلتِهم ويرجعوا عن عنادِهم، ويستعدوا ليومِ المعاد بالإيمانِ والعملِ الصالح.

١٠. فيها أن ما يكونُ للأرضِ من تزلزلٍ هو بأمرِ ربِّها الذي لا تعصيه ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾ أي: أمرَها أن تتزلزل، وأن تخرجَ أثقالها، وأن تخبر بما عُملَ عليها، وأن تبين سببَ زلزالها.

١١. فيها بيانٌ لمقامِ النبيِّ ﷺ عند ربهِ حيث أضافَه لربوبيته في كثيرٍ من المواضعِ في كتابه إعلاءً لشأنه، وبيانًا لقدرِه عنده جل وعلا، وهو المحسنُ إليه، المشرُف له بإحقاقِ الحق، وإزهاقِ الباطلِ.

١٢. فيها تأكيدٌ لوقوعِ البعثِ وتحققه؛ لأن افتتاحَ الكلامِ بظرفِ الزمان مع إطالة الجملِ المضافِ إليها الظرف تشويقٌ إلىٰ متعلَّقِ الظَّرْف؛ إذ المقصودُ ليس توقيت صدورِ الناسِ أشتاتًا ليُروا أعمالهم؛ بل الإخبارُ عن وقوع ذلك وهو البعث، ثم الجزاء، وفي ذلك تنزيلُ وقوعِ البعثِ منزلةِ الشيءِ المحققِ المفروغِ منه بحيثُ لا يهمُ الناسَ إلا معرفةُ وقته وأشراطِهِ فيكون التوقيتُ كنايةً عن تحقيقِ وقوع الموقت.

١٣. تفيدُ أن الناسَ يرجعون للحسابِ وقد تغيرت معالمُ الكونِ وتبدلت قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٤٨ – ٥٢].

www.Quranonlinelibrary.com

١٤. تفيدُ أن الذي قدِرَ علىٰ إخراجِ أثقالِ الأرض في لحظةٍ واحدةٍ قادرٌ علىٰ إحياءِ الموتىٰ في بطنِ الأرض وإعادتِهم علىٰ ما كانوا عليه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [النحل: ٧٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

١٥. فيها بيانُ كيفيةِ ذهابِ الناسِ من قبورِهم للحسابِ يومَ القيامة ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا﴾ حيث يتحركون فرقًا متفاوتين من كلِّ أرجاءِ الأرض، بعضُهم بصفاتِ أهلِ الجنة من بياضٍ وإسفارٍ، وبعضُهم بصفاتِ أهل النار من سوادٍ واكتئابٍ، ولا يكون محسنٌ ومسيءٌ في طريق واحد ﴿يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ٧ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾ [القمر: ٧ – ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾ [الروم:١٤ – ١٦].

١٦. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ يُري العبادَ ما عملوا من الحسناتِ والسيئات، ويريهم جزاءهم موفورًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ:٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩].

١٧. فيها تصويرٌ لهولِ الحسابِ الذي يَرىٰ فيه الإنسانُ عملَه الذي فعلَه

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

من خيرٍ وشرٍ، من نيةٍ وقولٍ وفعل، فإذا كان الإنسانُ يزعجُه رؤيةُ عملهِ القبيحِ في السر، فكيف وهو يراه أمامَ الناسِ، وبين يدي العزيزِ الجبار، فمجردُ رؤيةِ العملِ هذه عقوبة، فكيف إذا كان من وراءِ ذلك الحساب الدقيق، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ [الحاقة:١٣ – ١٨].

١٨. تفيدُ أن الميزانَ والحسابَ في الآخرةِ دقيقٌ وخطيرٌ لا يدعُ شيئًا من عملهِم خيرًا كان أو شرًا إلا ويزنُه ويُجاز عليه، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

١٩. فيها دليلٌ علىٰ شموليةِ الحسابِ لكلِّ خيرٍ وشر، وكل كبير وصغير، فإن ذكرَ مثقالَ الذرةِ تنبيهًا علىٰ ما هو أكثرُ منه من طريق الأولىٰ؛ لأنه إذا رأىٰ مثقالِ الذرةِ، التي هي أحقرُ الأشياء، وجُوزي عليها فما فوقَ ذلك من بابِ أولىٰ وأحرىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩].

٢٠. تفيدُ الترغيبَ في فعلِ الخيرِ ولو كان قليلا، والترهيبَ من فعلِ الشرِ ولو كان حقيرًا، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ

ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة: ١١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

٢١. فيها دقةُ إحصاءِ الأعمالِ في الدنيا، لأن ذلك تم لأن المحاسبَ له لا يغيب عنه شيءٌ منها، قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا وقدرةً، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: ١٢].

٢٢. فيها بيانُ سعةِ فضلِ الله، ومنزلةِ أهلِ الخير، حيث قدمَهم اللهُ تعالىٰ في الذكرِ والجزاء، كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٤٧].

٢٣. فيها إثباتُ البعثِ بذكرِ أشراطِه، وما يعتري الناسَ عند حدوثِه من الفزع، وبيانُ حضورِهم للحشر، وجزائِهم علىٰ أعمالهم.

٢٤. فيها بيانٌ لانكشافِ الأمورِ في يومِ النشور، وانقسامِ الناس في الجزاءِ في دار البقاء إلىٰ سعداء وأشقياء، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ﴾ [هود: ١٠٥].

٢٥. فيها أن المؤمنَ يرىٰ عملَه من الخيرِ فيسرُ به، ويرىٰ عملَه السيء ويعلم أنه قد غفر له فيشتدُ فرحه، والكافر يراه فيشتد حزنه وترحه.

٢٦. تفيدُ أن من فقه معاني هذه السورة لم يحقر ذنبًا وإن دق؛ لأنه يجتمعُ إلىٰ أمثالهِ فيصيرُ كبيرًا كما قال ﷺ لعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: (إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ

www.Quranonlinelibrary.com

الذُّنُوبِ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا)(١).

٢٧. تفيدُ أن من فهم مقاصدَ هذه السورة عمل بما ينجيه من النار ويدخله الجنة.

ثالثًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما ختمَ تعالىٰ سورةَ البينةِ بذكرِ جزاءِ الصالحِ والطالحِ في دارِ البقاءِ علىٰ ما أسلفوه في مواطنِ الفناء، ذكرَ هنا أولَ مبادئ تلك الدار، وكيفَ يكونُ الحالُ والجزاءُ، فقال معبرًا بأداةِ التحققِ؛ لأن الأمرَ حتمٌ لابد من كونهِ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، ولما بينَ شدةَ زلزالِها بما يظهرُ ما في باطنِها قال: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾، ولما كان الإنسانُ إذا رأىٰ هذا عجبَ له ولم يدرك سببَه؛ لأنه أمرٌ عظيمٌ فظيعٌ يبهرُ عقلَه ويضيقُ عنه ذرعُه، عبرَ عنه بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾، ولما بينَ حالَهم وسؤالَهم بين ما يقطعُ انبهارَهم ويزيدُ في أهوالها، فقال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

ولما كان من المقررِ أنه لا يكونُ شيءٌ إلا بإذنِه تعالىٰ، وكان قد بنىٰ الأفعالَ لما لم يسم فاعله، فكان الجاهلُ ربما خفي عليه فاعلُ ذلك قال: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾، ولما أخبرَ تعالىٰ بإخراجِ الأثقالِ التي منها الأموات، اشتد التشوفُ إلىٰ هيئةِ ذلك الإخراجِ وما يصيرُ بعده، فقال مكررًا ذكرَ اليوم زيادةً في التهويل: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي متفرقين بحسبِ مراتبهم في الأحوالِ من الإيمان والكفر، والمعصيةِ والطاعة، ولما ذكرَ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ح رقم ٢٤٤١٥، وابن ماجة ح رقم ٤٢٤٣، والطبراني في الأوسط ح رقم (٢٣٧٧)، والدارمي ح رقم (٢٧٦٧) وإسناده جيد صححه عدد من أهل العلم، ينظر: مسند أحمد ط الرسالة (٤٠/ ٤٧٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

حالَ رجوعِهم، بين سببَ ذلك الرجوع، فقال: ﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾، ولما ذكرَ رؤيةَ الأعمالِ قال مفصلًا في ذلك بما يبين ما بعدَ الرؤيةِ الجزاء فقال: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾، ولما ذكرَ الخيرَ، أتبعه بضده فقال: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾.

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورةِ وخاتمتها:

أولُ السورةِ كان في تزلزلِ الأرض وتخليها عن أثقالِها، وإخبار عن الأعمالِ وإظهارِ الأسرار، وآخرُها كان في صدورِ الناسِ للحسابِ وكشفِ دقيقِ الأعمال والأسرار.

خامسًا: خصائص السورة في عرض هداياتها:

١. الحديثُ عن شدةِ زلزلةِ الساعة ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾.

٢. بيانُ ما يتبعُ الزلزلةِ من إخراجِ الأرضِ لأثقالها ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾.

٣. بيانُ تعجبِ الناس مما يرون من هولٍ ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾.

٤. الإخبارُ أن تلك الزلزلة كانت بأمرِه سبحانه تعالىٰ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾.

٥. بيانُ كيفيةِ خروجِ الناس من قبورهم للحساب ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا﴾.

٦. الحديثُ عن رؤيةِ كلِّ عامل لعملهِ من خيرٍ وشر وإن كان مثلَ الذرة ﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. اليقينُ بعلاماتِ الساعة، وما يحدثُ يومَ القيامة من تحولٍ وتغييرٍ كبيرٍ في الكون.

٢. الحذرُ من شهادةِ الأرضِ عن كلِّ عاملٍ علىٰ وجهها من خير وشر بما عمل.

٣. اليقين بدقةِ الحسابِ والجزاءِ في الآخرة، والاطمئنانِ أنه لا يضيعُ عند الله شيءٌ.

٤. الحرصُ علىٰ فعلِ كلِّ خير ولو كان صغيرًا، وتركِ كلِّ شر ولو كان صغيرًا.

٥. الاستعدادُ ليومِ الحسابِ بمحاسبةِ النفسِ في كلِّ ما تقدمه، كما قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [الحشر: ١٨ – ٢٠].

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة الزلزلة ولله الحمد

والمنة ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ٢٣ جمادي الثاني ١٤٣٧هـ

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

ســورة العاديات

موضوع السورة:

بيانُ حالِ ومصير من ركنوا إلى الدنيا، وبخلوا بما عندهم

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

مدخل لدراسة السورة

أولًا: موضوعُ السورة:

موضوعُ السورةِ بيان حالِ ومصير من ركنوا إلىٰ الدنيا، وبخلوا بما عندهم يوم القيامة.

ثانيًا: المناسبةُ بين سورةِ الزلزلةِ والعاديات:

ذكر هنالك أن كلَّ عاملٍ يرىٰ عمله، وذكرَ هنا أعظمَ الأعمالِ التي يحبون رؤيتَها في ذلك اليوم، وهو العملُ في نصرة الدين، أو الشهادةِ في سبيلِ الله.

وقيل: إنه لما ذكرَ هنالك الجزاءَ علىٰ الخيرِ والشر أتبعَه بتعنيفِ الذي يؤثرون الدنيا علىٰ الآخرة، ولا يستعدون لحياتِهم الثانية بتعويدِ أنفسِهم فعل الخير.

ثالثًا: العلاقةُ بين المقسمِ به والمقسمِ عليه:

المقسمُ به يصورُ لنا صورةً لأمةٍ أعدت نفسَها لنصرةِ الدين، بكلِّ جاهزية، وبذلت في سبيلِ نصرتهِ كلَّ غالٍ ونفيس، فإن « أكثر العلماء علىٰ أن المراد به الخيل تعدو في الغزو، والقصد تعظيم شأن الجهاد في سبيل الله»[1]، والمقسمُ عليه في بيانِ حالِ من ركنوا إلىٰ الدنيا، وبخلوا بما عندهم ولم يقدموا شيئًا ليوم نشورها في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾.

---

(١) أضواء البيان (٩/ ٦١).

موضوع السورة

بيانُ حالِ ومصير من ركنوا إلى الدنيا، وبخلوا بما عندهم

قال تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾ [العاديات: ١ - ١١].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ﴾: جمعُ عادية، والعدوُ: تباعدُ الأرجلِ في سرعةِ المشي، والعاديات: المسرعاتُ في سيرها. والمرادُ: الخيلُ إذا جرت وعدت في سبيلِ الله.

٢. ﴿ضَبْحًا﴾: وهو الصوتُ الذي يسمعُ من جوفِ الفرسِ إذا عَدَت.

٣. ﴿فَٱلْمُورِيَـٰتِ﴾: واحِدها مورية من الإيراءِ: هو إيقادُ النار وإخراجُها.

٤. ﴿قَدْحًا﴾: والقدح: الصكُّ لإخراجِ النار، وهي الخيلُ تصكُّ الأحجارَ بحوافرِها فتوري نارا.

٥. ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾: واحدُها مغيرةٌ من أغارَ علىٰ العدو إذا هجمَ عليه بغتةً

www.Quranonlinelibrary.com

ليقتلَهُ أو يأسرَه أو يستلبَ ماله، وهي الخيلُ تغيرُ بفرسانِها عند الصباحِ علىٰ العدو.

٦. فَأَثَرْنَ بِهِۦ: أي: هيَّجن بمكان سيرهنَّ.

٧. نَقْعًا: يعني غبارًا.

٨. فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا: كنَّ وسطَ جمع العدو.

٩. لَكَنُودٌ: الكَنودُ: وصفٌ من أمثلةِ المبالغة من كَند، ولغاتُ العربِ مختلفةٌ في معناه، فهو في لغةِ مضرِ وربيعةَ: الكفورُ بالنعمة، وبلغةِ كنانة: البخيلُ، وفي لغةِ كِندة وحضرموت: العاصي، وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي يعدُّ المصائب وينسىٰ نعمَ الله عليه»[1]، وقيل هو: يكفرُ اليسير، ولا يشكرُ الكثير، وقيل: هو الذي ينفقُ نعمَ اللهِ في معصيةِ الله.

١٠. وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ: يحتملُ عودُ الضميرِ علىٰ الإنسان، أي أن الإنسانَ يشهدُ علىٰ نفسهِ بكنوده، وهو الموافقُ لنسقِ السياق، وقيل: يعودُ إلىٰ اللهِ تعالىٰ شهيد علىٰ ذلك فيكون من بابِ التهديد.

١١. لَشَهِيدٌ: يطلقُ علىٰ الشاهدِ، وهو الخبرُ بما يُصدِّقُ دعوىٰ مدع، ويطلقُ علىٰ الحاضرِ، ومنه جاء إطلاقُه علىٰ العالمِ الذي لا يفوته المعلوم، ويطلقُ علىٰ المقرِّ؛ لأنه شاهدٌ علىٰ نفسه.

١٢. لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ: أي لحب المال كما قال تعالىٰ: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٨٠] أي مالًا، لأن عملَ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨/ ٤٤٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الخيرِ يصعبُ معه ولا يتركه.

١٣ . لَشَدِيدٌ : أي لقوي مجدٌّ في طلبهِ وتحصيلهِ والمحافظة عليه، وقيل: لبخيل.

١٤ . بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ: أثيرَ وأخرجَ ما فيها من أموات.

١٥ . وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ: أظهرَ محصلًا مجموعًا ما كانوا يسرون في نفوسهم، ومُيِّزَ ما كان مستورًا من خيرٍ وشر.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١ . فيها أن القسمَ بالخيلِ يفيدُ عظيمَ منزلتِها؛ وأنها من آياتِ الله الباهرة، ونعمهِ الظاهرة، لأن اللهَ أقسمَ بها لنتأملَ ما فيها من الأسرارِ الكبار التي باينت به أمثالَها من الدواب، ليعلم أن الذي خصَّها بذلك فاعلٌ مختار، واحد قهارٌ.

٢ . فيها بيانٌ لحالةٍ تفردت بها الخيلُ عن غيرِها من الدواب، وهو ما عرفت به من عدو بليغٍ سريعٍ قوي حتىٰ يصدر عنه صوتٌ في صدرها يسمىٰ بالضبح.

٣ . فيها إشارةٌ إلىٰ بركةِ الإغارةِ علىٰ الأعداءِ في الفجر، في وقتِ غفلتهم، وحتىٰ يعرفوا ما يأتون ويذرون كذلك من أمرِهم ﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا﴾.

٤ . فيها بيانُ منزلةِ الوسائلِ السريعةِ القويةِ المتحركةِ في سبيلِ الله التي يكونُ بها العزُّ والظفرُ والنصرُ علىٰ الأعداء، فهي تعدو طالبةً لعدوها.

٥ . فيها القسمُ بصفاتِ الخيلِ حين تبدأُ في العَدْوِ نحو العَدُو، ضابحةً بأصواتِها المعروفة، صاكةً الصخرَ بحوافرِها حتىٰ توري منه نارًا، مغيرةً علىٰ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

العدوِ في الصبح، مثيرةً للغبارِ، متوسطةً جمعَه، مسددةً ضربتَها الموجعةَ دون إمهال له بيانٌ لمحبةِ اللهِ تعالىٰ لكلِّ نشاطٍ وقوةٍ وحركةٍ تبذلُ في نصرة الحق والدين.

٦. فيها بيانٌ لعظمِ الغبارِ الذي يكون في سبيل الله وجهادًا لإعلاء كلمته، ولذا خصَّه الله تعالىٰ بالذكر ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا﴾.

٧. فيها إشارةٌ إلىٰ ما ينبغي أن تقنىٰ الخيلُ لأجلهِ، أي لهذه الأغراضِ والمنافعِ لا للخيلاءِ والزينة، وقد جاء في الحديث: (الْخَيْلُ ثَلاَثَةٌ: فَهْيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَلِرَجُلٍ وِزْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ فَالرَّجُلُ يَتَّخِذُهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيُعِدُّهَا لَهُ، فَلاَ تُغَيِّبُ شَيْئًا فِي بُطُونِهَا إِلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَجْرًا، وَلَوْ رَعَاهَا فِي مَرْجٍ مَا أَكَلَتْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا أَجْرًا، وَلَوْ سَقَاهَا مِنْ نَهْرٍ كَانَ لَهُ بِكُلِّ قَطْرَةٍ تُغَيِّبُهَا فِي بُطُونِهَا أَجْرٌ - حَتَّىٰ ذَكَرَ الأَجْرَ فِي أَبْوَالِهَا وَأَرْوَاثِهَا - وَلَوِ اسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ تَخْطُوهَا أَجْرٌ، وَأَمَّا الَّذِىٰ هِيَ لَهُ سِتْرٌ فَالرَّجُلُ يَتَّخِذُهَا تَكَرُّمًا وَتَجَمُّلاً، وَلاَ يَنْسَىٰ حَقَّ ظُهُورِهَا وَبُطُونِهَا فِي عُسْرِهَا وَيُسْرِهَا، وَأَمَّا الَّذِىٰ عَلَيْهِ وِزْرٌ فَالَّذِي يَتَّخِذُهَا أَشَرًا وَبَطَرًا وَبَذَخًا وَرِيَاءَ النَّاسِ فَذَاكَ الَّذِىٰ هِيَ عَلَيْهِ وِزْرٌ)(١).

٨. تفيدُ الحثَّ علىٰ العنايةِ بالخيلِ وتربيتِها وتعويدِها الكرَّ والفر وقد جاء في الصحيحين قولُه ﷺ: (الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ)(٢).

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، بَابُ: إِثْمِ مَانِعِ الزَّكَاةِ، ح رقم (٩٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، بَابٌ: الجِهَادُ مَاضٍ مَعَ البَرِّ وَالفَاجِرِ،

www.Quranonlinelibrary.com

٩. تفيدُ الحثَّ علىٰ العنايةِ بالفروسيةِ والتدربِ علىٰ ركوبِ الخيل، وبناءِ جاهزيةِ الأمة علىٰ الغزوِ في سبيلِ الله، ليكون كلُّ فردٍ جاهزًا لذلك إذا اضطربت الأحوالُ، واحتاجَ الناسُ للقتالِ.

١٠. فيها تذكيرٌ من اللهِ تعالىٰ لعبادِه بنعمةِ خلقِ هذا الحيوانِ العظيم الذي ينتصرون به علىٰ أعدائِهم، ويدركون به عدوهم.

١١. فيها بيانُ منزلةِ الجهادِ في سبيلِ الله، والترغيبِ فيه، وفي الإعدادِ له بأقوىٰ الوسائلِ في كلِّ عصرٍ بحسبه.

١٢. فيها مدحُ الشجاعةِ واختراقِ صفوفِ الأعداءِ، والتحركِ للجهادِ بهمة ونشاطٍ وحيوية.

١٣. فيها بيانُ حقيقة ما طبعَ عليه الإنسانُ - إلا من رحمِ الله - من الكفرِ بربه وجحدِه لنعمه، ومنعِه للخير الذي عليه من ربه، وعدمِ القيامِ بما يلزمُه من شكرِ خالقه، ومنعِ الحقِ الذي عليه، والتعريفُ في ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ تعريفُ الجنسِ، وهو يفيدُ الاستغراقَ غالبًا، ولا يسلمُ منه إلا الأنبياءُ، وكُمَّلُ أهلِ الصلاح؛ لأنه أمرٌ في الجبلةِ لا يدفعُه إلا الإيمانُ القوي ومحاربةُ هوىٰ النفس.

١٤. تفيدُ أن تقديمَ ﴿لِرَبِّهِۦ﴾ تفيدُ التشنيعَ أي: بأنه كنودٌ في حقِّ من أوجدَه، وربَّاه بنعمهِ الذي هو أحقُّ من يطاعَ ويشكر، ولذلك أكد الكلام بلام الابتداء الداخلة علىٰ خبر ﴿إِنَّ﴾ للتعجيب من هذا الخبر.

١٥. تفيدُ أن الإنسانَ يحصرُ همَّه في الغالبِ فيما حضرَه، وينسىٰ ماضيَه

ح رقم (٢٨٥٢)، ومسلم في كتاب الإمارة، بَابُ: الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ح رقم (١٨٧٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وما عسىٰ أن يستقبلَه؛ ولذا إذا أنعمَ اللهُ عليه بنعمةٍ غرته، وقسا قلبُه، ونسي حقَّ ربه.

١٦. تفيدُ أن الإنسانَ علىٰ ما يعرفُ من نفسهِ من المنعِ والكندِ لشاهدٌ بذلك ومقرٌّ به، لا يجحدَه ولا ينكره، لأن ذلك أمرٌ بيِّنٌ واضح.

١٧. فيها بيانُ معجزةٍ من الإعجازِ النفسي في القرآنِ الكريم، وهو الإخبارُ بمكنونِ النفسِ البشرية بما لا ينكرُه أحد، وهذا كثير في القرآن الكريم.

١٨. تفيدُ أنه يحتملُ عودَ الضمير إلىٰ الله تعالىٰ، فيكونُ هذا من بابِ الوعيد والتهديدِ الشديد لمن هو لربِّه كنود، بأن اللهَ عليه شهيد، وله مجازي.

١٩. فيها بيانٌ لحقيقةٍ ثانيةٍ في الإنسانِ، وهي شدةُ حبهِ للمالِ إلا إذا هذَّبَ نفسَه بالإيمانِ وصالح الأعمال، كما قال تعالىٰ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠].

٢٠. فيها ذمٌ لشدةِ حبِّ المالِ الذي يحملُ صاحبَه علىٰ ضياعِ الحقوق أو تعدي الحدود، والركونِ إلىٰ الدنيا، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

٢١. فيها ذمُ محبةِ ما هو فانٍ، وإيثارِه علىٰ الباقي، والركونِ إلىٰ الدنيا وعدم التقديم للآخرة؛ فجاءَ الذمُ هنا لأنه قصرَ نظرَه علىٰ هذه الدار، وغفلَ عن الآخرة.

٢٢. تفيدُ أن من العيبِ أن يكونَ الإنسانُ قوي الحبِّ للمالِ والنعمةِ، ضعيفَ العبادةِ والحبِّ للمنعم الذي رزقَه المال.

٢٣. فيها ذمُ البخلِ ومدحُ الجود والكرم، لأن الشديدَ: هو البخيل الممسك.

٢٤. تفيدُ أن المالَ سمي خيرا لما يحصلُ به من الخيرِ الكثير إذا أنفقَ في مرضاة الله تعالىٰ.

٢٥. تفيدُ أن كفرَ النعمةِ، والبخلَ بها، بحيث يكونُ الإنسانُ لا هو شكورٌ للمنعمِ، ولا هو محسنٌ بالنعمةِ من أرذل الصفات، فالمؤمن شاكرٌ ومحسن، والكافر جاحدٌ وممسك.

٢٦. تفيدُ أن الرضا بالدنيا والركونِ إليها من أعظمِ موانعِ الجهادِ في سبيل الله، قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

٢٧. فيها بيانُ شدةِ الحال عند خروجِ الأمواتِ من قبورِهم للحشرِ والنشور ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ فإن من علمَ شدةَ تلك الحالةِ آمن واتقىٰ.

٢٨. تفيدُ أن يومَ القيامةِ هو اليومُ الوحيد الذي تظهرُ فيه كمائنُ الصدورِ فيصيرُ السرُّ علانية، والباطنُ ظاهرًا.

٢٩. فيها بيانُ عظمةِ اليوم الذي يظهرُ اللهُ ما في القبورِ والصدور، فإن القبورَ تواري جسدَه، والصدورَ تواري سرَه، واللهُ تعالىٰ بكمالِ قدرتهِ يخرجُ يومَ القيامةِ جسدَه من قبرِه، وسرَه من صدره.

www.Quranonlinelibrary.com

٣٠. تفيدُ أن في يومِ القيامةِ يجدُ العبدُ عملَه محصلًا قد مُيِّزَ خيره عن شره.

٣١. فيها بيانُ مكانةِ أعمالِ القلوب؛ لأنها مناطُ العملِ ومعقدُ النيات للأقوال والأفعال.

٣٢. تفيدُ أن العبدَ ينبغي أن يعلمَ مآله، ويستعدَ ليومِ معادهِ.

٣٣. تفيدُ أن اللهَ مطلعٌ علىٰ أعمالِ العبادِ الظاهرةِ والباطنة، والخفيةِ والجلية، لا تخفىٰ عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء.

٣٤. تفيدُ أن الله تعالىٰ مجازي العبادِ علىٰ ما قدموا عليها، لأنه خصَّ خبرَه بذلك اليوم، مع أنه خبيرٌ بهم في كلِّ وقت، لأن المرادَ بذلك الجزاءُ بالأعمالِ الناشئ عن علم الله واطلاعه ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾.

٣٥. تفيدُ أن أكثرَ الخلقِ يومَ الزلزلةِ هالكٌ لإيثارِهم الفاني من الخيرِ علىٰ الباقي.

٣٦. تفيدُ أن جمعَ المالِ ونسيانَ الموت هو السببُ الذي يقعدُ عن الجهاد.

٣٧. تفيدُ أنه سبحانه وتعالىٰ عالمٌ بأحوالِ عبادهِ، فلا ينبغي أن يغفلَ العبدُ عن أن ربه سبحانه مطلع عليه في كلِّ أحواله.

٣٨. فيها إثباتُ وتقريرُ البعثِ والجزاء.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

رابعًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما ختمَ الزلزلةَ بالجزاءِ لأعمالِ الشرِّ يومَ الفصل افتتحَ هذه ببيانِ أعظم الأعمال التي يرها أهل الخير في الآخرة، معنفًا من آثرَ دنياه علىٰ أخراه، فقال: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ﴾، ولما كانت العادياتُ دالةً علىٰ الضبحِ بالالتزام، قال: ﴿ضَبْحًا﴾، ولما ذكرَ عدوَها، أتبعَه ما ينشأ عنه من الإيراءِ وسببِه فقال: ﴿فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا﴾، ولما ذكرَ العدوَ وما ينشأُ عنه، ذكرَ غايتَه فقال: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾، ولما كانت الإغارةُ كائنًا عنها الثبورَ والويلَ أروعَ ما تكون في أعقابِ الليل قال: ﴿صُبْحًا﴾، ولما بيَّنَ شدةَ العدو، وقوةَ الخيلِ بيَّنَ شدةَ اللقاءِ وشجاعةَ فرسانِها علىٰ الأعداء فقال: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾، ولما كان المغيرُ يتوسطُ الجمعَ عند اختلالِ حالِهم، فيفرقُ شملَهم؛ لأنهم متىٰ افترقوا حصلَ فيهم الخلل، ومتىٰ اختلفوا تخللَهم العدو ففرقَ شملهم قال: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾، ولما أقسمَ بالخيلِ في أشرفِ حالاتها، وحالِ من عليها من الفرسانِ في أشرفِ الأعمالِ وهم يواجهون حزبَ الشيطان، ويبذلون أنفسَهم للديان، جاء جوابُ القسمِ في بيانِ أكثرِ حال الناسِ في ركونِهم إلىٰ الحطامِ الفاني فقال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾، ولما بينَ أعجبَ صفاتِه، أكدَه بما يدفعُ عجبَه: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾، ولما كان من العجائبِ أن يكفرَ إحسانَ المنعم، وهو شاهدٌ علىٰ نفسه، ذكرَ الحاملَ له علىٰ ذلك فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾، ولما كان المالُ فانيًا لا ينبغي لعاقلٍ أن يعلقَ أملَه به فضلًا عن أن يؤثرَه علىٰ الباقي، نبهه علىٰ ذلك بتهديدٍ بليغ، فقال: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾، ولما كان الذي يترتبُ علىٰ النشورِ الجزاءَ علىٰ ما في القلوبِ قال: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾، ولما كان علمُ ما في الصدور أمرًا باهرًا للعقولِ قال:

www.Quranonlinelibrary.com

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أي محيطًا بهم، عليمًا ببواطن أمورهم، فكيف بظواهرها.

خامسًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورةِ وخاتمتها:

أولها كان في صفات الخيل المنطلقة في طاعة التي تشير من خلال القسم بها إلىٰ من بذلوا حياتَهم لنيلِ الآخرةِ؛ وآخرَها جاء في الحديث عن الإنسان الجحود البخيل بنفسه وماله في سبيل الله، الساعي لبذل نفسه في سبيل حياته الدنيا.

سادسًا: خصائص السورة في عرض هداياتها:

١. القسمُ بعدةِ أحوالِ من أحوالِ الخيل، ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾.

٢. بيانُ بعضِ صفاتِ الإنسانِ الذميمة إن لم يهذبْ نفسَه بالإيمانِ والعمل الصالح ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

٣. الحديثُ عن تحصيلِ ما في الصدور من خيرٍ وشرٍ ممن هو خبيرٌ بحالهم ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.

سابعًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من وراءِ هدايات السورة:

١. إدراكُ فضلِ الجهادِ في سبيلِ الله، وفضلِ الاستعدادِ له.

٢. أهمية الفروسية للمسلم، وهي الرياضة الحقيقية.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣. العملُ في إعدادِ وتوفير أقوىٰ الوسائلِ الحربيةِ له التي بها تعزُ الأمة.

٤. تحقيقُ شكرِ النعم، ببذلِها في مرضاةِ الله تعالىٰ، وشكرِ من تفضل بها علينا.

٥. عدمُ الانشغالِ بالمالِ وجمعهِ وتنميتِهِ عن إنفاقه وادخاره ليومِ النشور.

٦. اليقينُ بالبعثِ والجزاء علىٰ كلِّ قولٍ وفعلٍ ونية.

٧. تذكرُ علمِ اللهِ المحيطِ بظاهرِ العبدِ وباطنهِ الذي لا يخفىٰ عليه شيءٌ من أمره.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة العاديات ولله الحمد

والمنة ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ٢٩ جمادي الثاني من عام ١٤٣٧هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

سـورة القارعة

موضوع السورة:

القارعة وأهوال مقدماتِها
وما يتبعها من وزنٍ للأعمال

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مدخل لدراسة السورة

أولًا: موضوعُ السورة:

موضوعُ السورةِ في الحديثِ عن القارعةِ وما يقعُ في مقدماتِها من أهوالٍ، وما يتبعه من وزنٍ للأعمال.

ثانيًا: المناسبةُ بين سورةِ العاديات والقارعة:

كان خاتمة العادياتِ في وصفِ يوم القيامة، وأن ربَّهم بهم يومئذٍ لخبير، فجاءت هذه السورةُ بأسرِها في وصفِ ذلك اليوم، وما يكونُ فيه من أهوالٍ وحسابٍ.

قال الإمامُ أبو جعفر بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما قالَ اللهُ سبحانه وتعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ كان ذلك مظنةً لأن يسألَ: متىٰ ذلك؟ فقيل: يومَ القيامةِ، الهائلُ الأمر، الفظيعُ الحال، الشديدُ البأس، والقيامةُ هي القارعة»[1].

وهنالك كان الكلامُ عن بعثرةِ ما في القبور، وهنا جاء الكلامُ عن حالِ الناسِ عند قيامِهم فإنهم يكونون كالفراشِ المبثوث.

(١) البرهان في تناسب سور القرآن (ص: ٢١٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

موضوع السورة

بعضُ مشاهدِ القارعة وما يتبعه من وزنٍ للأعمال

قال تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ
۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ
كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي
عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ
۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة:١ – ١١].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: وصفٌ من القرعِ، وهو ضربُ جسمٍ بآخرٍ بشدةٍ لها صوت، وهي من أسماءِ يومِ القيامة، وسميت القارعةُ؛ لأنها تقرعُ القلوبَ بأهوالِها.

٢. ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾: «ما» استفهامية، أيّ: أي شيءٍ هي؟ فالاستفهامُ للتهويلِ من شأنِها.

٣. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾: فهي مستعملةٌ في زيادةِ تهويلِ أمرِها وتعظيمِه.

٤. ﴿كَٱلْفَرَاشِ﴾: جمعُ فراشةٍ، وهي الحشرةُ الطائرةُ المعروفة، وقيل يدخلُ فيه جميعُ الحشراتِ المعروفةِ كالبعوضِ والجرادِ وما يجتمعُ عند ضوءِ السراج.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٥. ﴿ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ : المتفرقُ المنتشر.

٦. ﴿كَٱلۡعِهۡنِ﴾ : أي: الصوفُ المصبوغ، وخصَّ لإعدادِه للغزلِ إذ لا يصبغُ لغيرِه بخلافِ الأبيضِ فإنه – لا يلزمُ فيه ذلك.

٧. ﴿ٱلۡمَنفُوشِ﴾ : المفرقُ بعضِ أجزائه عن بعض.

٨. ﴿ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: رجحت حسناتُه علىٰ سيئاتهِ.

٩. ﴿فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾: أي في حياةٍ مرضية، يرضاها صاحبُها.

١٠. ﴿خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: رجحت سيئاتُه علىٰ حسناتهِ.

١١. ﴿فَأُمُّهُۥ﴾: أي مسكنُه ومأواه، سماها أمَّه؛ لأنه يأوي إليها كما يأوي إلىٰ أمهِ، وقيل: أمُّ رأسه، بتقدير محذوف.

١٢. ﴿هَاوِيَةٞ﴾: من أسماءِ جهنم، وسميت هاويةٌ؛ لأنه يهوي فيها مع بعدِ قعرها، والهاوية: المكانُ المنخفضُ بين الجبلين الذي إذا سقط فيه إنسانٌ أو دابةٌ هلك.

١٣. ﴿حَامِيَةُۢ﴾: شديدةُ الحر.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. فيها بيانُ اسمٍ من أسماءِ يومِ القيامةِ، وهي القارعةُ مثل: الحاقةُ، والواقعةُ، والغاشيةُ، وغيرُها، والشيءُ إذا عظمَ أمرُه كثرت أسماؤُه، وكلُّ اسمٍ من اسمائها له دلالةٌ علىٰ معنىٰ خاص.

٢. فيها بيانُ عظمةِ وشدةِ القيامةِ التي نحن في غفلةٍ عنها؛ وذلك من خلالِ الافتتاحِ بلفظ ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾، هذا الاسمُ الذي يدلُّ علىٰ شدتِها،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وأنها تقرعُ الناسَ وتزعجُهم بهولِها، ومن خلالِ الوعيدِ الآخرِ الذي يدلُّ علىٰ عظمتِها صراحةً في قوله تعالىٰ: ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾، فهذا تأكيدٌ لهولِها وفظاعتِها، وبيانُ خروجِها عن دائرةِ علومِ الخلق.

٣. فيها التحذيرُ الشديدُ من يومِ الوعيد، الذي يقرعُ القلوبَ بهولهِ وشدته، وفوقَ أن تحيطَ العقولُ بوصفهِ وشدتهِ قال تعالىٰ: ﴿يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

٤. فيها بيانُ حال الناسِ في يومِ القارعة، ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ أي: كالجرادِ المنتشر، حيثُ يموجُ بعضُهُم في بعضٍ لا يدرون أين يتوجهون، ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ [القمر: ٧ - ٨]، فهذا التشبيه يدلُّ علىٰ الكثرةِ والاضطرابِ والضعفِ والذلة.

٥. فيها بيانُ حالِ الجبالِ الصمِّ الصلابِ الراسيةِ بعدَ أن بين فيما سبقَ حالَ الناسِ ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ أي: كالصوفِ المصبغ ألوانًا، الذي بقي ضعيفًا جدًا تطيرُ به أدنىٰ ريح، قال تعالىٰ: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨]، ثم بعد ذلك تكونُ هباءً منثورًا، فتضمحلُ ولا يبقىٰ منها شيءٌ يشاهد.

٦. فيها بيانٌ ثانٍ لشدةِ هولِ ذلك اليوم بما يدعو للشفقةِ والقلق، حيثُ تصيرُ الجبالُ كالعهنِ الخفيفِ الذي تحركُه أدنىٰ ريح.

٧. فيها دليلٌ علىٰ نصبِ الموازين للحسابِ يوم المعادِ، قال تعالىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٨. فيها دليلٌ علىٰ الوزنِ لكلِّ إنسانٍ، من مؤمنٍ وكافر.

٩. فيها بيانُ انقسامِ الناسِ إلىٰ سعداءَ وأشقياءَ، وناجٍ وهالكٍ بعد الوزن.

١٠. فيها بيانُ مصيرِ من رجحت حسناتُه علىٰ سيئاتِه ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ وهي الجنةُ العالية، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩ – ٢٤].

١١. تفيدُ أن العملَ الصالحَ يكون له مقدارٌ وقيمة؛ ولذلك تثقلُ به الموازين.

١٢. فيها بيانُ مصيرِ من رجحت سيئاتُه علىٰ حسناته ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ أي: مأواه ومسكنُه النار، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨ – ٩].

١٣. فيها ما يشيرُ إلىٰ أن أعمالَ الكفارِ وأشخاصَهم لا قيمةَ ولا وزنَ لها عند اللهِ كما قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، فقد قال العلماءُ: إن المعنىٰ أنهم ليس لهم حسناتٌ توزنُ في الكفةِ الأخرىٰ في مقابلةِ سيئاتهم، بل لم يكن إلا السيئات، وقيل: أنهم لا قدرَ لهم عند اللهِ لحقارتِهم، وقد جاءَ في صحيح البخاري أن الكافر السمين العظيم البدن لا يزن عند الله يوم القيامة جناح بعوضة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ

www.Quranonlinelibrary.com

يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ)، وَقَالَ اقْرَءُوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾)(١).

١٤. تفيدُ أن الهاويةَ اسمٌ من أسماءِ النار؛ لأنه فسرَها بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

١٥. تفيدُ أن الكافرَ يُلقىٰ في النارِ منكسًا يهوىٰ فيها بأمِّ رأسه؛ لأن الهاويةَ مكانُ الهوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

١٦. تفيدُ أن النارَ تكونُ له بمنزلةِ الأمِ الملازمةِ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥ – ٦٦].

١٧. فيها بيانُ بعدِ قعرِ النارِ؛ لأنه قد يكون معناه: فأمُّ دماغهِ هاويةٌ في النار البعيدةِ القعر كما في حديثِ مسلمٍ عنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (تَدْرُونَ مَا هَذَا). قَالَ قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (هَذَا حَجَرٌ رُمِىَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِىٰ فِي النَّارِ الآنَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَعْرِهَا)(٢)، أي: يلقىٰ في النار علىٰ رأسه.

١٨. فيها بيانُ شدةِ حرارةِ نارِ جهنم ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾، قد زادت حرارتُها علىٰ حرارةِ نارِ الدنيا سبعين ضعفًا، نستجيرُ باللهِ منها.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن الكريم، بَابُ: (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ)، ح رقم (٤٧٢٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها، بَابٌ: فِي شِدَّةِ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ وَبُعْدِ قَعْرِهَا وَمَا تَأْخُذُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ، ح رقم (٢٨٤٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

١٩. فيها تقريرُ عقيدةِ وزنِ الأعمالِ صالحِها وفاسدِها وترتيبُ الجزاءِ عليها.

٢٠. تفيدُ أن الناسَ يكونون يومَ القيامةِ فريقين: فريقٌ في عيشةٍ راضية، وفريقٌ في نارٍ حامية، فليتخيرَ العبدُ ما يشاءَ لنفسه.

ثالثًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما ختمَ العادياتِ بذكرِ البعثِ ذكرَ هنا هولَه وشدتَه فقال: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾، ولما كان هولُها يفوقُ الوصفَ عظمَ شأنَها فقال: ﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾، ثم أكَّد عظمتَها إعلامًا بخطرِها فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾، ولما بينَ شدتَها وهولَها إجمالًا بين ذلك تفصيلًا بقوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾، ولما كانت الجبالُ أشدَّ ما تكون عظَّم الرهبةَ بالإخبارِ بما يفعل بها فقال: ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾، ولما كان اليومُ إنما يوصفُ لأجلِ ما يقعُ فيه ذكرَ حالَ الخلقِ مفصلًا فقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾، ولما تحدث عن مصيرِ السعداءِ ختمَ بمصيرِ الأشقياء فقال: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾، ولما أشارَ إلىٰ هولِها صرحَ بعظيمِ شدتها، فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾، ولما هوّلَها بما أبهمه أتبعه بما يمكنُ من معرفةِ هولها صراحةً فقال: ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ أي قد انتهىٰ حرها.

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورةِ وخاتمتها:

فاتحةُ السورةِ كان في تهويلِ يومِ القيامةِ وبيانِ مشهدٍ من أحوالِ الناسِ والجبال، وخاتمتُها فيما يترتبُ علىٰ البعثِ من الحسابِ والجزاءِ المتعلقِ بوزنِ الأعمال.

خامسًا: خصائصُ السورةِ في عرضِ هداياتها:

١. الحديثُ عن هولِ يومِ القيامة، بتسميةِ ذلك اليوم بالقارعةِ والتهويلِ منه: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

٢. بيانُ مشهدٍ من حالِ الإنسانِ والجبال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾.

٣. الحديثُ عن وزنِ الأعمالِ وما يترتبُ علىٰ من ثقلتْ موازينُه ومن خفت: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. اليقينُ بتحققِ مشاهدِ الآخرة بالصورةِ التي عرضَها القرآنُ عمومًا، وهذه الصورةُ خصوصًا من حالِ الناسِ والجبال.

٢. الاستعدادُ ليومِ المعادِ بفعلِ الطاعات التي بها تثقلُ الموازين، وتركِ السيئاتِ الذي به تخفُ الموازين.

٣. التعوذُ الدائمِ من نارِ اللهِ الحامية، والعملُ بما يبعدُ عن تلك الهاوية.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة القارعة ولله الحمد

والمنة ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ١٥ من رجب عام ١٤٣٧هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

ســورة التكاثر

موضوع السورة:

بيانُ نتيجة التشاغل بالدنيا وعواقبه

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مدخل لدراسة السورة

أولًا: ما جاء من أحاديث عن السورة:

فقد جاء في صحيح مسلم عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قَالَ: (يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي، مَالِي - قَالَ - وَهَلْ لَكَ يَا بْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ[(١)].

ثانيًا: موضوعُ السورة:

موضوعُ السورةِ في بيانِ سببِ الهلاكِ يومَ القارعةِ الذي يتمثلُ في الانشغالِ بالمباهاةِ بأمورِ الدنيا عن الاستعدادِ للآخرةِ، والإخلادِ إلىٰ دارِ الزوال، واسمُها واضحُ الدلالةِ علىٰ ذلك.

ثالثًا: المناسبةُ بين سورةِ القارعةِ والتكاثر:

سورةُ القارعةِ كانت في وصفِ هولِ القيامة، وبيانِ بعضِ أحوالِ الناسِ والجبال، ومصيرِ العبادِ بعد وزنِ الأعمال، وذكرَ هنا ما يُلهي الناسَ عن أهوالِ يوم المعاد، وما يعالجُ اللهو.

---

(١) أخرجه مسلم في كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، ح رقم (٢٩٥٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال الإمامُ أبو جعفر بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما تقدمَ ذكرُ القارعةِ وعظيمُ أهوالها، أعقبَ بذكرِ ما شغلَ وصدَّ عن الاستعدادِ لها، وألهىٰ عن ذكرِها، وهو التكاثرُ بالعددِ والقراباتِ والأهلين فقال: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾»[1].

(١) البرهان في تناسب سور القرآن (ص: ٢١٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

موضوع السورة

بيانُ نتيجةِ التشاغلِ بالدنيا وعواقبه

قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ١ – ٨].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾: شغلَكم عما يجبُ عليكم الاشتغالُ به من العلمِ النافعِ، والعملِ الصالح علىٰ وجهٍ لا تعذرون فيه، واللهوُ للقلبِ، واللعبُ للجوارح، ولذا فإن ألهاكم أبلغُ من شغلَكم؛ لأن اللهو هو ذهولٌ وإعراض.

٢. ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾: المكاثرةُ والإكثارُ من شيءٍ مرغوبٍ في كثرتِهِ، وهي المباهاةُ والتفاخرُ بكثرةِ المالِ والأولاد.

٣. ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ﴾: أي حتىٰ متمُ ودفنتمُ في المقابرِ، وحقيقةُ الزيارةِ الحلولُ في المكانِ حلولًا غيرُ مستمر.

٤. ﴿ٱلْمَقَابِرَ﴾: جمعُ مقبرة، والمقبرةُ الأرضُ التي فيها قبورٌ كثيرة.

٥. ﴿كَلَّا﴾: كلمةُ ردعٍ وزجر، أي ما هكذا ينبغي أن تفعلوا فارتدعوا عن هذا التكاثر.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٦. ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾: أي: إذا دخلتم قبورَكم علمتُم خطأَكم في التكاثرِ في الأموالِ والأولاد.

٧. ﴿كَلَّا﴾: أي حقًا.

٨. ﴿لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾: أي: المتيقن الموثوق به، أي لو علمتم ذلك يقينًا لما تفاخرتم بكثرةِ أموالكم.

٩. ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾: أي النار، دارُ العذاب.

١٠. ﴿عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾: هي اليقينُ المتحقق، وهي المشاهدةُ والمعاينة.

١١. ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾: أي يومَ ترون الجحيم عين اليقين.

١٢. ﴿ٱلنَّعِيمِ﴾: أي ما تنعمتم به وتلذذتم من الصحةِ والفراغِ والأمنِ والمطاعمِ والمشارب.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. فيها توبيخٌ لمن انشغلوا بالمالِ وتكثيرِه والأولادِ عما خلقوا له من عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريك له، ومعرفتهِ، والإنابةِ إليه، وتقديمِ محبتهِ علىٰ كلِّ شيء، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ
وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ
يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا
مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ
أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ
ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٠ – ٢١].

www.Quranonlinelibrary.com

٢. تفيدُ أن التكاثرَ في الأموالِ والأولادِ والحطامِ الفاني إذا صرفَ الإنسانُ همَّه وهمتَه إليه شغلَه وألهاَه عن اللهِ وذكرِه، وكلِّ ما ينجي من سخطهِ، أو عن المنافسةِ في الأعمالِ الموصلةِ إلىٰ أعلىٰ الدرجاتِ بكثرةِ الطاعات، الذي لا ينبغي لعاقلٍ أن يلتهيَ عنها.

٣. فيها بيانٌ لنتيجةٍ حتمية، وهي ماثلةٌ في الواقعِ، وهي أن حبَّ الدنيا والتشاغلَ بها يتلهىٰ عن الآخرة.

٤. فيها بيانُ كثرةِ التكاثرِ الذي يشغلُ؛ لأنه لم يذكرِ المتكاثَرَ به، ليشملَ ذلك كلَّ ما يتكاثرُ به المتكاثرون، ويفتخرُ به المفتخرون، من التكاثرِ في الأموالِ، والأولادِ، والأنصارِ، والخدمِ، والجاهِ، والبناءِ، والزرعِ، والتجارةِ والوظيفةِ، وغيرِ ذلك مما يقصدُ منه مكاثرةُ كلٍّ واحدٍ للآخر، وليس المقصودُ به الإخلاصَ لله تعالىٰ.

٥. فيها بيانُ قبحِ استمرارِ الغفلةِ والتشاغلِ حتىٰ الموت ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾، لأن ﴿حَتَّىٰ﴾ للغاية، ومعنىٰ زيارةِ المقابرِ الحلولِ فيها، ومعنىٰ ﴿كَلَّا﴾ للردعِ والتنبيه علىٰ أنه لا ينبغي أن تكون الدنيا جميعَ همِّه ولا يهتمُ بدينه.

٦. تفيدُ أن الغفلةَ ربما تستمرُ مع الانسانِ طولَ حياتهِ إن لم يتداركْ ذلك، قال تعالىٰ: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى﴾ [الأنبياء: ١ – ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ [ق: ٢١ – ٢٢].

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٧. تفيدُ أن الإنسانَ لا يشبعُ من تكاثرِ الدنيا، كما جاء في حديثِ مسلمٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنَّ لَهُ وَادِيًا آخَرَ، وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ إِلاَّ التُّرَابُ، وَاللهُ يَتُوبُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ) [١]. وجاء في صحيح مسلم أيضًا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَىٰ الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَىٰ الْعُمُرِ)[٢].

٨. فيها دليلٌ علىٰ إثباتِ عذابِ القبرِ وتأكيدِه في قوله: ﴿ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ أي في القبرِ، ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ في الآخرةِ إذا حلَّ بكُم العذاب، فالأولُ في القبرِ، والثاني في الآخرة، كما جاء هذا عن علي بن أبي طالب، وابنِ عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[٣]، فالتكرارُ للحالتين، وأصرحُ دليلٍ في القرآنِ علىٰ عذابِ القبرِ قولُه تعالىٰ: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦]، وقد جاء في صحيح البخاري ومسلمٍ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ قَالَ: (نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ. فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧])[٤]،

---

(١) أخرجه مسلم في كِتَابُ الزكاة، بَابُ: لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَيْنِ لَابْتَغَىٰ ثَالِثًا، ح رقم (١٠٤٨).

(٢) أخرجه مسلم في كِتَابُ الزكاة، بَابُ: كَرَاهَةِ الْحِرْصِ عَلَىٰ الدُّنْيَا، ح رقم (١٠٤٧).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٢ / ٢٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، ح رقم (١٣٦٩)، ومسلم في كِتَابُ الجنة وصفة نعيم أهلها، بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ، ح رقم (٢٨٧١).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وجاء صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ)[١]، وثبت في الصحيحين تعوذُه من عذابِ القبرِ فقد جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[٢] وغيرِها من أحاديثَ كثيرةٍ يجبُ الإيمانِ بها. قال الإمامُ القرطبيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتضمنت السورةُ القولَ في عذابِ القبر. وقد ذكرنا في كتابِ «التذكرة» أن الإيمانَ به واجبٌ، والتصديقَ به لازمٌ؛ حسبما أخبرَ به الصادقُ، وأن اللهَ تعالىٰ يحيي العبدَ المكلفَ في قبرِه، بردِّ الحياةِ إليه، ويجعلُ له من العقلِ في مثلِ الوصفِ الذي عاشَ عليه؛ ليعقلَ ما يسألُ عنه، وما يجيبُ به، ويفهمُ ما أتاه من ربِّه، وما أعدَّ له في قبرِه، من كرامةٍ وهوان. وهذا هو مذهبُ أهلِ السنة، والذي عليه الجماعةُ من أهلِ الملة»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، بَابٌ: المَيِّتُ يَسْمَعُ خَفْقَ النِّعَالِ، ح رقم (١٣٣٨)، ومسلم كِتَابُ الجنة وصفة نعيم أهلها، بَابُ: عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ، ح رقم (٢٨٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، بَابُ: التَّعَوُّذِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، ح رقم (١٣٧٧)، ومسلم في كِتَابُ المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ: مَا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ فِي الصَّلَاةِ، ح رقم (٥٨٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٠/ ١٧٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٩. تفيدُ أن حياةَ البرزخِ معبرٌ للحياةِ الباقية؛ لأنَّ اللهَ سماهم زائرين، ولم يسمهم مقيمين: ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾؛ لأن الميتَ يكونُ في القبرِ كالزائرِ؛ لأن وجودَه مؤقت. قال أبو حيان: سمعَ بعضُ الأعرابِ الآية فقال: بعثَ القومُ للقيامةِ وربِّ الكعبة، فإن الزائرَ منصرفٌ لا مقيم، وروىٰ ابنُ أبي الدنيا عن عمرِ بن عبد العزيز رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قرأها ثم قال: «ما أرىٰ المقابرَ إلا زيارة، ولابدَّ لمن زارَ أن يرجعَ إلىٰ بيته، إما إلىٰ الجنةِ أو إلىٰ النار»(١).

١٠. تشيرُ إلىٰ أثرِ زيارةِ القبورِ في علاجِ قسوةِ القلوبِ وغفلتها، والزهدِ في الدنيا؛ لأنها تذكرُ الموت والآخرة، كما في الحديث قَالَ رسول الله ﷺ: (كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عن زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُوروها) (٢)، وفي رواية: (إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ) (٣).

١١. فيها دليلٌ علىٰ البعثِ والجزاءِ بالأعمالِ في دارٍ باقيةٍ غيرِ فانية، ولهذا توعدَهم بقوله: ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ وفي ﴿ثُمَّ﴾ دلالةٌ علىٰ أن الثاني أبلغُ من الأول، أو الأولُ عند الموت، والثاني عند النشورِ.

١٢. فيها أن نعيمَ الدنيا إذا لم يسخره العبدُ في طاعةِ اللهِ فإنه يكونُ سببًا لشقائهِ وعذابهِ في البرزخِ، ويومِ القيامة.

---

(١) الدار المنثور للسيوطي (١٤/ ٤٠٧).

(٢) أخرجه مسلم كفي تَابُ: لأضاحي، بَابُ: بَيَانِ مَا كَانَ مِنَ النَّهْيِ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ بَعْدَ ثَلَاثٍ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَبَيَانِ نَسْخِهِ وَإِبَاحَتِهِ إِلَىٰ مَتَىٰ شَاءَ، ح رقم (١٩٧٧).

(٣) خرجه أحمد ح رقم (٢٣٠٠٥)، وابن ماجه ح رقم (١٥٧١) وأبي داود ح رقم (٣٦٩٨)، وصححه الألباني في سنن أبي داود (٣/ ٣٣٢)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٣. تفيدُ أن العلمَ أعظمُ ما يعالجُ به الغفلةُ عن الآخرةِ، ويدفعُ للمبادرةِ إلىٰ الأعمالِ الصالحة، ولذا قال تعالىٰ: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ أي: لو تعلمون ما أمامَكم علمًا يصلُ إلىٰ القلوبِ لما ألهاكم التكاثر، فإن مجردَ العلمِ بقبحِ الشيء، وسوءِ عواقبه قد لا يكفي في تركهِ، فإذا صارَ له علمُ اليقين كان اقتضاءُ هذا العلمُ أشد.

١٤. فيها توبيخٌ في التقصيرِ في اكتسابِ العلمِ الصحيحِ، الموصلِ للحقِّ والهدىٰ، ولذا نجدُ كلَّ من يشككون في الغيبياتِ لهم جهلٌ عظيمٌ بما جاء في الكتابِ والسنة.

١٥. فيها دليلٌ علىٰ أن تحصيلَ العلومِ الحادثةِ وتعلقِها بالقلبِ متفاوت.

١٦. تفيدُ أن العلمَ بالحقِّ والهدىٰ الذي جاء عن اللهِ هو الذي يجعلُ ما وعدَ اللهُ وتوعد به ماثلًا أمامه في الدنيا: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ أي: فلترون الجحيمَ التي أعدَّها اللهُ للكافرين.

١٧. تفيدُ أن الناسَ يرون النارَ يومَ القيامةِ رؤيةً بصرية: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ قبلَ أن يسألوا، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾.

١٨. تفيدُ أن مراتبَ العلمِ ثلاث: علمُ اليقين، وعينُ اليقين، وحقُ اليقين، فعلم اليقين: ما كان عن دلائلٍ، وعين اليقين ما كان عن مشاهدةٍ، وحقُ اليقين: ما كان عن ملابسةٍ ومخالطة.

١٩. تفيدُ أن العبدَ يُسألُ يومَ القيامةِ حتمًا عن الذي تنعمَ به في دارِ الدنيا، وكلُّ واحدٍ يسألُ علىٰ قدرِ نعيمه، هل نالَه من حلالٍ، وهل شكرَ اللهُ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

تعالىٰ عليه، فاستعانَ به علىٰ طاعتِه، وأدىٰ حقَّ اللهِ فيه، ولم يستعِن به علىٰ معاصيهِ، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف:٢٠]، وفي الحديث: (لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا فَعَلَ فِيهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ)(١).

٢٠. تفيدُ الحثَّ علىٰ شكرِ النعم، والإقرارُ للمنعم، والقيامِ بحقهِ سبحانه، كما قال تعالىٰ عن سليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

٢١. فيها جوازُ التمتعِ بالنعيم؛ لأنه خُلقَ له ليتقوىٰ به علىٰ طاعةِ ربِّه، ولكن دونَ إسراف، مع القيامِ بما يجبُ من شكرِ المنعم، لأن السؤالَ متعلقٌ بحقِّ النعمةِ هل قامَ بها أو لم يقم، كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ح رقم (٢٤١٧)، والدارمي ح رقم (٥٥٤)، والطبراني في الكبير ح رقم (١١١٧٧)، وصححه الألباني في سنن الترمذي (٤/ ٦١٢).

﴿لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، فالنعيمُ الذي يحاسبُ عليه الإنسانُ هو النعيمُ الذي عكفَ همتَه عليه وعاشَ له، وقطعَ أوقاتَه في سبيله، فأما من تمتعَ بنعمِ اللهِ التي خلقَها اللهُ لعبادِه وتقوَّىٰ بها علىٰ عبادتهِ وكان شاكرًا فهو عن الحسابِ بمعزل.

٢٢. فيها بيانُ ثقلِ ما يحملُه الإنسانُ علىٰ عاتقهِ من أيامِ الحياةِ الدنيا.

٢٣. تفيدُ أن الانشغالَ بالنعمةِ عن المنعمِ من أخلاقِ الكافرين.

٢٤. تفيدُ أنه ينبغي للإنسانِ أن يكون شغلُه وهمُّه ما خلقَ له من عبادةِ ربِّه جل وعلا.

٢٥. تفيدُ أن كلَّ شيءٍ في الآخرةِ محسوب، والنعمُ ابتلاءٌ ليست تكريمًا.

ثالثًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

ولما أثبت في القارعةِ أمرَ الساعة، وقسمَ الناسَ فيها إلىٰ شقي وسعيد، وختمَ بالشقي، افتتحَ هذه بعلةِ الشقاوةِ لينزجرَ السامعُ عن هذا السببِ، ليكونَ من القسمِ الأول، فقال: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، ولما كانت الغفلةُ قد تطولُ بقومٍ حتىٰ الموت، فقال: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾، ولما كان الاشتغالُ بالتكاثرِ عندما يستولي علىٰ القلوبِ يحتاجُ لزجرٍ عظيم، قال سبحانه معبرًا بأعظمِ أدوات الزجرِ فقال: ﴿كَلَّا﴾ أي ارتدعوا أتمَّ ردعٍ، وانزجروا أعظمَ زجرٍ عن الاشتغالِ بما لا يجدي، فإنه ليس الأمرُ كما تظنون من أن الفخرَ في المكاثرةِ بالأعراض الدنيويةِ، ولم تخلقوا لذلك، إنما خلقتَم لأمرٍ عظيم. ولما كان الردعُ لا يكونُ إلا عن زاجرٍ يجرُ وبالًا وحسرة، دل علىٰ ذلك بقولهِ استئنافًا: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي إذا متمُ ودخلتم قبورَكم، ثم زادَهم تهديدا وزجرًا بقولهِ

تعالىٰ: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي يأتيكم العلمُ من غيرِ شك وإن تأخرَ زمنُه يسيرًا بالبعث، ثم أكدَّ الردعَ ثالثًا بالأداةِ الصالحة له بقوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ أيها المتكاثرون ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ لم يلهكم التكاثر، ثم زادَ في التفخيمِ لهذا الوعيدِ بإيضاحِ المتوعدِ به بعدَ إبهامِه، فقال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾، ولما كان هذا توعدًا علىٰ التكاثرِ الذي أدىٰ إلىٰ الإعراضِ عن الآخرةِ أكدَه فقالَ مفخمًا له بحرفِ التراخي ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾، وذلك هو المعاينةُ بغايةِ ما يكونُ من صفاءِ العلم، فإن المشاهدَة أعلىٰ أنواع العلم. ولما بيَّنَ هولَ الموقف برؤيةِ الجحيم، بيَّن ما يصيرُ من السؤالِ العظيم عن النعيمِ الذي ألهىٰ الكثيرين فقال: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورةِ وخاتمتها:

فاتحةُ السورةِ كان فيما يلهي من النعيمِ الزائلِ عن النعيمِ الباقي، وخاتمتُها في السؤال عن نعيمِ الدنيا الذي ألهىٰ عن نعيمِ الآخرة.

خامسًا: خصائص السورة في عرض هداياتها:

١. الحديثُ عن ما يلهي عن اللهِ والدارِ الآخرة ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾.

٢. التفردُ بذكرِ زيارةِ المقابر ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

٣. التهديد الشديدُ لمن ألهاه التكاثرُ عن عبادةِ ربِّه جل وعلا: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

٤. بيانُ دورِ العلمِ في معالجةِ الغفلة: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾.

٥. بيانُ السؤالِ عن كلِّ نعيمٍ في الآخرة ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. الحذرُ من الاشتغالِ بالدنيا ونعيمِها عن الآخرةِ ونعيمِها، فيجبُ تركُ الانشغالِ بأمورِ الدنيا إذا تعارضت مع أمورِ الآخرةِ، فلا يُقَدّمُ حقٌّ علىٰ حقِّ اللهِ تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور:٣٧]، والمؤسفُ حقًا أنك تجدُ اليومَ بعضَ الناس ومنهم قدوات يؤخرون الصلاةِ بسببِ الانشغالِ ببعضِ الاجتماعاتِ أو الأعمال؛ بل شغلتهم الدنيا والتكاثر فيها عن الدعوة ومهامها والبذل في سبيل الله؛ بل عن كثير من العبادات.

٢. الاستعدادُ المستمرُ ليومِ الحساب بالإيمانِ والعملِ الصالح قبلَ مفاجأةِ الممات.

٣. السعي لتحصيلِ العلم الذي يوصلُ لليقين في أمورِ الغيبِ المكنون، وأن القعودَ عن ذلك تفريطٌ كبير.

٤. إعدادُ الإجابةِ عن كلِّ نعمة، فقد جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ: (مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ). قَالاَ الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: (وَأَنَا وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِى أَخْرَجَكُمَا قُومُوا). فَقَامُوا مَعَهُ فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ مَرْحَبًا وَأَهْلًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: (أَيْنَ فُلاَنٌ). قَالَتْ ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ. إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ

www.Quranonlinelibrary.com

الْيَوْمَ أَكْرَمُ أَضْيَافًا مِنِّىٰ - قَالَ - فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ. وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ). فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِىٰ بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (وَالَّذِىٰ نَفْسِىٰ بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّىٰ أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ) (١).

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة التكاثر ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ٢٣ من رجب عام ١٤٣٧هـ

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الأشربة، بَابُ: جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلَىٰ دَارِ مَنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ، وَبِتَحَقُّقِهِ تَحَقُّقًا تَامًّا، وَاسْتِحْبَابِ الِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ الطَّعَامِ، ح رقم (٢٠٣٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

ســورة العصر

موضوع السورة:

بيان المنهج الكاملِ لسعادةِ الإنسانِ ونجاته

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

مدخل لدراسة السورة

أولًا: ما قاله العلماء عن فضل السورة:

يظهرُ فضلُ سورةِ العصرِ لاشتمالِها علىٰ طريقِ النجاةِ في ثلاثِ آيات، وتضمنت خلاصةَ ما جاء في القرآنِ الكريم، حتىٰ قال الإمامُ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو ما أنزلَ اللهُ تعالىٰ علىٰ خلقهِ حجةً إلا هذه السورةِ لكفتهم»، وفي روايةِ: «لو تدبرَ الناسُ هذه السورةَ لكفتهم»[(١)].

قال ابنُ قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذه السورةُ علىٰ اختصارِها هي من أجمعِ سورِ القرآنِ للخيرِ بحذافيره، والحمدُ للهِ الذي جعلَ كتابَه كافيًا عن كلِّ ما سواه، شافيا من كلِّ داءٍ، هاديا إلىٰ كلِّ خير»[(٢)].

ثانيًا: موضوعُ السورة:

موضوعُ السورةِ الرئيسُ هو: في الحديثِ عن بيانِ المنهجِ الكاملِ لسعادةِ الإنسانِ ونجاته.

ثالثًا: المناسبةُ بين سورةِ التكاثر والعصر:

سورةُ التكاثرِ كانت في ذمِ التلهي والتكاثرِ بالمالِ والولدِ حتىٰ الموت، الذي يؤدي إلىٰ الندمِ والخسرانِ، ولما كان محلُ ذلك هو حياةُ الإنسان، جاءت سورةُ العصرِ مبينةً لما به يكونُ الفوزُ والفلاح من ذلك التلهي والخسران.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ١٩١).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٧).

موضوع السورة

بيانُ المنهجِ الكاملِ لسعادةِ الإنسانِ ونجاته

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣].

أولًا: معاني الكلمات:

١. وَٱلۡعَصۡرِ: قيل: الدهرُ، وقيل: الزمانُ الذي يقعُ فيه حركاتُ بني آدم من خيرٍ وشر، وقيل: ما بينَ زوالِ الشمسِ وغروبِها، وقيل: صلاةُ العصر(١).

٢. إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ: أي: جنسُ الإنسانِ كلِّه.

٣. لَفِي خُسۡرٍ: أي في نقصانٍ وخسارةٍ وغبن.

٤. وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ: أي أوصىٰ بعضُهم بعضا باعتقادِ الحقِ وقولهِ والعمل به.

٥. وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ: أي أوصىٰ بعضُهم بعضا بالصبرِ علىٰ اعتقادِ الحقِّ وقولهِ والعملِ به، أو هو حبسُ النفسِ علىٰ أداءِ الفرائض، وتركِ المحرمات، والجزعِ عند المصائب.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ١٧٩).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. فيها بيانُ فضيلةِ سورةِ العصر لاشتمالِها علىٰ طرقِ النجاةِ في ثلاثِ آيات.

٢. فيها أهميةُ التنبهِ للعصرِ الذي هو جميعُ الدهرِ، حيثُ أوجدَ اللهُ فيه المخلوقاتِ وقدرَ فيه المقدورات، أظهرَ فيه من العجائبِ الدالةِ علىٰ ما للهِ تعالىٰ من العزِ والعظمةِ الداعي إلىٰ صرفِ الهمةِ إليه وقصرِها عليه مع أخذِ الدروسِ والعبرِ من تبدلِ وتغيير الأحوال فيها علىٰ مدارِ تقلبِ الليلي والأيام.

٣. تفيدُ منزلةَ الصلاةِ الوسطىٰ، أو وقتَها، الذي هو وقتُ الفراغِ من الأشغالِ واستقبالِ الراحة، والحصولِ علىٰ فائدةِ ما أنفقَ فيه ذلك النهار.

٤. تفيدُ أن الناسَ في تجارةٍ مع اللهِ من خلالِ أعمارِهم وأوقاتِهم التي تمرُ بهم فيجبُ بذلُها في الخيرِ ومرضاتِهِ الله، فلا بدَ أن يبيعوا الفاني الخسيسِ، ويشتروا الباقي النفيس، ويستبدلوا الفانيةَ بالباقياتِ الصالحات، وإلا كانوا مغبونين، كما قال النبيُّ ﷺ في حديثِ البخاري: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ)(١).

٥. تشيرُ إلىٰ أن عمرَ الإنسانِ هو رأسُ مالِه، فإذا كفرَ أو قضاه في معصيةِ اللهِ فقد تحققَ خسرانُه، وهو من خلالِهِ يحققُ ربحَه وخسرانه.

٦. فيها بيانُ مصيرِ الكافر، وأنه في خسرانِ كامل، بدلالةِ النصِ، ومفهومِ المخالفة، قال تعالىٰ ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، بَابٌ: لَا عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ، ح رقم (٦٤١٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٧. فيها بيانُ فوزِ ونجاةِ أهلِ الإيمان، الذين آمنوا بما أمرَ اللهُ به من الإيمانِ باللهِ، وملائكتهِ، وكتبهِ، ورسلهِ، واليومِ الآخر، والقضاءِ خيرِه وشره.

٨. فيها بيانُ منزلةِ الإيمانِ، فهو أساسُ الفوزِ والنجاةِ، به تبدأُ التجارةُ مع الله تعالىٰ.

٩. فيها بيانُ منزلةِ العلم؛ لأن الإيمانَ الصحيحَ لا يتحققُ إلا بالعلم، فهو فرعٌ عنه لا يتمُّ إلا به.

١٠. تفيدُ أن من أعظمِ أسبابِ الفوزِ والنجاةِ إتباعَ الإيمانِ بعملِ الصالحاتِ، الذي يشملُ كلَّ أفعالِ الخيرِ الظاهرةِ والباطنة، والتي تتعلقُ بحقِّ الله وحقِّ عباده، الواجبةِ والمستحبة، فلابدَّ من التلازمِ بين الإيمانِ والعملِ الصالح.

١١. تفيدُ أن تسميةَ الخيراتِ بالصالحاتِ لمراعاةِ شرطِ الإخلاصِ والموافقةِ للكتابِ والسنة قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

١٢. فيها أهميةُ التواصي بالحقِ الذي هو لزومُ الكتابِ والسنة واتباعُهما بفعلِ الطاعاتِ، وتركِ المعاصي الذي من أعظمهِ تحقيقُ التوحيدِ، وتجنبُ الإشراكِ.

١٣. فيها بيانُ فضلِ الدعوةِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، وأن التواصي بالحقِّ ضرورةٌ؛ لأن النهوضَ به عسير، والمعوقاتُ كثيرة من هوىٰ النفسِ ووساوسِ الشيطان وغيرها.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

١٤. فيها وجوبُ التواصي بالحقِّ من خلالِ إظهارِه، والدفاعِ عنه، والعملِ علىٰ نصرته بين المسلمين.

١٥. تفيدُ أن الحقَّ ثقيل، وأن المحنَ تلازمُه، فلذلك قرنَ به التواصي.

١٦. فيها أهميةُ التواصي بالصبرِ علىٰ طاعةِ الله تعالىٰ، والصبر عن معصيةِ الله تعالىٰ، وعلىٰ أقدارِ الله المؤلمة من فقرٍ ومرضٍ وأوجاعٍ ومصائب، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصبرُ نوعان: نوعٌ علىٰ المقدورِ كالمصائب، ونوعٌ علىٰ المشروعِ، وهذا النوعُ أيضا نوعان: صبرٌ علىٰ الأوامرِ، وصبرٌ عن النواهي، فذاك صبرٌ علىٰ الإرادةِ والفعل، وهذا صبرٌ عن الإرادة والفعل»(١).

١٧. فيها بيانُ منزلةِ الصبرِ ومكانتِه في الدين، حيثُ الأمةُ في حاجةٍ للتواصي به بصورةٍ مستمرة فلابد من الصبرِ علىٰ مجاهدةِ النفسِ، وعلىٰ أذىٰ الأعداءِ، وعلىٰ طغيانِ الباطلِ، وعلىٰ طولِ الطريق.

١٨. فيها أنه تعالىٰ قال: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ﴾، ولم يقل: وأوصوا؛ ليبينَ أن النجاةَ من الخسرانِ إنما تناطُ بحرصِ كلِّ أفرادِ الأمةِ علىٰ الحق، فيوصي به قومَه ومن يهمُه أمرَ الحق، ليوصي صاحبَه بطلبهِ وقبوله وترغيبِ الخلقِ فيه.

١٩. فيها أهميةُ التواصي بكلِّ ما يدعو إلىٰ طاعةِ الله، وبكلِّ ما يقربُ من جنته، ويزجرُ عن كلِّ ما يقربُ من سخطه، والدخولِ إلىٰ ناره.

٢٠. تفيدُ أن السعيدَ هو الذي يكملُ نفسَه بالإيمانِ والعملِ الصالح، ويكملُ غيرَه بالتواصي بالحقِّ والصبر.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن لمحمد الزرعي (٢/ ٨٨).

٢١. فيها سعادةُ الإنسانِ في تحقيقِ قوتهِ العلميةِ بالتواصي بالحق، وقوتهِ العمليةِ التي ترجعُ إلىٰ التواصي بالصبر.

٢٢. فيها أنه لا يكفي في الفوزِ معرفةُ الحق، والعملُ به، والصبرُ عليه حتىٰ يسعىٰ لتكميلِ غيره.

٢٣. تفيدُ أن هذه السورةَ جمعت مراتبَ الكمالِ التي تتمثلُ في معرفةِ الحق، ثم العملِ به، ثم تعليمهِ من لا يحسنه، ثم الصبرِ علىٰ تعلمه، والعملِ به وتعليمه، فغايةُ الكمالِ أن يكون الشخصُ كاملًا في نفسهِ مكملًا لغيره.

٢٤. فيها بشارةٌ للمؤمن أن يكونَ الناسُ في خسرٍ ونقصانٍ ويكون هو في ربحٍ وزيادةٍ، حيث يزيدُ قدرُه عند اللهِ بفعلِ الطاعات والخيرات، وينقصُ قدرُ غيرِه بفعلِ السيئات.

٢٥. تفيدُ أن سعادةَ الإنسانِ وفوزِه في حبِّ الآخرةِ والانشغالِ بها، فكلُّ عمرٍ يُقضىٰ في طاعةِ الله فهو فوزٌ وفلاح، وكلُّ عمرٍ يُقضىٰ فيما يشغلُ عن اللهِ فهو فسادٌ وخسران.

٢٦. تفيدُ أن اختيارَ التعبيرِ بالوصيةِ إشارةٌ إلىٰ الرفقِ في الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، واستعمالِ اللين بغايةِ الجهد، ومن هنا فهي قد جاءت من اللهِ لخيارِ خلقه، قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

٢٧. تفيدُ أن الانسانَ من حيث هو إنسانٌ خاسرٌ إلا من رحمَ اللهُ فهداه ووفقه للإيمانِ والعملِ الصالح في نفسهِ، وأمرَ غيرَه به، وهذا نظيرُ ردِ

www.Quranonlinelibrary.com

الإنسانِ إلىٰ أسفلِ سافلين واستثناءُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هؤلاء المردودين.

ثالثًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما ختمَ التكاثرَ بأن نعيمَ الدنيا الفاني سيسألُ عنه العبدُ يومَ القيامة، فنبه بذلك أن ساكنَ هذه الدارِ علىٰ غايةِ الخطر، وأن نعيمَها في غايةِ الكدر، قال دالًّا علىٰ ذلك بأن أكثرَ الناسِ هالك، مؤكدًا بالقسمِ والأداةِ لما للأغلبِ من التكذيبِ لذلك إما بالمقالِ أو بالحال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾، ولما كان الحكمُ علىٰ الجنسِ حكمًا علىٰ الكلِّ، وكان فيهم من خلَّصَه اللهُ سبحانه وتعالىٰ مما طُبعَ عليه الإنسانُ، وحفظَه عن الميلِ مع ما فيه من النقائصِ، استثناهم سبحانه وتعالىٰ لأنهم قليلٌ جدًا بالنسبةِ إلىٰ أهلِ الخسر فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ولما ذكرَ الإيمانَ ذكرَ مكملَه فقال: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، ولما كان الإنسانُ بعد كمالِهِ في نفسِهِ بالأعمالِ لا ينتفي عنه مطلقُ الخسرانِ إلا بتكميلِ غيرِه، قال: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾، ولما كان القيامُ بالحقِّ وإقامتُه في الناسِ وأكثرُهم للحقِّ كارهون، وهم الأغلبُ في كلِّ زمان، فكان حاجةُ أهلِ الحقِّ للصبرِ كبيرة، قال تعالىٰ: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورةِ وخاتمتها:

أقسم في بدايتها بالعصر الذي هو زمانُ أفعالِ الانسانِ ومحلُّها، علىٰ عاقبةِ تلك الأفعالِ وجزائِها، ونبه بالمبدأِ وهو خلقُ الزمانِ والفاعلون وأفَعَالُهم علىٰ المعادِ وما فيه من الربحِ والخسران، وما به يكونُ الفوزُ والنجاحُ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولما ذكرَ في أولها: أن الإنسانَ لفي خسرٍ، وجاء آخرُها في بيانِ ما ينجي من الخسرِ، ولما كان لا يكون ذلك إلا بالصبر قال: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

خامسًا: خصائصُ السورةِ في عرضِ هداياتها:

١. القسمُ بالعصر، وهو المكانُ الوحيدُ الذي ذكرَ فيه العصرُ في القرآنِ الكريم وأقسمِ به: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾.

٢. بيانُ خسرانِ عمومِ الناس: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾.

٣. بيان ما به يكون نجاةُ الإنسان: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. إدراكُ قيمةِ الزمنِ في حياتنا، وهو رأسُ مالِنا في التجارةِ مع الله تعالىٰ، وأي وقتٍ يمضي في غيرِ طاعةِ الله فهو خسرانٌ.

٢. السعي لتعلمِ وتحقيقِ الإيمانِ الذي به النجاةُ والفوزُ والفلاحُ.

٣. الإكثارُ من العملِ الصالحِ مع الحصرِ علىٰ تحققِ شروطهِ من الإخلاصِ والمتابعةِ حتىٰ يكونَ صالحًا مقبولًا عند الله.

٤. الجمعُ بين إصلاحِ النفسِ وتكميلهِا مع السعي الدائمِ إلىٰ إصلاح المجتمعِ بتواصيهم بالحق، فإن ذلك من واجبات الأخوة الإسلامية.

٥. إدراكُ قيمةِ الصبرِ لتحققِ أي فلاحٍ للفردِ والجماعةِ، مع العملِ علىٰ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

التذكير والتواصي بها دائمًا، ليس فقط عند المصائبِ بل عند الطاعة، وعند ترك المعصية، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، وفي الدعوةِ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ﴾ [القمر: ٢٧]، بل عند أذية الناس، كما قال تعالىٰ: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، بل لا فلاحَ إلا بصبرٍ، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]، وقد بين اللهُ عاقبةَ الصبرِ في من قبلنا فقال: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، ويكفي في فضلِهِ أن اللهَ أمر به، وبين أنه مع أهله، قال تعالىٰ: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وأنهم أهلُ محبته، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وأن اللهَ وعدَ عليه بالجزاءِ العظيم، قال تعالىٰ: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ١٣ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ١٤

www.Quranonlinelibrary.com

وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ
فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ
إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ
جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ١٢ – ٢٢].

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة العصر ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ٢٣ من رجب عام ١٤٣٧هـ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

ســورة الهمزة

موضوع السورة:

بيان عاقبة أذية الناس بالهمز واللمز والتلهي بالدنيا وشهواتها

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مدخل لدراسة السورة

أولًا: موضوعُ السورة:

موضوعُ السورةِ الرئيسُ هو الحديثُ عن عاقبة أذية الناس بالهمز واللمز، والتلهي بالدنيا وشهواتها، بعد أن بيَّنَ صفاتِ المؤمنِ الرابح.

ثانيًا: المناسبةُ بين سورةِ العصرِ والهمزة:

لما بيَّنَ في سورةِ العصرِ خسرانَ الناسِ إلا من استثناهم، بيَّن هنا حالَ الخاسرِ، الذي جمعَ مالًا وعدَّدَه يحسبُ أن مالَه أخلده، وقضىٰ حياتَه في الهمزِ واللمزِ في الناسِ، وفي جمعِ المالِ وتعدادِه، ولم يستفدْ من حياتِهِ المحدودة ويستثمرها فيما خُلقَ له.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

موضوع السورة

بيان عاقبة أذية الناس بالهمز واللمز والتلهي بالدنيا وشهواتها

قال تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [الهمزة: ١ – ٩].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ﴿وَيْلٌ﴾: كلمةُ عذابٍ وهلاك، فهي تدلُ علىٰ شدةٍ وخزي، أو هو: وادٍ في جهنمَ يسيلُ من صديدِ أهلِ النارِ وقيحِهم.

٢. ﴿هُمَزَةٍ﴾: الهمزةُ الذي يهمزُ الناسَ بلسانهِ، أي: يطعنُ فيهم، ويعيبُهم ويغتابُهم، فهو الطعانُ العياب، وهو يكون بالقولِ، كما قال: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١].

٣.﴿لُّمَزَةٍ﴾: اللمزُ يكونُ بالفعلِ، باليدِ والعين والجفن وغيرها، وهو الذي يزدري الناسَ وينتقصُهم. وللعلماءِ اختلافٌ كبيرٌ في الفرقِ بين الكلمتين، فقيل: الهمزُ في الحضورِ، واللمزُ في الغيبةِ، وقيل العكس، وقيل: هما سواء[1].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ١٣٢)، والبحر المديد (٨/ ٥٣١).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٤. ٱلَّذِى جَمَعَ : أي: جمَع من كلِّ وجهٍ شيئًا فشيئًا، أو جمعَ بعضَه على بعض.

٥. وَعَدَّدَهُۥ: أحصىٰ عددَه وأكثرَ من عدِه، قيل: أعدَّه وادخرَه لحوادثِ الدهر.

٦. يَحْسَبُ : أي يظنُّ بفرطِ جهلهِ واغترارهِ أن مالَه يخلدُه في هذه الدار بدفعِ أسبابِ الموتِ عنه، وقيل: أي يزيدُ في عمرِه، وقيل: يظنُّ أن مالَه يوصلُه إلىٰ دارِ الخلد.

٧. لَيُنۢبَذَنَّ : أي ليُلقين ويطرحن.

٨. ٱلْحُطَمَةِ : وهي اسمٌ من أسماءِ النار، وإنما سميت حطمة؛ لأنها تحطّمُ ما يلقىٰ فيها وتلتهبه.

٩. نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ: المسعرة.

١٠. ٱلَّتِى تَطَّلِعُ: أي تشرف.

١١. عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ: أي علىٰ القلوبِ فتحرقُها، وألمُها أشدُّ من ألمِ غيرِها لِلُطْفِها.

١٢. مُّؤْصَدَةٌ: أي مطبقةٌ ومغلقة.

١٣. فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ: العمدُ جمعُ عمودٍ، وهو المستطيلُ من حديدٍ أو خشب.

١٤. مُّمَدَّدَةٍۭ: الممددةُ: الطويلةُ، وفي معناها قولان، أحدُهما: أن أبوابَ جهنمَ أغلقت عليهم، ثم مدت علىٰ أبوابِها عمدٌ، كنايةً علىٰ شدةِ الأغلاق، والثاني: أنهم موثوقون مغلولون في العمد.

www.Quranonlinelibrary.com

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. فيها ما يفيدُ إلىٰ ما يروعُ ويهولُ ويزجرُ، وينبه لخطورةِ ما سيأتي من تحذيرٍ ﴿وَيْلٌ﴾، وهو أسلوبُ من أساليبِ القرآنِ في التنفيرِ عن الباطل قولًا وفعلًا، كقوله تعالىٰ: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٢]، وكقوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

٢. فيها وعيدٌ شديدٌ وتحذيرٌ أكيدٌ من الطعنِ في أعراضِ الناس، وأكلِ لحومِهم، باغتيابِهم، ونسبةِ السيئاتِ إليهم، ونفي المكارمِ عنهم حاضرين أو غائبين، والمشي بينهم بالنميمة، والسعي فيما يولدُ البغضاءَ بينهم.

٣. تفيدُ أن تتبعَ عثراتِ الناس، ليست من الصفاتِ المرضيةِ عند الله، والعاقلُ من ينشغلُ بعيوبِ نفسهِ عن عيوبِ وغيره، وبنقصهِ عن نقصِ غيره، فقد جاء عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: خِيَارُكُمُ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ، أَوَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: فَإِنَّ شِرَارَكُمُ الْمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَت)[1].

٤. فيها الذمُ والتحذيرُ من الغضِ من شأنِ الناسِ وانتقاصِهم، والتحقيرِ من صفاتِهم وأعمالهم، والاستهانةِ بأقدارِهم وكراماتِهم ولمزهم أو السخريةِ منهم بأي حركةٍ كانت، سواءً بحكايةِ حركاتِهم وأصواتِهم، أو بتحقيرِ صفاتِهم، وقد جاء ذمُ ذلك في كتابِ اللهِ في قولهِ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا

(١) أخرجه أحمد ح رقم (٢٧٥٩٩)، والطبراني في المعجم الكبير ح رقم (٤٢٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح رقم (١٢٩٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات:١١]، وبين أنه صفةُ قومٍ لا خلاقَ لهم، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣٠]؛ لأنه خلافُ المروءةِ والأدبِ في معاملةِ الناس، وحفظِ كرامتِهم صغروا أم كبروا.

٥. تفيدُ أن الهمزَ واللمزَ خلقان يكرههما الإسلام، وقد جاءت هذه السورةُ بأشدِّ الوعيد فيهما، ولا يتصفُ بهما ولا يقدمُ عليهما إنسانٌ يحترمُ نفسَه أو يرجو لنفسهِ احترامًا عند الآخرين، وهما رذيلتان تدلانِ علىٰ الجهل والكبر؛ لذا استعاذ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما قالت له بنو اسرائيل أتتخذنا هزوا، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [البقرة: ٦٧].

٦. فيها التحذيرُ من أذية الناسِ، والترفعِ عليهم، ونسبةِ العيبِ والرذيلةِ إليهم، خاصةً المؤمنين منهم، وقد حذرَ اللهُ تعالىٰ من عاقبتهِ فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

٧. فيها بيان حرص الإسلام علىٰ الجماعة ووحدة الصف، وتحريمه لكلِّ ذريعة تؤدي إلىٰ الفرقة والاختلاف ومن ذلك الهمز واللمز والسخرية والاستهزاء والأنانية والمشي بالنميمة والغيبة.

٨. فيها بيانُ عظمةِ الإسلام، حيثُ يربي أتباعَه علىٰ مكارمِ الأخلاقِ ومعالي الأمور.

٩. تفيدُ أن رعايةَ أقدارِ الناسِ وكرامتِهم، وحفظِ غيبتِهم من صفاتِ أهلِ الجنة، بمفهومِ المخالفةِ.

١٠. فيها ذمٌّ وزجرٌ للمؤمنِ الذي يشتغلُ بجمعِ المالِ وإحصاءِ عددِه عن الأخذِ بطاعة الله، حيثُ جمعَه وحفظَه للتفاخرِ والتكاثر، وفي القراءة الأخرىٰ (جمَّع)، فنسي أنه تاركُه، راحلٌ عنه بثقلِ الأوزارِ إن لم ينفقه في سبيلِ الله، ويؤدِّ حقَّ اللهِ فيه.

١١. تفيدُ أن الذي ينظرُ للحياةِ من خلالِ المالِ - وما أكثرَهم - هو الذي يهتمُ بجمعهِ من كلِّ الطرقِ، ويتلذذُ بإحصائهِ، ويحطُّ من قدرِ من عدمه، لأنه لا يرىٰ عزًّا ولا شرفًا ولا مجدًا في سواه، ولهذا يهمزُ ويلمزُ في غيرِه.

١٢. تفيدُ أن التعلقَ بالمالِ والتشربَ بحبِّه في القلب مع خواءِ الإيمانِ يؤدي إلىٰ غرورٍ حتىٰ يظنَّ أن مالَه الذي جمعَه وأحصاه وبخلَ بالإنفاق به يقدرُ علىٰ فعلِ كلِّ شيءٍ به؛ حتىٰ يتوهمَ أنه سيُطوّلُ عمره، ويدفعُ عنه أسبابَ الموت، ولم يدر أن البخلَ يقصفُ الأعمار، ويخربُ الديار، وأن البرَّ يزيدُ في العمر.

١٣. تفيدُ ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ شدةَ شغفهِ بالمالِ، فهو يترددُ عليه ويعددُ في كلِّ مرةٍ، حيثُ يعدُه في الصباحِ، وفي آخرِ النهار، وهو يعرفُ أنه لم يأخذ منه شيئًا، ولم يضف إليه شيئًا؛ لكن لشدةِ شغفهِ ومحبتهِ له يخشىٰ أن يكون نقصَ، أو يريدُ أن يجدَ زيادة علىٰ ما سبق، فهو دائمًا يعدد المال.

١٤. تفيدُ أن من صفةِ الهمازِ اللماز أنه لا هم له سوىٰ جمعِ المالِ وتعديدِه والغبطةِ به، وليس له رغبةٌ في إنفاقهِ في طرقِ الخيراتِ وصلةِ الأرحام، ونحو ذلك، فهو يعده ويدخره للدنيا، فالذي يهتمُ بجمعِ المالِ وتكثيرهِ للتعالي به

www.Quranonlinelibrary.com

قلَّ ما ينفقُه في سبيلِ الله.

١٥. تفيدُ أن أصحابَ الأموالِ إن لم يعتقدوا أنه سيخلدُهم بأجسامِهم، فإنهم يظنون أنه سيخلدُ ذكرَاهم في قلوبِ الناسِ وألسنتهم، ﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ﴾ أي: أخلد ذكره، والأمر ليس كذلك. فإن أهلَ الأموالِ إذا لم يُعرفوا بالبذلِ والكرم فإنهم يخلدون لكن بالذكرِ السيئ، ويذكرُ في المجالس ويعاب، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا﴾، هذا الرجلُ لن يخلدَه ماله، ولن يخلدَ ذكراه، بل سينسىٰ ويطوىٰ ذكره، وربما يذكرُ بالسوءِ لعدمِ قيامه بما أوجبَ اللهُ عليه من البذل، فيعامل بنقيض قصده.

١٦. تفيدُ أن المالَ لا يقدِّمُ في العمرِ ولا يؤخر، ولا يمنعُ أسبابَ الموت، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا﴾، أي ليس الأمر كما ظن.

١٧. تفيدُ أن المالَ لا يخلدُ ولا يخلد، وإنما العلومُ والفضائلُ هي التي تخلدُ وتخلد، وأما العروضُ فهي فانيةٌ، وما يتعلقُ بها فانٍ، والحسبان إمّا حسبان الخلود في الدنيا أو في الآخرة.

١٨. فيها تعريضٌ بالعمل الصالح، فإنه يخلدُ صاحبَه في النعيمِ المقيم، خلافًا للمالِ فإنه لم يخلدْ أحد، إنما الخلدُ بالعلمِ النافعِ، والعملِ الصالح، ومنه قول عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (مات خُزّانُ المالِ وهم أحياء، والعلماءُ باقون ما بقي الدهر)(١).

١٩. تفيدُ أن الركونَ للدنيا يضعفُ الإيمانَ بالآخرةِ، كما قال تعالىٰ عن صاحبِ الجنة: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦].

(١) تفسير الخازن علاء الدين البغدادي (٧/ ٢٨٩).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٢٠. تفيدُ أن من الجهلِ جعلَ المالِ عدةً للنوائب، والاعتمادِ عليه من دونِ اللهِ، مع أن المالَ يمكن أن يجرَّ له المصائب والنوائب، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

٢١. تفيدُ أن حبَّ المالِ والاشتغالِ به يطولُ في الآمال، ويجعلُه يعيشُ في الأماني البعيدة، فتجدُه يشيدُ البنيان، ويقيمُ المشاريعَ التي يظن معها الخلود.

٢٢. تفيدُ أن الانهماكَ في المعاصي، والإعراضَ عن اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، والإقبالَ علىٰ التوسعِ في الشهواتِ والأعراضِ الزائلة، يلهي صاحبَه، ويجعلُه يعملُ عمل من يظن أنه لا يموت.

٢٣. تفيدُ أن الأموالَ التي يدخرُها الإنسانُ لا تغني عنه شيئًا عن قدرِ الله.

٢٤. تفيدُ أن من أضرِّ الأشياءِ علىٰ الإنسانِ العيشُ علىٰ الظنونِ والأوهامِ، وغيابِ الحقِ والحقيقةِ عنه، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

٢٥. تفيدُ أن من صفاتِ أهلِ الدنيا الطعنِ في بعضِهم، والسعيِّ لترفعِ كلِّ واحدٍ عن الآخر، ولهذا فهم يعيشونَ في الدنيا شقاء، وفي الآخرة في جحيم.

٢٦. فيها بيانٌ لما يجدُه الكافرُ من إهانةٍ وهو داخلٌ إلىٰ جهنمَ، حيث ينبذُ فيها نبذًا، ويطرحُ فيها طرحًا ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾.

٢٧. فيها بيانُ شدةِ النارِ التي تحطمُ كلَّ ما يلقىٰ فيها، فهي تحطمُهم تحطيمًا؛ ولهذا وصفت بالحطمةِ.

٢٨. تفيدُ أن الحطمةَ اسمٌ من أسماءِ جهنم ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾.

٢٩. فيها بيانٌ لهولِ النار، حيث إنها ليست من الأمورِ التي تنالُها عقولُ الخلقِ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾.

٣٠. تفيدُ أن إضافةَ النارِ إلىٰ اللهِ سبحانه وتعالىٰ مع وصفِها بالإيقادِ يدلُّ علىٰ هولِها بما لا مزيدَ عليه ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾.

٣١. تفيدُ أن جهنمَ أوقدتِ منذُ زمنٍ طويل، ثم يكونُ الناسُ والحجارةُ حطبَها، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

٣٢. فيها بيانٌ لشدةِ العذابِ بها، فهي تدخلُ في أجوافِهم حتىٰ تصلَ إلىٰ قلوبهم، ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ أي: تنفذُ من الأجسامِ إلىٰ القلوب، ويصلُ ألمُها ووهجُها القلوب، مع أن القلوبَ مكنونةٌ في الصدورِ وبينها؛ لكن مع ذلك تصلُ هذه النارُ إلىٰ الأفئدةِ، ولا شيء في البدنِ ألطفُ من الفؤاد، ولا أشدَّ تألمًا منه بأدنىٰ أذىٰ يمسه، فكيف إذا اطَّلعت عليه نارُ جهنمَ واستولت عليه.

٣٣. تفيدُ أن هذه النارَ ترىٰ وتطلعُ وتعرفُ ما في القلوبِ، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ١٢ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا﴾ [الفرقان: ١٢ – ١٤].

٣٤. فيها بيانٌ ثانٍ لشدةِ العذابِ في النارِ؛ لأنهم مع هذه الحرارةِ البليغة

هم محبوسون فيها في مكانٍ ضيق، قد أيسوا من الخروجِ منها، ولهذا قال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم﴾ أي على الهمَّازِ واللمَّازِ الجمَّاعِ للمال المناع للخير، ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ أي: مغلقةٌ ومطبقةُ الأبوابِ لا يُرجىٰ لأهلِها فرج، ولا ينقذُهم منها أحد، ولا يَسألُ عنهم فيها أحد، وكل محاولةٍ للخروجِ فاشلة، كما قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، وقال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢]، كيف يخرجون ومن وراءِ هذه الأبواب ﴿عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ لئلا يخرجوا منها، فتؤصدُ عليهم الأبوابُ، وتُمدّدُ علىٰ الأبوابِ العمد استيثاقًا في استيثاق.

٣٥. فيها بيانٌ لمنزلةِ أعمالِ القلوب حتىٰ أن النارَ تطلعُ علىٰ ما في القلوب من العقائدِ الفاسدة، والنياتِ الخبيثة، ومنشأ الأعمالِ السيئة باطلاعِ الله إياها.

٣٦. فيها ما يثيرُ الخوفَ والفزعَ والحملَ علىٰ الارعواءِ والجدِّ والاجتهادِ في الباقيات الصالحات.

٣٧. فيها بيانٌ ثالثٌ لشدةِ العذابِ حيثُ يوثقونَ فيها إلىٰ عُمُد كما توثق البهائم بلا احترام، كل هذا يدلُ علىٰ شدةِ التعذيبِ، وعذابُ أهلِ النارِ مذكور مفصلٌ في القرآنِ الكريم والسنة النبوية.

٣٨. فيها بيانُ شمولِ علمِ اللهِ لكلِّ ما يقعُ في الكون، فهو يرىٰ ما يقع، ويكرَهُه، ويعاقب عليه.

٣٩. فيها رفعٌ لروحِ المؤمنين، بما يجعلُهم يصبرون علىٰ من يعيبُونهم

ويلمزُونهم، ويكيدون بهم، فإن اللهَ مطلعٌ علىٰ ذلك، وسوف يقتصُ لهم يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٦ – ١١١].

٤٠. فيها خطورةُ الظلمِ للناسِ في أعراضِهم، فالسورة الأولىٰ التي بدأت بالويلِ هي سورةُ المطففين كانت في ظلمِ الناسِ في أموالِهم، وهذه في ظلمِ الناسِ في أعراضِهم، والمسلمُ الحقُّ من سلمَ المسلمون من لسانهِ ويده.

٤١. فيها تصورٌ لشدةِ نارِ الآخرةِ من خلالِ سبعةِ أوصافٍ ذكرت، وهي: وصفها بالحطمة، والتهويل من شأنها ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾، وأضافتُها إلىٰ الله ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ﴾، ثم وصفُها بالمستعرة﴿ٱلْمُوقَدَةُ﴾، وبيانُ اطلاعِها لما في القلوبِ ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾، ثم وصفُها بالمطبقة، ومن خلفِ أبوابها الأعمدة ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾.

٤٢. فيها بيانٌ لشدِة عذابِ أهلِ النار من خلالِ بيانِ طريقةِ طرحهم وعذابهم في ثلاثة أوصافٍ ﴿لَيُنۢبَذَنَّ ﴾، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾، ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾.

ثالثًا: التناسقُ الموضوعي بين الآيات:

لما بين صفاتِ الناجين في سورةِ العصر، وختمَ بالصبر، جاء الحديثُ هن عن صفاتِ الهالكين، فقال: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، ثم بينَ سببَ همزهِ ولمزهِ، وهو اعتمادُه علىٰ ما جمعَه من المالِ ظنًا أنه يخلدُه ويخلدُ

ذكره، فقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾، ولما كان هذا الحسبانُ لشدةِ ضعفهِ لا يحتاجُ ردُه إلىٰ إقامةِ دليلٍ اكتفىٰ فيه بأداةِ الردعِ الجامعةِ لكلِّ زجرٍ فقال: ﴿كَلَّا﴾ أي لا يكون ما حسب ظنه، ولما كان كأنه قيل: فما الذي يفعلُ به بعدَ الموتِ قال: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾، ثم عظمَ شأنَها سبحانه وتعالىٰ فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾، ثم فسرَها بقوله: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾، ثم هوَّلَ من شدةِ عذابِها فقال: ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾، ولما كان الاطلاعُ علىٰ الفؤادِ من النارِ إشارةً لشدةِ العذابِ قال مؤكدًا علىٰ ذلك: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ أي مطبقةٌ بغايةِ الضيق، ثم زادَ في بيانِ شدةِ عذابها بقوله: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ سواءً كان علىٰ أبوابِها أو يمددون هم فيها.

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورةِ وخاتمتها:

فاتحتُها فيها توعدٌ بشدةِ العذاب لأصحابِ الهمز واللمزِ ومن جمعَ مالَه وتفاخرَ وتكاثرَ به في الدنيا، وخاتمتُها في بيانِ ما توعدت به في فاتحتِها.

خامسًا: خصائصُ السورةِ في عرضِ هداياتها:

١. توعدُ أصحاب الهمزِ واللمزِ بأقسىٰ عقوبة: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

٢. توعدُ من ألهاه المالُ وعلت به الغفلةُ حتىٰ ظنَّ أن مالَه سيمدُ له في عمرِه، ويخلده في الدنيا: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾.

٣. الحديثُ عن عقوبةِ أهلِ الهمزِ واللمزِ والتكاثرِ الذي يلهي عن ما خلقنا له: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ وقد جاء الكلامُ عن عذابِهم بأصوافٍ خاصة.

٤. بيانُ اطلاعِ النارِ علىٰ القلوب ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾.

٥. بيانُ أوصافٍ زائدةٍ عن النار فقال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. الكفُّ عن أذيةِ الناسِ، والتحدثِ في أعراضِهم، والتعرضِ لما يشينهم ويعيبهم بالقولِ أو الفعلِ.

٢. البعدُ عن ذمِّ الناسِ والاستهزاءِ بهم وغيرِها من الصفاتِ التي يبغضُها الله.

٣. الحرص علىٰ جمع الكلمة ووحدة الصف ونبذ أسباب الفرقة والاختلاف.

٤. عدمُ التلهي بالمالِ وتحصيلهِ عن طاعةِ اللهِ وعبادته، والتصدقِ به، حتىٰ كأنه خلقَ لجمعِ المالِ.

٥. العملُ علىٰ إصلاحِ القلوبِ وتطهيرِها فهي سببُ السعادةِ أو الشقاء.

٦. استحضارُ عظمةِ جهنمَ وشدتِها وهولِها والعملِ بما ينجي من عذابِها فهذا هو المقصدُ من الحديثِ عنها، وسؤالُ اللهِ - تعالىٰ - أن يجيرَنا من هذه النار، وأن يرزقَنا الإخلاصَ في القولِ والعمل والاستقامةِ علىٰ دينه، والبعدَ عن كلِّ معاصيه، والفوز برضوانه.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة الهمزة ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ٢٣ من رجب عام ١٤٣٧هـ.

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

سـورة الفيل

موضوع السورة:

أخذِ العبرةِ من قصةِ أصحابِ الفيل

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مدخل لدراسة السورة

أولًا: ما قيل عن فضلِ السورة:

هذه السورةُ امتنَ اللهُ تعالىٰ بها علىٰ قريشٍ، حيثُ صرفَ عنهم شرَ أصحابِ الفيل، الذين عزموا علىٰ هدمِ الكعبة، ومحوِ أثرِها من الوجود، فأبادَهم اللهُ، وخيبَ سعيَهم، وأضلَّ عملَهم، وَرَدَهم بشرِ خيبة، وكانوا قومًا نصارىٰ، وكان دينُهم إذ ذاك أقربَ حالًا مما كانت عليه قريشٌ من عبادةِ الأوثان؛ ولكن كان هذا صيانةً لشرفِ البيتِ العتيق، ومن إرهاصاتِ نبوةِ النبيِّ محمدٍ ﷺ، الذي ولدَ في ذلك العام علىٰ أشهرِ الأقوال.

ثانيًا: موضوعُ السورة:

موضوعُ السورةِ في أخذِ العبرةِ من قصةِ أصحابِ الفيل.

ثالثًا: المناسبةُ بين سورةِ الهمزة والفيلِ:

لما ذكرَ تعالىٰ فيما قبلَها عذابَ الكفارِ في الآخرة، أخبرَ هنا بعذابِ ناسٍ منهم في الدنيا. والظاهرُ أن الخطابَ للرسولِ ﷺ، يذكرُه نعمتَه عليه، إذ كان صرفُ ذلك العدوِّ العظيمِ عامَ مولدِه السعيدَ عليه السلام إرهاصًا بنبوّته، إذ مجيءُ تلك الطيورِ علىٰ الوصفِ المنقول، من خوارقِ العاداتِ والمعجزاتِ المتقدمةِ بين أيدي الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلام.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وقيل: إنه بينَ هنالك أن المالَ لا يغني من اللهِ شيئا، وهنا أقامَ الدليلَ علىٰ ذلك بقصةِ أصحابِ الفيل.

وقيل: «أنه ذكرَ هنالك من اغترَّ وفتنَ بمالهِ حتىٰ ظنَّ أنه يخلدُه وما ترتبَ علىٰ ذلك من خسرانٍ وهلاك، أتبعَ ذلك بذكرِ أصحابِ الفيلِ الذين غرَهم تكاثرُهم، وخدعَهم امتدادُهم في البلادِ واستيلاؤُهم حتىٰ هموا بهدمِ البيت المكرم، فتعجلوا النقمةَ، وجعلَ اللهُ كيدَهم في تضليل، وأرسلَ عليهم طيرًا أبابيل، ترميهم بحجارةٍ من سيجل حتىٰ استأصلَتهم وقطعت دابرَهم فجعلَهم كعصفٍ مأكول، وأثمرَ لهم ذلك حظَّهم من الخسرِ المتقدم»[١].

(١) البرهان في تناسب سور القرآن (ص: ٢١٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

موضوعُ السورة

بيانُ ما في قصةِ أصحابِ الفيلِ من العبر

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ
كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن
سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ١ – ٥].

أولًا: معاني الكلمات:

١. أَلَمْ تَرَ: ألم تعلم، قيل: ألم ترَ آثارَ ما فعلَ ربُّك بأصحابِ الفيل.

٢. ٱلْفِيلِ: دابةٌ معلومةٌ من أضخمِ الدواب، جمعُه أفيالٌ وفيولٌ وفيلةٌ.

٣. بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ: هم الذين قصدوا تخريبَ الكعبةَ من الحبشةِ.

٤. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ: الكيد: إرادةُ وقوعِ الضرِّ بغيركِ علىٰ وجهِ الخفاء.

٥. تَضْلِيلٍ: أي: في إبطالٍ وخسارة، فقد ضلَّ عنهم وفاتَهم ما قصدوا.

٦. طَيْرًا: والطيرُ كلُّ ما طارَ في الهواء صغيرًا كان أو كبيرا.

٧. أَبَابِيلَ: جماعاتٍ متفرقةٍ يتبعُ بعضُها بعضًا، يقال: جاءت الخيلُ أبابيلَ من هاهنا وهاهنا.

٨. سِجِّيلٍ: الطينُ الذي تحجر، أي: شديدةُ الصُّلب.

٩. كَعَصْفٍ: العصفُ: ورقُ الزرعِ الذي يبقىٰ بعدَ الحصاد، أو التبن.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٠ . مَّأۡكُولِۭ : إذا أكلته البهائمُ وداسته بأرجلِها وفرقت أجزاءَه.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١ . تفيدُ الحثَّ علىٰ أخذِ العظةِ والعبرةِ من قصةِ أصحابِ الفيل في قولهِ تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ أي ألم تُخبرْ. وقيل ألم تعلم. وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: «ألم تسمع؟»(١) واللفظُ وإن كان استفهامًا فالمعنىٰ المرادُ التقرير. والخطابُ للنبيِّ ﷺ، ولكنه عام؛ أي ألم تروا ما فعلتُ بأصحابِ الفيل؛ أي قد رأيتُم ذلك، وعرفتُم موضعَ مِنَّتِي عليكم، فما لكم لا تؤمنون؟

٢ . تفيدُ وضوحَ هذه الحادثةِ عندهم؛ لأن في التعبيرِ عن العلمِ بالرؤيةِ للإيماءِ إلىٰ أن الخبرَ بهذه الحاثةِ متواترٌ مستفيضٌ، فالعلمُ به مساوٍ في قوةِ الثبوتِ مع الوضوحِ للعلمِ الناشئ عن الرؤيةِ والمشاهدة.

٣ . فيها أن العبرةَ كما تكونُ برؤيةِ الحوادثِ تكونُ برؤيةِ أثرِها، وسماعِ أخبارِها؛ وذلك لأنه ﷺ وإن لم يَشهدْ تلك الوقعةَ فإنه شاهدَ آثارَها، وسمعَ بالتواترِ مع إعلامِ اللهِ له أخبارَها.

٤ . فيها بيانٌ لعظيمِ قدرةِ اللهِ تعالىٰ وشدةِ بطشهِ بالظالمين، وأن كلَّ قدرةٍ دونه خاضعةٌ لسلطانهِ، حيث لم تفدْهم قوتُهم من اللهِ شيئا.

٥ . فيها بيانُ شرفِ النبيِّ ﷺ من خلالِ توجهِ الخطابِ له، واضافتهِ لعبوديته في قوله: ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾، كأنه قال: ربُّك معبودُك هو الذي فعلَ ذلك لا أصنامُ قريشٍ أسافٍ ونائلةٍ وغيرهما.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٠/ ١٨٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٦. تفيدُ أن تخصيصَه ﷺ بالخطابِ، مع إضافتهِ للربِّ مع ما فيها من التشريفِ له فيها تعريضٌ بحقارةِ الأصنامِ التي سموها أربابًا لهم، يعلم ذلك منهم علم اليقين من آمن، ومن استمر علىٰ كفرِه فسيعلمُ ذلك حقَّ اليقين عندما يسلطُ اللهُ عليهم رسولَه ﷺ بالبلدِ الحرام، ويحلُّها له علىٰ أعلىٰ حالٍ ومرام.

٧. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ وحدَه القادرُ علىٰ إبطالِ مكرِ الكافرين وكيدِهم وردِّ ذلك في نحورِهم ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ بما يجعلُ المؤمنَ واثقًا بنصرِ الله له.

٨. فيها بيانٌ لكثرةِ جنودِ ربِّك، وسهولةِ إهلاكِ أعدائه، إذا لم يُعرفْ أن يجيء طيرٌ في جهةٍ يقصدُ قومًا دونَ قوم، وهم معَهم في جهةٍ واحدة، فذلك دليلٌ علىٰ أنه من حكيمٍ مدبر.

٩. فيها بيانٌ لكيفيةِ إهلاكِ اللهِ تعالىٰ لأصحابِ الفيل وتدميرِهم وردِهم بكيدِهم وغيظهم لم ينالوا ما أملوا، حيث أبطلَ كيدَهم ومكرهم.

١٠. فيها بيانٌ لحرمةِ البيت، وكرامةِ الكعبة كما جاء في البخاري ومسلم عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا فَتَحَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ اللهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهَا لَنْ تَحِلَّ لأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَإِنَّهَا لَنْ تَحِلَّ لأَحَدٍ بَعْدِىٰ، فَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلاَ يُخْتَلَىٰ شَوْكُهَا، وَلاَ تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا إِلاَّ لِمُنْشِدٍ، وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِمَّا أَنْ يُفْدَىٰ وَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ)[1].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: اللقطة، بَابُ: كَيْفَ تُعَرَّفُ لُقَطَةُ أَهْلِ مَكَّةَ، ح رقم (٢٤٣٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١١. تفيدُ أن هذا البيتَ من شرفهِ أن الناسَ به يكرمون ويطعمون ويأمنون، فهم إن ادعوا حمايتَه فهم به يُحْمَون، وإن ادعوا خدمتَه فهم به يُخْدمون.

١٢. تفيدُ أن أهلَ الكتابِ لم يستطيعوا أن يحطموا هذا البيت ويسطيروا علىٰ حرمهِ والشركُ يدنسُه، فكيف إذا كان فيه أهلُ الإيمانِ.

١٣. تفيدُ أن الكيدَ من أهلِ الكفرِ لهذا البيتِ قديم.

١٤. فيها بيانٌ لإنعامِ الله تعالىٰ علىٰ قريشٍ بدفعِ العدو عنهم، فكان يجبُ عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به.

١٥. فيها تذكيرٌ لقريشٍ بفعلِ الله في الطغاةِ تخويفًا لهم وترهيبًا.

١٦. فيها تسليةٌ للرسولِ ﷺ، ومن معه من المؤمنين عما يلاقونه من ظلمِ كفارِ قريش.

١٧. فيها بيانٌ لشدةِ هلاكِهم وعقابهِ لأعدائهِ حيث شبهَهم بالزرعِ الذي أكلته الدوابُّ وراثته وتفرق.

١٨. تفيد أن الأسبابَ الماديةَ ليست كافيةً في تحقيقِ النصر، فهؤلاء وفروا كلَّ أسبابِ القوة وهزموا شرَّ هزيمةٍ في الأرضِ فهي في بيانِ إهلاكِ المتكاثرين بالأسبابِ دون ربِّ الأسباب.

١٩. فيها إشارةٌ إلىٰ أن كلَّ من تعرضَ لشيءٍ من حرماتِ الله كبيتٍ من بيوته، أو ولي من أوليائهِ، أو عالمٍ من علماءِ الدين وإن كان مقصرًا نوعَ تقصيرٍ وقعَ في مكرِه، وعادَ عليه وبالَ شره (مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ)[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، بَابُ: التَّوَاضُعِ، ح رقم (٦٥٠٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢٠. تفيدُ أن من جاهرَ بالمعصيةِ أسرعَ إليه الهلاكُ بخلافِ من تستر.

٢١. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ يأتي من يريدُ عذابَه من حيث لا يحتسبُ ليدومَ الحذرُ منه ولا يؤمنُ مكرُه ولو كان الخصمُ أقلَ عبادِه، لم يخطر للحبشةِ ما وقعَ لهم أصلًا ولا خطرَ لأحدٍ سواهم أن طيورًا تقتلُ جيشًا دوّخَ الأبطالَ، ودانت له غُلب الرجال، يقودُه ملكٌ جبار كُتيبتُه تملأ السهلِ والآفاق.

٢٢. فيها بيانٌ لآيةٍ من آياتِ اللهِ العظيمةِ حيثُ سلطَ علىٰ ذلك الجيشِ العظيمِ المتجبرِ علىٰ خالقِهم بالقصدِ القبيحِ لبيته ما لا يقتلُ مثلُه في العادةِ تحقيرًا لشأنهم.

٢٣. تفيدُ أن كلَّ شيء يقع في الأرضِ يكون بقدرِ الله وتقديرِه، فهذهِ الحجارةُ معلمةٌ وموجهةٌ بعنايةٍ لأصحابها.

٢٤. فيها بيانٌ لهوانِ أعداءِ الدين عند الله فالرامي طيرٌ، المرمي حجر من سجيل، والنتيجةٌ مبهرةٌ في الهلاك والدمار ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ بما يذكر المؤمن وهو يقاتلُ أعداءَ الله بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧].

٢٥. فيها بيانٌ لدقةِ القرآن في بيانِ حالِهم ومآلِهم حيث شبههم بما يصورُ شرَ عاقبتِهم ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾.

www.Quranonlinelibrary.com

ثالثًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما بينَ تعالىٰ في سورةِ الهمزةِ أن كثرةَ الأموالِ ربما أعقبت الوبالَ في دارِ القرار، بين هنا كذلك كيفَ تكونُ سببًا للفسادِ والطغيانِ وتؤدي للوبالِ والخسرانِ في دارِ الدنيا فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾، ولما قررَه بالكيفيةِ تنبيهًا علىٰ ما فيها من وجوهِ الدلالةِ علىٰ مقدماتِ الرسالة، أشارَ إلىٰ تلك الوجوه مقدمًا عليها تقريرًا آخر جامعًا لقصتِهم فقال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾، ولما كان التقديرُ: فمنعهم من الدخولِ إلىٰ حرمهِ المنيفِ عطفَ عليه قوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، ولما تشوفَ السامعُ إلىٰ فعلِ الطير بهم، قال مستأنفًا: ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ﴾، لما كان الشيءُ إذا كان مصنوعًا للعذابِ كان أشد فعلًا فيه قال: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾، ولما تسببَ عن هذا المرمىٰ هلاكُهم، وكان ذلك بفعلِ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ- القادرُ علىٰ ما أراد، قال: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.

رابعًا: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها:

لما حثَّ في فاتِحها لأخذِ العبرةِ من قصِتهم من خلالِ ذلك الاستفهام، بينَ في خاتمتِها إلىٰ موضعِ العبرةِ ونهايتِها ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ وبهذا تعانقَ طرفاها، والتفَ أخراها بأولاها - والله أعلم بمراده.

خامسًا: خصائصُ السورةِ في عرضِ هداياتها:

- الحديثُ عن قصةِ أصحابِ الفيلِ وأهميةِ أخذِ العبرة منها، كيف أبطلَ اللهُ كيدَهم وردَهم خاسئين ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ

www.Quranonlinelibrary.com

﴿ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ﴾.

○ بيانٌ لكيفيةِ إهلاكهم ﴿ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴾.

○ بيانٌ لحالِهم بعدَ الإهلاك ﴿ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ﴾.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. أخذُ العظةِ والعبرةِ من مصارعِ وقصصِ الظالمين والمفسدين في الأرض.

٢. معرفةُ مكانةِ وقداسةِ الكعبةِ وحفظِ الله تعالىٰ لبلده الأمين.

٣. الثقةُ بنصرِ الله – تعالىٰ – وكفايتِه، مهما ضعفت أسبابُ النصر.

٤. ليس كلُّ ما يخططُ له الأعداءُ يستطيعون تحقيقَه، فهم يمكرون ويمكرُ الله واللهُ خير الماكرين.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة الفيل ولله الحمد
والمنة ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ٢٩ ذي الحجة عام ١٤٣٧هـ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

سـورة قريش

موضوع السورة:

بيانُ فضلِ اللهِ على قريشٍ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

مدخل لدراسة السورة

أولًا: موضوعُ السورة:

موضوعُ السورةِ في بيانِ فضلِ اللهِ علىٰ قريشٍ أهلِ حرمهِ المنيف، ودعوتِهم أن يقوموا بواجبِ الشكرِ تجاه النعمةِ بتوحيدِه تعالىٰ.

ثانيًا: المناسبةُ بين سورةِ الفيل وسورة قريش:

مناسبتُها لما قبلَها ظاهرة، ولا سيما أن جعلت اللام متعلقةً بـ﴿ فَجَعَلَهُمْ ﴾، أو بإضمارِ فعلنا ذلك لإيلافِ قريش، وهو مروي عن الأخفش رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتىٰ تطمئنَّ في بلدِها [1]؛ فذكر ذلك للامتنانِ عليهم، إذ لو سلطَ عليهم أصحابَ الفيلِ لتشتتوا في البلادِ والأقاليم، ولم تجتمع لهم كلمة.

وهو كما له تعلقٌ بما قبلَه له تعلقٌ بما بعدَه، والمعنىٰ أنه أهلكَ أهلَ الحبشةِ الذين قصدُوهم ليتسامعَ الناسُ بذلك، فيتهيبُوهم زيادةَ تهيب، ويحترمُوهم فضلَ احترام حتىٰ ينتظمَ لهم الأمنُ في رحلتِهم، قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هي مردودةٌ إلىٰ ما بعدَها، تقديرُه فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافِهم رحلةَ الشتاءِ والصيف» [2].

وقيل: إن كلًا منهما تضمنَ ذكرَ نعمةٍ من نعمِ الله علىٰ أهلِ مكةَ،

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٨/ ٣٨٥).

(٢) معالم التنزيل، البغوي (٨/ ٥٤٦).

www.Quranonlinelibrary.com

فالأولىٰ في إهلاكِ عدوِهم الذي جاء ليهدمَ بيتَ الله الذي يقدسونه ويعظمونه، وهو أساسُ مجدِهم، والثانيةُ ذكرت نعمةَ أخرىٰ هي اجتماعُ أمرِهم، والتئامُ شملِهم في بلدِهم الأمين وفي رحلتِهم. قال ابنُ إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما ردَّ اللهُ الحبشةَ عن مكةَ، عظَّمت العربُ قريشًا وقالوا: أهلُ اللهِ قاتلَ عنهم، وكفاهم مؤونةَ عدوِّهم، فكان ذلك نعمةً من اللهِ تعالىٰ عليهم»[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٢٠٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

موضوع السورة
بيانُ فضلِ اللّٰهِ على قريشٍ

قال تعالىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش: ١ - ٤].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ﴿لِإِيلَٰفِ﴾: الإيلافُ: ضدُ الإيحاش، وهو نظيرُ الإيناس، وهو مصدرُ آلفَ الشيءَ يؤالفُه إيلافا إذا اعتادَه وزالت الكلفةُ عنه، والنفرةُ منه، والمعنىٰ: أهلكتُ أصحابَ الفيلِ لأجلِ تآلفُ قريش.

٢. ﴿قُرَيۡشٍ﴾: حيٌ من عربِ الحجاز، أولادُ النضرِ بن كنانة، فكلُّ من كان من أولادِ النضرِ بن كِنانة فهو قرشي، وهم ينقسمونَ إلىٰ أفخاذٍ وبيوتٍ نحو: بني هاشم، وبني أمية، وبني مخزوم، وغيرِهم، وفي حديث مسلم يقول النبيُّ ﷺ: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِىٰ هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِىٰ هَاشِمٍ)(١). واختلفوا في اشتقاقِ هذا الاسم، فقال الأكثرون: « سموا قريشا لتقرُّشِهم، والتَّقرُّش

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب: فَضْلِ نَسَبِ النبيِّ ﷺ وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ عَلَيْهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، ح رقم (٦٠٧٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

التَّكسُّب؛ لأنهم كانوا أهلَ تجارةٍ»[١]. وعن ابنِ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنها سميت قريشٌ قريشًا بدابةٍ تكونُ في البحرِ يقال لها القرش، تأكلُ ولا تُؤكل، وتعلو ولا تُعلىٰ، لا تمرُ بغثٍ ولا سمين إلا أكلته، وكانوا ساكنين بمكة[٢].

٣. رِحۡلَةَ : ارتحالُ القوم، أي شدُّهم الرحالِ للسير من مكانٍ لآخرٍ بعيد.

٤. رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ : أي إلىٰ اليمن.

٥. وَٱلصَّيۡفِ: أي إلىٰ الشام.

٦. فَلۡيَعۡبُدُواْ: أي إن لم يعبدوا اللهَ لسائرِ نعمه فليعبدُوه لتحبيبِ هاتين الرحلتين إليهم.

٧. رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ : أي مالكُ البيتِ الحرام وربُّ كلِّ شيء.

٨. ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ : أطعمهم: أي وسعَ لهم الرزقَ، ومهَّد لهم سبيلَه.

٩. وَءَامَنَهُم: أي جعلَهم في أمنٍ من التعدي عليهم والتطاولِ علىٰ أموالِهم وأنفسِهم.

١٠. ﴿وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾: أي من أجلِ البيت الحرام.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. تفيدُ بيانًا لفضلِ اللهِ تعالىٰ علىٰ قريشٍ بإهلاكِ أصحابِ الفيل، مما جعلهم آمنين في ديارِهم وترحالِهم، حيثُ صارَ العربُ يحترمونَهم بعدَ تلك

(١) تفسير القرآن العظيم، السمعاني (٦/ ١٠).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم السمعاني (٦/ ١٠)، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٩/ ٢٤٠).

www.Quranonlinelibrary.com

الحادثةِ في حلِّهم وأسفارِهم، فيذهبون آمنيين، ويعودون سالمين لا يمسُّهم أحدٌ بسوءٍ علىٰ كثرةِ ما كان بين العربِ من السلبِ والنهبِ وإغاراتٍ لا تنقطع.

٢. تفيد أن ذلك الاحترامَ الذي حدثَ لقريشٍ بعدَ هذه الحادثةِ من أعظمِ القوةِ المعنوية، والنعمِ التي سخرَها اللهُ تعالىٰ لهم، قال كثيرٌ من المفسرين(١): إن الجارَ والمجرورَ متعلقٌ بالسورةِ التي قبلها أي: فعلنا ما فعلنا بأصحابِ الفيلِ لأجلِ قريشٍ وأمنِهم، واستقامةِ مصالحهم، وانتظامِ رحلتِهم في الشتاءِ لليمن، والصيفِ للشام، لأجلِ التجارة والمكاسبِ. فأهلكَ اللهُ من أرادَهم بسوءٍ، وعظمَ أمرَ الحرمِ وأهلِهِ في قلوبِ العرب، حتىٰ احترموهم، ولم يعترضوا لهم في حلٍ وترحالٍ بعد ذلك، ولهذا أمرَهم اللهُ بالشكر.

٣. تفيد أن اللهَ تعالىٰ هو الذي يجعلُ عبدَه يألفُ ما يشاءُ من البلادِ، ومن الأمورِ ليستمرَّ عليها، وقد كان إيلافُهم لهاتين الرحلتين بتدبيرِ اللهِ تعالىٰ ليعيشَ سكانُ حرمِهِ وبلده في رغدٍ من العيشِ فهي نعمةٌ من نعمِ اللهِ تعالىٰ.

٤. تفيدُ بيانًا لمظاهرِ تدبيرِ الله تعالىٰ وحكمتِهِ ورحمته فسبحانه من إلهٍ حكيمٍ رحيم.

٥. تفيدُ بيانًا لتمامِ قدرته سبحانه وتعالىٰ علىٰ ما يشاء، وأنه إذا أرادَ شيئًا يسَّرَ سببَه؛ لأن التدبيرَ كلَّه له، يخفضُ من يشاءُ وإن عزَّ، ويرفعُ من يشاءُ وإن ذلَّ، ليثمرَ اعتقادُ ذلك حبَّه، والانقطاعَ لعبادتهِ، والاعتمادَ عليه في كلِّ نفعٍ ودفع.

٦. تفيدُ بيانًا لفضلِ قريشِ التي خرجَ منها المصطفىٰ ﷺ قال العلماء: وذلك أن طيبَ العنصرِ يؤدي إلىٰ محاسنِ الأخلاق، ومحاسنُ الأخلاقِ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٩٣٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

تؤدي إلىٰ صفاءِ القلب، وصفاءُ القلبِ عونٌ علىٰ إدراكِ العلوم، وبإدراكِ العلوم تُنالُ الدرجاتُ العلا في الدنيا والآخرة(١).

٧. تفيدُ وجوبَ عبادةِ الله تعالىٰ وتركِ عبادةِ من سواه من تلك الآلهةِ التي لا تستحقُ أن تعبدَ مع اللهِ واللام في ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ لامُ الأمر.

٨. تفيدُ بيانًا لشرفِ البيت وفضلهِ؛ ولذا خصَّه اللهُ بالربوبية، وإلا فهو ربُّ كلِّ شيء.

٩. تفيدُ أن النعمَ تقابلُ بالشكر، ومن أعظمِ مقاماتِ الشكر تحقيقُ التوحيد فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ أي: ليوحدوه ويخلصوا له العبادة كما جعلَ لهم حرمًا آمنًا وبيتًا محرمًا كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١].

١٠. تفيدُ وجوبَ الشكرِ علىٰ النعمِ، وشكرُها حمدًا لله تعالىٰ عليها، والثناء عليه بها، وصرفُها في مرضاته.

١١. تفيدُ أن المطعمَ من الجوعِ هو الله وحده، وهذا يستوجبُ شكرَه بعد كلِّ طعامٍ يُطعمُه اللهُ تعالىٰ لعبده.

١٢. تفيدُ أن المقصودَ من الإطعامِ التقوي علىٰ الطاعةِ، وليس تقويةَ الشهوةِ المانعةِ عن الطاعة.

١٣. تفيدُ بيانًا لما خصَّ اللهُ به بيتَه حيث أسكنَهم بوادٍ غيرِ ذي زرع؛ ولكن أطعمَهم من كلِّ الثمرات بما يجلبُ إليهم من البلادِ بدعوة إبراهيم

---

(١) انظر: نظم الدرر (٨/ ٥٣٤).

www.Quranonlinelibrary.com

عليه السلام ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

١٤. تفيدُ بيانًا لفضلٍ ثانٍ علىٰ أهلِ حرمِهِ حيث آمنهم من كلِّ خوفٍ بدعوة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ [إبراهيم:٣٥].

١٥. تفيدُ أن الذي يؤمنُ العبادَ من الخوفِ هو اللهُ، فلنشكرُه علىٰ نعمةِ الأمن.

١٦. فيها أن التوحيدَ يحققُ أمنَ الدنيا والآخرة،ومن تمردَ علىٰ عبوديتِهِ سلبت منه مهما كان فضلُه ومنزلته قال تعالىٰ:﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

١٧. تفيدُ بيانًا لسوءِ حالِ العبادِ إن لم يتولهم اللهُ – تعالىٰ – برحمتِهِ من الجوعِ والخوف والمرض.

١٨. تفيد التلازم بين الخوف والجوع، فإذا انفرط عقد الأمن وقع الفقر مهما كانت البلاد غنية؛ ولذا ذكر تعالىٰ هذا التلازم هنا وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

١٩. تفيدُ أن الإطعامَ من الجوعِ والتأمين من الخوفِ عليهما مدارُ استقرار حياة البشر، وهما أهم مهام وواجبات أجهزة الدول، فأرقىٰ الدولُ اليومَ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تسعىٰ أن تحققَ لشعوبِها هاتين النعمتين، نعمةَ العيشِ الرغد، والأمنِ التام.

٢٠. تفيدُ أن رغدَ الرزقِ والأمنَ من المخاوفِ من أكبرِ النعمِ الدنيوية الموجبةِ لشكرِ الله تعالىٰ؛ ولذا أمتنَ اللهُ تعالىٰ بهما علىٰ قريش.

٢١. تفيد أن اللهَ تعالىٰ وحده هو الذي كفاهم ذلك ولم يشركه أحد في كفايتهم.

٢٢. تفيدُ أن الإنعامَ في كلياتهِ ينقسمُ إلىٰ قسمين، دفعُ ضرٍ، وجلبُ نفع، ولما كانُ الأولُ أهم بدأ به في سور الفيل، ثم جاء الثاني هنا.

٢٣. تفيدُ ضعفَ العبدِ وشدةِ فقرِه لربه في رزقهِ وأمنه.

٢٤. تفيد ما يَجلبُ محبةَ اللهِ تعالىٰ المنعمِ علىٰ عبادهِ بالنعم العظيمة.

٢٥. تفيدُ بيانًا للطفِ اللهِ تعالىٰ بعبادِه، وكيف يدبرُهم وهم لا يشعرون، مع أنهم يعيشون في بلدٍ غير ذي زرعٍ والناسُ من حولهم يتخطفون.

ثالثًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما بينَ تعالىٰ ما فعلَه بأصحابِ الفيل حتىٰ لا يدخلوا حرمَه، بين ما في ذلك من النعمةِ الآجلةِ علىٰ قريش حتىٰ لا تُستباحَ ديارُهم وتسبىٰ ذراريهم، فقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾، ولما أشارَ بالإيلافِ لما سبقَ، أبدل منه إيلافًا آخر عظيمًا فقال: ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾، ولما كان هذا التدبيرُ لهم من اللهِ كافيًا لهمومِهم الظاهرةِ بالغنىٰ، والباطنةِ بالأمن، وكان شكرُ المنعمِ واجبًا، بينَ ما يترتب علىٰ الإنعامِ فقال: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾، ثم بين فضلَ رب هذا البيتِ عليهم فقال: ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورةِ وخاتمتها:

أولُ السورةِ في بيانِ فضلِ الله تعالىٰ علىٰ قريشٍ، وآخرُها في تفصيلِ ما أجمل من ذلك الإنعام.

خامسًا: خصائص السورة في عرض هداياتها:

السورةُ كلُّها في بيانِ ما خصَّ اللهُ تعالىٰ به قريشًا من نعمةِ الرزقِ الذي كفاهم به عن الجوع، ونعمةِ الأمن التي كفاهم بها من الخوفِ، فهم أهلُ بلده الأمين.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. تذكرُ النعمِ الفرديةِ والجماعيةِ التي أنعمَ اللهُ تعالىٰ بها علىٰ عبادهِ كالسعةِ في الأرزاق والأمنِ في الديار، والعدلِ في الحكامِ وغيرها.

٢. وجوبُ شكرِ اللهِ تعالىٰ علىٰ كلِّ نعمةِ أنعمَ بها علىٰ عباده.

٣. العملُ علىٰ تحقيقِ التوحيدِ بأفرادِ اللهِ تعالىٰ بالعبادةِ وعدمِ الإشراك به وهو أعظمُ ما تشكرُ وتحفظُ به النعم.

٤. إدراكُ مكانةِ البيت العتيق، ووجوبُ تعظيمه قولًا وفعلًا، فإن تعظيمَه من تعظيمِ شعائرِ اللهِ تعالىٰ.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة القريش ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة الخامس من محرم عام ١٤٣٨هـ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير وهدايات

سورة الماعون

موضوع السورة:

عاقبةِ التكذيبِ بيومِ الدين
وكيف يؤدي إلى مساوئ الأخلاقِ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مدخل لدراسة السورة

أولًا: موضوع السورة:

موضوعُ السورةِ في بيانِ عاقبةِ التكذيبِ بيومِ الدين، كيف يورثُ سوءَ الصنيعِ، ويؤدي إلىٰ مساوئ الأخلاقِ، ومنكراتِ الأعمالِ.

ثانيًا: المناسبةُ بين سورةِ قريش والماعون:

- أنه لمَّا قالَ سبحانه وتعالىٰ في السورةِ السابقة ﴿أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ﴾ [قريش: ٤] ذمَّ في هذه من لم يحضّ علىٰ طعامِ المسكين.
- وأنه لمَّا قال في السورةِ السابقة ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ [قريش: ٣] ذمَّ هنا من سها عن صلاتهِ.
- أنه لـمَّا عدَّدَ في السورةِ السابقةِ نعمَه علىٰ قريشٍ، وكانوا لا يؤمنونَ بالبعثِ والجزاء، اتبعَ امتنانَه عليهم بتهديدِهم بالجزاءِ وتخويفِهم من عذابهِ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

موضوع السورة

عاقبةِ التكذيبِ بيومِ الدين وكيف يؤدي إلى مساوئِ الأخلاقِ

قال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ① فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ② وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ③ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ١ – ٧].

أولًا: معاني الكلمات:

١. أَرَءَيْتَ : أي هل عرفت وعلمت؟ وهو للفت النظر وجذب الانتباه كما تقولُ: أرأيت فلانًا ماذا صنعَ، وأرأيت فلانًا كيف عرَّضَ نفسَه للمخاطر، وأنت في كلِّ ذلك تريدُ تنبيه المخاطبَ علىٰ التعجبِ مما فعل.

٢. بِٱلدِّينِ : الجزاءُ والحسابُ في الآخرة.

٣. يَدُعُّ : أي: يدفعُه بعنفٍ وشدةٍ وجفوةٍ، ولا يرحمُه لقساوةِ قلبه، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣]، قهرا له، ومنعًا لحقهِ.

٤. يَحُضُّ : يحثُّ ويشجعُ، وهو أن تطلبَ غيرَك فعلًا بتأكيد.

٥. طَعَامِ أي: إطعامُ المسكين، وهو ما يُطعم.

٦. ٱلْمِسْكِينِ : الفقيرُ الذي لا شيءَ له.

www.Quranonlinelibrary.com

٧. ﴿سَاهُونَ﴾: حقيقةُ السهوِ: الذهولُ عن أمرٍ سبقَ علمُه، والمراد هنا: غافلون لاهون عنه: أي: يتساهلون في أمرِ المحافظةِ عليها.

٨. ﴿يُرَآءُونَ﴾: والمرادُ بالرياءِ: إظهارُ العبادةِ لقصدِ رؤيةِ الناسِ لها ليحمدَ عليها، أو ليحققَ بها مقصدًا دنيويًا، فهو يظهرُ العملَ من أجلِ الناس.

٩. ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾: هو مأخوذٌ من المَعن، وهو في اللغةِ الشيءُ اليسير، ولذلك فسَّرَه بعضُهم بما يعارُ كالإبرةِ والقِدْرِ والآنيةِ ونحوه مما جرت العادةُ أن يسألَه الفقيرُ والغني مما ينتفعُ به، وقيل: هو كلُّ عطيةٍ أو منفعة[1].

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. تفيدُ أهميةَ أسلوبِ التنبيه في الخطاب؛ لأن الاستفهامَ أريدَ به هنا: تشويقُ السامعِ إلىٰ معرفةِ من سيقَ الكلامُ له، والتعجبُ منه.

٢. تفيد أن القرآنَ يجلي صفاتِ الكافرين للمؤمنين حتىٰ يكونوا علىٰ حذرٍ منهم، فإن الصفاتِ السيئةَ هي خلالُهم المتوفرة.

٣. تفيدُ ذمَّ التكذيبِ بالحسابِ والجزاء، فإنه يُؤدِّي إلىٰ الأخلاقِ القبيحةِ والأعمال السيئِة، والصنائعِ المنكرة.

٤. تفيد أن الجزاءَ الذي يكونُ يومَ البعث الذي هو محطُّ الحكمة، وغايةُ التكليفِ، وهو الذي من أجلِهِ جاءَ الدينُ، وإليه يدينُ العبدُ، ومن كذبَ بأحدِهما كذبَ بالآخر، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

---

(١) انظر: نظم الدرر (٨/ ٥٤٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٥. تفيدُ أثرَ الإيمانِ باليومِ الآخرِ في إصلاحِ وتهذيبِ السلوك، فإن هذه الصفاتِ التي يتعجبُ منها سببُها التكذيبُ بيومِ الدين.

٦. تفيدُ أن من صفاتِ المكذبِ بيومِ الدينِ ظلمَ وإيذاءَ الضعفاءِ خاصةً اليتيم، وهذا الدفعُ يحتملُ أن يكون عن إطعامهِ والإحسان إليه، أو عن مالهِ وحقوقه، وهذا أشد، أو من أجلِ قهرهِ وإذلاله.

٧. تفيدُ أن قلوبَ الكافرين نزعت منها الرحمةُ، وهم يفعلُون القبائحَ؛ لأنهم لا يرجون ثوابًا، ولا يخشون عقابًا.

٨. تفيدُ النهيَ عن قهرِ اليتيمِ وإذلالهِ وظلمهِ واستصغارِه، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضحىٰ: ٩].

٩. تفيدُ الحثَّ علىٰ الإحسانِ إلي اليتيمِ وحسنِ معاملتهِ ورعايةِ حقوقه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

١٠. تفيدُ أن رحمةَ الضعفاءِ علامةٌ علىٰ الخيرِ؛ ولذلك قال النبيُّ ﷺ: (اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي)(١)، وأن القسوةَ عليهم علامةٌ علىٰ الشر.

١١. تفيدُ أن من صفاتِ الكافر قسوة قلبه، فلا يَحُضُّ غيرَه عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ الذي يحتاجُ لقلوبٍ رحيمة.

١٢. تفيدُ أن المكذبَ لا يطعمُ إذا قدرَ، وهذا من بابِ الأولىٰ؛ لأنه إذا

(١) أخرجه أحمد ح رقم (٢٢١٠٩)، والترمذي ح رقم (٣٢٣٥)، والطبراني في المعجم الكبير ح رقم (٢١٦)، وصححه الألباني في سنن الترمذي (٥/ ٣٦٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

لم يحض غيرَه بخلًا بالكلامِ، فتركُه لذلك فعلًا أولىٰ وأحرىٰ.

١٣. تفيدُ الحثَّ علىٰ إطعامِ المساكين والفقراءِ، وحثَّ الآخرين علىٰ ذلك، بحيثُ يفعلُها إذا قدر، ويحثُّ غيرَه إذا عسِر؛ بل في كلِّ الأحوال، وهو من الأعمالِ العظيمةِ التي يحبُها الله، والناسُ متهاونون بها.

١٤. تفيدُ عظمَ أجرِ من ينشئون المؤسساتِ الخيريةَ من أجلِ الحثِّ علىٰ الخيرِ وتسهيلِ وصولهِ للغيرِ.

١٥. تفيد مقتَ الكافرين لليتامىٰ والمساكين؛ لأن الدعَّ يدلُّ علىٰ ذلك.

١٦. تفيد بيانَ شدةِ جرمِ من منعَ المسكين حقَّه؛ لأنه إذا كان هذا حالُ من تركَ حثَّ غيرِه فما ظنُّك بحالِ من ترك ذلك مع القدرةِ عليه.

١٧. تفيد إضافةَ طعامٍ إلىٰ المسكين دليلًا علىٰ أنه يستحقُه، وهذا حقُّه علىٰ الأغنياءِ الذي يجبُ أن يؤدىٰ له؛ وأنه يشاركُ الغنيَ في مالهِ بقدرِ ما فرضَ اللهُ من كفايتِه.

١٨. تفيدُ أن الإيمانَ يحملُ صاحبَه علىٰ إطعامِ اليتيم والمسكين قال تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان:٨ – ١٢].

١٩. تفيدُ أن الكفرَ يدفعُ الإنسانَ لفعلِ القبيحِ المتمثلِ في الأمرِ الأول، وتركِ المأمورِ المتمثلِ في الأمرِ الثاني.

٢٠. تفيدُ الدلالةَ علىٰ أن الصدقةَ برهانٌ علىٰ الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخر.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٢١. تفيدُ عظمةَ الإسلامِ الذي اهتمَّ بالضعفاءِ وراعىٰ مشاعرَهم وحقوقَهم كاملة.

٢٢. تفيدُ التفظيعَ والتنفيرَ من تلك الصفتين، والتحذيرَ من الاقترابِ من تلك الصفات التي هي صفاتُ من لا يؤمنون بالدين: الاعتداءُ علىٰ الضعفاءِ واحتقارِهم، والإمساكِ عن إطعامهم.

٢٣. يفيدُ ﴿يُكَذِّبُ﴾، ﴿يَدُعُّ﴾، ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ بصيغةِ المضارعِ تكررَ هذه الصفاتِ ودوامَها منهم حتىٰ يعرفوا بها.

٢٤. تفيد أن الإيمانَ باليومِ الآخرِ هو الذي يغرسُ في النفسِ محبةَ الخيرِ والعملِ به، بل تمكنُه من النفسِ هو الذي ينزعُ عنها جوانبَ الشرِ والفسادِ حتىٰ ولو لم يكن هنالك رقيبٌ عليها من البشر.

٢٥. تفيد أن التصديقَ بالدينِ ليست كلمةً تقالُ في اللسانِ، وإنما هو عقيدةٌ تستقرُ في القلبِ وتنعكسُ علىٰ سلوكِ وأخلاقِ المؤمنِ في تعاملهِ مع الناسِ من رعايةِ الحقوق، والإحسانِ للناس، ومن هنا جاء الذمُ بعدَها لقومٍ اهتموا بصورةِ العباداتِ وتركوا جوهرَها وحقيقتَها المتمثلُ في أولئك الذين يصلون؛ ولكن لا يقيمونَ الصلاةَ، يؤدون حركاتِها والقلبُ لا يعيشُ معها، والرياءُ هو المسيطرُ علىٰ قلوبهم.

٢٦. تفيدُ الحثَّ علىٰ المحافظةِ علىٰ الصلاةِ، وذلك بالمحافظةِ علي وقتها، وجميعِ أعمالِها الظاهرةِ والباطنة، كما قال تعالىٰ: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

٢٧. تفيدُ عظمَ جرمِ التساهلِ في أمرِ المحافظة علىٰ الصلاةِ، إما عن

فعلِها في الوقتِ المقدرِ لها شرعًا، فيؤخرونُها إلىٰ آخرِه دائما أو غالبا، وإما عن أدائها بأركانِها وشروطِها علىٰ الوجهِ المأمورِ به، وإما عن الخشوعِ فيها والتدبرِ لمعانيها، فاللفظُ يشملُ هذا كلَّه؛ ولكن من اتصفَ بشيءٍ من ذلك له قسطٌ من هذا الوعيد، فاللهُ أثبت لهم الصلاةَ ووصفَهم بالسهو عنها.

٢٨. تفيد أن تأخيرَ الصلاةِ عن وقتها أو عدمِ أدائها بأركانها وشروطها علىٰ الوجه المأمورِ به من صفاتِ المنافقين، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢]، وكما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: (تِلْكَ صَلاَةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتّىٰ إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لاَ يَذْكُرُ الله فِيهَا إِلاّ قَلِيلًا)[١]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس، ويصلونها في العلانية إذا حضروا»[٢].

٢٩. تفيدُ التنديدَ والوعيدَ للذين يتهاونون بالصلاةِ ولا يبالون في أي وقت صلوها والعياذ بالله.

٣٠. تفيدُ ذمَّ فعلِ ما يذهبُ بالخشوعِ في الصلاةِ مثلُ العبثِ باللحيةِ والثيابِ وكثرةِ التثاؤبِ والالتفاتِ وغيرها.

٣١. تفيدُ بيانَ منزلةِ الصلاةِ التي هي عمودُ الدين؛ لأن هذا الوعيدَ جاء

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ: اسْتِحْبَابِ التَّبْكِيرِ بِالْعَصْرِ، ح رقم (٦٢٢).

(٢) معالم التنزيل، البغوي (٨/ ٥٥٢).

لمن يؤدي الصلاةَ وهو عنها ساهٍ فكيف بمن لا يصلي ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ أي: الملتزمون لإقامة الصلاة؛ ولكنهم ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ أي: مضيعون لها، تاركون لوقتها، مفوتون لأركانها. وهذا لعدمِ اهتمامِهم بأمرِ الله حيثُ ضيعوا الصلاةَ التي هي أهمُ الطاعاتِ وأفضلُ القربات.

٣٢. تفيدُ أن السهوَ عن الصلاةِ هو الذي يستحقُ صاحبُه الذمَّ واللوم، وأما السهو في الصلاةِ فهذا يقعُ من كلِّ أحد، حتىٰ من النبيِّ ﷺ.

٣٣. تفيدُ أن الذي يضيعُ الصلاةَ فهو لما سواها أضيع.

٣٤. تفيدُ عذابَ من يؤدي الصلاةَ بجسمِهِ ولسانِهِ من غيرِ أن يكونَ لها حضورٌ في قلبِهِ؛ لأن قلبَه غافلٌ ساهٍ عما يقولُه بلسانِهِ وتفعلُه جوارِحُه، فهي عذابٌ لأنها لا توصلُ إلىٰ ثمرةٍ في الدنيا ولا في الآخرة.

٣٥. تفيدُ صيغةَ الجميعِ تنبيهًا علىٰ أن الكثرةَ ليس لها عنده عزة؛ لأن إهانةَ الجمعِ مستلزمُ إهانةَ الفراد.

٣٦. تفيدُ أن من صفاتِ المنافقين مع تضييعِ الصلاةِ الرياءَ بالأعمالِ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢].

٣٧. تفيدُ الحثَّ علىٰ الإخلاصِ في الأعمالِ خاصةً الصلاةُ، وعلىٰ العبدِ أن يصليَها مبتغيًا بها وجهَ اللهِ تعالىٰ.

٣٨. تفيدُ بيانَ قبحِ العملِ لأجلِ الناس فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ أي يعملون الأعمالَ لأجلِ رئاء الناسِ.

٣٩. تفيدُ أن الرياءَ ليس في اظهارِ العملِ أو عدمهِ ؛ وإنما يكون فيما علقَ بقلبهِ، قال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يكون الرجلُ مرائيًا بإظهارِ العملِ الصالحِ إن كان فريضة؛ فمن حقِّ الفرائضِ الإعلانِ بها وتشهيرها... وإن كان تطوعًا فحقُّه أن يخفي؛ لأنه لا يلامُ علىٰ تركِه ولا تهمةٌ فيه، فإن أظهرَه قاصدًا للاقتداءِ به كان جميلا. وإنما الرياءُ أن يقصدَ بالإظهارِ أن تراه الأعين، فتثني عليه بالصلاح»(١).

٤٠. تفيدُ أن من صفاتِ المنافقين لؤمَ الطبعِ وسوءَ الخلقِ حتىٰ بخلو بأبسطِ الأشياءِ التي يتمُ تبادلُها علىٰ وجهِ العاريةِ بين الناسِ كالدلو والقدر ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾.

٤١. تفيدُ أن العاريةَ مستحبةٌ شرعًا ومروءةً وعرفًا في حالةِ الاختيار، وواجبةٌ في حالةِ الاضطرار إذا ترتب عليها إنقاذُ حياةٍ.

٤٢. تفيدُ أن المؤمنَ يبذلُ منافعَه للناس، ولا يبخلُ عليهم بعلمٍ أو خيرٍ؛ لأن صفةَ الكافرِ قلةُ النفعِ لعبادِ الله.

٤٣. تفيد أن المنافقين والكفارَ لم يحسنوا عبادةَ ربهم، ولا أحسنوا إلىٰ خلقهِ حتىٰ ولو بإعارةِ ما ينتفعُ ويستعانُ به، مع بقاءِ عينهِ ورجوعهِ إليهم.

٤٤. تفيدُ أن امتناعَ المنافقِ للزكاةِ وأنواعِ القُرُبات أولىٰ وأولىٰ؛ لأن من يمنعُ الشيءَ الذي لا يضرُّ إعطاؤه علىٰ وجهِ العارية أو الهبة فهو لغيرِه أمنعُ وأشح.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٢١٣).

٤٥. تفيدُ الحثَّ علىٰ فعلِ المعروفِ وبذلِ الأموالِ اليسيرة؛ لأن اللهَ تعالىٰ ذمَّ من لم يفعلْ ذلك، واللهُ سبحانه وتعالىٰ أعلمُ بالصواب.

٤٦. تفيدُ أن من أقبحِ الصفاتِ والرذائلِ أن يضيعَ العبدُ حقوقَ اللهِ وحقوقَ عباده.

٤٧. تفيد أن الوعيدَ منصبٌ علىٰ الصفاتِ الثلاث: السهو عن الصلاة، والرياءُ في العمل، ومنع الماعون جميعًا، ومن اتصفَ بواحدة منها فله قدرٌ من الوعيدِ بحسبه.

٤٨. تفيد أن القسوةَ وعدمَ الرحمةِ والرياءَ والبخلَ من أقبحِ الصفاتِ التي جعلها اللهُ من صفاتِ المكذبين بالدين، فيكون عكسُها من صفاتِ المؤمنين ورثةِ جنة النعيم.

٤٩. تفيد أن منعَ الماعون من صفات المنافقين، وأن المانعَ لما يحتاج إليه المسلمون فيه شبه بالمنافقين.

٥٠. تفيد فضلَ الأنصارِ الذين امتدحَهم اللهُ تعالىٰ بأنهم يؤثرون علىٰ أنفسِهم ولو كان بهم خصاصة، فالعاريةُ من بابِ أولىٰ، لأنه ينتفعُ بها وتردُ لصاحبها.

٥١. تفيد أن هذه الصفاتِ مرآةٌ للمسلمين ليروا أنفسَهم كذلك من خلالِها، حتىٰ لا يغتروا بظواهرِ ما يقومون به من صلاةٍ لا أثرَ لها علىٰ قلوبهم، وعلىٰ أموالٍ حرصوا علىٰ جمعها؛ ولكن لم يعرفوا السبيلَ لإنفاقِها، وإن أنفقوها لا ترىٰ لها أثرًا إلا حسرةً في قلوبهم، وعبوسًا في وجوههم، وأذيةً للمسلمين بألسنتهم، وعن الأموال التي يبذلونها لا يرجون من ورائها إلا

عرضًا من الدنيا زائل، حتىٰ نكون حقًا من المصدقين بيوم الدين الصادقين في توجههم لرب العالمين.

٥٢. تفيدُ الهداياتُ السابقةُ عظمَ هذه السورةِ، الناهيةِ عن المنكراتِ بتصريحِها، الداعيةِ إلىٰ المعالي بإفهامِها وتلويحها.

٥٣. تفيد سوءَ ما يوصلُ إليه التكذيبُ حتىٰ استهانوا بأعظمِ دعائم الدين مع استعظامهم لأدنىٰ أمور الدنيا.

ثالثًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما أخبرَ سبحانه وتعالىٰ بنعمهِ علىٰ قريشٍ، فبيَّن لهم كيف أهلكَ عدوَّهم، وتفضَّلَ عليهم بنعمهِ الكبيرة بما يستلزمُ شكرَه من خلالِ إفرادِ العبوديةِ له جل وعلا، عرَّفهم أولَ ما يوصلُ لذلك وهو التصديقُ بالجزاءِ الحاملِ علىٰ معالي الأخلاقِ، الناهي عن مساوئِها؛ وذلك من خلال بيان صفات من يكذب بهذا الدين، فقال: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾، ولما كان المرادُ بهذا الجنس، وكان من المكذبين من يخفي تكذيبَه، عرَّفَهم بأماراتٍ تدلُ عليهم فقال: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾، ولما تكلمَ عن حالِهم مع اليتيمِ بيَّن حالَهم مع المسكين فقال: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾، ولما كان هذا حالُه مع الخلقِ أتبعه ببيانِ حالِهم مع الخالقِ فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾، ولما كان الحكمُ لوصفٍ معينٍ حدَّده فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، ولما كان المتصف بهذه الصفةِ لا نظر له لغيرِ الحاضر كالبهائم، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ أي بصلاتِهم وغيرِها، ولما بيَّن غفلةَ قلوبهم بيَّن مستوىٰ ما تركته تلك الغفلةُ من شح في قلوبهم فقال: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾.

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورةِ وخاتمتها:

فاتحةُ السورةِ كانت في التعجبِ من صفاتِ من يكذبِ بالدين، فجاء أولُها في بيانِ صفتين من صفاتهم مع الخلق، وجاء آخرُها في بيانِ صفتين من صفاتهم مع الخالقِ، وختمت بصفة تجمع بينهما، وهو الجمعُ بين الرياء والبخل.

خامسًا: خصائصُ السورةِ في عرضِ هداياتها:

١. الحديثُ عن صفاتِ المكذبين بيومِ الدين حيثُ لخصَها في خمسةِ أمور: دعُّ اليتيم، عدمُ الحضِ علىٰ طعامِ المسكين، السهو عن الصلاة، الرياءُ في الأعمال، منعُ الماعون.

٢. الانفرادُ بالحديثِ عن التوعدِ بالويلِ عن السهوِ عن الصلاة.

٣. الحديثُ عن منعِ الماعون.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. محبةُ اليتامىٰ ومعاملتُهم باحترامٍ وتقديرٍ والرفقِ والتلطف بهم، والإحسانُ إليهم بالقولِ والفعل، وبذلُ كلِّ معروف إليهم.

٢. رعايةُ المساكين، وحثُّ المسلمين علىٰ إطعامِهم والقيامِ بشؤونهم.

٣. الحرصُ علىٰ إحسانِ الصلاة بالمحافظةِ علىٰ وقتها، وأركانِها وشروطِها وواجباتها وسننِها، والخشوعِ فيها، وتدبرِ ما يقوله ويفعله، وعدمُ التهاون في شيءٍ من أمورها.

٤. الإخلاصُ في جميعِ الأعمالِ وتجنبُ الرياءِ والعملِ من أجلِ ثناءِ الناسِ والانتفاعِ منهم.

٥. العملُ علىٰ مساعدةِ الآخرين والإحسانِ إليهم، وبذلِ المالِ والعلمِ والنفس في خدمةِ ونفعِ الغيرِ، وتركِ البخلِ والتقتير.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة الماعون ولله الحمد والمنة ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ١٤ محرم عام ١٤٣٨هـ.

تفسير وهدايات

ســورة الكوثر

موضوع السورة:

تبشيرُ النبيِّ ﷺ بما أعطاه اللهُ من الخيرِ الكثير

مدخل لدراسة السورة

أولًا: فضل السورة:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَىٰ إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ). فَقَرَأَ: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾). ثُمَّ قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ). فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِى. فَيَقُولُ مَا تَدْرِى مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ)[١]

ثانيًا: موضوع السورة:

موضوعُ السورةِ: تبشيرُ النبيِّ ﷺ بما أعطاه اللهُ من الخيرِ الكثير، والدفاع عنه، وبيانُ عاقبةِ مبغضه، وقد أمرَه بشكرِ ذلك بإخلاصِ العبودية له، واسمُها الكوثر واضحٌ في ذلك.

ثالثًا: المناسبةُ بين سورةِ الكوثر والماعون:

لما تكلم تعالىٰ عن صفات الكفار والمنافقين الذميمة مع سائر الخلق

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، بَابُ حُجَّةِ مَنْ قَالَ: الْبَسْمَلَةُ آيَةٌ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ سِوَىٰ بَرَاءَةٌ، ح رقم (٤٠٠).

بين سلوكهم مع خير الخلق ومصيرهم عموما خاصة المبغضين الشانئين للرسول ﷺ. والله اعلم.

لما ذكرَ فيما قبلَها وصفَ المنافقِ بالبخلِ، وتركِ الصلاة، والرياءِ، ومنعِ الزكاة، قابل ذلك البخل في هذه السورةِ بـ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، فأعط أنت الكثيرُ ولا تبخل، وقابلَ السهوَ في الصلاةِ بقوله: ﴿فَصَلِّ﴾، أي دم علىٰ الصلاة، وقابلَ الرياءَ بقوله: ﴿لِرَبِّكَ﴾، لا لمراءاةِ الناس، وقابل منعَ الزكاة بقوله: ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾، وأرادَ به التصدقَ بلحمِ الأضاحي وغيرها، فقابل أربعًا بأربعٍ، البخلَ بالإعطاء، وإضاعةَ الصلاةِ بالأمر بها، والرياءَ بالإخلاص للرب، ومنعَ الزكاةِ بالنحر، فهي كالمقابلةِ للسورة المتقدمة.

ثم ختمَ السورةَ بقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ أي إن المنافقَ الذي يأتي بتلكِ الأفعالِ القبيحة المذكورة في تلك السورة سيموت ولا يبقىٰ له أثر ولا خبر، وأما أنت فيبقىٰ لك في الدنيا الذكرُ الجميل، وفي الآخرةِ الثوابُ الجزيل.

موضوع السورة

تبشيرُ النبيِّ ﷺ بما أعطاه اللهُ من الخيرِ الكثير

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ١ – ٣].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ٱلۡكَوۡثَرَ: الخيرُ الكثير، وقيل: المراد النهر الذي وعده الله تعالىٰ.

٢. فَصَلِّ لِرَبِّكَ: الفرضُ والنافلة.

٣. وَٱنۡحَرۡ: والنحرُ هو طعنُ الأبلِ في اللبةِ عند المنحرِ ملتقىٰ الرقبةِ بالصدر.

٤. شَانِئَكَ: الشانئ: المبغض.

٥. ٱلۡأَبۡتَرُ: المنقطعُ بعضُه، وغلبَ علىٰ المقطوعِ ذنبه، وقال مجاهد: الذي لا عقبَ له، ويستعارُ للمقطوعِ من الخير.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. تفيدُ فضلَ اللهِ تعالىٰ الممتدَ علىٰ سائرِ خلقه وعلىٰ رأسِهم سيدنا محمدٌ ﷺ، وافتتاحُ الكلامِ بحرفِ التأكيدِ للاهتمامِ بالخبرِ، والتنويهِ بشأنِ النبيِّ عليه السلام.

٢. تفيد بيانًا لما شرَّفَ اللهُ تعالىٰ به نبيَه من الخيرِ الكثيرِ والفضلِ الغزير من النبوةِ والكتاب، والعلمِ بربه، والعملِ بدينه بعد تبليغه، وكثرةِ أتباعه، ورفعِ ذكره، وغفران ما تقدمَ وما تأخرَ من ذنبه، ونيلِ رضوانه.

٣. تفيدُ ما خصَّ اللهُ تعالىٰ به نبيه بين سائرِ الخلق بالكوثرِ الذي هو نهرٌ من أنهارِ الجنة، وقد جاء في صحيحِ البخاري عن أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ قُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ:هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ)[١] وهو كرامةٌ له ولأمته.

٤. تفيد أن من أدركَ منةَ اللهِ عليه، سارعَ لشكرِه، فبعدَ أن عرفَه منته أمرَه بشكرِها.

٥. تفيدُ بيانًا لمنزلةِ الصلاة التي هي عمودُ الدينِ، ورأسُ العباداتِ؛ ولذا قدمها، وهي تعظيمٌ وثناءٌ وشكرٌ لله تعالىٰ.

٦. تفيدُ الحثُ علىٰ الصلاةِ فرضًا ونفلًا حيثُ أمرَ بها هنا علىٰ العموم.

٧. تفيدُ بيانَ شرفِ النبيِّ عليه السلام حيثُ أضافَه لربوبيته، فصلِّ لربك.

٨. تفيدُ لفظةَ « الربِّ « أن استحقاقَه للعبادةِ لأجلِ ربوبيته التي تدلُ علىٰ عظيمِ إنعامه.

٩. تفيدُ الحثَ علىٰ إخلاصِ العباداتِ لله تعالىٰ، وعلىٰ رأسِ ذلك الصلاة، خلافًا للساهي عنها المرائي فيها.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: في الحوض، ح رقم (٦٢١٠).

١٠. تفيدُ وجوبَ النحرِ باسمِ الله ولله من الهدي والنسكِ وغيرِها، والنحرُ لغيرِ لله شركٌ وضلال.

١١. تفيدُ التعريضَ بكفارِ مكةَ الذي كانوا ينحرونَ للأصنام.

١٢. تفيد شرفَ عبادتي الصلاة والنحر ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، حيث خصهما بالذكرِ، لأنهما من أفضلِ العباداتِ وأجلِ القربات، فالصلاةُ تتضمنُ خضوعَ القلبِ والجوارحِ لله، والنحرُ فيه إخراجُ المال الذي جبلت النفوسُ علىٰ محبتهِ والشح به.

١٣. تفيد أن النعيمَ الكبيرَ يقابلُ بالشكرِ الكبيرِ، فلما كان العطاءُ هو الكوثر جاء الكلامُ عن النحرِ الذي هو معروفٌ في الإبل، وذلك غاية الكرم عند العرب.

١٤. تفيدُ أن الشكرَ العملي من أعظمِ أنواعِ الشكر، لأن الذي أُمرَ به هنا شكرٌ بالعمل، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

١٥. تفيدُ أن عطاءَ اللهِ لعبادِه يقابلُه الأنبياءُ والأصفياءُ بالشكر.

١٦. تفيد أن شكرَ النعمِ يجبُ علىٰ الفورِ لا علىٰ التراخي ﴿فَصَلِّ﴾.

١٧. تفيدُ بيانَ عاقبةِ بغضِ النبيِّ ﷺ وذمهِ أو انتقاصِه حيث يقطعُهم اللهُ من كلِّ خير، بل يقطعُ ذكرَهم وأثرهم.

١٨. تفيدُ وجوبَ حبِّ النبيِّ ﷺ حيثُ ذمَ اللهُ تعالىٰ مبغضه ﴿شَانِئَكَ﴾.

١٩. تفيد أن من يرفعُ اللهُ ذكرَه فلا أحدَ يستطيعُ أن ينقصَ قدره.

٢٠. تفيدُ علوَ المقامِ المحمدي، وأنه في منزلةٍ عاليةٍ من الكمالِ البشري.

٢١. تفيد ترهيبًا عظيمًا لمن يتعرضُ لرسولِهِ الكريمِ بالأذىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

٢٢. تفيد أن أعداءَ النبيِّ ﷺ لا يستطيعون أن ينالوا من قدرِه غيرَ بغضه والمبغضُ إذا عجزَ عن الإيذاءِ يحترقُ قلبُه غيظًا وحسدا، فتصيرُ عداوتُه سببًا لمحنتهِ وشقائه.

٢٣. تفيدُ بشارةً لمحبي النبيِّ ﷺ، المتمسكين بسنتهِ بأن اللهَ تعالىٰ سيرفعُ ذكرَهم، ويعلي كلمتَهم، ويحققُ لهم مقصودَهم.

٢٤. تفيدُ عظمةَ القرآنِ الكريم الذي تحدَّىٰ اللهُ الخلقَ بأقصرِ سورةٍ منه وهي هذه السورة فعجزوا أن يأتوا بمثلها.

ثالثًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

افتتحت السورةُ ببشارةٍ عظيمة، بما منحَ اللهُ رسولَه من الكوثرِ، الذي هو من أعظم الخيرِ الكثير الذي منحه الله لرسوله ﷺ، ومنه الحوضُ الذي تردُه أمتُه في يوم القيامة، ولما اغناه بما أعطاه أمرَه بشكرِ مولاه فقال له: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، ولما بين فضلَه عليه وعنايته به أمرَه أن لا يبالي بمن لا يعرفُ قدرَه فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورةِ وخاتمتها:

لما بشرَه تعالىٰ في فاتحةِ السورةِ بنعمتهِ العظيمة، وكان كمالُ النعمةِ لا يتمُ إلا بقهرِ العدو ختم به.

خامسًا: خصائصُ السورةِ في عرضِ هداياتها:

- الحديثُ عن ما خصَ اللهُ به نبيه من عطيةٍ كبيرة ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾.
- أمرَه عليه الصلاة والسلام بالصلاةِ والنحر ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾.
- بيانُ عاقبةِ مبغضِ النبيِّ ﷺ في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾.
- هي اقصر سورة في القرآن الكريم.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. إدراكُ فضلِ اللهِ تعالىٰ الواسع علىٰ رسولهِ الكريم عليه السلام وأمتهِ.

٢. مقابلةُ النعمِ بالشكرِ الذي من أعظمِه تحقيقُ التوحيدِ بإخلاصِ العبودية لله.

٣. تحقيقُ محبةِ النبيِّ ﷺ في القلبِ ومعرفةُ فضلهِ ومنزلته، والابتعادُ عن كلِّ ما يؤذيه.

٤. عدمُ المبالاةِ بمن يؤذون رسولَ اللهِ تعالىٰ ويحاولون النيل منه، فهي محاولات فاشلة لأن الله تعالىٰ تكفلَ بقصمهم وبترهم.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة الكوثر ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ٤ صفر عام ١٤٣٨هـ

تفسير وهدايات

ســورة الكافرون

موضوع السورة:

تيئيسُ الكفارِ من موافقتهم
في شيءٍ مما هم عليه

مدخل لدراسة السورة

أولًا: فضلُ السورة:

كان الرسولُ ﷺ يقرأُ بسورةِ «الكافرون» في ركعتي الطواف والفجرِ، وبعدَ المغربِ، وصحَّ عنه ﷺ أنه كان يقرؤُها في الشفعِ في الركعةِ الثانية، ويقرأُ في الأولىٰ بالأعلىٰ، وورد عنه أنها تعدلُ ربعَ القرآن.

فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الطواف بسورتي الإخلاص ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾)[1].

وعَنْ أَبِىٰ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ فِي رَكْعَتَي الْفَجْرِ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَمَقْتُ النبي ﷺ أربعا وعشرين مرةً أو خمسًا وعشرين مرةً يقرأُ في الركعتين قبلَ الفجرِ، وبعدَ المغرب: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[3].

وعن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

---

(١) أخرجه الترمذي (٨٦٩)، وصححه الألباني في سنن الترمذي (٣/ ٢١٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل ركعتي الفجر، ح رقم (٧٢٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند ح رقم (٥٧٤٢)، والترمذي وحسنه ح رقم (٤١٧)، وابن ماجة ح رقم (١١٤٩) وصححه الالباني في سنن أبي داود (١/ ٢٣٤).

تعدلُ ثلثَ القرآنِ، و ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تعدلُ ربعَ القرآن)[١].

قال الخازنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرِه: «هذه السورةُ تعدلُ ربعَ القرآنِ لأن القرآنَ مشتملٌ علىٰ الأمرِ والنهي، وكلٌّ واحدٍ منهما ينقسمُ إلىٰ ما يتعلقُ بعملِ القلوب، وإلىٰ ما يتعلقُ بعملِ الجوارح، فحصلَ عن ذلك أربعةُ أقسام، وهذه السورةُ مشتملةٌ علىٰ النهي عن عبادةِ غيرِ الله تعالىٰ، وهي من الاعتقاد؛ وذلك من أفعالِ القلوب، فكانت هذه السورةُ ربعَ القرآن، علىٰ هذا التقسيم، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم»[٢].

ففضلها أنها سورةُ الإخلاصِ والبراءةِ من عملِ المشركين.

ثانيًا: موضوعُ السورة:

موضوعُ السورةِ إخلاصُ العبوديةِ لله مع التبرؤ من الشركِ والمشركين؛ ولهذا قيل: هي سورةُ البراءةِ من الشرك؛ ولذلك - والله أعلم - نُدبَ قراءتُها مع ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في ركعتي الفجرِ والمغرب؛ ليكون فاعلُ ذلك بريئًا من الشركِ ومتصفًا بالتوحيدِ في أولِ النهارِ وآخره، ومن كان كذلك كان جديرًا بأن ينالَ ما أشارت إليه السورتان اللتان بين سورتي الإخلاصِ من الفتحِ له والنصرِ، والخيبةِ لعدوِّه.

وقال ابنُ قيمِ الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لهذا كان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرنُها بسورةِ قل هو الله أحد في سُنَّةِ الفجرِ، وسُنَّةِ المغرب، فإن هاتين السورتين (سورتي

(١) أخرجه الطبراني ح رقم (١٣٤٩٣) والترمذي ح رقم (٢٨٩٤)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع (١/ ٤٠٧)، برقم (٤٤٠٥).

(٢) تفسير الخازن علاء الدين البغدادي (٧/ ٣٠٥).

الإخلاص) قد اشتملتا علىٰ نوعي التوحيد الذي لا نجاةَ للعبدِ ولا فلاحَ إلا بهما، وهما توحيدُ العلمِ والاعتقادِ المتضمنان تنزيه اللهِ عما لا يليقُ به من الشركِ والكفرِ والولدِ والوالد، وأنه إلهٌ أحدٌ صمدٌ لم يلد فيكون له فرعٌ، ولم يولد فيكون له أصلٌ، ولم يكن له كفوا أحدٌ فيكون له نظيرٌ، ومع هذا فهو الصمدُ الذي اجتمعت له صفاتُ الكمالِ كلِّها فتضمنت السورةُ إثباتَ ما يليقُ بجلالهِ من صفاتِ الكمال، ونفي مالا يليقُ به من الشريكِ أصلا وفرعا ونظيرًا فهذا توحيدُ العلمِ والاعتقاد.

والثاني: توحيدُ القصدِ والإرادةِ، وهو ألا يعبدُ إلا إياه، فلا يشركَ به في عبادتهِ سواه؛ بل يكون وحدَه هو المعبود. سورةُ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ مشتملةٌ علىٰ هذا التوحيدِ، فانتظمت السورتان نوعي التوحيدِ، وأخلصتا له فكان ﷺ يفتتح بهما النهارَ في سنَّة الفجر، ويختم بهما في سنَّةِ المغرب، وفي السننِ أنه كان يوترُ بهما فيكونان خاتمةَ عملِ الليل كما كانتا خاتمةَ عمل النهار»[1].

ثالثًا: المناسبةُ بين سورةِ الكوثر والكافرون:

سورةُ الكوثرِ أمرَ اللهُ تعالىٰ فيها رسوله ﷺ بإخلاصِ العبوديةِ له، وعدمِ الالتفاتِ لمن يشينه، وهنا أمرَه مع إخلاصِ العبوديةِ بمفاصلةِ أعداءِ الملة من المشركين.

والأولىٰ كانت ردًّا لما كان يواجهُه النبيُّ ﷺ من أذىٰ في فترةِ الاستضعاف، وهذه فيها ردٌّ علىٰ ما كان يواجهَه ويعانيَه من ضغوطٍ في حالةِ الاستضعاف.

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٣١).

رابعًا: سببُ النزول:

حكي[١] في سبب نزولها أنَّ قريشًا طلبت من الرسول ﷺ أن يعبدَ أصنامَهم سنة، وهم يعبدونَ إلهَه سنة، فأنزل اللهُ هذه السورة براءةً من الكافرين وعباداتِهم.

خامسًا: السورةُ المفتتحةُ بالأمرِ بالقول:

السورُ المفتتحةُ بالأمرِ بالقولِ خمسُ سورٍ هي: (الجن، الكافرون، الإخلاص، الفلق، الناس) فالثلاثةُ الأول لقولٍ يبلغه، والمعوذتان لقولٍ يقوله لتعويذِ نفسه.

(١) حكاه عدد من المفسرين دون وجود رواية صحيحة في ذلك. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (٢٤/ ٦٦١)، ومعالم التنزيل، للبغوي (٨/ ٥٦١)، والنكت والعيون، للماوردي (٦/ ٣٥٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٢٢٥)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٥٠٧)، والدر المنثور للسيوطي (١٤/ ٤٥٣)، وأيسر التفاسير للجزائري (٤/ ١٤٣٢).

موضوعُ السورة

تيئيسُ الكفارِ من موافقتهم في شيءٍ مما هم عليه

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ
أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ – ٦].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ﴿قُلْ﴾: أمرٌ موجَّهٌ للرسولِ ﷺ أو مَن يقومُ مقامه.

٢. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: يرادُ بهم كلُّ من أشركَ باللهِ تعالىٰ معه غيرَه في كلِّ زمان.

٣. ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: أي من الأصنامِ والأندادِ والآلهةِ الباطلةِ الآن.

٤. ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: وهو اللهُ جلَّ جلاله وحدَه لا شريك له الآن.

٥. ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾: أي آلهتكم في المستقبلِ أبدًا، وقيل: ولا أعبد عبادتكم(١)، وإنما أعبد الله علىٰ الوجهِ الذي يحبه ويرضاه.

٦. ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: أي إلهي في المستقبلِ أبدًا لعلمِ الله تعالىٰ بذلك، وقيل: لا تقتدونَ بشرعِ الله في عبادته بل اخترعتم شيئًا من تلقاءِ أنفسكم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨/ ٥٠٧).

٧. ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾: أي ما أنتم عليه من الوثنيةِ والكفر.

٨. ولي دين: أي الإسلامُ فلا أتركه أبدا.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. تفيدُ ﴿قُلۡ﴾ إثباتَ نبوةِ النبيِّ ﷺ، فهو مأمورٌ بالقولِ والبلاغِ من عند اللهِ تعالىٰ، وأن الحكمَ ليس له، وإنما لله ربِّ العالمين.

٢. يفيدُ افتتاحُ الكلامِ بـ ﴿قُلۡ﴾ أهميةَ ما جاء بعدَها، بأنه كلامٌ يرادُ إبلاغُه إلىٰ الناسِ بوجهٍ خاصٍ منصوصٍ فيه علىٰ أنه مرسلٌ بقولٍ يبلغُه؛ وإلا فإن القرآنَ كلَّه مأمورٌ بإبلاغهِ،قال ابنُ عرفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القرآنُ كلُّه مأمورٌ بقولهِ وتبليغهِ فتخصيصُ ما خصصَ منه إما تعظيمًا لأمرِه أو تهويلًا لحالهِ واعتنائهِ بشأنه، وإما لأنه جوابٌ عن سؤالٍ مقدرٍ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا﴾ (طه:١٠٥)»[١].

٣. تفيدُ ﴿قُلۡ﴾ الأمرَ بتبليغِ وإعلانِ هذا الخطابِ الحاسمِ لكلِّ كافر علىٰ أنه ليسوا علىٰ دينٍ ولا مؤمنين، فافتتاحيةُ السورةِ تعلنُ التبرؤَ من كلِّ ما يعبدونه من دونِ اللهِ ظاهرًا وباطنًا.

٤. تفيد ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ البراءةَ من المشركين بنعتِهم بأقبحِ الصفات، صفةُ الكفر، وهو أقبحُ وصفٍ في الأرضِ.

٥. يفيدُ النداءُ بوصفِ الكافرين تحقيرًا لهم وتأييدًا لوجهِ التبرؤ منهم، وإيذانًا بأنه لا يخشاهم إذ ناداهم بما يكرهون مما يثيرُ غضبَهم.

---

(١) تفسير ابن عرفة (٥/ ٦٦٠).

٦. يفيدُ خطابُهم ومناداتُهم بهذا الوصفِ الذي يستقبحونه ﴿ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ في ناديهم وبلدتِهم، ومكانِ بسطةِ أيديهم دليلًا علىٰ أنه محروسٌ من عندِ الله تعالىٰ لا يبالي بهم، وهذه واحدةٌ من أعلامِ نبوته ﷺ.

٧. تفيدُ أهميةَ الثباتِ علىٰ العقيدةِ الصحيحة، وعدمِ التزعزعِ عنها، وإعلانِ ذلك للناسِ، ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾، والمعنىٰ: لا تحصلُ مني عبادةُ ما تعبدون في المستقبلِ؛ لأن المضارعَ يحتملُ الحالَ والاستقبالَ فإذا دخلَ عليه ﴿لَآ﴾ النافية أفادت انتفاءَه في أزمنةِ المستقبلِ كلِّه.

٨. تفيدُ بالإشارةِ والإيماءِ إلىٰ عصمةِ اللهِ تعالىٰ لنبيهِ عن الزيغِ والضلالِ عن عبادةِ معبودِه، وأن معبودَه الحقُّ واحدٌ في الحالِ والمآلِ علىٰ الدوامِ لا يرضىٰ به بدلًا ولا يبغي عنه حولًا.

٩. تفيدُ وجوبَ البراءةِ من عبادةِ من عبدَ غيرَ الله تعالىٰ في سائرِ أيامِ الحياة، كما قال إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧] فما دامَ وصفُ الكفرِ ثابتًا لهم تكون البراءةُ منهم ثابتة.

١٠. تفيدُ بطلانَ أيِّ عبادةٍ لم تكن خالصةً لله تعالىٰ؛ لأن المشركين في مكةَ عبدوا اللهَ تعالىٰ لكنهم لما قرنوا عبادتَه بالشركِ فسدت تلك العبادة، فلا يوصفُ العبدُ بأنَّه عابدٌ لله إلا إذا انقطعَ إليه بالكليةِ ولم يلتفت إلىٰ غيرِه، ولم يشرك به أحدًا في عبادته، وأنه إن عبدَه وأشركَ معه غيره فليس عابدًا لله ولا عبدًا له، ومن هنا نفت الآيةُ عبادتَهم لله ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾، وهذه قضيةٌ مهمةٌ يغفلُ عنها الناسُ اليوم.

١١. تفيدُ أن من قضيَ عليه بالكفرِ والوفاةِ عليه لا سبيلَ له إلىٰ خروجهِ عن ذلك،ولا يقعُ منه الإيمان أبدًا ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

١٢. تفيدُ دلالةً علىٰ عصمةِ النبيِّ ﷺ من عبادةِ الأصنام فيما سلفَ من أيام حياتهِ ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ أي: ولا كنت قطُّ عابدا ما عبدتم، وإلا لقال: ولا أنا عابد ما كُنا نعبد.

١٣. يفيدُ مجيءُ الفعلِ الماضي ﴿مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ دلالةً علىٰ رسوخِهم في عبادة الأصنامِ من أزمان مضت.

١٤. تفيدُ براءةَ النبيِّ ﷺ من عبادةِ المشركين مدىٰ الدهرِ، في كلِّ الأحوال ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾، قال الأخفشُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المعنىٰ لا أعبد الساعة ما تعبدون، ولا أنتم عابدون الساعة ما أعبد، ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم، ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد، فزاد التوكيد، إذ قد تقيدت كل جملة بزمان مغاير»[(١)]. وفي ذلك حسمٌ لأطماعِ المشركين من عبادةِ محمد ﷺ آلهتَهم.

١٥. تفيدُ تحريمَ أيِّ صورةٍ للعبادةِ لم يشرعها اللهُ ويرضاها ويحبها ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ من صورِ العبادةِ التي تعبدونها.

١٦. تفيدُ حرمةَ الابتداعِ في العبادة، واختراعِ صورةٍ لم يأذن الله بها.

١٧. تفيدُ أن عبادةَ اللهِ تعالىٰ مطلوبةٌ محبوبةٌ شرعا علىٰ الدوامِ؛ ولذا جاء الخطابُ فيها بلفظِ المضارع الذي يدل علىٰ الدوام ﴿أَعۡبُدُ﴾.

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٨/ ٣٩١).

١٨. تفيدُ وجوبَ إفرادِ الله تعالىٰ بالعبادةِ، وذلك بالتبرؤ من الشركِ وإخلاص العبودية له.

١٩. تفيدُ بُعدَ الكافرين من موافقةِ النبيِّ ﷺ في الماضي والحال والمستقبل.

٢٠. تفيدُ أن العبادَ لا بد لهم من معبودٍ يعبدونه، وعبادةٍ يسلكنها، فالرسولُ ومن معه يعبدونَ اللهَ وحده بما شرع، والمشركون يعبدون مع اللهِ غيرَه بعباداتٍ لم يشرعها، فاعظمُ الضلالِ أن تضلَّ في معبودكِ وعبادتك.

٢١. تفيد أن من اعتقدَ شيئا وتولاه وتقربَ به يسمىٰ ذلك دينًا ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾والدينُ: العقيدةُ والملة، وهو معلوماتٌ وعقائدُ يعتقدُها المرء فتجري أعمالُه علىٰ مقتضاها، فلذلك سمي دِينًا لأن أصلَ معنىٰ الدين المعاملةُ والجزاء.

٢٢. تفيدُ بطلانَ أيِّ دينٍ غيرَ الإسلامِ، فهو دينٌ باطلٌ ليس للهِ ولا لرسولهِ بل هو لمن نسبَ إليهم ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾.

٢٣. تفيد أنه بعدَ قيامِ الحجةِ لا يجبرُ أحدٌ علىٰ الإسلام.

٢٤. تفيد أن الرجلَ إذا رأىٰ منكرًا أو سمعَ قولًا منكرًا فأنكرَه فلم يقبلوا منه لا يجبُ عليه أكثرَ من ذلك؛ وإنما عليه أن يحفظَ مذهبَه وطريقَه ويتركَهم علىٰ مذهبِهم وطريقهم.

٢٥. تفيد أن الكفرَ كلَّه ملةٌ واحدةٌ؛ لأنَّ الأديانَ ما عدا الإسلامِ كلَّها كالشيءِ الواحد في البطلان.

٢٦. تفيد أن قضيةَ العقيدةِ لا تقبلُ مساومةً، وانصافَ حلولٍ، ولا يجوزُ مساومةُ الأعداءِ في مبادئ الدين مهما كانت الظروفُ والضغوط، ولا بد من الصمودِ في مواجهةِ الفتن، وأن يبعثوا اليأسَ في قلوبِ الإعداءِ متىٰ بادروا إلىٰ هذه المساومة بالقولِ الفاصلِ المؤكدِ في الحال والاستقبال.

٢٧. تفيدُ ولايةَ اللهِ تعالىٰ لرسولهِ، وعصمتَه من قبولِ اقتراح المشركين الباطل.

٢٨. تفيدُ أهميةَ البراءةِ بين أهلِ الإيمان وأهلِ الكفرِ والشرك، وأن دينَ الإسلامِ لا يخالطُه شيئا من دينِ الشرك.

٢٩. تفيد الاختلافَ الواسعَ بين من يعبدُ اللهَ – تعالىٰ - الذي لا ند له ولا نظيرَ من يعبدُ غيرَه في الثقة والثبات والاطمئنان، ومن يعبد غيره، وبين من يعبدُه عبادةً خالصة وبين من يعبدُه عبادةً مشوبةً بالشركِ.

٣٠. تفيدُ البراءةَ بين أتباعِ الرسل عليه الصلاة والسلام وأهلِ سنته وبين أهلِ البدع المخالفين لما جاء به.

٣١. تفيدُ أن التوحيدَ والشركَ، والكفرَ والإيمانَ، والهدىٰ والضلالِ طريقان لا يلتقيان، وأن التوحيدَ هو دينُ النبيِّ محمدٍ ﷺ ﴿وَلِىَ دِينِ﴾ أي التوحيد.

٣٢. تفيدُ أهميةَ عقيدةِ الولاء والبراءِ بين الإسلامِ والكفر.

ثالثًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما أخبرَ في سورةِ الكوثرِ أن شانئه هو الأبترُ، بيَّن له هنا وجوبَ

الإعراضِ عنهم والاقبالِ بكلِّيتهِ علىٰ من أنعمَ عليه بذلك، فقال تعالىٰ معلمًا له ما يقولُ ويفعل: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، ولمَّا كان القصدُ إعلامَهم بالبراءةِ منهم من كلِّ وجهٍ قال بادئًا بالبراءةِ من جهتهِ؛ لأنها الأهم، وبما يدلُ علىٰ البراءةِ المستقبلية: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾. ولما كانت عبادتُهم للهِ غيرَ خالصة، وكانت العبادةُ مع الشركِ غيرَ معتدٍ بها بوجهٍ، نفىٰ عبادتَهم له بعد نفيه لعبادةِ معبوده فقال ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾.

ولما كان نفيُه عن النبيِّ ﷺ لا يدخلُ فيه الماضي قال منبهًا علىٰ ما يدلُّ علىٰ نفيه لما سلف: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾، ولما كانت لهم عبادةٌ لله ويشركونَ معه غيرَه ويظنون أنها تنفعُهم نفاها عنهم بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، ولما أكملَ براءته منهم ومما يعبدون من دونه في كلِّ الأزمانِ والأحوال ختمَ كلَّ ذلك بوجهٍ قاطعٍ في البراءة فقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ أي الذي تعلمون أنه لا أصلَ له يثبت عليه، ولا دليلَ يرجعُ بوجه إليه، ﴿وَلِىَ دِينِ﴾ الذي هو التوحيدُ والإسلام.

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورةِ وخاتمتها:

فاتحةُ السورةِ متعلقٌ بخطاب النبيِّ عليه الصلاةُ والسلام وختامها متعلقةٌ به ، وفاتحتها وخاتمتها في تأكيد البراءة من دين المشركين.

خامسًا: خصائص السورة في عرض هداياتها:

- الأمرُ بمخاطبةِ الكافرين بما يبعد تبعية المسلمين لهم ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

- التبرؤ من آلهةِ المشركين التي يعبدونها ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾.
- بيانُ بطلانِ عبادة المشركين لله تعالىٰ لانتفاءِ الإخلاص ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾.
- قطعُ الرجاءِ في معبودِهم وعبادتِهم في كلِّ الأزمنةِ ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾.
- البراءةُ المحضةُ عن كلِّ ما هم عليه من دين مع الاعتزازِ بدينِ الإسلام ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. البراءةُ من المشركين ومعبوداتهم التي يعبدونها من دون الله.

٢. الولاءُ للمؤمنين ومعبودهم الحق بصورةٍ بينةٍ قاطعة.

٣. بيانُ بطلانِ الشركِ والآلهةِ التي يعبدونها من دون الله للناسِ.

٤. التقيدُ في العبادةِ بما جاء عن النبيِّ ﷺ وعدمِ الابتداعِ.

٥. قطعُ طمعِ المشركين من أيِّ مساومةٍ في أصول الدين.

٦. الثباتُ علىٰ الحقِّ في كلِّ الأزمانِ والأحوالِ مهما كانت الظروف.

٧. الاعتزازُ بالتوحيدِ ودينِ الإسلامِ خاصةً في وسطِ الكافرين كما قال مؤمنُ آلِ ياسين: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ [يس: ٢٥].

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة الكافرون ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ٢٣ من صفر ١٤٣٨هـ

تفسير وهدايات

ســورة النصــر

موضوع السورة:

البشارةُ بالنصرِ والفتحِ
وما يترتبُ عليهما وما يجبُ بعدهما

مدخلٌ لدراسةِ السورة

أولًا: الأحاديث الواردة عن السورة:

عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا تَعْلَمُ -وَقَالَ هَارُونُ تَدْرِي- آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ جَمِيعًا قُلْتُ نَعَمْ. ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قَالَ: صَدَقْتَ)[١].

وقد جاء في صحيح البخاري عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ فَقَالَ بَعْضُهُم: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَىٰ مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ قَالَ : فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ، قَالَ: وَمَا رُأَيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ حَتَّىٰ خَتَمَ السُّورَةَ؟ فَقَالَ: بَعْضُهُمْ أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَدْرِي أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا. فَقَالَ لِي: يَا بْنَ عَبَّاسٍ أَكَذَاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ فَمَا تَقُولُ قُلْتُ هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللهُ لَهُ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فَتْحُ مَكَّةَ فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ قَالَ عُمَرُ مَا أَعْلَمُ مِنهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ)[٢].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب التفسير، ح رقم (٧٧٣١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: منزل النبي ﷺ يوم الفتح، ح رقم (٤٠٤٣).

وقد جاء عن ابنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنها تسمىٰ: «سورةُ التوديع، لما فيها من الإيماءِ إلىٰ وَداعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1]، يعني من الإشارةِ إلىٰ اقترابِ لحاقهِ بالرفيقِ الأعلىٰ، حيث قد أكملَ مهمتَه بمجيءِ النصرِ والفتحِ ودخولِ الناس في الدينِ أفواجًا.

ثانيًا: موضوعُ السورة:

موضوعُ السورةِ البشاراتُ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنصرِ والفتحِ القادمِ، وما يترتبُ عليه من دخولِ الناسِ في الإسلامِ أفواجا، وما يجبُ عليه بعدَه من التسبيحِ والحمدِ والاستغفار.

ثالثًا: المناسبةُ بين سورةِ الكافرون والنصر:

لما ذكرَ تعالىٰ في السورةِ السابقةِ اختلافَ دينِ الرسولِ الذي يدعو إليه، ودينِ الكفارِ الذي يعكفون عليه، أشارَ في هذه السورةِ إلىٰ أن دينَهم يضمحلُ ويزول، وأن الدينَ الذي يدعو إليه سيغلبُ، ويدخلُ فيه الناسُ جماعات وجماعات.

(١) روح المعاني لمحمود الألوسي (٣٠/ ٢٥٥).

موضوعُ السورة

البشارةُ بالنصرِ والفتحِ
وما يترتبُ عليهما وما يجبُ بعدهما

قال تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١ – ٣].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ﴿إِذَا﴾: اسمُ زمانٍ مبهمٍ يتعينُ مقدارهُ بمضمون جملةٍ يضافُ إليها هو، فقد يستعملُ للزمنِ المستقبل غالبًا. ولذلك يضمَّنُ معنىٰ الشرطِ غالبًا، ويكون الفعلُ الذي تضافُ إليه بصيغةِ الماضي غالبًا لإفادةِ التحقق، وقد يكون مضارعًا، كقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ﴾ [الشورىٰ: ٢٩]. و«﴿إِذَا﴾ هنا مضمنةٌ الشرطَ لا محالةَ لوجودِ الفاءِ في قوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾»[1].

٢. ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾: المرادُ بالنصرِ: العونُ والظفرُ علىٰ العدو، يقالُ نصرَه علىٰ عدوه ينصرُه نصرًا: أي أعانه، والمرادُ هنا: نصرُ اللهِ لنبيهِ محمد ﷺ علىٰ أعدائهِ المشركين.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٠).

٣. ﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾: فتحُ بلدانِ الأعداءِ، وامتلاكُ أرضِهم؛ لأنه يكون بفتحِ بابِ البلد وثغورِها، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٢٣]، والمرادُ به فتحُ مكة، وقيل: فتحُ قلوبِهم لقبولِ الحق.

٤. ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾: أي في الإسلامِ.

٥. ﴿أَفۡوَاجٗا﴾: جماعاتٍ جماعات، فهي الجماعاتُ الكثيرة.

٦. ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾: أي نزهه عن الشريكِ ملتبسًا بحمده.

٧. ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُ﴾: أي اطلب منه المغفرةَ توبةً منك إليه.

٨. ﴿تَوَّابَۢا﴾: كثيرُ القبولِ لتوبةِ عبادِه.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. تفيدُ ثلاثَ بشاراتٍ عظيمةٍ للنبيِّ ﷺ، النصرُ علىٰ أعدائِه، وفتحُ مكةَ، ودخولُ الناسِ في دينِ اللهِ أفواجًا، بحيث يكونُ كثيرٌ منهم من أهلِه وأنصارِه، بعد أن كانوا من أعدائِه، وقد وقعَ هذا المبشرُ به بفضلِ اللهِ ومنهِ وكرمه.

٢. تفيدُ بالمناسبةِ لما سبقَها تحقيقَ ما وعدَ اللهُ تعالىٰ به في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٧-٨]، فهو حققَ ما أمرَ به في سورةِ الكافرون من البراءة من الشركِ والمشركين، جاءه هنا ما وعدَ اللهُ تعالىٰ به من النصرِ المبين.

٣. تفيدُ عظمَ هذا النصرِ وتمامَهُ وكمالَهُ؛ لأن إضافةَ ﴿نَصۡرُ﴾ إلىٰ ﴿ٱللَّهِ﴾ تفيدُ عظمةَ هذا النصر، وأنه نصرٌ عزيزٌ كبيرٌ كريمٌ، اعتنىٰ اللهُ تعالىٰ

بإيجادِ أسبابه، كما يقالُ: هذه صنعةُ زيدٍ إذا كان زيدٌ مشهورًا بإحكامِ الصنعة.

٤. تفيدُ أن النصرَ لا يكونُ إلا من اللهِ تعالىٰ، فهو بيدِه يؤتيه من يشاءُ من عبادِه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، فليس لأحدٍ من الخلقِ فيه شيءٌ حتىٰ النبيِّ ﷺ وصحابته الكرام ،فهو نصرٌ يجيءُ به اللهُ في الوقتِ الذي يقدرُه بالصورةِ التي يريدُها، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، كما قال تعالىٰ ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤].

٥. تفيدُ أنه قد يتحققُ النصرُ علىٰ الكفارِ دون الفتح لبلادهم كما في بدرٍ وغيرِها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]؛ ولكن الكمالَ في تحققِ كلاهما النصرِ والفتحِ.

٦. تفيدُ أن النصرَ هو السبيلُ للفتحِ، والفتحُ هو السبيلُ لدخولِ الناس في دينِ الله تعالىٰ أفواجا، ولذا جاءت بهذا الترتيب.

٧. يفيدُ التعريفُ في الفتحِ «بالِ العهد» أي: أنه فتحٌ معروفٌ كان قد وعدَ اللهُ تعالىٰ به رسولَه ﷺ غيرَ مرةٍ من ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ﴾ [القصص: ٨٥]. وقد كان فتحُ مكةَ يخالجُ نفوسَ العربِ كلِّهم، فالمسلمون كانوا يرجونه ويعلمون ما أشارَ به القرآنُ من الوعدِ به، وأهلُ مكةَ كانوا يتوقعونه،

وبقيةُ العربِ كانوا ينتظرون كيف يكون الحالُ بين أهلِ مكةَ وبين النبيِّ ﷺ ويقولون: إنْ ظهرَ محمدٌ علىٰ قومِهِ فهو نبي، ولهذا سمي بفتحِ الفتوح.

٨. تفيدُ أن فتحَ مكةَ كان حدثًا فريدًا في مسيرةِ الدعوةِ الإسلامية لما له من أثرٍ عظيمٍ في الدعوةِ، حيثُ أظهرَ اللهُ تعالىٰ به دينَه، وأعلىٰ به كلمتَه، ووقعَ في القلوبِ هيبتُه، لأن العربَ كانت تعتقدُ أن نبيَّ الإسلامِ ﷺ لا يستطيعُ أن يفتحَ مكةَ إلا إذا كان علىٰ الحق.. وإلا مُنعَ كما مُنعَ جيشُ أبرهة.

٩. يفيدُ التعبيرُ لحصولِ النصرِ والفتحِ بالمجيءِ للإشارةِ بأنهما متوجهان نحوه عليه السلام، وأنهما علىٰ جناحِ الوصولِ إليه عليه السلام عن قريب، حتىٰ يكونَ مترقبًا لوروده، مستعدًا لشكره.

١٠. تفيدُ أن دخولَ الناسِ في دينِ الإسلامِ زمرًا زمرًا من النعمِ العظيمة؛ وأيُّ نعمةٍ أعظمُ من هذه، إذ كلُّ حسنةٍ يعملُها المسلمون فهي في ميزان حسناته.

١١. تفيدُ أن رؤيةَ نصرةِ الإسلامِ، وانهزامِ الأعداءِ، ودخولَ الناسِ في الدينِ جماعاتٍ من النعمِ العظيمةِ التي متعَ اللهُ تعالىٰ بها رسولَه الكريم، لأن الرؤيةَ هنا قد تكونُ بصريةً، وقد تكون علميةً بما يتيقنه.

١٢. تفيدُ أن الإسلامَ حصنٌ يدخلُه العبد، وهو يكون بالنطقِ بكلمةِ الشهادةِ والتزامِ أحكامِ الدينِ الناشئةِ عن تلك الشهادة. فشبه الدينَ ببيتٍ علىٰ طريقِ الاستعارة، ورمزَ إليه بما هو من لوازمِ المشبهِ به وهو الدخول.

١٣. تفيد أن ازالةِ العوائقِ من أسبابِ انتشارِ الدعوة، فلما كُسِرَت شوكةُ المشركين بفتحِ مكةَ سهلَ دخولُ وانتشارُ الإسلام وقد كان قبلَ ذلك يدخلُ

الواحدُ والاثنان علىٰ خوفٍ شديد.

١٤. تفيدُ أن الإسلامَ هو دينُ اللهِ الذي ارتضاه لعبادِه، حيث أضافه إليه ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

١٥. تفيدُ الحثَّ علىٰ تقبلِ الإسلامِ بإضافتِهِ لله تعالىٰ، فكأنه يقول: هذا الدينُ إن لم يكن له خصلةٌ سوىٰ أنه دينُ اللهِ فإنه يكون واجبَ القبول.

١٦. تفيدُ هذه الآياتُ معجزةً من معجزاتِ النبوة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فهو يقتضي الاستقبالَ، إذ لا يقالُ فيما وقع: إذا جاء، وإذا وقع، فصارت هذه الآيةُ من جملةِ المعجزاتِ، حيثُ إنه أخبر ثم تحقق ما جاء فيها من خبرٍ بعد حين مطابقًا له، والإخبارُ عن الغيبِ معجز.

١٧. تفيدُ الأمرَ للرسولِ ﷺ بعدَ حصولِ النصرِ والفتحِ ودخولِ الناس في دينِ الله أفواجا أن يشكرَ ربه علىٰ ذلك بالتسبيحِ بحمدِه واستغفاره.

١٨. تفيدُ الأمرَ بالتسبيحِ في وقتِ النصرِ وبعدِه، وهو مأمورٌ به في سائر الأوقاتِ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ [طه:١٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: ٣٩ – ٤٠]، إما بلفظِ التسبيحِ بقول: سبحان الله، أو بكلِّ لفظٍ دالٍ علىٰ التسبيح، كما قال تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، وقيل المعنىٰ: فصلِّ.

١٩. تفيدُ أن النعمَ تقابلُ بالشكرِ، وبه تحفظ وتزيدُ؛ ولذا ربطَ الأمرَ بالتسبيحِ هنا بحمده ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: حامدًا له حيث ردَّك إلىٰ مكة ظاهرًا عزيزًا ظافرًا، كما قال تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٨].

٢٠. تفيدُ أن الإسلامَ يربي أتباعَه في لحظةِ الزهوِ والفخرِ إلىٰ ما يجلبُ التواضعَ وانكسارِ النفسِ؛ وذلك بالنظرِ إلىٰ كمالِ اللهِ تعالىٰ، وفضلِه، وطلبِ العفو من ربِّها من خلالِ النظرِ لتقصيرِها في مقابل ما أكرمها به من نعمٍ عظيمةٍ.

٢١. تفيد أن التسبيحَ والحمدَ أمران مطلوبان، وكمالُ الذكرِ في الاتيان بهما جميعا ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ ليصير حامدًا مسبحًا في وقت واحد معًا، وقد رتبَ الله عليهما خيرًا كثيرا.

٢٢. تفيدُ بالإشارةِ أن استمرارَ النصرِ لهذا الدين مرهونٌ بحصولِ التسبيحِ بحمدِ الله واستغفاره، الذي يعني نقاءَ العقيدةِ، وحسنَ الانابةِ إليه.

٢٣. تفيد الأمرَ بالاستغفارِ للنبيِّ ﷺ مع عصمتِهِ، وغفران ما تقدمَ من ذنبِهِ وتأخر، أن الاستغفارَ عبادةٌ مقصودةٌ لذاتها، تنقلُ العبدَ من منزلةٍ لأخرىٰ؛ لما فيه من التواضعِ، والخضوعِ لجلاله وعظمتِهِ، وهضمِ النفسِ، واستقصارِ العملِ، والاعترافِ لله بالمنةِ والتقصيرِ في حقه، ولذا جاء عنه عليه ﷺ: في صحيح مسلم (إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ)(١)؛ ولهذا قيل: الاستغفار تَعَبُّدٌ لذاته. قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من الغين: وهو ما يتغشىٰ القلب. وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المراد الفترات والغفلات عن

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب اسْتِحْبَابِ الِاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، ح رقم (٧٠٣٣).

الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه»[١].

٢٤. تفيدُ أن توبةَ واستغفارَ الخواصِ غيرُ توبةِ العوامِ، فإنَ توبةَ الخواصِ نابعةٌ من شهودِ نقصٍ في الكمالِ غالبًا، وتوبةُ العوامِ نابعةٌ من اعترافِ المعاصي والآثام.

٢٥. تفيدُ أن أيَّ عبدٍ في حاجةٍ لتجاوزِ وعفوِ الله تعالىٰ ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُ﴾ اطلب منه المغفرة. فقد جاء في صحيح البخاري عَنْ ابْنِ أَبِي مُوسَىٰ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: (رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[٢]. وقد كان النبيُّ ﷺ يستقصرُ نفسَه لعظمِ ما أنعمَ اللهُ به عليه، ويرىٰ قصورَه عن القيام بحق ذلك ذنوبا.

٢٦. تفيدُ مدىٰ حاجةِ غيره ﷺ للاستغفارِ؛ لأن أمرَه عَلَيْهِ السَّلَامُ بالاستغفارِ فيه تنبيهٌ لأمته، لكيلا يأمنوا ويتركوا الاستغفار.

٢٧. يفيدُ الأمرُ بالاستغفارِ مع التسبيحِ بحمدِه أن قوامَ أمرِ الدين يكونُ بالجمعِ بين الطاعةِ والاحترازِ من المعصية.

٢٨. تفيدُ منزلةَ التسبيحِ بحمدِ الله واستغفارِه؛ لأنه مما اختارَه اللهُ تعالىٰ

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (١٧/ ٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الدعوات، باب: قول النبي ﷺ (اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت)، ح رقم (٦٠٣٥).

لنبيه ﷺ في آخرِ حياته، وأمرَه بملازمته.

٢٩. يفيدُ تقديمُ الأمرِ بالتسبيحِ والحمدِ علىٰ الأمرِ بالاستغفارِ مما يمهدُ به علىٰ إجابةِ الدعاءِ في استغفاره، علىٰ عادةِ العربِ في تقديم الثناءِ قبل سؤالِ الحاجة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ أي علىٰ المسبحين والمستغفرين، يتوبُ عليهم ويرحمُهم، ويقبلُ توبتَهم.

٣٠. يفيدُ تقديمُ التسبيحِ والحمدِ علىٰ الاستغفار؛ تقديمُ ما هو متمحضٌ في حقِّ الله تعالىٰ؛ لأن التسبيحَ راجعٌ إلىٰ وصفِهِ تعالىٰ بالتنزه عن النقصِ، فهو متمحضٌ لجانب الله تعالىٰ، ولأن الحمدَ ثناءٌ علىٰ اللهِ لإنعامه، وهو أداءُ العبدِ ما يجبُ عليه لشكرِ المنعمِ، فهو مستلزمٌ إثباتُ صفاتِ الكمالِ لله التي هي منشأُ إنعامهِ علىٰ عبدِه، فهو جامعٌ بين جانبِ الله وحظِ العبد، وأما الاستغفارُ فهو حظٌ للعبدِ وحدَه؛ لأنه طلبُه اللهَ أن يعفوَ عما يؤاخذه عليه.

٣١. تفيدُ الحثَّ علىٰ التوبةِ؛ وذلك من خلالِ هذه الترجيةِ العظيمةِ للمستغفرين، فإن التوابَ يسهلُ التوبةَ علىٰ عباده، ويقبلُها منهم، ويرضىٰ عنهم.

٣٢. تفيد أن التوابَ من صفاتِ اللهِ تعالىٰ، فهو كان ولم يزل يقبلُ التوبةَ عن عباده ويصفحُ عن جرائمهم.

٣٣. يفيدُ مجيءُ التوبةِ بعدَ التسبيحِ بحمده أن التوبةَ الصادقةَ هي ثمرةُ اعتقادِ العبدِ الكمالَ في ربِّه والاعترافَ بجميلِ نعمائه عليه.

٣٤. تفيدُ سرعةَ استجابةِ النبيِّ ﷺ لأمرِ ربه كما جاء في صحيحِ البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا صَلَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ إِذَا جَاءَ

نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي)[(١)]، وفي رواية أخرىٰ للبخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ)[(٢)].

٣٥. تفيد أنه ينبغي أن يكونَ التسبيحُ والاستغفارُ آخرَ عملٍ للعبدِ ليكون خاتمةُ عملهِ زيادةَ الطاعة والذكرُ لله، والاستغفارُ يطهرُ العبدَ ويجعلُه مطهرا من كلِّ ذنبٍ لملاقاةِ ربه.

٣٦. تفيدُ مشروعيةَ التوبةِ والاستغفارِ في خواتمِ الأعمالِ، فكان النبيُّ ﷺ إذا سلمَ من الصلاةِ استغفرَ ثلاثا، وشرعَ للمتوضيءِ بعدَ كمالِ وضوئهِ أن يقولَ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، واجْعَلْني مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ)[(٣)]، وشرعَها في خاتمةِ الحجِ، وقيامِ الليلِ، وهنا أمرَ تعالىٰ رسولَه بالاستغفارِ عقيبَ توفيتِه ما عليه من تبليغِ الرسالةِ والجهادِ في سبيلِه ودخولِ الناس في دينِه أفواجا، والتبليغُ عبادةٌ قد أكملَها وأداها فشرعَ له الاستغفارَ عقيبها كذلك.

٣٧. تفيدُ الإشارةَ إلىٰ أن أجلَ رسولِ الله ﷺ قد قربَ ودنا؛ لأنه لما كانت الأمورُ الفاضلةُ تختمُ بالاستغفار، كالصلاةِ والحجِ وغير ذلك، وقد أمرَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة (إذا جاء نصر الله)، ح رقم (٤٦٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب صفة الصلاة، باب التسبيح والدعاء في السجود، ح رقم (٧٨٤)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، ح رقم (١١١٣).

(٣) أخرجه الترمذي ح رقم(٥٥)، والطبراني في الأوسط ح رقم(٤٨٩٥)، وصححه الألباني في ابن ماجة (٤٧٠).

اللهُ تعالىٰ هنا رسولَه بالحمدِ والاستغفارِ بعدَ إكتمالِ حالِ الإسلام إشارة إلىٰ دنوِّ أجله ليستعدَ ويتهيأ للقاءِ ربه، ويختم عمرَه بأفضلِ ما يجده صلوات الله وسلامه عليه.

٣٨. تفيد أن الكمالَ في هذه الدارِ يتبعُه نقصان، فلما دلت السورةُ علىٰ تمامِ الدعوةِ، وكمالِ أمر الدين، فهم عمرُ وابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دلالاتها علىٰ دنوّ الأجل؛ ولهذا سميت سورةُ النصر بسورةِ التوديع.

٣٩. تفيد أن توبةَ اللهِ علىٰ عبدِه مبنيةٌ علىٰ توبةِ العبدِ واستغفاره الذي هو طلبُ المغفرةِ بشروطها.

٤٠. تفيد أن النصرَ يأتي في آخرِ المطافِ، بعد تمحيصٍ وهذه واحدةٌ من أسرارِ ختمِ سورِ القرآن نزولًا بسورةِ النصر.

٤١. تفيدُ فضلَ التسبيحِ والتحميدِ والاستغفارِ حيث جعلَه كافيًا في أداءِ ما وجب عليه من شكرِ نعمةِ النصر والفتح.

٤٢. تفيدُ أن التوبةَ هي أولُ المنازلِ وأوسطُها وآخرُها كما قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « فلا يفارقُه العبدُ السالكُ، ولا يزالُ فيه إلىٰ المماتِ، وإن ارتحلَ إلىٰ منزلٍ آخر ارتحل به، واستصحبَه معه، ونزلَ به فالتوبةُ هي بدايةُ العبدِ ونهايتُه، وحاجتُه إليها في النهايةِ ضروريةٌ كما أن حاجتَه إليها في البدايةِ كذلك، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾، وهذه الآيةُ في سورةٍ مدنيةٍ خاطبَ اللهُ بها أهلَ الإيمانِ، وخيارَ خلقهِ أن يتوبوا إليه بعدَ إيمانِهم وصبرهم وهجرتهم وجهادِهم ثم علقَ الفلاحَ بالتوبةِ... وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قسمَ العبادَ إلىٰ تائبٍ وظالمٍ، وما ثمَّ قسمٌ ثالثٌ ألبتَّة، وأوقعَ اسمُ (الظالم) علىٰ من لم يتب»[١].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٧٨).

٤٣. تفيدُ أن من فوائد الاستغفارِ أنه نابعٌ من تعظيمِ أمرِه فيعترفُ بتجاوزِه لحدودِه، وهي توصلُ العبدَ إلىٰ معرفةِ العبدِ بربهِ التوابِ الغفارِ، فيعرفُ برَّه في ستره، وحلمَه في إمهالِه، وكرمَه في قبولِ عذرِه، وفضلَه في مغفرتهِ، لأن المغفرةَ فضلٌ محضٌ من الله تعالىٰ.

٤٤. يفيدُ قصرُ هذه السورةِ، وهي من أواخرِ ما نزلَ من السورِ الكاملةِ أنه ينبغي أن يكون ختامُ الكلامِ في الدعوةِ والتعليم قصيرا جامعًا، ويبعثُ روحَ الأملِ والتفاؤلِ والنظرِ بإيجابيةٍ للمستقبل بما يحملُه من بشارات النصر والفتح الذي هو حليفٌ للمتقين مهما طالَ ليلُ الكافرين.

٤٥. تفيدُ أن النصرَ والفتحَ يحتاجُ إلىٰ برنامجٍ وفقهٍ خاصٍ لحمايته من الإقدامِ علىٰ الممارساتِ والسلوكياتِ الخاطئة، والتسبيحُ بحمدِ الله الذي يلفتُ العبدَ إلىٰ كبرياءِ الله وعظمتهِ ونعمتهِ والاستغفار الذي يلتفت العبدَ إلىٰ ضعفهِ وتقصيرهِ لهما دور كبير في ضبط سلوك الإنسان في هذه اللحظة التي ينهارُ فيها العدو تستباحُ فيه الأموالُ والأعراضُ والدماء.

ثالثًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما ختمت السورةُ السابقةُ ، سورة الكافرون بالأمرِ بمتاركةِ ومفاصلةِ الكافرين بصورةٍ حاسمة، كأنه قيل: فهل يحصلُ نصرٌ عليهم وظفرٌ بهم، فأجابَ بهذه السورةِ بشارةً للمؤمنين، ونذارةً للكافرين، فقال تعالىٰ تحقيقًا وتعجيلًا للبشارة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾، ولما كان النصرُ درجات، وكان أكملُه ما يتبعه من الفتحِ قال: ﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾، ولما بشرَ بهما زادَ في البشارةِ ببيانِ رؤيةِ ما يترتبُ عليهما فقال: ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾، ولما بين له كمالَ نعمتهِ عليه بين له

ما يجبُ عليه من الأمرِ بتنزيههِ عن كلِّ نقص، ووصفهِ بكلِّ كمال، وحمدِه علىٰ جزيل عطائه فقال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، ولما أمرَه بما يعجزُ العبدُ عن الوفاءِ بحقه، ويعجزُ غيرُه من بابِ أولىٰ به أمره بقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾، ولما أمر بذلك علله وشجعه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾.

وقد جاءت مناسباتُ هذه السورةِ الكريمة دقيقةٌ محكمة، حيث جعلَ كلَّ جملةٍ منها مقدمةً لما بعدها، فلما كان النصرُ هو الإعانةُ علىٰ تحصيلِ المطلوب، والفتحُ هو تحصيلُ المطلوب بدأ بذكرِ النصرِ، وعطفَ الفتحَ عليه، ولما كان دخولُ الناسِ في دينِ اللهِ أفواجًا مترتبًا عليه جاء بعده، ولما كملَ نعمَه عليه أمرَه بما يجبُ عليه في مقابلِ نعمه، ولما كان الشكرُ يبدأ بشهودِ الجلالِ والكمالِ بدأ به، ثم ثنىٰ بحمده الذي يشيرُ إلىٰ شهودِ نعمهِ ومعرفةِ إحسانه وإكرامه، ولما كان شهودُ كمالهِ وإدراكِ فيضِ نعمهِ وإحسانه يوصلان العبدَ لشهودِ تقصيرِه جاء الأمرُ باستغفاره.

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورةِ وخاتمتها:

بدايةُ السورةِ كان في بيانِ ظهورِ أمره ورفعتهِ في الدنيا، وخاتمتُها كان فيما يجبُ تجاه نعمهِ، وفيما يزيدُ من رفعتهِ في آخرته.

خامسًا: خصائص السورة في عرض هداياتها:

- تبشيرُ النبيِّ ﷺ بنصرٍ عظيمٍ وفتحٍ كبيرٍ قادم: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾.
- بيانُ ما يترتبُ علىٰ النصرِ والفتحِ: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾.

○ توجيهُ ﷺ لما يجبُ فعْلُه بعدَ تحققِ ما بشر به من بشاراتٍ عظيمة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. سؤالُ اللهِ تعالىٰ النصرَ والفتحَ والانتشارَ لهذا الدين وأن يتحققَ ذلك علىٰ يدك.

٢. العملُ علىٰ إزالةِ العقباتِ التي تمنعُ تقبلَ الناسِ للدعوةِ وتصدهم عن الهدىٰ.

٣. الحرصُ علىٰ شكرِ الله تعالىٰ علىٰ كلِّ نعمةٍ أنعمَ به علىٰ عباده.

٤. الإكثارُ من التسبيحِ والحمدِ لله تعالىٰ آناءَ الليلِ وأطرافَ النهار.

٥. التزامُ الاستغفارِ في كلِّ الأوقاتِ والأحوالِ بعدَ العباداتِ وغيرها، وفي أوقات النصر أو الهزيمة.

٦. الخضوع والتذلل لله تعالىٰ عند حصول النصر، وتجنب الأشر والبطر.

٧. الاعتقادُ الجازمِ بسعةِ عفوِ الله تعالىٰ ومغفرتهِ لعبادهِ مهما كان الذنبُ والتفريطُ في جنب الله تعالىٰ.

٨. الحرصُ علىٰ زيادةِ الاجتهادِ في آخرِ العمرِ ليختمَ العبدُ بخيرِ ختامٍ يلقىٰ به ربه.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة النصر ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ٣ ربيع الأول من عام ١٤٣٨هـ

تفسير وهدايات

سـورة المسـد

موضوع السورة:

الحتمُ بخسرانِ الكافرِ

المؤذي لرسولِ اللهِ الكريم ﷺ

مدخل لدراسة السورة

أولًا: موضوعُ السورة:

موضوعُ السورةِ: القطعُ بخسرانِ الكافرِ، ولو كان أقربَ الخلقِ إلىٰ أعظمِهم، من خلالِ توجيهِ خطابٍ شديدٍ لأحدِ أعداءِ الإسلامِ الذي سخرَ نفسَه وزوجَه لأذيةِ رسولِهِ الكريم .

ثانيًا: المناسبةُ بين سورةِ النصرِ والمسدِ:

لما بيَّنَ تعالىٰ في سورةِ النصرِ عاقبةَ المطيعِ في الدنيا من حصولِ النصرِ والفتح، وفي الآخرةِ من عظيمِ الثوابِ والأجر، بيَّنَ هنا عاقبةَ العاصي الصادِ عن سبيلِ الله تعالىٰ، وما له من الخسرانِ في الدنيا، وسوءِ العاقبةِ في الآخرة.

ولما بين هنالك دخولَ الناسِ في دينِ الله تعالىٰ، بين هنا من لم يدخلْ في الدين، وسخرَ حياته لأذيةِ نبيهِ الكريم، كيف كانت عاقبتُه الأليمة.

ثالثًا: سبب نزول السورة:

وقد جاء في الصحيحين عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّىٰ اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ

أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا، ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾[١]. وفي رواية أخرىٰ لهما قَالُوا: (مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا)[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (وأنذر عشيرتك الأقربين. واخفض جناحك) ألن جانبك، ح رقم (٤٤٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير، باب تفسير سورة (تبت يدا أبي لهب)، ح رقم (٤٦٨٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب في قَوْلِهِ تَعَالَىٰ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)، ح رقم (٥٢٩).

موضوع السورة

الحتمُ بخسرانِ الكافرِ المؤذي لرسولِ اللهِ الكريم

قال تعالىٰ: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۢ﴾ [المسد: ١ – ٥].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ﴿تَبَّتۡ﴾: التبابُ في اللغةِ الهلاك، وهو الخسرانُ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ﴾ [غافر: ٣٧].

٢. ﴿أَبِي لَهَبٖ﴾: هو عبد العُزَّىٰ بن عبدِ المطَّلب، وكنيتُه أبو عُتبة. وإنما سمي «أبا لهب» لإشراقِ وجهه[1].

٣. ﴿وَتَبَّ﴾: خسرت وهلكت. فالأولُ: دعاءٌ، والثاني: إخبار.

٤. ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ﴾: أي لم يدفعْ عنه مالُه، و «ما» تحتملُ أن تكونَ نافيةً، ويكونُ الكلامُ خبرًا عن أن جميعَ أحوالِهِ الدنيويةِ لم تغن عنه شيئًا حين حتمَ عذابَه، وتحتملُ أن تكونَ استفهاميةً علىٰ وجهِ التقرير، أي: أينَ الغناءُ الذي لمالِهِ وكسبه.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨/ ٥١٤).

٥. ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: من المالِ والولد.

٦. ﴿سَيَصْلَىٰ﴾: يدخلُ نارًا يصطلي بحرِها ولفحِها، يقالُ: صلىٰ الشيءَ إذا قاسىٰ شدتَه وحرَه، ويقال: صليتُه أي شويتُه.

٧. ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾: ذات تلهبٍ وتوقدٍ وشررٍ وإحراقٍ شديد.

٨. ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾: وهي زوجتُه أمُّ جميلٍ بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، وكانت من ساداتِ نساءِ قريش، واسمُها أروىٰ بنتُ حربٍ بن أمية، وهي أختُ أبي سفيان. وكانت عونًا لزوجِها علىٰ كفرِه وجحودِه وعنادِه؛ فلهذا تكونُ يومَ القيامةِ عَونًا عليه في عذابِهِ في نارِ جهنم.

٩. ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾: وفي معنىٰ حمالةَ الحطب أربعةُ أقوالٍ للعلماء:

- أنها كانت تضعُ الحطبَ والشوكَ في طريقِ رسولِ الله ﷺ لتؤذيه. قالَه ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وعكرمةٌ، والحسنُ، وقتادة، والثوري، والسدي وغيرهم[1].

- أنها تحملُ الحطبَ فتلقيهِ علىٰ زوجِها، ليزدادَ علىٰ ما هو فيه، وهي مُهَيَّأَةٌ لذلك مستعدةٌ له.

- أنه عبارةٌ عن مشيِها بالنميمةِ كانت تمشي بالنميمة، يقال فلانٌ يحملُ الحطبَ بينَ الناسِ أي: يوقدُ بينَهم نارَ العداوةِ بالنميمة.

- أنها حمالةُ الخطايا، والعربُ تقولُ: فلانٌ حاطبُ قريتِهِ؛ إذا كان مفسدًا

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٤٦٤)، وجامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٢٤/ ٦٧٩)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨/ ٥١٥).

فيهم جانيًا عليهم. ولا مانعَ من اجتماعِ كلِّ هذه المعاني فيها[١].

١٠. ﴿فِي جِيدِهَا﴾: عنقِها.

١١. ﴿حَبْلٌ﴾: والحبلُ: ما يربطُ به الأشياءُ التي يرادُ اتصالُ بعضِها ببعض.

١٢. ﴿مِّن مَّسَدِۭ﴾: المسدُ ما أُحكمَ فتلُه من أيِّ شيءٍ كان، تقولُ: مسدتُ الحبلَ أمسدُهُ مَسْدًا: إذا أجدتُ فَتلَه، وهو من مسدِ النار.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. تفيدُ مشروعيةَ الدعاءِ علىٰ الكافرِ المؤذي لرسولهِ والمؤمنين، الصادِ عن سبيلِ الله تعالىٰ؛ لأن قولَه تعالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ دعاءٌ عليه بالخسران.

٢. تفيد أن الخسرانَ هو حليفُ كلِّ من يصدُّ عن سبيلِ الله تعالىٰ، فهو لم يفده ما أنفقَه في حربِ النبي ﷺ، بل لحقَه البوارُ والخسرانُ والنكال.

٣. تفيدُ خسرانَ أبي لهبٍ، وبطلانَ سعيه في الصدِ عن دينه الذي كان شديدَ العداوةِ والأذيةِ للنبيِّ ﷺ، والبغضِ له، والازدراءِ به، والتنقصِ له ولدينهِ.

٤. تفيدُ براعةَ الاستهلالِ في القرآن الكريم، فإن افتتاحَ السورةِ بالتبابِ مشعرٌ بأنها نزلت لتوبيخٍ ووعيدٍ شديد، مثلُ ما تفتتحُ أشعارُ الهجاءِ بما يؤذنُ بالذمِ والشتمِ.

٥. يفيدُ التعبيرَ بالماضي دلالةً علىٰ أن الأمرَ قد قضىٰ بذلك وفرغ منه،

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٢٤/ ٦٧٩)، وبحر العلوم (٣/ ٦٠٦)، وتفسير البحر المحيط ،أبو حيان الأندلسي (٨/ ٣٩٤)، والجامع لأحكام، القرطبي (٢٠/ ٢٤٠)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨/ ٥١٥) وغيرها .

فلا بد من كونه ولا محيص: ﴿تَبَّتْ﴾ أي حصلَ القطعُ الأعظمُ والحتمُ الأكملُ من أولِ كلمةٍ قيلت.

٦. تفيدُ أن القرابةَ والانتماءَ للأنبياءِ والصالحين لا تنفعان شيئًا يومَ القيامةِ إذا فقدَ الإيمانُ الصحيحُ، فأبو لهبٍ هو عمُ النبيِّ ﷺ فلم ينفعُه ذلك النسب، فالقرآنُ بيَّن مصيرَه وسوءَ عاقبته. كما قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]، وجاء في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللهِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللهِ، يَا أُمَّ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنْ اللهِ لَا أَمْلِكُ لَكُمَا مِنْ اللهِ شَيْئًا، سَلَانِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا)[1].

٧. تفيدُ بشارةً عظيمةً للنبيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بهلاكِ أبي لهب وإبطالِ كيدِه لرسولِه ﷺ.

٨. تفيدُ كفايةَ اللهِ تعالىٰ ونصرتَه لنبيه وشدةَ انتقامِه من أعدائِه كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٥ - ٩٩].

٩. تفيدُ أن الهدايةَ بيدِ الله ليس لأحدٍ سواه فيها يدٌ ولو كان نبيًا ،كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب من انتسب إلىٰ آبائه في الإسلام والجاهلية، ح رقم (٣٣٣٦).

١٠. تفيدُ أن الخسارةَ للإنسانِ تبدأُ من خسارةِ قوتهِ، ولما كانت اليدان محلَّ القوةِ والتكسبِ أسندَ التبابَ إليهما ليستلزمَ تبابَ الجميعِ، كما أن ذكرَ اليدين يذكرُ بما يقعُ غالبًا من الأذىٰ بهما.

١١. تفيدُ عاقبةَ أذيةِ النبيِّ عليه السلام وبغضهِ، وكلِّ من يكيدُ دعوتَه ودينَه وما تجلبُه له من خزي إلىٰ يومِ القيامة كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [التوبة:٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

١٢. تفيدُ أهميةَ الصدعِ بالدعوةِ خاصةً في وسطِ الأهلِ والعشيرة مهما كانت المعارضةُ والأذىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وهذا هو سببُ نزولِ هذه السورة.

١٣. تفيدُ جوازَ أن يذكرَ الإنسانُ بكنيتهِ، وذكرَه سبحانه بكنيتهِ لاشتهارِه بها؛ ولأن اسمَه كما تقدم عبد العزىٰ، والعزىٰ اسمُ صنمٍ.

١٤. تفيد أن حسنَ الصورةِ لم تغن عنه شيئًا بعدَ قباحةِ السيرة لقوله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه إنما كني بهذا لإشراقِ وجهه وتوقدِ وجنتيه، ولكونه كان جميلا، وأن وجهه يتلهبُ لمزيدِ حسنه كما تتلهبُ النار.

١٥. تفيد أن الشقاءَ كلَّ الشقاءِ أن يجمعَ اللهُ تعالىٰ لعبدٍ بين عذابِ الدنيا والآخرة، فالجزاءُ الأولُ في الدنيا، والثاني في عذابِ الآخرة.

١٦. تفيد أن الأنسانَ هو الذي يهلكُ نفسَه بفسادِ اعتقاده وسوءِ فعاله.

١٧. تفيدُ أن المالَ والجاه والولدَ لا يغني من عذابِ اللهِ شيئا إذا عملَ

العبدُ بما يغضبُ اللهَ جل وعلا، قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [غافر: ٨٢].

١٨. تفيد أن الابنَ من كسبِ أبيهِ، قال ابنُ عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وغيرُه: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ يعني: ولده. ورُوي عن عائشة، ومجاهد، وعطاء، والحسن، وابن سيرين، مثله(١).

١٩. تفيدُ أن ما يكسبُه الإنسانُ من معارفَ وصداقاتٍ وغيرِها لا تغيرُ أو تدفع عنه من عذابِ الله شيئًا.

٢٠. تفيد أن المالَ بغيرِ إيمانٍ يكون سببَ غفلةٍ وفسادٍ وطغيان.

٢١. تفيدُ أن التنعمَ في الدنيا ليس دليلَ اصطفاءٍ ورضا من الله تعالىٰ، كما قال تعالىٰ عن أموالِ الكافرين ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٨٥].

٢٢. تفيدُ أن المالَ ينسبُ لصاحبِهِ وإن كانَ في الحقيقيةِ هو مالُ اللهِ تعالىٰ.

٢٣. تفيدُ أن مصيرَ أبي لهبٍ النارُ التي تحيطُ به من كلِّ جانب، وهذا يجبُ اعتقادُه كما قال تعالىٰ: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾.

٢٤. يفيدُ أن وصفَ النارِ بـ ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ زيادةُ تقريرٍ في المناسبةِ بين اسمهِ وبين عذابهِ فهو أبو لهب والنار ذات لهب.

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٨/ ٥٨٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٢٣٨).

٢٥. تفيدُ عظمَ النارِ التي سوف يعذبُ بها؛ لأن ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أبلغُ من نارٍ ملتهبة، بما يدلُّ علىٰ عظم لهبها.

٢٦. تفيدُ الإخبارَ بثلاثةِ غيوبٍ، الأخبارَ بالتبابِ والخسران، وثانيها الإخبار بعدمِ الانتفاعِ بماله وولده، الإخبار بأنه من أهلِ النار.

٢٧. تفيدُ أن زوجتَه التي كانت شديدةَ الأذىٰ لرسولِ الله ﷺ، وتتعاونُ مع وزوجها علىٰ الإثمِ والعدوانِ فتحملُ الشوكَ وتضعُه في طريقه، هي ستكون حمالة الحطب عليه في نار جهنم.

٢٨. تفيد أن المعاصي والذنوبَ هي أوزارٌ يجمعُها العبدُ علىٰ ظهرِه وهي بمنزلةِ من يجمعُ حطبًا.

٢٩. تفيدُ أن زوجتَه ستكون معه في نارِ جهنم ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾.

٣٠. تفيد أنها تحملُ في النارِ الحطبَ علىٰ زوجِها، متقلدةً في عنقِها حبلًا من مسد هو حليُها عياذًا بالله من سوءِ المصير.

٣١. تفيدُ حقارةَ من يعصي اللهَ تعالىٰ، فإن اللهَ تعالىٰ ذكرَها بالصورةِ التي تدلُّ علىٰ حقارتِها وسوءِ عاقبته، بصورةِ الحطبِ علىٰ ظهرِها والحبلِ في عنقها.

٣٢. يفيدُ ذكرَ الجيدِ هنا دلالةً بلاغيةً بما فيه زيادةُ دلالةٍ علىٰ سوءِ عاقبتها، لأنه غلَب في الاستعمالِ ذكرُ الجيدِ علىٰ عنق المرأة التي غالبًا ما تكون محلىٰ بالحلي، وأم جميل حليُّها في الآخرة الحبلُ المفتولُ من نارٍ في عنقها، فلما أقيم لها ذلك مقامُ الحُلي ذُكر الجيد معه.

٣٣. تفيدُ أن خلطةَ الأشرارِ تؤدي إلىٰ غايةِ الخسار، فإن الطبعَ وإن كان جيدًا يسرقُ من الرديءِ، فكيف إذا كان رديئًا.

٣٤. تفيدُ أن السعيدَ من رزقَه اللهُ تعالىٰ زوجةً تعينُه علىٰ طاعةِ الله تعالىٰ، والشقي من رُزِقَ زوجةً تعينُه علىٰ معصيةِ الله تعالىٰ.

٣٥. تفيدُ حرمةَ أذيةِ المؤمنين مطلقًا، والسعي بينهم بالضرر.

٣٦. تفيدُ صحةَ أنكحةِ الكفارِ، فسماها امرأتَه بعقدِ النكاحِ الواقع في الشرك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم:١١]، فسماها امرأتُه، والصحابةُ رضي اللهُ عنهم غالبُهم إنما ولدوا من نكاحٍ كان قبلَ الإسلامِ في حالِ الشرك، وهم ينسبون إلىٰ آبائِهم انتسابا لا ريبَ فيه عند أحدٍ من أهل الإسلام، وقد أسلمَ الجمُّ الغفيرُ في عهدِ النبيِّ ﷺ فلم يأمرْ أحدا منهم أن يجددَ عقده علىٰ امرأتهِ، فلو كانت أنكحةُ الكفارِ باطلةً لأمرَهم بتجديدِ أنكحتهم، وقد كان رسولُ اللهِ ﷺ يدعو أصحابَه لآبائهم، وهذا معلومٌ بالاضطرارِ من دين الإسلام.

٣٧. تفيدُ دلالةً علىٰ صحةِ نبوةِ نبينا عليه الصلاة و السلام؛ بل هذه السورةُ آيةٌ باهرةٌ من آياتِ اللهِ، فإن اللهَ تعالىٰ أنزلَ هذه السورةَ وأبو لهب وامرأتُه لم يهلكا، وأخبرَ أنهما سيعذبان في النارِ ولا بد، ومن لازمِ ذلك أنهما لا يسلمان، ومعنىٰ ذلك أنهما يموتان علىٰ الكفرِ، فكان كذلك إذ لو قالا بألسنتهما قد أسلمنا لوجدَ الكفارُ متعلقا في الردِ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ غيرَ أن اللهَ علم أنهما لا يسلمان باطنا ولا ظاهرا فأخبرَه بذلك فوقعَ كما أخبرَ عالمُ الغيبِ والشهادة.

٣٨. تفيدُ هذه السورة عبرةً لكلِّ من يعادي الحقَّ الذي أُنزلَ من عندِ الله تعالىٰ مطاوعةً لهواه، وإيثارًا لما ألفَه من العقائدِ والعوائدِ والأعمالِ، واغترارًا بما عنده من الأموال.

٣٩. تفيدُ الحثَ لأهلِ الدينِ والاجتهادِ في العملِ من غيرِ ركونٍ إلىٰ سببٍ أو نسبٍ غيرَ ما شرَعه سبحانه، فالانتماءُ إلىٰ الصالحين لا يغني إلا إن وقعَ الاقتداءُ بهم في أفعالهم.

٤٠. تفيدُ التذكيرَ للنبي ﷺ والمؤمنين بما كان عليه الحالُ في أولِ الأمرِ من أذىٰ وجبروت بما يحملُ علىٰ الصبر والشكر.

٤١. تفيدُ أن الأذىٰ في الدعوةِ قد يكون من أقربِ الناس إليك نسبًا، ومن هم أولىٰ بنصرتك والوقوفِ معك فلا تتعجب.

٤٢. تفيدُ تطبيقًا عمليًا للولاءِ والبراءِ وأنه لا تعاطفَ مع من حاربَ الله ورسوله.

ثالثًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما قدمَ سبحانه وتعالىٰ في سورةِ النصرِ القطعَ بتحقيقِ النصرِ لأهلِ هذا الدين بعد ما كانوا فيه من الذلةِ، وبتكثيرِهم بعد ما كانوا عليه من القلةِ، بيَّنَ هنا أمرَه الحاسم عن خسرانِ أعداءِ هذا الدينِ خاصةً أهلِ العنادِ والأذىٰ لرسولهِ الكريم ولو كانوا من أقربِ الأقربين فقالَ تعالىٰ: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾، ولما أوقعَ سبحانه الإخبارَ بهلاكهِ علىٰ هذا الوجهِ المؤكد، بين أن ما له من المالِ والولدِ والجاه، وما هو فيه من القوةِ بالعَددِ والعُدد لم تنفعه شيئًا فقال:

﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾، ولما أخبرَ سبحانه وتعالىٰ عن حالهِ في الماضي بوقوعِ هذا التبابِ أخبرَ عن حالهِ في المستقبل بقوله: ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ﴾، ولما كان المقصودُ شدةَ نكايتهِ بأشدِّ ما يكون من الحرارةِ، وكانت النارُ قد تكون جمرًا ثم تنطفئ عن قربٍ قال: ﴿ذَاتَ لَهَبٖ﴾، ولما أخبرَ سبحانه وتعالىٰ عنه بكمالِ خسرانه، بينَ هلاكَ أعوانهِ في مقدمتهمِ زوجُه، فقال: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾.

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورةِ وخاتمتها:

فاتحةُ السورةِ كانت في هلاكِ وخسرانِ أبي لهب، وخاتمتِها في هلاكِ زوجتهِ المعينةِ له، فهو قد اعتمدَ علىٰ مالهِ وكسبهِ وأهلهِ، فهلكَ وأهلك امرأتَه معه ومن تبعَه من أولاده.

خامسًا: خصائص السورة في عرض هداياتها:

١. الحديثُ عن خسارةِ أبي لهب في الدنيا: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾.

٢. عدمُ إغناءِ مالهِ وكسبهِ له شيئا: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾.

٣. القطعُ بمصيرهِ في الآخرة: ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾.

٤. بيانُ مصيرِ زوجتهِ وحالها: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. البعدُ عن كلِّ ما يؤذي رسولَ اللهِ ﷺ في نفسهِ وأهلهِ ودينه.

٢. عدمُ الاعتمادِ علىٰ الأسبابِ الماديةِ؛ فإنها لا تغني من عذابِ اللهِ شيئا.

٣. الحرصُ علىٰ الصحبةِ الطيبةِ خاصةً الزوجةِ والأولاد.

٤. اليقينُ بسوءِ عاقبةِ المعاصي وأذيةِ أوليائه الصالحين.

٥. القيامُ بواجبِ الدعوة مهما كان الإعراضُ والأذىٰ من الناس.

٦. توقعُ السوءِ من القريبِ كما يتوقعُه من البعيد.

٧. تهيئةُ النفسِ لتقبلِ الأذىٰ في طريقِ الاصلاحِ والدعوة واحتساب ذلك عند الله.

٨. الثقةُ بكفايةِ الله تعالىٰ لأوليائه مهما كان حجمُ الإعداءِ وقوتهم.

٩. اعتقادُ سوءِ مصيرِ الكفارِ في الآخرة، وخسارتهِم في الدنيا.

١٠. إدراكُ مدىٰ جهادِه ﷺ وتحملهِ في سبيلِ الدعوةِ والاقتداءِ به.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة المسد ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ١٠ ربيع الأول من عام ١٤٣٨هـ

تفسير وهدايات

ســورة الإخلاص

موضوع السورة:

بيانُ صفاتِ اللهِ تعالى المتضمنةُ لتوحيدِه عَزَّ وَجَلَّ

مدخل لدراسة السورة

أولًا: فضلُ السورة:

١- تعدلُ ثلثَ القرآن:

فقد جاء في البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: (أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ)، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ:(اللهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ)[١]، واللفظ للبخاري. وفي روايةِ مسلمٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ). قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: (﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ).

وفي رواية أخرى في البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)[٢].

وفي روايةٍ أخرى لمسلمٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: فَضْلِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ح رقم (٥٠١٥)، ومسلم في صحيحيه كتاب: صلاة المسافرين باب: فَضْلِ قِرَاءَةِ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) ح رقم (١٩٢٢).

(٢) البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: فَضْلِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ح رقم (٥٠١٣).

(احْشِدُوا فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ). فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَقَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُمَّ دَخَلَ فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أُرَى هَذَا خَبَرًا جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ. ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَقَالَ: (إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)(١).

والعلماءُ في تأويلِ معنى هذا الحديثِ على قولين(٢) وهما:

القولُ الأول: أن ذلك يتعلقُ بالثوابِ: فأجرُ من قرأها مثلُ أجرِ من قرأَ ثلثَ القرآنِ، وإذا كررَها القارئُ ثلاثَ مراتٍ كان له ثوابُ من قرأَ القرآنَ كلَّه، قال الإمامُ القصابُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من قرأها ثلاثَ مراتٍ فكأنَّما قرأَ القرآنَ كلَّه»(٣).

والقوُل الثاني: أن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم: فقسموا علومَ القرآنِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: «توحيدٌ، وأحكامٌ، وجزاءٌ على الأعمالِ (وعدٌ ووعيد)، وقد اشتملت هذه السورةُ على التوحيدِ، فهي ثلثُ القرآنِ بهذا الاعتبار، ونقلَ شيخُ الإسلامِ ابنِ تيميةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما ذكرَه أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابهِ «جواهرِ القرآنِ ودررِه» فقال: (أما قولُه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن) ما أراكَ تفهمُ وجه ذلك، فتارةً تقول: ذكرَ هذا للترغيبِ في التلاوةِ، وليس المعنىٰ به التقديرَ- وحاشا منصبَ النبوةِ عن ذلك - وتارةً تقول: هذا بعيدٌ عن الفهمِ والتأويل، فإن آياتِ القرآنِ تزيدُ على ستةِ آلافِ آية، فهذا القدرُ كيف يكونُ ثُلثَها؟ وهذا لقلةِ معرفتك بحقائقِ القرآن، ونظرك إلى ظاهرِ ألفاظه، فتظنُّ أنها

(١) كتاب: صلاة المسافرين باب: فَضْلِ قِرَاءَةِ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) ح رقم (١٩٢٤).

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٣٤)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ١٠٣)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٦٢١).

(٣) نكت القرآن الدالة على البيان (٤/ ٥٦٤).

تعظمُ وتكثرُ بطولِ الألفاظِ وتقصرُ بقِصرِها، وذلك كظنِّ من يؤثرُ الدراهمَ الكثيرةَ علىٰ الجوهرةِ الواحدة؛ نظرًا إلىٰ كثرتِها. فاعلم أن سورةَ الإخلاصِ تعدلُ ثلثَ القرآنِ قطعًا، وترجعُ إلىٰ الأقسامِ الثلاثةِ التي ذكرناها في مهماتِ القرآن، وهي: معرفةُ اللّهِ، ومعرفةُ الآخرةِ، ومعرفةُ الصراطِ المستقيم. فهذه المعارفُ الثلاثةُ هي المهمةُ، والباقي توابع. وسورةُ الإخلاصِ تشتملُ علىٰ واحدةٍ من الثلاث، وهي: معرفةُ اللّهِ، وتقديسُه، وتوحيدُه عن مشاركٍ... نعم ليس فيها حديثُ الآخرة، والصراطِ المستقيم؛ فلذلك تعدلُ ثلثَ القرآن، أي: ثلثُ الأصولِ من القرآنِ كما قال: (الحجُ عرفة) أي: هو الأصلُ والباقي تبع»[1].

وقال مصطفىٰ المراغي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله ﷺ: «(إنها تعدلُ ثلثَ القرآن)؛ لأنَّ من عرفَ معناها، وتدبرَ ما جاء فيها حقَّ التدبرِ علمَ أن ما في الدينِ من التوحيدِ والتنزيهِ تفصيلٌ لما أجملَ فيها»[2].

والذي ينظرُ للأحاديثِ يجدُ أن كلا القولين صحيح، ولا مانعَ من اجتماعِهما في فضلِها، فالأحاديثُ منها ما هو صريحٌ في أن ثوابَ قراءتِها يعدلُ ثلثَ القرآن، كقوله ﷺ: (أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ). قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ).

ومنها ما هو صريحٌ فيما تضمنتهُ من المعاني يعدلُ ثلثَ معاني القرآنِ كقولِه ﷺ الذي سوف يأتي في صحيحِ مسلم: (إِنَّ اللهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ)[3].

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (التفسير) (٥/ ١٣٠).

(٢) تفسير المراغي (١٠ / ٥١٤).

(٣) صحيح مسلم كتاب: صلاة المسافرين، باب: فَضْلِ قِرَاءَةِ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) ح رقم (١٩٢٣).

٢- حبُّها يورثُ حبَّ اللهِ تعالى:

فقد جاء في صحيح البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَىٰ سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: (سَلُوهُ لأَيِّ شيءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ). فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: (أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ)[١].

٣- حبُّها يدخلُ الجنةَ دارَ السلام:

وقد جاء في صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِها لَهُمْ فِي الصَّلاَةِ مِمَّا يُقْرَأُ بِهِ افْتَتَحَ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَىٰ مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ ثُمَّ لا تَرَىٰ أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّىٰ تَقْرَأَ بِأُخْرَىٰ، فَإِمَّا تَقْرَأُ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَىٰ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: (يَا فُلاَنُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ)، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا فَقَالَ: (حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ)[٢].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب: التوحيد، باب: مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ح رقم (٧٣٧٥)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين باب: فَضْلِ قِرَاءَةِ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) ح رقم (١٩٢٤).

(٢) صحيح البخاري: كتاب: الصلاة، باب: الْجَهْرِ بِقِرَاءَةِ صَلاَةِ الْفَجْرِ ح رقم (٧٧٤).

وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَجَبَتْ). قُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: (الْجَنَّةُ)[1].

٤- بقراءتِها يُبنى لك قصورٌ في الجنةِ:

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: (من قرأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشرَ مراتٍ بنىٰ اللهُ له بيتًا في الجنةِ)، فقال عمرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذًا نستكثرُ يا رسولَ الله، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: (اللهُ أكثرُ وأطيب)[2].

٥- قراءتُها حصنٌ ورقيةٌ وشفاء:

فقد جاء في صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)[3].

وعنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَبِيبٍ عَنْ أَبِيهِ، قَال: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ

---

(١) أخرجه الترمذي ح رقم (٢٨٩٧)، والنسائي ح رقم (١٠٦٦)، والبيهقي في شعب الإيمان ح رقم (٢٥٣٨)، وقَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٢/ ٢٣٥) ح رقم (٢٠٧٩).

(٢) أخرجه الأمامُ أحمدُ في المسند برقم ١٥٦٨٤، والطبرانيُّ في المعجمِ الكبير ح رقم (٣٩٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع للشيخ الألباني ح رقم (٦٤٧٢).

(٣) صحيح البخاري: فضائل القرآن: الصلاة، باب: فَضْلِ الْمُعَوِّذَاتِ ح رقم (٥٠١٧).

مُظْلِمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطلب رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا، قَالَ: فَأَدْرَكْتُهُ، فَقَالَ: قُلْ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: قُلْ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: قُلْ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)[١].

٦- قراءتُها سُنّةٌ في ركعتي الفجرِ والمغرب والطوافِ والوتر:

ومما يدل علىٰ فضلِها: شرعت قراءتُها في أعظمِ السننِ المؤكدةِ، ركعتي الفجر التي قال عنها النبي ﷺ في حديثٍ: (رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)[٢]، وفي الرواية الأخرىٰ في مسلم: (لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا)، فقد جاء في صحيح مسلمٍ كذلك عَنْ أَبِىٰ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، وَ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٣].

وكان يقرأ بها في ركعتي الطوافِ التي شرفت حالًا ومكانًا، فقد جاء عن جابرِ بن عبدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسولَ اللهِ ﷺ قرأ في ركعتي الطوافِ بسورتي الإخلاص ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ و ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾)[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود ح رقم (٥٠٨٤)، والترمذي ح رقم (٣٥٧٥)، وقال، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع ح رقم (٤٤٠٦).

(٢) صحيح مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، اسْتِحْبَابِ رَكْعَتَيْ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِمَا وَتَخْفِيفِهِمَا وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا وَبَيَانِ مَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يُقْرَأَ فِيهِمَا. ح رقم (١٧٢١).

(٣) صحيح مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، اسْتِحْبَابِ رَكْعَتَيْ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِمَا وَتَخْفِيفِهِمَا وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا وَبَيَانِ مَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يُقْرَأَ فِيهِمَا. ح رقم (١٧٢٣).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه في باب ما جاء ما يقرأ في ركعتي الطواف ح رقم (٨٦٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه ح رقم (١٦٠٧٠)، والحديث صحيح.

وكان يقرأُ بها في ركتي المغرب، وفي الوترِ قبلَ أن ينام الذي جاء التأكيد عليه فيما جاء في الصحيحين عَنْ أَبِىٰ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: (بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَي الضُّحَىٰ، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ)[١]، فقد جاء عن ابنِ عمرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَمَقْتُ النبيَّ ﷺ أربعا وعشرين مرةً أو خمسًا وعشرين مرةً يقرأُ في الركعتين قبلَ الفجرِ وبعدَ المغرب: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٢]. وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْرَأُ فِي الْوِتْرِ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَىٰ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وَفِي الثَّانِيَةِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَفِي الثالثة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»[٣].

قال ابنُ قيمِ الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «سمعتُ شيخَ الإسلامِ ابنِ تيميةِ رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: سنةُ الفجرِ تجري مجرىٰ بدايةِ العمل، والوترُ خاتمتُه؛ ولذلك كان النبيُّ ﷺ يصلي سنةَ الفجرِ والوترِ بسورتي الإخلاص، وهما الجامعتان لتوحيدِ العلمِ

(١) صحيح البخاري: كتاب: الصوم، باب: صِيَامِ أَيَّامِ الْبِيضِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ ح رقم (١٩٨١)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين باب: اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ الضُّحَىٰ وَأَنَّ أَقَلَّهَا رَكْعَتَانِ وَأَكْمَلَهَا ثَمَانِ رَكَعَاتٍ وَأَوْسَطَهَا أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ أَوْ سِتٌّ وَالْحَثِّ عَلَىٰ الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا ح رقم (١٧٠٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ح رقم (١٥٣٩٠)، والنسائي ح رقم (٤٤٦)، والترمذي ح رقم (٤٦١)، وابن ماجة ح رقم (١١٧١)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٤٦٢٩)، والحاكم في المستدرك ح رقم (٣٩٢٠)، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ح رقم (٥٦٩١)، والنسائي ح رقم (١٠٦٤)، والترمذي ح رقم (٤١٧)، وقال التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وابن ماجة ح رقم (١١٤٩)، والبيهقي في شعب الإيمان ح رقم (٢٥٥٥)، وابن حبان ح رقم (٢٤٥٩) وصححه، فال: إسناده صحيح علىٰ شرطهما، وصححه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجة، والحديث جاء بروايات متعددة.

والعمل، وتوحيدِ المعرفةِ والإرادة، وتوحيدِ الاعتقادِ والقصد»[١].

٧- هي سورةٌ خالصةٌ في التعريفِ باللهِ تعالى:

وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ قال: (إِنَّ اللهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ فَجَعَلَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ). فمن فضائلِها أنها خالصةٌ في الحديثِ عن عظيمِ صفاتِه جلَّ وعلا، وتنزيهِه عن كلِّ ما لا يليقُ به تعالىٰ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « فسورةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ متضمنةٌ لتوحيدِ الاعتقادِ والمعرفةِ، وما يجبُ ثباتُه للربِّ تعالىٰ من الأحديةِ المنافيةِ لمطلقِ المشاركةِ بوجهٍ من الوجوه، والصمديةِ المثبتةِ له جميعُ صفاتِ الكمالِ التي لا يلحقَها نقصٌ بوجهٍ من الوجوه، ونفي الولدِ والوالدِ الذي هو من لوازم الصمديةِ وغناه وأحديتِه، ونفيُ الكفءِ المتضمنِ لنفي التشبيهِ والتمثيلِ والتنظيرِ، فتضمنت هذه السورةُ: إثباتَ كلِّ كمالٍ له، ونفيَ كلِّ نقصٍ عنه، ونفيَ إثباتِ شبيهٍ أو مثيلٍ له في كمالِه، ونفيَ مطلقِ الشريكِ عنه، وهذه الأصولُ هي مجامعُ التوحيدِ العلمي الاعتقادي الذي يباينُ صاحبُه جميعَ فرقِ الضلالِ والشرك؛ ولذلك كانت تعدلُ ثلثَ القرآنِ؛ فإن القرآنَ مدارُه علىٰ الخبرِ والإنشاءِ، والإنشاءُ ثلاثةٌ: أمرٌ ونهي وإباحة، والخبرُ نوعان: خبرٌ عن الخالقِ تعالىٰ وأسمائِه وصفاتِه وأحكامِه، وخبرٌ عن خلقِه، فأخلصَت سورةُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الخبرَ عنه وعن أسمائِه وصفاتِه فعدلت ثلثَ القرآن، وخلصت قارئَها المؤمن بها من الشركِ العلمي كما خلصت سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ من الشركِ العلمي الإرادي القصدي، ولما كان العلمُ قبلَ العملِ، وهو إمامُه وقائدُه وسائقُه والحاكمُ عليه ومنزلُه منازلَه

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٢٩٨).

كانت سورةُ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدلُ ثلثَ القرآن، والأحاديثُ بذلك تكادُ تبلغُ مبلغَ التواتر»(١).

قال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكشاف: «فإن قلت: لم كانت هذه السورةُ عدلَ ثلث القرآنِ كلِّه على قصرٍ منها وتقاربِ طرفيها؟ قلت: لأمرٍ ما يسودُ من يسود، وما ذاك إلا لاحتوائِها على صفاتِ اللهِ تعالى وعدلهِ وتوحيده، وكفى دليلًا من اعترافٍ بفضلِها، وصدقٍ بقولِ رسولِ اللهِ ﷺ فيها: إنّ علمَ التوحيدِ من اللهِ تعالى بمكان، وكيف لا يكون كذلك والعلمُ تابعٌ للمعلوم: يشرفُ بشرفهِ، ويتضعُ بضعته؛ ومعلومٌ هذا العلمُ هو اللهُ تعالى وصفاتُه، وما يجوزُ عليه وما لا يجوز، فما ظنُّك بشرفِ منزلتهِ وجلالةِ محلهِ، وإنافتهِ على كلِّ علم، واستيلائهِ على قصبِ السبقِ دونه؛ ومن ازدراه فلضعفِ علمهِ بمعلومه، وقلةِ تعظيمه له، وخلوهِ من خشيته، وبعدِه من النظرِ لعاقبته... وتسمى سورةُ الأساسِ لاشتمالها على أصولِ الدين»(٢).

٨- تضمنها لاسمِ اللهِ الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب:

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الأسلمي عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّى أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِى لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ: (لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٢٩٨).

(٢) الكشاف (٧/ ٣٣٨).

بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ)[١].

ثانيًا: أسماءُ السورةِ وسببُ التسميةِ:

ذكرَ العلماءُ لهذه السورةِ أسماءَ كثيرة[٢]، كلُّها تدلُ على فضلِها ومنزلتها، لأن تعددَ الأسماءِ تدلُ على شرفِ المسمى، من أبرزِها:

١- سورة الإخلاص: سميت به في أكثرِ المصاحف، وفي عددٍ من كتبِ السننِ فقد جاء في جامعِ التِّرمذي: (بابُ ما جاءَ في سورةِ الإخلاص)[٣]، وكذلك في سننِ النسائي، وشعبِ الإيمان للبيهقي، ومستدركِ الحاكم وغيرِهم. وسميت بهذا الاسمِ؛ لأن اللهَ تعالى أخلصها لنفسهِ فليس فيها إلا الكلامُ عن اللهِ تعالى وصفاتهِ، فلا يوجدُ فيها أمرٌ ولا نهى ولا وعدٌ ولا وعيد؛ ولأنَّ فيها تعليمَ الناسِ إخلاصَ العبادةِ للهِ تعالى، وتصفيتَها من الإشراكِ به غيرَه في الإلهيةِ، فهي تخلصُ قائلَها من الشركِ إذا قرأها معتقدًا لما دلت عليه، واشتهرَ هذا الاسمُ لاختصارِه وجمعهِ لمعاني هذه السورة.

٢- سورةُ «قل هو الله أحد» وهو المشهورُ بها في عهدِ النبيِّ ﷺ وفيما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ح رقم (٢٣٠٠٢)، وأبي داود ح رقم (١٤٩٣)، والترمذي ح رقم (٣٤٧٥)، وابن ماجة ح رقم (٣٨٥٧)، وابن حبان ح رقم (٢٣٨٣)، والحاكم في المستدرك ح رقم (١٨٥٨)، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح وضعيف أبي داود.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١١/ ٣٥٦)، وبصائر التمييز (١/ ٥٥٣)، والإتقان في علوم القرآن (٢/ ٣٦٧)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٩)، وتفسير حدائق الروح والرياح في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين الهرري (٣٢/ ٤٣٤).

(٣) سنن الترمذي (٤/ ٢٤٠).

جرىٰ من لفظهِ، وفي أكثرِ ما روي عن الصحابةِ تسميتُها، كقولهِ ﷺ: (﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدِل ثلث القرآن)، وهو ظاهرٌ في أنه أرادَ تسميتَها بتلك الجملةِ؛ لأجلِ تأنيثِ الضمير من قولهِ: (تَعدل) فإنه علىٰ تأويلِها بمعنىٰ السورة، وقد روي عن جمعٍ من الصحابةِ ما فيه تسميتُها بذلك، فذلك هو الاسمُ الوارد في السنة.

٣- سورةُ (الله الواحد الصمد)، وأخذَ هذا من حديثِ البخاري أن رسول الله ﷺ قال: (اللهُ الواحدُ الصمد) ثُلُثُ القرآن، فذكرَ ألفاظًا تخالفُ ما تقرأ به، ومحمله علىٰ إرادةِ التسمية.

٤- وسميت بسورةِ التوحيد: لأنها تشتملُ علىٰ إثباتِ أنه تعالىٰ واحد.

٥- وسميت بسورةِ الأساس: لاشتمالِها علىٰ توحيدِ الله وهو أساسُ الإسلام[١].

٦- وسميت بسورةِ الصمد: لأنَّ هذا اللفظَ خصَّ بها. ذكره البقاعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نظمِ الدرر حيث قال: «وتسمىٰ الأساس والمقشقشة وقل هو الله أحد»[٢].

وذكرَ الرازيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفسيرِ عشرين اسمًا بإضافةِ عنوانِ سورةٍ إلىٰ كلِّ اسمِ منها ولم يذكرْ أسانيدَها مثل: (سورةُ المعرفة، وسورةُ الجمال، وسورةُ النجاة، وسورةُ النور، وسورةُ المعوذة، وسورةُ التفريد، وسورةُ التجريد... وغيرها)[٣].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٧/ ٢٩٤)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٩).

(٢) انظر: نظم الدرر (٨/ ٥٧٥).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١١/ ٣٥٦).

واختلفَ العلماءُ في مكِّيَّتها ومدنيتها، والجمهورُ علىٰ أنها مكية، وقال قتادةُ والضحاكُ والسديُّ وأبو العالية ومحمد بن كعبَ القرظي: هي مدنية، ونسب كلا القولين إلىٰ ابن عباس.

ثالثًا: سبب نزول السورة:

فقد جاء عن أبي العاليةِ عن أبي بن كعبٍ أن المشركين قالوا: يا رسولَ الله انسبْ لنا ربَّك، فأنزلَ اللهَ تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، فالصمدُ الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ لأنه ليس شيءٌ يولدُ إلا سيموت، ولا شيءَ يموتُ إلا سيورث، وإن اللهَ لا يموت ولا يورث ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، قال: لم يكن له شبيه، ولا عدلَ وليس كمثلهِ شيء)[1].

رابعًا: موضوعُ السورة:

موضوعُ السورةِ في إخلاصِ التوحيدِ لله تعالىٰ بإثباتِ الكمالِ له، ونفي شوائبِ النقصِ عنه، المثمرِ لحسنِ الأقوالِ والأفعال، وثباتِ اللجوءِ والاعتمادِ عليه في جميعِ الأحوال، وعلىٰ ذلك دلَّ اسمُها الإخلاصُ الموجبُ للخلاصِ.. فهذه السورةُ أعظمُ مفيدِ للتوحيدِ في القرآنِ؛ لأنها تبيَّن توحيدَه بصورةٍ جامعةٍ لا تحتاجُ إلىٰ أيةِ إضافة[2].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، والترمذي في السنن، والبيهقي في شعب الإيمان، والحاكم في المستدرك: وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبي في التلخيص وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح، وقال الألباني: حسن دون قوله: (والصمد الذي) في صحيح سنن الترمذي.

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٣٤)، والدرر للبقاعي (٨/ ٥٧٥).

خامسًا: المناسبةُ بين سورةِ المسد والإخلاصِ:

لما بيَّنَ تعالىٰ في سورةِ المسدِ عداوةَ أقربِ الناسِ إلىٰ الرسولِ ﷺ، وهو عمُه أبو لهب، وكان سببُ تلك العداوةِ ما يعتقدُه من عقائدَ فاسدةٍ، والتي منها تلك الأصنامُ التي اتخذوها آلهةً مع اللهِ، واعتقادُهم أن الملائكةَ بناتُ اللهِ تعالىٰ جاءت هذه السورةُ مصرحةً بالتوحيد، هادمةً لكلِّ المذاهبِ المخالفةِ له [1].

وقيل: « أنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ لما ذمَّ فيما قبلَها أعداءَ أهلِ التوحيدِ وأعداءَ الرسول ﷺ.. بيَّن في هذه حقيقةَ التوحيدِ الذي هو أساسُ الدينِ ومبنىٰ أركانِه»[2].

(١) البحر المحيط أبو حيان الأندلسي (٨/ ٣٩٥).

(٢) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين الهرري (٣٢/ ٤٣٥).

موضوع السورة

بيانُ صفاتِ اللهِ تعالى المتضمنةُ لتوحيدِه تعالى

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

أولًا: معاني الكلمات:

- ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: بمعنىٰ الواحد، وقد فرقَ بعضُ العلماءِ بين الأحدِ والواحد، وقيل: إنَّ الأحدَ أبلغُ من الواحد، يقال فلانٌ لا يقاومُه أحدٌ نفيًا للكلِّ، ويقالُ لا يقاومُه واحد، ويجوز أن يقاومَه اثنان، وأيضا فإنَّ الواحدَ يكون الذي يليه الثاني والثالث في العددِ، والأحدُ لا يكون بمعنىٰ هذا الحال، وأكثرُ المفسرين أنه بمعنىٰ الواحد(١).

- ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾: فيه أقوال أحدها: أنه الذي يصمدُ إليه في الحوائجِ، والآخرُ أنه هو الذي انتهىٰ في السؤددِ وبلغَ كماله، والقولُ الثالث: أنه الذي ليس له جوفٌ أي لا يأكلُ، والقولُ الرابع: أن تفسيرَه قولُه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، وقيل: إنه الباقي الذي لا يفنىٰ، وقيل: إنه الدائمُ الذي لا يزول، وقيل: الذي ليس فوقَه أحد، وقيل: الذي لا تعتريه الآفات، وقيل: هو الكاملُ الذي لا

(١) تفسير القرآن لأبي مظفر السمعاني (٣/ ٣٠٥).

عيبَ فيه، وقيل: المستغني عن كلِّ أحدٍ والمحتاجُ إليه كلُّ أحد(١).

▪ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾: أي ليس له والد ولا ولد.

▪ ﴿كُفُوًا أَحَدٌ﴾: الكفؤ هو النظيرُ والمماثلُ، أي: لم يكن أحدٌ نظيرًا له ولا شبيهًا ولا مثيلا، ومعنىٰ أحدٍ في آخرِ السورةِ غيرُ معنىٰ أحدٍ في أولِ السورة.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. يفيدُ افتتاحُ السورةِ بالأمرِ بالقولِ إظهارُ العنايةِ بأمرِ التوحيدِ أساسِ الدين، ووجوبِ إعلانهِ للناسِ بصورةٍ واضحةٍ بيِّنةٍ ساطعة، فهو الحقُّ المبينُ الذي يجبُ تبليغُه للناسِ ببراهينهِ القاطعة، فهي ليست في الأمرِ بالإيمان؛ بل هي في الأمرِ بإعلانهِ للناس، كما قال تعالىٰ عن مؤمن آل ياسين: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٠ - ٢٧]، فاعلانُ التوحيدِ، والصدعُ به من أعظم القربات.

٢. تفيدُ شرفَ النبيِّ ﷺ الذي خوطبَ بقولهِ تعالىٰ: ﴿قُلْ﴾ أي يا أكرمَ الخلقِ، وخيرَ من يفهمُ عن ربهِ بلغْ هذا القولَ العظيمَ للناسِ، والخطابُ له

---

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٨/ ٥٨٨)، وتفسير القرآن لأبي مظفر السمعاني (٣/ ٣٠٥)، زاد المسير في علم التفسير ٢/ ٦، والبحر المحيط أبو حيان الأندلسي (٨/ ٣٩٥) وغيرها.

أولًا وللأمةِ الداعيةِ بأمرِه علىٰ بصيرة بعدَه.

٣. تفيدُ عمومَ رسالةِ الإسلام، القائمِ علىٰ التوحيدِ؛ لأنَّ إطلاقَ الأمرِ بعدمِ التقييدِ بمقولٍ له يُفهمُ عمومَ الرسالة، وأن المرادَ كلَّ من يمكنُ القولُ له سواء كان سائلًا عن ذلك بالفعلِ أو بالقوةِ حثًا علىٰ استحضارِ - ما لربِّ هذا الدين - من العظمةِ والجلال، والكبرياءِ والكمال.

٤. تفيدُ الابتداءَ بذكرِ لفظِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهُ﴾ الذي افتتحت به هذه السورةُ المعرفةُ به جلَّ وعلا عظمةَ هذا الاسم، حيث هو الاسمُ المختصُ به، الجامعُ لجميعِ معاني الأسماء الحسنىٰ، والدالُ علىٰ جميعِ صفاتِ الكمالِ والجلالِ والجمال.

٥. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ واحدٌ لا ثاني معه، فهو نفيٌ للعددِ، فلا إله سوىٰ الواحدِ القهار، وفي ذلك ردٌ علىٰ من يعتقدون تعددَ الإله في ذاتِه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: ٤ - ٥]، وقال تعالىٰ ردًا لمن لا يعتقدون ذلك: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

٦. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ واحدٌ متفردٌ بالوحدانيةِ من جميعِ الوجوهِ في ألوهيتهِ وربوبيتهِ وفي أسمائهِ وصفاتهِ لا نظيرَ له في صفاتهِ ولا وزيرَ ولا نديدَ ولا شبيه ولا عديلَ، ولا شريكَ كما تقول: فلانٌ واحدُ عصره أي لا نظيرَ له، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن

﴿لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء: ١١١]، فهو أحدٌ لا يحتاجُ إلىٰ أحدٍ، وليس فوقَه أحد.

٧. تفيدُ وجوبَ قولِ: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قولًا جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناها، أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحدُ المنفردُ بالكمال، الذي له الأسماءُ الحسنىٰ، والصفاتُ الكاملةُ العليا، والأفعالُ المقدسة، الذي لا نظيرَ له ولا مثيل(١).

٨. تفيدُ اتصافَ الله تعالىٰ بالوحدانيةِ، فـ ﴿أَحَدٌ﴾ من صفاتهِ جلَّ وعلا، فلا يطلقُ هذا اللفظُ علىٰ أحدٍ في الإثباتِ إلا علىٰ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال الأزهريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يوصفُ شيءٌ بالأحديةِ غيرَ اللهِ تعالىٰ، لا يقال: رجلٌ أحدٌ ولا درهمٌ أحد كما يقالُ رجلٌ واحدٌ أفرد به؛ بل ﴿أَحَدٌ﴾ صفةٌ من صفاتِ الله تعالىٰ استأثرَ بها، فلا يشركُه فيها شيء، فهو أحدٌ بذاته، وأحد بصفاته، وأحد في أفعاله»(٢).

٩. يفيدُ وصفُه بالوحدانيةِ أنه ليس قبلَه شيءٌ، ولا بعدَه شيءٌ، فهو المتوحدُ بالأزلِ الباقي بعدَ فناءِ الخلق، فلا نظيرَ له في وحدانيتهِ.

١٠. تفيدُ وجوبَ تنزيهِ اللهِ تعالىٰ عن مماثلةِ شيءٍ من الخلقِ له تعالىٰ، قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه كما يجبُ تنزيه الربِّ عن كلِّ نقصٍ وعيبٍ يجبُ تنزيهُه عن أن يماثلَه شيءٌ من المخلوقاتِ في شيءٍ من صفاتِ الكمالِ الثابتةِ له، وهذان النوعان يجمعان التنزيه الواجبَ لله و ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٩٣٧).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٢/ ١٧١).

﴿أَحَدٌ﴾ دلت على النوعين: فقوله: ﴿أَحَدٌ﴾ مع قوله ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ينفي المماثلةَ والمشاركةَ، وقوله﴿ٱلصَّمَدُ﴾يتضمنُ جميعَ صفاتِ الكمال، فالنقائصُ جنسُها منفي عن اللهِ تعالىٰ، وكلُّ ما اختصَ به المخلوقُ فهو من النقائصِ التي يجبُ تنزيه الربِّ عنها بخلافِ ما يوصفُ به الرب ويوصفُ العبدُ بما يليقُ به، مثل العلمِ والقدرةِ والرحمةِ ونحو ذلك فإن هذه ليست نقائصَ بل ما ثبت للهِ من هذه المعاني فإنه يثبت لله علىٰ وجهٍ لا يقاربه فيه أحدٌ من المخلوقاتِ فضلًا عن أن يماثلَه فيه»[١].

١١. تفيد أن اللهَ تعالىٰ هو موجدُ الموجوداتِ، وخالقُ الأشياءِ وفاطرُها، وبه قوامُها إذ لا تقومُ بأنفسِها[٢].

١٢. تفيد أنه حيٌّ قادرٌ عليمٌ سميعٌ بصيرٌ؛ لأن الخلقَ يستدعي القدرةَ والعلمَ وتلك الصفاتِ، لكونه واقعًا علىٰ غايةِ إحكامٍ واتساقٍ وانتظام[٣].

١٣. تفيد أن اعتقادَ أحديتِهِ سبحانه وتعالىٰ تورثُ في القلبِ حبَّه وتعظيمَه؛ لأن التفردَ بذلك يقتضي الكمالَ والجمالَ.

١٤. تفيد أن براهين وحدانيتِهِ تعالىٰ بارزةٌ لا تحتاجُ إلىٰ كثرةِ جدالٍ؛ بل ينبغي أن يقالَ ذلك ويعتقد، وقد أقامَ اللهُ في القرآنِ الكريمِ براهينَ قاطعةً علىٰ وحدانيتهِ؛ وهي كثيرةٌ جدا من أوضحِها أربعةُ براهين:

- الأولُ: قولُه تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (١٧/ ٣٢٦).

(٢) انظر: الكشاف (٦/ ٤٦١)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٣٦).

(٣) الكشاف (٦/ ٤٦١).

[النحل: ١٧]؛ لأنه إذا ثبت أن اللهَ تعالىٰ خلقَ جميعَ الموجودات لا يمكن أن يكون واحدٌ منها شريكًا له.

- والثاني: قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

- والثالثُ: قولُه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢].

- والرابعُ: قوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١][(١)].

١٥. تفيدُ أن الصمدَ من أسماءِ الله تعالىٰ»وعُرِفَ بالصمدِ لاختصاصهِ به تعالىٰ، ولا يوصفُ به غيرُه بوجه[(٢)].

١٦. تفيد أن اللهَ تعالىٰ هو المقصودُ في الحوائجِ، المستغاثُ به في المصائبِ علىٰ الدوام، يصمدُ ويَلْجأُ إليه جميعُ الخلقِ في كلِّ أمورِهم وحوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتِهم، وهو القادرُ علىٰ قضائِها، فأهلُ العالمِ العلوي والسفلي مفتقرون إليه غايةَ الافتقارِ، فقد جاء عن ابنِ عباس في قولهِ تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ يعني: «الذي يصمدُ الخلائقُ إليه في حوائجِهم ومسائِلهم»[(٣)] كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٣٦).

(٢) انظر: تفسير الإمام ابن عرفة (١/ ٣٦٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨/ ٥٢٨).

[النحل: ٥٣ – ٥٤].

١٧. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ هو الغنيُّ الحميدُ الذي لا يفتقرُ إلىٰ غيره، ولا يستغنىٰ عنه شيءٌ من خلقه، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

١٨. تفيد أن اللهَ تعالىٰ هو: السيدُ الذي قد كملَ في سؤددِه، والشريفُ الذي قد كملَ في شرفِهِ، والعظيمُ الذي قد عظمَ في عظمتِهِ، والحليمُ الذي قد كملَ في حلمِهِ، والغنيُّ الذي قد كملَ في غناه، والجبارُ الذي قد كملَ في جبروته، والعالمُ الذي قد كملَ في علمه، والحكيمُ الذي قد كملَ في حكمته(١)، والعليمُ الذي قد كملَ في علمه، والرحيمُ الذي كملَ في رحمته التي وسعت كلَّ شيء، وهكذا سائرُ أوصافِهِ فقد كملَ في أنواعِ الشرفِ والسؤدد كلِّها.

١٩. تفيد أن اللهَ تعالىٰ عالمٌ بجميعِ المعلومات، لأن كونه سيدًا مرجوعًا إليه في قضاءِ الحاجات لا يتمُّ إلا بذلك(٢).

٢٠. تفيد أن اللهَ تعالىٰ كريمٌ برٌّ رحيم، لأنه لا يصمدُ إليه إلا أن يكونَ هكذا، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

٢١. تفيدُ إبطالَ عقيدةِ مشركي العرب الذين يعتقدون بالوسائطِ والشفعاء، وأن لهم منزلةً عند ربِّهم بها يتوسطون لغيرِهم في نيلِ مبتغاهم، فيلجؤون إليهم أحياءً وأمواتا، وأن اللهَ تعالىٰ يقضي حوائجَ العبادِ دونَ واسطة.

---

(١) قاله ابن عباس. انظر: جامع البيان للطبري (١٠/ ٨٨٣٣)، والتفسير الصحيح د.حكمت بن بشير ياسين (٤/ ٦٨١)

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١١/ ٦٧١).

٢٢. تفيد أن اللهَ تعالىٰ هو الدائمُ الباقي بعد فناءِ خلقه، لم يزل ولا يزولُ(١).

٢٣. تفيد أن الله تعالىٰ هو الكبير المتعال، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، قال الحسين بن الفضل البجلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصمد هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه»(٢).

٢٤. تفيد أن من اعتقدَ صمديتَه المقتضيةَ لكمالِهِ في جميعِ صفاتِهِ وأفعالِهِ أنتجَ له ذلك الاعتقادُ كمالَ التفويضِ والتوكلِ عليه جل وعلا في جميعِ أموره، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

٢٥. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ الأحدَ الصمد هو الإله الذي لا تنبغي الالوهيةُ إلا له، ولا تصلحُ العبادةُ لسواه، فهو الخالقُ، المصورُ، المدبرُ، المعبودُ بحق.

٢٦. تفيدُ ضلالَ الذين يقصدون غيرَ اللهِ تعالىٰ في قضاءِ حوائجِهم، أو يجعلون غيرَه أكفاءَ وشركاءَ له، ممن لا يملكون شيئا، ولا يستطيعون قضاءَ أمرٍ، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) ذكره قتادة. انظر: جامع البيان للطبري (١٠ / ٨٨٣٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/ ٧٢٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤٦٧)، وفتح القدير (٥/ ٦٩٨).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١١/ ٦٧٢).

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤] فمن عرفَ اللهَ تعالىٰ لم يسألْ أحدًا سواه، ولجعل غناه بمولاه.

٢٧. تفيد أن اللهَ تعالىٰ ليس له ولدٌ؛ لأن الولدَ لا يكون إلا لمن له زوجةٌ، والله تعالىٰ ليس له زوجةٌ، وإليه الإشارةُ بقوله تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٠١].

٢٨. تفيد أن اللهَ تعالىٰ مالكُ كلِّ شيءٍ وخالقُه، فكيف يكونُ له من خلقهِ نظيرٌ يساميه، أو قريبٌ يدانيه، تعالىٰ وتقدس وتنزه[1].

٢٩. تفيد أن نسبةَ الولدِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ من أعظمِ الضلالِ في العقيدة كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨- ٩٥]. وقد جاء في صحيحِ البخاري: «لا أحدَ أصبرُ علىٰ أذىً سمعهِ من الله، إنهم يجعلون له ولدا، وهو يرزقُهم ويعافيهم». وقد جاء في صحيح البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨/ ٥٢٩).

أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا)(١).

٣٠. تفيدُ الردَ لقولِ اليهود: عزيرٌ ابنُ الله، ولقولِ النصارىٰ: المسيحُ ابنُ الله، ولقولِ المشركين إن الملائكةَ بناتُ الله، فهو لم يصدر عنه الولد ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فردَ اللهُ تعالىٰ علىٰ الجميعِ في أنه ليس له ولدٌ، لأن الولدَ لابد أن يكون من جنسِ والده، والله تعالي أزلي قديم، ليس كمثلهِ شيء، فلا يمكن أن يكون له ولد.

٣١. تفيدُ كمال غناه؛ لأنه من كمالهِ أنه ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأن الوالدَ إنما يتخذُ ولدًا للحاجةِ إليه، واللهُ تعالىٰ لا يفتقرُ إلىٰ شيءٍ فلا يتخذُ ولدًا(٢)، وإلىٰ هذا أشارَ بقوله: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٦٨]، ومن هنا تمدحَ اللهُ تعالىٰ بنفي الولد فقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

٣٢. تفيد أن اللهَ تعالىٰ لا يفنىٰ؛ إذ لا شيءَ يلدُ إلا وهو فانٍ بائدٌ لا محالة، وليس شيءٌ يموتُ إلا سيورث، وإن اللهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يموتُ ولا يورث(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه)، ح رقم (٤٢١٢).

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٣٧).

(٣) انظر: جامع البيان (١٠/ ٨٨٣٤)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨/ ٥٢٩)، وأيسر التفاسير (٤/ ٦٢٨).

٣٣. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ لم يولد من أب ولا أم ﴿وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ أي: ليس بمُحْدَثٍ لم يكن فكان؛ لأن كلَّ مولودٍ فإنما وجد بعد أن لم يكن، وحدثَ بعد أن كان غيرَ موجود، واللهُ تعالىٰ قديمٌ أزلي، فهو الذي كان ولم يكن معه شيءٌ غيرُه، فلا يصحُ أن يكون مولودا ولا أن يكون له والد (١).

٣٤. تفيد أنه تعالىٰ كما هو متصفٌ بالكمالاتِ فإنه منزهٌ عن النقائصِ، فيجبُ قولُ ذلك واعتقادُه.

٣٥. تفيد أن القرآنَ يبدأُ في معالجةِ الشُّبهِ بالأهم، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما وقعت البداءةُ بأنه لم يلد، لأنهم ادعوا أن له ولدًا، وذلك لأن مشركي العرب قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، وقالت اليهودُ عزيرٌ ابن الله، وقالت النصارىٰ المسيحُ ابنُ الله ولم يدع أحدٌ أن له والدًا، فلهذا السببِ بدأَ بالأهم»(٢).

٣٦. يفيدُ قولُه: ﴿وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ حجةً لنفي الولدِ، كأنه قيل: الدليلُ علىٰ امتناعِ الولدية اتفاقنا علىٰ أنه ما كان ولدًا لغيرِه.

٣٧. تفيدُ دقةَ القرآنِ الكريم في نفيهِ شبهةَ الولدِ عن الله تعالىٰ، بقولهِ هنا ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾ بقولهِ هنالك ﴿لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا﴾ [الإسراء: ١١١]، وذلك لأن «الولدَ يكون علىٰ وجهين: أحدُهما: أن يتولدَ منه مثلُه، وهذا هو الولدُ الحقيقي. والثاني: أن لا يكونَ متولدًا منه ولكنه يتخذُه ولدًا ويسميه هذا الاسم، وإن لم يكن ولدًا له في الحقيقةِ، والنصارىٰ فريقان: منهم من قال: عيسىٰ ولدُ اللهِ حقيقةً، ومنهم من قال: إن اللهَ اتخذَه ولدًا تشريفًا له، كما اتخذَ إبراهيمَ خليلًا

---

(١) انظر: جامع البيان (١٠/ ٨٨٣٤).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١١/ ٣٦٣).

تشريفًا له، فقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيه إشارةٌ إلىٰ نفي الوالد في الحقيقةِ، وقولُه: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ (الإسراء: ١١١) إشارةٌ إلىٰ نفي القسمِ الثاني»[١].

٣٨. تفيد أن اللهَ تعالىٰ هو الأولُ الذي ليس قبلَه شيءٌ ولا معه، والآخرُ الذي ليس بعدَه شيء، فهو الخالقُ لكلِّ شيءٍ من العدم، القائمُ علىٰ كلِّ شيء كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

٣٩. تفيدُ بالإيماءِ إلىٰ أن من يكون مولودًا مثل عيسىٰ لا يكون إلهًا؛ لأنه لو كان الإله مولودًا لكان وجودُه مسبوقًا بعدمٍ لا محالة، وذلك محال؛ لأنه لو كان مسبوقًا بعدمٍ لكان مفتقرًا إلىٰ من يُخصصه بالوجودِ بعد العدم، فحصلَ من مجموعِ جملة: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ إبطالُ أن يكونَ اللهُ والدًا لِمولودٍ، أو مولودًا من والد بالصراحة وبطلت إلهية كلِّ مولودٍ بطريقِ الكناية، فبطلت العقائدُ المبنيةُ علىٰ تولدِ الإله[٢].

٤٠. تفيد أن اللهَ تعالىٰ ليس كمثلهِ شيءٌ، فلا شبيه له ولا عدلَ لا في أسمائهِ ولا في أوصافهِ، ولا في أفعالهِ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

٤١. تفيد أن تنزيه اللهِ تعالىٰ عن الشبيهِ والنظيرِ والمكافئِ يوجبُ في القلبِ تعظيمُه تعظيمًا مطلقًا يورثُ الهيبةَ والإجلالَ والمحبة.

٤٢. تفيدُ عظمَ هذه الخاتمةِ لهذه السورةِ العظيمةِ حيث نفىٰ أن يكون شيءٌ في الوجودِ مساويًا له في شيءٍ من صفاتِ الجلالِ والعظمة.

(١) انظر: مفاتيح الغيب (١١/ ٣٦٤).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦١٩).

٤٣. تفيدُ وجوبَ معرفةِ اللهِ تعالىٰ بأسمائهِ وصفاته، ولهذا قال العلماءُ: إن معرفةَ اللهِ تعالىٰ لا تتمُ إلا بمعرفةِ هذه السورة[١]، فهي السورةُ التي تدلُّ العبدَ علىٰ جلالهِ وكبريائهِ وعظيمِ صفاته.

٤٤. تفيدُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ نفيًا للكثرةِ والتعدد، و﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ نفيًا للنقصِ والتغلب، و﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ نفيًا للعلّةِ والمعلول، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ نفيًا للأشباهِ والأضداد[٢].

٤٥. تفيدُ دليلًا علىٰ شرفِ وفضلِ علمِ التوحيد[٣] والعلومُ تشرفُ بشرفِ المعلوم الذي هو نهايةُ الشرفِ والجلالِ والجمالِ والكمال.

٤٦. تفيدُ الدعوةَ بعدَ معرفةِ الله تعالىٰ بعظيمِ صفاته إلىٰ إخلاصِ العبوديةِ له.

٤٧. تفيدُ نفي الشركِ بجميعِ أنواعه، فقد نفىٰ اللهُ تعالىٰ عن نفسهِ أنواعَ الكثرةِ بقوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ونفىٰ عن نفسهِ أنواعَ الاحتياجِ بقولهِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، ونفىٰ عن نفسهِ المجانسةَ والمشابهةَ لشيءٍ بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾، ونفىٰ عن نفسهِ الحدوثَ والأوليةَ بقوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾، ونفىٰ عن نفسهِ الأندادَ والأشباه بقوله ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

٤٨. تفيدُ أن التوحيدَ كما هو بدايةُ الأعمالِ يجبُ أن يكونَ في خاتمتِها،

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١١/ ٣٥٧).

(٢) انظر: تفسير الإمام ابن عرفة (١/ ٦٧٢).

(٣) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٧/ ٥٨٣).

فبدأ القرآنُ بعظيمِ صفاتهِ في سورةِ الفاتحة، وختمَ بذلك هنا بما ينبه لأهميةِ معرفتهِ جل وعلا، وهذه المنزلةُ هي التي تجلبُ كلَّ خيرٍ للعبدِ في الدنيا والآخرة.

٤٩. تفيدُ أن من عرفَ اللهَ تعالىٰ بجميعِ صفاتهِ كان سرورُه به لا يوصف، وثقتُه فيه لا تنقطعُ، وتوكلُه عليه لا يشوبُه نقص، وحمدُه له لا يفتر به لسانُه، وجعل أنسَه في الحياةِ ذكرَ ربه،كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

٥٠. تفيدُ هذه السورةُ أنواعَ التوحيدِ الثلاثةِ، الربوبيةُ والألوهيةُ والأسماءُ والصفات، أما توحيدُ الألوهيةِ ففي قولهِ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ﴾، يعني هو الإله المعبودُ حقًا الذي لا يستحقُ أن يعبدَ أحدٌ سواه، وأما توحيدُ الربوبيةِ والأسماءِ والصفات ففي قوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ الذي معناه الكاملُ في صفاتهِ الذي من كمالِ صفاته ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾، فهو لكمالِ صفاته غنيٌ عن خلقهِ، فقيرٌ إليه جميعُ مخلوقاته، فكمالُه في الصفاتِ هو ما يتعلقُ بتوحيدِ الأسماءِ والصفات، وافتقارُ مخلوقاتهِ كلِّها إليه يدلُ علىٰ أنه هو الربُّ الذي يقصدُ لدفعِ الشدائدِ والمكروهاتِ، وحصولِ المطالبِ والحاجات، وهذا هو توحيدُ الربوبية.

ثالثًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما بيَّنَ سبحانَه وتعالىٰ إهلاكَه عدوَه أبا لهب، وهلاكَ زوجِهِ هلاكًا لا جبرَ له علىٰ وجهٍ مبينٍ أنه في أدنىٰ دركاتِ الحقارة، وأعظمِ أنواعِ الخسارة، وتشوقَ السامعُ إلىٰ وصفِ الفاعلِ لذلك؛ الذي هو خارجٌ عن طوقِ البشر،

وخارقٌ للعوائد، الذي أظهرَ شخصًا واحدًا علىٰ الناسِ كافةً مع شدةِ عداوتِهم له، جاءت الإخلاصُ كاشفةً لما ثبت من العظمةِ لوليِّه النبيِّ ﷺ الذي أنزلَ عليه هذا الدين، ونصرَه علىٰ عدوِه المبين، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ولما تكلمَ عن وحدانيتِه وأظهرَها بيَّنَ ما يدلُّ علىٰ كمالِ غناه وفقرِ جميعِ الخلق إليه؛ لأنَّ وجودَهم منه سبحانه وبقاءهم به فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، ولما أثبت بصمديتِه اتصافَه بكلِّ صفاتِ الكمال، ونفيه لكلِّ صفاتِ النقائص، وأصبحَ معلومًا كالشمسِ في رابعةِ النهارِ أنه لا شريكَ له ولا معينَ ولا ظهيرَ جاء الكلامُ بما يبرهنُ صمديتَه، ويردُّ علىٰ القائلين بأن للهِ ولدا، تعالىٰ الله عمَّا يقولون علوًا كبيرة، فقال تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، فهو قديمٌ لا أولَ له؛ بل هو الأولُ الذي لم يسبقه عدم، ولما انتهىٰ بيان حقيقتِه سبحانه وتعالىٰ بما يدلُ علىٰ أنه لا يجانسُ شيئًا ولا يجانسُه شيء، ولا يكون له نظيرٌ في شيءٍ من ذلك، جاء الكلامُ بما ينفي عنه ذلك صراحةً فقال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[1].

فالسورةُ من أولِها إلىٰ آخرِها في بيانِ حقيقته سبحانه وتعالىٰ، فهي علىٰ وجازتِها قد اشتملت علىٰ جميعِ المعارفِ الإلهيةِ، ورادةً علىٰ كلِّ من ألحد في صفاتِه، فهي قد أثبتت له الوحدانيةَ ونفت عنه الشريك، وأثبتت له كمال الغنىٰ ونفت عنه الاحتياجَ إلىٰ شيءٍ من خلقِه، وأثبتت له الأولية ونفت عنه الحدوث، وأثبتت له الكمالَ المطلقَ ونفت عنه المثيلَ.

رابعًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورةِ وخاتمتِها:

(١) انظر: نظم الدرر (٨/ ٥٧٥ - ٦٠٢) فقد اطال في بيان تناسقها.

فاتحةُ السورةِ كانت في بيانِ أحديته، وخاتمةُ السورةِ كانت في بيانِ تفردِ صفاته، فهو أحدٌ، ولا يشابهُه أحدٌ من خلقهِ جل وعلا.

خامسًا: خصائص السورة في عرض هداياتها:

- بيانُ وحدانيةِ الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.
- الحديثُ عن صمديةِ الله تعالىٰ، وأنه لا يقصدُ في الحوائجِ غيره ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾.
- تنزيهُه جل وعلا من الولدِ والوالدِ ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾
- البراءةُ من مشابهةِ الخلق له في صفاتهِ جل وعلا ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾.
- تعدل ثلث القرآن الكريم، وقد ثبت كثرة قراءة النبي ﷺ لها.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. الاعتقادُ الجازم أن إله العالمين واحدٌ لا شريكَ له ولا نظيرَ ولا معين.

٢. اليقينُ بكمالهِ جل وعلا في ذاتهِ وصفاتهِ وأفعاله.

٣. اعتقادُ كمالِ غناه جل وعلا، فهو الذي خلقَ الخلقَ وهو غنيٌ عنهم.

٤. اللجوء إلىٰ اللهِ تعالىٰ في جلبِ المنافعِ ودفعِ المضارِّ، فما من مخلوقٍ إلا وهو مفتقرٌ إليه، وهو وحدُه الكفيلُ بحاجاتِ خلقه.

٥. تنزيهه تعالىٰ عن الولدِ والصاحبةِ، واعتقادِ ضلالِ الأديانِ التي تقولُ بغير هذا.

٦. اعتقادُ أزليةِ اللهِ تعالىٰ، فهو الأولُ الذي ليس قبلَه شيءٌ، والآخرُ الذي ليس بعدَه شيء.

٧. اعتقادُ تباينِ صفاتِ الخالق عن صفاتِ المخلوقِ، فليس كمثلهِ شيء لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله.

٨. تعظيمُه ومحبتُه جل وعلا لما له من الجلالِ والجمالِ والفضلِ والإحسان.

٩. التحصنُ والتعوذُ بهذه السورةِ العظيمةِ الدالةِ علىٰ عظيمِ صفاتهِ مع المعوذتين من شرِ الوساوسِ والشرورِ الظاهرة والباطنة، فهي خيرُ ما يتعوذُ بهما متعوذ.

١٠. الحرصُ علىٰ كثرةِ قراءتها بتدبرٍ خاصةً في السننِ التي شرعت فيها.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة الإخلاص ولله الحمد والمنة

ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ١٧ ربيع الأول عام ١٤٣٨هـ.

تفسير وهدايات

سـورة الفلق

موضوع السورة:

تعليمُ النبيِّ ﷺ والأمةُ كلمات التعوذِ باللهِ من شرورِ ما يُتَّقى شرُه

مدخلُ لدراسةِ السورتين

أولًا: فضل المُعوِّذَتيْنِ:

١- المُعَوِّذَتَان من خيرِ ما نزل:

فقد جاء في صحيح مسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾)[1]، وفي رواية لمسلم أيضًا: (أُنْزِلَ - أَوْ أُنْزِلَتْ - عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ)[2].

٢- المُعَوِّذَتَان خيرُ ما يقرأُ بهما:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: بَيْنَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللهِ فِي نَقَبٍ مِنْ تِلْكَ النِّقَابِ إِذْ قَالَ لِي: (أَلَا تَرْكَبُ يَا عُقْبَةُ). فَأَجْلَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ أَرْكَبَ مَرْكَبَ رَسُولِ اللهِ: ثُمَّ قَالَ: (أَلَا تَرْكَبُ يَا عُقْبَةُ). فَأَشْفَقْتُ أَنْ يَكُونَ مَعْصِيَةً، فَنَزَلَ وَرَكِبْتُ هُنَيْهَةً وَنَزَلْتُ وَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: (أَلَا أُعَلِّمُكَ سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ). فَأَقْرَأَنِي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَتَقَدَّمَ فَقَرَأَ بِهِمَا ثُمَّ مَرَّ بِي فَقَالَ: (كَيْفَ رَأَيْتَ

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، بَابُ: فَضْلِ قِرَاءَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ ح رقم (٨١٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، بَابُ: فَضْلِ قِرَاءَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ ح رقم (٨١٤).

يَا عُقْبَةُ بْن عَامِرٍ اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ وَقُمْتَ)[١]، وفي روايةِ الحاكم والطبرانيِّ في المعجمِ الكبير والبيهقي في شعبِ الإيمان: (قال يا عقبةُ اقرأ بأعوذِ بربِّ الفلقِ، فإنك لن تقرأ بسورةٍ أحبُّ إلىٰ اللهِ وأبلغُ عنده منها، فإن استطعت أن لا تفوتك فافعل)[٢].

٣- المُعَوِّذات خيرُ ما يتعوذُ بهما من الشرور:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَصَابَنَا طَشٌّ وَظُلْمَةٌ فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ بِنَا، ثُمَّ ذَكَرَ كَلامًا مَعْنَاهُ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ بِنَا فَقَالَ: (قُلْ). فَقُلْتُ مَا أَقُولُ ؟ قَالَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِىٰ وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلاثًا يَكْفِيكَ كُلَّ شَيْءٍ)، وفي رواية:(تكْفِيك مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)[٣].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَأَصَبْتُ خَلْوَةً مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقَالَ: (قُلْ). فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: (قُلْ). قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾. حَتَّىٰ خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. حَتَّىٰ خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: (مَا تَعَوَّذَ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ح رقم (١٧٢٩٦)، والنسائي ح رقم (٧٧٩٤)، وأبو داود وصححه الألباني ح رقم (١٤٦٢) (٢/ ٧٣).

(٢) أخرجه الطبراني ح رقم (٨٦١) والحاكم ح رقم (٣٩٨٨)، وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحُ الإسنادِ ولم يخرجاه، وصححَه الذهبي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ح رقم (٢٢٦٦٤)، والنسائي ح رقم (٧٨١١) وأبو داود ح رقم (٥٠٨٢)، والترمذي ح رقم (٣٥٧٥) وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع ح رقم (٤٤٠٦).

النَّاسُ بِأَفْضَلَ مِنْهُمَا)[١].

وفي رواية: (مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهِمَا، وَلاَ اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهِمَا) [٢]، وفي رواية (مَا تَعَوَّذَ بِمِثْلِهِنَّ أَحَدٌ)[٣]. ولأبي داود قال: (بينا أنا أسيرُ مع رسولِ الله ﷺ بين الجُحْفَة والأبْواءِ إِذْ غَشِيَتْنَا رِيح وظُلمة شديدة، فجعل رسولُ الله ﷺ يتعوَّذ بأعوذ برب الفلق، وأعوذ برب الناس، ويقول: يا عقبةُ، تَعَوَّذْ بهما، فما تعوَّذ متعوِّذ بمثلهما). وقال: (وسمعتُهُ يَؤُمُّنَا بهما في الصلاة)[٤].

٤- قراءتُها رقيةٌ وشفاء:

فقد جاء في صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)[٥].

وقد جاء في البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَىٰ يَقْرَأُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٧٨٠٩) وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (١١/ ٤٢٩).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٨٠٠٩) وأبي داود (١٣١٦) وقال الألباني حسن صحيح.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٧٧٩٧)، وأبو داود (١٣١٥)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٦٣)، وصححه الألباني.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، بَابُ: فَضْلِ المُعَوِّذَاتِ، ح رقم (٥٠١٧).

عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا)(١).

ثانيًا: موضوعُ السورة:

تعليمُ النبيِّ ﷺ والأمةُ تبعًا له كلماتِ التعوذِ باللهِ تعالىٰ من شرورِ ما يُتَّقىٰ شرُه من عمومِ المخلوقات، وخصَّ منها ثلاثةٌ لخطورتها:

- الأوقاتُ التي يكثرُ فيها حدوثُ الشرِّ ومن أعظمِها الليلُ عندما يظلمُ.
- وصنفٌ من الناسِ جعلَ صناعتَه إيقاعَ الشرِّ بالغيرِ.
- وصنفٌ من الناسِ ذو خلقٍ يبعثُ علىٰ الشر.

فموضوعُها الاعتصامُ من شرِّ كلِّ ما انفلقَ عنه الخلقُ الظاهرُ والباطن، واسمُها ظاهرُ الدلالةِ علىٰ ذلك.

وقد اشتملت السورةُ علىٰ ثلاثةِ أصول هي:

(الاستعاذةُ – المستعاذُ به – المستعاذُ منه).

ثالثًا: المناسبةُ بين سورةِ الإخلاصِ والفلق:

لما بيَّن في سورةِ الإخلاصِ أنه هو الواحدُ الأحدُ، الفردُ الصمد الذي من معانيهِ توجُّه الخلائقِ إليه في قضاءِ حوائجِهم جاء في هاتين السورتين التوجيه لهم للاستعاذةِ به وحدَه مما يخافونَه من الشرور، فهو وحدُه الذي يعيذُهم ويحفظُهم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، بَابُ: فَضْلِ المُعَوِّذَاتِ، ح رقم (٥٠١٧)، ومسلم في كتاب: السلام، بَابُ: رُقْيَةِ الْمَرِيضِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَالنَّفْثِ، ح رقم (٢١٩٢).

موضوع السورة
بيانُ أربعةِ شرورٍ يتعوذُ منها

قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١ – ٥].

أولًا: معاني الكلمات:

١. ﴿أَعُوذُ﴾: أي: ألجأُ واعتصمُ وأستجيرُ وأحترزُ، والعَوْذ: اللَّجأُ إلىٰ شيءٍ يقِي من يلجأُ إليه ما يخافه، يُقال: عاذَ بفلان، وعاذَ بحصن، ويقال: استعاذَ، إذا سألَ غيرَه أن يُعيذَه، وعاذَ من كذا، إذا صار إلىٰ ما يعيذُه منه قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

٢. ﴿ٱلۡفَلَقِ﴾: أصلُه شقُ الشيءِ وإبانةُ بعضِه عن بعضٍ، والمرادُ كلُّ ما يفلقُه اللهُ تعالىٰ كالأرضِ بالنبات، والجبالِ بالعيون، وضوءِ الصبحِ من ظلمةِ الليل، والحبِّ من النوىٰ وغير ذلك، والذي دلَّ عليه القرآنُ فالقُ الحبِّ والنوىٰ والصبحِ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٩٥ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٥ – ٩٦].

٣. ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾: من شرِ جميعِ المخلوقات، فهو يعمُّ كلَّ موجودٍ له

شرٌّ من إنسٍ وجنٍ وهامةٍ أو دابةٍ أو ريحٍ وغيرها.

٤. غَاسِقٍ : الغاسقُ: الليلُ إذا أظلمَ؛ لأنه من الغسقِ وهو الظلمة، كما قال تعالىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء:٧٨]، وقيل: القمر.

٥. إِذَا وَقَبَ : إذا دخلَ، وقيل: القمرُ إذا غاب، وقد جاءَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِي ثُمَّ أَشَارَ إِلَىٰ الْقَمَرِ فَقَالَ: (يَا عَائِشَةُ اسْتَعِيذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ) (١)، وهذا لا ينافي القولَ الأول؛ لأن القمرَ آيةُ الليلِ إذا غابَ اشتدت ظلمتُه.

٦. ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ: جمعُ نفاثة، فقيل: النساءُ أو النفوسُ أو الجماعاتُ السواحر، والنفثُ: النفخُ مع ريقٍ يخرجُ من الفمِ وهو دون التَّفل.

٧. ٱلۡعُقَـدِ: جمعُ عقدةٍ التي تعقدُ في الخيطِ، والمراد: السواحرُ إذا نفثنَ في العقدِ بشيءٍ من الخبثِ يستعينُ فيه بالأرواحِ الخبيثةِ، ثم ينفخُ في تلك العقد نفخًا مع ريقٍ فيخرجُ من نفسهِ الخبيثةِ نفسٌ ممازجٌ للشرِّ والأذىٰ.

٨. حَاسِدٍ: والحاسدُ هو الذي يتمنىٰ زوالَ نعمةِ الغيرِ ويسعىٰ في زوالِها.

٩. إِذَا حَسَدَ: إذا أظهرَ حسدَه وأعملَه، وقيل إذا تمكن هذا الإحساسُ النفسي الخبيثُ فيه فأصابَه بعينٍ أو سحرٍ، والعينُ تقعُ غالبًا من حاسدٍ شريرِ الطبعِ خبيثِ النفس، وقد تقعُ من غيرِ الحاسد.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

(١) أخرجه أحمد ح رقم (٢٥٨٠٢)، والنسائي ح رقم (١٠٠٦٤)، والحاكم ح رقم (٣٩٨٩) وصححه ووافقه الذهبي، والترمذي ح رقم (٣٣٦٦) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح، وصححه الألباني في صحيحِ وضعيفِ الجامع.

١. يفيدُ الأمرُ بالقولِ المحافظةَ علىٰ هذه الألفاظِ في التعوذِ؛ لأنها التي عيَّنها اللهُ تعالىٰ للنبيِّ ﷺ ليتعوذَ بها فإجابتُها مرجوة، إذ ليس هذا المقولُ مشتملًا علىٰ شيءٍ يُكلفُ به أو يُعملُ حتىٰ يكونَ المراد: قل لهم كذا كما في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وإنما هو إنشاءُ معنىٰ في النفسِ تدلُّ عليه هذه الأقوالُ الخاصة.

٢. تفيدُ وجوبَ الاستعاذةِ واللجوء والاعتصامِ باللهِ تعالىٰ من كلِّ ما يخشاه الإنسانُ في حياتِه مما لا يقدرُ المرءُ علىٰ دفعِهِ لخفائهِ أو لعدمِ القدرةِ عليه لقوتهِ وشدتهِ.

٣. تفيد أن اللهَ تعالىٰ هو خيرُ من يعتصمُ ويلجأ إليه الخائفون في حياتهم، فهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، وبعبادِه رحيم، وهو القوي العزيز.

٤. تفيد أن اللهَ تعالىٰ القادرُ علىٰ تغيرِ حالِ الكونِ من الظلمةِ إلىٰ النورِ، وحالِ النوىٰ من الموتِ إلىٰ الحياةِ، قادرٌ علىٰ إعاذةِ المستعيذِ من كلِّ ما يخافُه ويخشاه، فإن القادرَ علىٰ ما قبلَه علىٰ عظمِه ودقتهِ قادرٌ علىٰ ما وعدَ به عبده.

٥. تفيدُ سعةَ رحمةِ اللهِ تعالىٰ بعبادِه حيثُ نبهَهم علىٰ المخاطرِ، وأمرهم أن يحتموا بحماه ليُؤَمنَهم من كلِّ مخوفٍ ظاهرٍ أو باطنٍ، مجهولٍ أو معلوم.

٦. تفيدُ الاستعاذةَ باسمِ الربِّ المضافِ إلىٰ الفلقِ المنبئ عن النورِ عقيبَ الظلمةِ والسَّعةِ بعدَ الضيقِ، الترغيبَ في الالتجاءِ إليه تعالىٰ المتصفُ بعظيمِ الصفاتِ التي تزهدُ من عرفَها في اللجوء لسواه.

٧. تفيد أن الاستعاذةَ تكون باللهِ تعالىٰ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وكما في قولهِ تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨]،

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨]، تكون بصفاته عَلَيْهِ السَّلَامُ كما في حديثِ مسلمٍ في صحيحِهِ عن سَعْدِ بْنِ أَبِىٰ وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةَ تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خلَقَ) لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ)[(١)]، وفي روايةٍ أخرىٰ في صحيح مسلم عَنْ أَبِىٰ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ قَالَ: (أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرُّكَ)[(٢)].

٨. تفيدُ أنه لا يجوزُ الاستعاذةُ إلا باللهِ وصفاته، فهذا هو المشروعُ في الكتابِ والسنة فهو الذي يعيذُ المستعيذ، ويعصمُه ويمنعُه من شرِ ما استعاذَ من شرِه، ومن استعاذَ بغيرِ اللهِ لم تزده إلا رهقًا وخزيًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] عند ما كانوا يقولون: «أعوذُ بسيدِ هذا الوادي من شرِّ سفهاءِ قومه»[(٣)].

٩. تفيد أن الاستعاذةَ هنا عامة، وذلك: لأنَّ الشرَّ المستعاذَ منه نوعان: أحدُهما موجودٌ يطلبُ رفعُه، والثاني: معدومٌ يطلبُ بقاؤه علىٰ العدمِ، وأن لا

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَابٌ: فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ، ح رقم (٢٧٠٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَابٌ: فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ، ح رقم (٢٧٠٩).

(٣) معالم التنزيل، البغوي (٨/ ٢٣٨).

يوجدُ،كما أن الخيرَ المطلقَ نوعان: أحدُهما موجودٌ فيطلبُ دوامه وثباته وأن لا يسلبَه، والثاني: معدومٌ فيطلبُ وجودُه وحصولُه، فهذه الأربعةُ هي أمهاتُ مطالبِ السائلين من ربِّ العالمين وعليها مدارُ طلباتِهم.

١٠. تفيدُ عظمةَ أسماءِ الله تعالىٰ وصفاتِهِ في الانتفاعِ بها حيث بها يستعيذُ المتعوذُ.

١١. يفيدُ ذكرُ «الربِّ» التذكيرَ بعظيمِ إحسانهِ لعبادِه المقتضي لجلب النعم ودفع النقم.

١٢. تفيدُ عمومَ ربوبيةِ الله تعالىٰ لهذا الكونِ علىٰ من فسرَ الفلقَ بعمومِ ما خلق.

١٣. تفيدُ مشروعيةَ الاستعاذةِ باللهِ تعالىٰ من شرِ ما فيه شرٌ مما خلقَ، والشرُ تارةً يكون اختياريًا من العاقلِ المكلفِ من الجنِ والإنس، وتارةً يكون من غيرِ المكلفِ من سائرِ الحيوان كنهشِ السباع، ولدغِ ذواتِ السموم، وتارةً يكون طبيعيًا كإحراقِ النار وإهلاكِ السموم وغيرها.

١٤. يفيدُ الاستعاذةُ من شرِ ما خلقَ الاستعاذة من شرِّ كلِّ مخلوقٍ فيه شر، وكلِّ شرٍ في الدنيا والآخرة، وشرَّ شياطين الإنس والجن، وشرِّ السباعِ والهوامِ، وشرِّ النارِ والهواء وغير ذلك، لأن المستعاذ منه هو الشر المخلوق أو الشر الذي في المخلوق، أما ما لا شر فيه كالجنَّة التي ليس فيها شرٌ، وكذلك الملائكةُ والأنبياءُ فإنَّ هذا لا يشملهم، لأنهم خيرٌ محض.

١٥. تفيدُ أن للخلقِ شرورًا ولهم منافعَ وخيرًا، فدلَّ اللهُ هنا عبادَه للاستعاذةِ من شرِهم ليبقىٰ لك خيرهم.

١٦. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ يُدعىٰ بأسمائهِ الحسنىٰ في كلِّ مطلوبٍ بالاسمِ والصفةِ التي تناسبُه وتقتضيه، وقد قال النبيُّ ﷺ في هاتين السورتين أنه ما تعوذَ المتعوذون بمثلِّها، فلا بد أن يكونَ الاسمُ المستعاذُ به مقتضيا للمطلوبِ، وهو دفعُ الشرِ المستعاذِ منه أو رفعُه

١٧. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ خالقُ كلِّ شيء، وفي ذلك ردٌ علىٰ المعتزلةِ في قولِهم أن اللهَ تعالىٰ لا يخلقُ الشرَ، وقد قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام:١٠٢] والمخلوقُ لا يتأتىٰ منه شيءٌ قط إلا بمشيئةِ الخالق.

١٨. تفيدُ مشروعيةَ التعوذِ من شرِ ما يكونُ في الليلِ إذا أظلم؛ لأنه محلُ سلطانِ الأرواحِ الشريرةِ الخبيثة، وفيه تنتشرُ الشياطين، وفي الصحيحين عن عطَاءٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ - أَوْ أَمْسَيْتُمْ - فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ)(١)، وهو مظنةُ خروجِ الحياتِ السامة، والحيواناتِ المفترسةِ المؤذية، والهوامِ والسباعِ الضارة، والجماعاتِ المتلصصةِ للسطوِ والسرقةِ وابتغاءِ الشرِ والفساد، فالليلُ عندما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، بَابٌ: خَيْرُ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ، ح رقم (٣٣٠٤)، ومسلم في كتاب: الأشربة، بَابُ: الْأَمْرِ بِتَغْطِيَةِ الْإِنَاءِ وَإِيكَاءِ السِّقَاءِ، وَإِغْلَاقِ الْأَبْوَابِ، وَذِكْرِ اسْمِ اللهِ عَلَيْهَا، وَإِطْفَاءِ السِّرَاجِ وَالنَّارِ عِنْدَ النَّوْمِ، وَكَفِّ الصِّبْيَانِ وَالْمَوَاشِي بَعْدَ الْمَغْرِبِ، ح رقم (٢٠١٢).

يظلمُ مخيفٌ لذاتهِ فضلًا علىٰ ما فيه من توقعِ المجهول، وتعذرِ السير، وعُسرِ النجدة، وبُعد الاستغاثةِ، واشتدادِ آلام المرضىٰ، حتىٰ ظنَّ بعضُ أهلِ الضلالةِ الليلَ إله الشر، فالشرُ فيه أكثرُ والتحرزُ فيه أصعب؛ ولذلك قيل في المثلِ: الليلُ أخفىٰ للويل.

١٩. تفيدُ منزلةَ النورِ حيث أن الشياطينَ والأرواحَ الخبيثةَ تتسلطُ في الليلِ ما لا تتسلطُ بالنهار، فإن النهارَ نورٌ والشياطينُ إنما سلطانُهم في الظلماتِ والمواضعِ المظلمة وعلىٰ أهلِ الظلمة.

٢٠. تفيدُ دقةَ المناسبةِ بين قولهِ تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾، وبين قولهِ تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾، فإن الفلقَ الصبحُ علىٰ قولِ الجمهورِ الذي هو مبدأُ ظهور النور، وهو الذي يطردُ جيشَ الظلامِ وعسكرَ المفسدين، فأمرَ اللهُ تعالىٰ عبادَه أن يستعيذوا بربِّ النور الذي يقهرُ الظلمةَ ويزيلُها ويقهرُ عسكرَها وجيشها.

٢١. تفيدُ مكانةَ النورِ، فالإيمانُ كلُّه نورٌ، ومآلُه إلىٰ نورٍ، ومستقرُه في القلبِ المضيءِ المستنيرِ بنورِ الوحي، والكفرُ والشركُ كلُّه ظلمةٌ ومآلُه إلىٰ الظلماتِ ومستقرُّه في القلوبِ المظلمةِ والمقترنِ بها الأرواحُ المظلمةُ، قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتأملْ الاستعاذةَ بربِّ الفلقِ من شرِ الظلمةِ، ومن شرِ ما يحدثُ فيها، ونزول هذا المعنىٰ علىٰ الواقعِ يشهدُ بأن القرآنَ؛ بل هاتين السورتين من أعظمِ أعلامِ النبوة، وبراهين صدقِ رسالةِ محمد، ومضادة لما جاء به الشياطين من كل وجه»[١].

---

(١) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (٣/ ٣١٨).

٢٢. تفيدُ أن السحرَ له حقيقةٌ ويخشىٰ ضررُه، وهو دليلٌ علىٰ إبطالِ قولِ المعتزلة في إنكارِ حقيقةِ السحر، وهو يؤثرُ بإذنِ الله تعالىٰ مرضًا وثقلًا وحبًا وبغضًا، ويفرقُ بين الزوجين، ويصلُ ضررُه إلىٰ أن يقتل.

٢٣. تفيدُ تحريمَ النفثِ في العقدِ بكلماتٍ تُسْتَدعىٰ بها الأرواحُ الخبيثة؛ إذ هو من السحرِ، والسحرُ كفر، وحدُ الساحرِ ضربُه بالسيف.

٢٤. تفيدُ خطورةَ اجتماعِ السحرةِ علىٰ فعل السحر، ولهذا جمعَهم لشدةِ تأثيرِهم.

٢٥. تفيدُ أن هذا النفثَ يضرُ المسحورَ ولو في حالِ غيبته عنه، ولو كان الضررُ لا يحصلُ إلا بمباشرةِ البدن ظاهرا لم يكن للنفثِ ولا للنفاثاتِ شرٌ يستعاذُ منه.

٢٦. تفيدُ مشروعيةَ الاستعاذةِ باللهِ تعالىٰ من شرِ السحرِ والسواحر اللاتي يستعنَّ علىٰ سحرهن، بالنفثِ في العقد التي يعقدنها علىٰ السحر.

٢٧. تفيدُ التنفيرَ من السحرِ والسحرةِ، والعملَ علىٰ محاربتهمِ والبعدِ عن مسالكِهم بكلِّ السبلِ والطرق، ليسلمَ الناسُ من شرِهم.

٢٨. تفيدُ خطورةَ الحسدِ الذي هو محبةُ زوالِ النعمةِ عن المحسودِ، فهو أولُ ذنبٍ عُصي اللهُ تعالىٰ به في السماءِ، حيث حسدَ إبليسُ لآدمَ، وفي الأرضِ كذلك حيث حسدَ قابيلُ هابيلَ.

٢٩. تفيدُ حرمةَ الحسدِ والتنفيرَ منه، وأنه من كبائرِ الذنوب؛ لأنه سوءُ أدبٍ مع اللهِ تعالىٰ حيث هو في حقيقتهِ كراهيةُ إنعامِ الله تعالىٰ علىٰ عبادِه.

٣٠. تفيدُ أن حسدَ الغبطةِ الذي هو تمني أن يكونَ له مثلُ حالِ المحسودِ من غيرِ أن تزولَ النعمةِ عنه فهذا لا بأس به، ولا يعابُ صاحبُه؛ بل هذا قريبٌ من المنافسةِ وقد قال تعالىٰ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]، وفي الصحيحِين عن النبيِّ ﷺ أنه قال: (لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِىٰ بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)(١). فهذا حسدُ غبطةٍ الحاملُ لصاحبِهِ عليه كِبَرُ نفسهِ، وحبَّ خصالِ الخيرِ، والتشبهِ بأهلِها، والدخولِ في جملتهم، مع محبتهِ لمن يغبطُه، وتمني دوامِ نعمةِ اللهِ عليه، فهذا لا يدخلُ في ما جاءت الاستعاذة منه في الآية.

٣١. تفيدُ أن الحاسدَ لا يسمىٰ حاسدا إلا إذا قامَ به الحسدُ كالضاربِ والشاتمِ والقاتل ونحو ذلك.

٣٢. تفيدُ خطورةَ الحاسدِ إذا أظهرَ حسدَه وعملَ بمقتضاه، فيسعىٰ في زوالِ النعمة عن المحسودِ بما يقدرُ عليه من الأسبابِ، فقولُه تعالىٰ: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ بيانٌ أن شرَّه إنما يتحققُ إذا حصلَ منه الحسدَ بفعلِ تأثير العين.

٣٣. تفيد أن الحاسدَ إذا لم يُظْهِر حسدَه فلا ضررَ يعودُ منه علىٰ من حسدَه، بل هو الضارُ لنفسهِ؛ ولهذا لم يؤمر بالاستعاذةِ منه عمومًا.

٣٤. تفيد أن الحسدَ يدلُّ علىٰ خللٍ في الاعتقادِ، وفسادِ في الأخلاقِ؛ وذلك كما قال الحكماءُ لخمسةِ أمورٍ، وهي:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، بَابُ: الاِغْتِبَاطِ فِي العِلْمِ وَالحِكْمَةِ، ح رقم (٧٣)، ومسلم كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ: فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ، وَفَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ حِكْمَةً مِنْ فِقْهٍ، أَوْ غَيْرِهِ فَعَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا، ح رقم (٨١٥).

- أحدُها: أنه أبغضَ كلَّ نعمةٍ ظهرت علىٰ غيرِه.
- وثانيًا: أنه ساخطٌ لقسمةِ ربِّه كأنه يقولُ: لم قسمت هذه القسمة.
- وثالثًا: أنه يبخلُ بفضلِ الله الذي يؤتيه من يشاءُ من عبادِه بحكمته.
- ورابعها: أنه خذلَ أولياءَ الله أو يريدُ خذلانهم بزوالِ النعمة عنهم.
- خامسًا: أنه أعانَ عدوَه إبليس[1].

٣٥. تفيدُ مشروعيةَ الاستعاذةِ باللهِ من شرِ الحاسد، والسعي لإبطالِ كيده، وقد جاء في صحيحِ مسلمٍ عَنْ أَبِىٰ سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: (نَعَمْ). قَالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ)[2].

٣٦. تفيدُ أن الحاسدَ متصفٌ بصفاتِ إبليس، فهو أعظمُ الحسدةِ الذي ليس له دأبٌ إلا السعي في إزالةِ نعم العباداتِ عن الإنسانِ بالغفلات.

٣٧. تفيدُ أن من أُكرمَ بما يحسدُ عليه من نعمِ الدارين فهو في خيرٍ عظيم؛ لأن خيرَ الناسِ من عاشَ محسودًا ومات محسودًا، وشرُ الناسِ من ليس له فضيلةٌ يحسدُ عليها، وعاشَ حاسدًا ومات حاسدًا.

٣٨. تفيدُ عظمَ شرورِ الحسدِ حيث خُتِمَ به الشرورُ التي يستعاذُ منها، قال الحسينُ بن الفضل رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن جمعَ اللهُ الشرورَ في هذه السورةِ وختمَها بالحسدِ ليعلمَ أنه أخسُّ الطبائع»[3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٢٦٠).

(٢) أخرجه مسلم كتاب السلام، بَابُ الطِّبِّ وَالْمَرَضِ وَالرُّقَىٰ، ح رقم (٢١٨٦).

(٣) الكشف والبيان للنسابوري (١٠/ ٣٤٠).

٣٩. تفيدُ أن الحسدَ هو داءٌ غلبَ علىٰ الأممِ السالفةِ، وجاء التحذيرُ منه ومن شرِه لخيرِ أمةٍ أخرجت للناس، فقد جاء عن الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنَّهَا تَحْلِقُ الدِّينَ)[١].

٤٠. تفيد أن نفسَ وعينَ الحاسدِ يؤذي المحسود وإن لم يؤذه بيدِه ولا لسانِه؛ فإن اللهَ تعالىٰ قال: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، فحقق الشر منه عند صدور الحسد.

٤١. تفيدُ أنه يجبُ علىٰ المسلمِ محبةُ الخيرِ لإخوانهِ كما يحبُ لنفسهِ، ويدعو لإخوانِه المسلمين بالخيرِ والزيادةِ في النعمِ.

٤٢. تفيد أن الحسدَ يشملُ الحاسدَ من الجنِ والإنسِ؛ لأن قولَه تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ يعمُ الحاسدَ من الجنِ والإنس، بل هو بدأَ من الجنِ عند ما حسدَ إبليسُ أبانا آدم، وهو عدوٌ لذريتهِ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦]، فالشيطانُ وحزبه يحسدون المؤمنين علىٰ ما آتاهم الله تعالىٰ من فضله في كلِّ زمانٍ ومكان.

٤٣. تفيدُ الاستعاذةَ من شرِ العين عمومًا، وهي تكون في الغالبِ من حاسدٍ إذا نظرَ إليه نظرةً تكيفت مع نفسهِ الخبيثة، وقد تكون ممن يستحسنون الشيء ويعجبون منه ولا يقولون ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله فيصاب بذلك.

---

(١) أخرجه أحمد ح رقم (١٤١٢)، والترمذي ح رقم (٢٥١٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح رقم (٦٨٠).

٤٤. تفيد أن الحاسدَ أضرُّ من العائنِ، ولذا جاء الكلامُ في السورةِ عن ذكرِ الحاسدِ دون العائنِ؛ لأنه أعمُّ، فكلُّ حاسدٍ عائن، وليس كلُّ عائن حاسد، فإذا استعاذ من شرِ الحسدِ دخلَ فيه العائن، وهذا من شمولِ القرآن الكريم وإعجازِه وبلاغته.

٤٥. تفيدُ خطورةَ الليلِ والسحرِ والحسدِ لخفاءِ شرِها، وأنه يلحقُ الإنسانَ من حيث لا يدري.

٤٦. تفيدُ رحمةَ اللهِ تعالىٰ وفضلهِ علىٰ عبادِه الذي وجهَهم للاستعاذةِ به من هذه الشرور ليعيذَهم ويحميهم إجمالًا وتفصيلًا.

٤٧. تفيد أن الخلقَ لا نجاةَ لهم في شيءٍ من الضررِ إلا بعصمتهِ سبحانه وتعالىٰ، فعلىٰ العبدِ أن يفزعَ إلىٰ مولاه القادرِ علىٰ كشفِها.

٤٨. تفيدُ أن الاستعاذةَ باللهِ دومًا فيها تصحيحٌ وتجديدٌ لتوكلِ العبد، وهو يرتقي به حالَ البلاء إلىٰ الرضا بمرِّ القضاء، ولا يأخذُ في الاعتمادِ علىٰ جلادتهِ وتدبيرِه بحولهِ وقوته.

٤٩. تفيدُ السورتان أن البلايا كثيرة، والله وحده القادرُ علىٰ دفعها لمن التجأ إليه، فهما حاملتان علىٰ الخوفِ والرجاء، وذلك هو لبابُ العبودية.

٥٠. يفيدُ جعلَ التعويذِ في سورتين إشارةً إلىٰ استحبابِ تكريرِه، وقد شرع تكرار قراءة هاتين السورتين.

٥١. تفيدُ أن العبدَ كلما كثرت نعمُ الله تعالىٰ عليه كثُرَ الحاسدون له علىٰ ما أوتي من النعم، وعلىٰ رأسهم النبيُّ عليه السلام مما يتطلبُ منه مزيدًا من التعوذِ بهذه السورة، والمحافظةِ علىٰ التحصنِ بهما.

٥٢. تفيدُ أن مسلكَ الساحرِ والحاسدِ واحدٌ، فكلاهما في طريق الشيطانِ يسير. فالساحر يستعينُ بالشيطانِ ويطلب منه أن يعينه، وربما يعبدُه من دون اللهِ تعالىٰ حتىٰ يقضي له حاجتَه، وربما يسجد له، والحاسدُ يفعلُ ما يحبُّه الشيطانُ من فسادِ الناس، وزوال نعم الله عنهم، فهو من جندِ إبليس وأعوانه؛ فكلاهما قصدُه الشر لكن الحاسدَ بطبعِهِ ونفسِهِ وبغضِهِ للمحسود، والشيطان يقترن به ويعينُه ويزين له حسدَه ويأمرُه بموجبِهِ، والساحرُ بعلمِهِ وكسبِهِ وشركه واستعانته بالشياطين.

٥٣. تفيدُ أن تجريدَ التوحيدِ لله هو الحصنُ الأعظم الذي من دخلَه كان من الآمنين من شرِ كلِّ الشياطين وغيرِهم، ومن هنا كانت الاستعاذةُ هي قمةُ التوكل؛ لأنها تَنقلُ العبدَ من الخوفِ من الأسبابِ إلىٰ الثقةِ بمسببِ الأسبابِ، وأن هذه أمورٌ لا تضرُ ولا تنفعُ إلا بإذنه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:١٧]، وقال النبيُّ ﷺ لعبدِ الله بن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: (اعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)(١)، فمن جردَ التوحيدَ خرجَ من قلبهِ خوفَ ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافَه مع الله تعالىٰ، بل يرىٰ أن إعمالَ فكرِه في أمرِ عدوه وخوفهِ منه واشتغالهِ به من نقصِ توحيدِه، لأن الموحدَ وأثقُ أن اللهَ يتولىٰ حفظَه والدفع عنه ويكفيه شرَّ عدوه.

---

(١) أخرجه أحمد ح رقم (٢٦٦٩)، والترمذي ح رقم (٢٥١٦)، والطبراني في المعجم الكبير ح رقم (١٢٩٨٨)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ح رقم (٢٥١٦).

ثالثًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما كانت الحياةُ كثيرةُ المخاوفِ أمرَ اللهُ عبادَه أن يلتجؤوا إليه ويستجيروا به من كلِّ ما يخشونَه ويخافونَه، ولما كان هذا المعنىٰ أليقُ شيءٍ بصفةِ الربوبية؛ لأن الإعاذةَ من المضارِ أعظمُ براهينِها قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾، ولما كانت الشرورُ متفاوتةً في الخلقِ عممَ الاستعاذةَ ثم خصصَها فقال تعالىٰ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، ولما عممَ وأرادَ التنبيهَ علىٰ شرورٍ عظيمةٍ عطفَ بعضَ الخاصِ علىٰ العامِ ليعرفَ أن ذلك الخاصَّ أولىٰ أفرد العامَّ بما ذكر له من الحكم، ولما كان ظلامُ الليلِ هو عنوانُ الشر، ويقعُ فيه أعظمُ الفساد، ويؤتىٰ فيه الإنسانُ من حيث لا يحتسبُ بدأ به في ذكرِ الخاص، قال تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، ولما كان السحرُ شرًا وضررًا من ظلامِ الليل وأكثرُ خفاءً ثنىٰ به فقال تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾، ولما كان الحسدُ من أخطرِ الشرور، وهو أعظمُ حاملٍ علىٰ السحرِ وغيرِه من أذىٰ قد يصلُ إلىٰ القتلِ الذي هو أعظم المعاصي بعد الشركِ ختمَ به فقال تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

رابعًا: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها:

فاتحةُ السورةِ كان في الاستعاذةِ من عمومِ شرِ ما خلق، وخاتمةُ السورةِ في الاستعاذةِ من شرِ أخبثِ صفةٍ في ما خلقَ وهي الحسد. والله اعلم.

خامسًا: خصائص السورة في عرض هداياتها:

١. الاستعاذةُ بصفةٍ خاصةٍ تفردت به هذه السورة في قوله: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾.

٢. التعوذُ من عمومِ الشرور: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾.

٣. التعوذُ من شرِ ما يقعُ في الليلِ عند ما يشتدُ ظلامُه ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾.

٤. التعوذُ من شرِ السواحرِ عند ما يعقدون سحرَهم: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾

٥. التعوذُ من شرِ الحاسدِ إذا حسد ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. التعوذُ باللهِ تعالىٰ في الصباحِ والمساءِ وعند النومِ بسورةِ الإخلاصِ والمعوذتين.

٢. كثرةُ قراءةِ سورةِ الإخلاص والمعوذتين والتداوي والتحصنِ بهن.

٣. اليقينُ بعظمِ منفعةِ هاتين السورتين وشدةِ الحاجةِ إليهما، وأن لهما تأثيرًا خاصًا في دفعِ السحرِ والعينِ وسائرِ الشرور، ولهذا قال ابنُ قيم الجوزية: «أن حاجةَ العبدِ إلىٰ الاستعاذةِ بهاتين السورتين أعظمُ من حاجتهِ إلىٰ النفسِ والطعامِ والشرابِ واللباس»[١].

٤. إدراكُ أهميةِ التحصنِ بالقرآنِ والأذكارِ، والأنسانُ بدونها كمثلِ من يتلقىٰ السهامَ بجسدِه العاري.

٥. التنبُه إلىٰ خطورةِ السحرِ والسحرةِ وما يفعلونه في الخلقِ، والعملِ علىٰ محاربتهم، فكم تسببوا في قتلٍ وسلبٍ ومرض.

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٢٨٦).

٦. البعدُ عن الحسدِ، والرضا بما قسمَ الله تعالىٰ، ومحبةُ الخيرِ للناس.

٧. الإيمانُ بأن العينَ حقٌ ولها تأثيرُها العجيبُ في الأرواحِ والأبدانِ والأشياء، وينبغي للإنسانِ أن يتعوذَ باللهِ منها، وقد جاء في الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا)[1].

٨. البعدُ عن مسالكِ الشياطين الذين هدفُهم أذيةُ العالمين خاصةً المؤمنين.

٩. التوكلُ علىٰ اللهِ تعالىٰ والثقةُ بكفايته في جلبِ المنافعِ ودفعِ المضارِ وعدم الالتجاءِ لغيرِه ممن لا يملكُ لنفسه شيئًا.

١٠. اليقين بأن المحفوظَ من حفظَه الله تعالىٰ وتولاه، ولا يكون ذلك إلا بحفظِ العبدِ لربه جل وعلا.

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة الفلق ولله الحمد والمنة ببلد الله الحرام

مكة في يوم الجمعة ٨ ربيع الآخر من عام ١٤٣٨هـ.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الطب، بَابٌ: العَيْنُ حَقٌّ، ح رقم (٥٧٤٠)، ومسلم كتاب السلام، بَابُ الطِّبِّ وَالْمَرَضِ وَالرُّقَىٰ، ح رقم (٢١٨٨).

مدخل لدراسة السورة

أولًا: موضوعُ السورة:

الاعتصامُ باللهِ تعالىٰ من شرِ الوسواسِ الخناس، المطبوعِ علىٰ الشرِ والفساد.

ثانيًا: المناسبةُ بين سورتي الفلق والناس:

كلاهما في الاستعاذةِ من الشرورِ، وقد اتفقتا في الأمرِ بالقولِ، وفي المقولِ، وفي توجيهِ الخطابِ للنبيِّ ﷺ، والمقصودِ شمولهُ أمته؛ إلا أن سورةَ الفلقِ جاءت في التعوُّذِ من ثلاثةِ شرورٍ خارجيةٍ، تأتيهِ اعتداءً عليه من غيرِه بصفةٍ واحدةٍ من صفاته، وقد تكونُ شرورًا ظاهرةً يمكنُ التحرزُ منها أو اتقاؤُها قبلَ وقوعها، وتجنبُها إذا علم بها، وسورةُ الناسِ جاءت فيها الاستعاذةُ بثلاثِ صفاتٍ من صفات الله جل وعلا من شرورِ مخلوقاتٍ خفيّةٍ خطيرة، وهي الشياطين، وهي شرورٌ داخلية، إذ الشيطان يرانا ولا نراه، ويجري من ابن آدم مجرىٰ الدم ،كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:٢٧].

فقد تضمنت هاتان السورتان الاستعاذةَ من الشرورِ كلِّها بأوجزِ لفظٍ وأجمعِه وأدلِّه علىٰ المرادِ، وأعمِّه استعاذةً بحيث لم يبق شرٌ من الشرورِ إلا دخلَ تحت الشرِ المستعاذ منه فيهما.

ثالثًا: المناسبةُ بين فاتحةِ الكتابِ وخاتمته (الإخلاص والمعوذتين):

نجد دقةَ التناسقِ والتناسبِ بين فاتحةِ الكتابِ وخاتمتهِ حيث افتتحَ سبحانه وتعالىٰ هذا الذكرَ الحكيمَ ببيانِ توحيدِه من خلالِ ما ذكرَه من عظيمِ صفاته جل وعلا، وتخصيصِ العبوديةِ والاستعانة به، وبيانِ الصراطِ المستقيمِ الذي به الفوزُ في الدارين، ختمَ كذلك كتابه بتقريرِ أمرِ التوحيد علىٰ وجهٍ لا يتصورُ أن يكونَ هناك أكملُ منه، وذلك من خلالِ بيانِ عظيمِ صفاته التي تدعو إلىٰ إخلاصِ العبوديةِ لله من خلالِ سورةِ الإخلاص، والالتجاء والاحتماءِ به من خلالِ سورتي المعوذتين، فالأمرُ بالتعوذِ بربِّ هذا الدين، موافقٌ لإياكِ نعبدُ وإياك نستعين.

ومن وجهٍ آخرٍ فقد افتتحَ القرآنَ بالاستعاذةِ من الشيطانِ الرجيم مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]، وختمَ بالاستعاذةِ من شرِ الشيطانِ اللعين ليعلمَ أهلُ الهدىٰ والصراطِ المستقيمِ من يعملُ لصدِّهم عن هديهِ القويم كما قال تعالىٰ في بيانِ ما قالَه اللعين: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦ – ١٧].

قال ابنُ جزي: « فإن قلت: لِمَ خُتِم القرآنُ بالمعوذتين، وما الحكمةُ في ذلك؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأولُ: قال شيخُنا الأستاذُ أبو جعفر بن الزبير– رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: « لمَّا كان القرآن من أعظمِ نِعمِ اللهِ علىٰ عباده، والنعمةُ مظنةُ الحسد، ختمَ بما يُطفِئُ الحسدَ من الاستعاذةِ بالله.

الثاني: يَظهر لي أنَّ المعوذتين ختم بهما؛ لأنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال فيهما: « أنزلت علي آياتٌ لم يُر مثلُهن قط » كما قال في فاتحةِ الكتاب: « لم ينزل في التوراةِ ولا في الإنجيلِ ولا في الفرقان مثلُها » فافتتحَ القرآنُ بسورةٍ لم ينزل مثلُها، واختتمَ بسورتين لم يرَ مثلهما، للجمعِ بين حسنِ الافتتاحِ والاختتام. ألا ترىٰ أن الخُطبَ والرسائلَ والقصائدَ وغيرَ ذلك من أنواعِ الكلام، يُنظر فيها إلىٰ حسنِ افتتاحِها واختتامِها.

والثالث: أنه لمّا أمرَ القارئ أن يفتتحَ قراءتَه بالتعوُّذِ من الشيطانِ الرجيم ختمَ القرآنَ بالمعوذتين لتحصلَ الاستعاذةُ باللهِ عند أولِ القراءة وعند آخرِ ما يقرأُ من القرآن، فتكون الاستعاذةُ قد اشتملت علىٰ طرفي الابتداءِ والانتهاء، فيكون القارئ محفوظًا بحفظِ الله، الذي استعاذَ به مِن أول أمرِه إلىٰ آخره»[(١)]

والله اعلم.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٤٥).

موضوع السورة
الاستعاذةُ من شرِ الشيطانِ الرجيم

قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ
ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي
صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ – ٦].

أولًا: معاني الكلمات:

١. أَعُوذُ: أي أتحصنُ وأستجير.

٢. بِرَبِّ ٱلنَّاسِ: أي خالقُهم ومدبرُ أمورِهم ومربيِّهم ومصلحُ شؤونهم.

٣. ٱلنَّاسِ: اسمُ جمعٍ للبشرِ جميعًا أو طائفةٍ منهم ولا يطلقُ علىٰ غيرِهم علىٰ التحقيقِ.

٤. مَلِكِ ٱلنَّاسِ: سيدُهم وحاكمُهم والمتصرفُ فيهم.

٥. إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ: أي: مألوههم ومعبودُهم بحقٍّ لا معبودَ سواه.

٦. ٱلۡوَسۡوَاسِ: مشتق من الوسوسةِ، وهي الكلامُ الخفي، والمراد به الموسوسُ وهو: الشيطان، وأصلُ الوسوسةِ الحركةُ أو الصوتُ الخفي الذي لا يُحسُ فيحترزُ منه.

٧. ٱلۡخَنَّاسِ: الرجَّاع الذي يخنسُ ويتأخرُ عن القلبِ إذا ذكرَ اللهَ تعالىٰ،

والخُنُوس: التأخرُ في خِفية.

٨. فِي صُدُورِ : الصدورُ هاهنا قد يرادُ بها القلوب.

٩. ٱلۡجِنَّةِ : الجن واحدُهم جني كإنسٍ وإنسي.

ثانيًا: الهداياتُ المستفادةُ من الآيات:

١. تفيدُ إثباتَ ربوبيةِ اللهِ تعالىٰ لجميعِ الخلقِ وعلىٰ رأسِهم الإنسان، التي تعني أنه تعالىٰ هو خالقُ كلِّ شيء، ورازقُهم، ومربّيهم، ومدبِّرُ شؤونهم، ومصلحُ أحوالِهم بجلبِ ما ينفعُهم، ودفعِ ما يضرُّهم، وحفظِهم مما يفسدُهم.

٢. تفيد أنه تعالىٰ قادرٌ مصورٌ حيٌّ قيومٌ سميعٌ عليمٌ بصيرٌ كريمٌ معطٍ مانعٌ معزٌ مذلٌ إلىٰ غير ذلك من المعاني التي تدخلُ في معنىٰ ربوبيتهِ التي له منها ما يستحقُه من الأسماءِ الحسنىٰ.

٣. تفيدُ ملكيتَه تعالىٰ لجميعِ الخلقِ والأشياءِ وعلىٰ رأسِهم الناس، ما من دابةٍ إلا هو آخذ بناصيتِها كما قال تعالىٰ: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس:٨٣]، لا شريكَ له في ملكهِ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

٤. تفيدُ قدرتَه التامةَ علىٰ التصرفِ الكلىٰ في ملكهِ كيف يشاءُ إيجادًا وإعدامًا، منعًا وإعطاءً، فهو مَلِكُهم المتصرفُ فيهم، والمتصرفُ لهم كما يشاءُ، النافذُ الأمر الذي له السلطانُ التامُ عليهم؛ بل هو المتصرفُ في جميعِ العوالمِ كما يشاء.

٥. تفيدُ تذكيرًا للملوكِ بأن الملكَ الحقَّ هو اللهُ تعالىٰ، فهو الملكُ الكامل والسلطانُ القاهر، وأن ملكَ ما سواه ناقصٌ؛ بل أن ملكَهم بتمليكِ الله تعالىٰ إياهم كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦].

٦. تفيدُ أن الذي له الملكُ التامُ، والتصرفُ التامُ، والقدرةُ التامة هو الذي ينبغي أن تفزعَ إليه الخلائقُ عند الشدائدِ والنوائب، ويكونُ معاذَهم وملجأَهم؛ بل لا صلاحَ ولا قيامَ لشؤونهِ إلا به وبتدبيره، فليس لهم ملكٌ غيرُه يهربون إليه إذا دهمَهم العدو ونزلَ بساحتِهم.

٧. تفيدُ أنه تعالىٰ هو الملكُ الآمرُ الناهي، المعزُ المذلُ الذي يصرفُ أمورَ عبادِه كما يحب، ويقلبُهم كما يشاء، وله من معنىٰ الملك ما يستحقُه من الأسماءِ الحسنىٰ كالعزيزِ الجبارِ الحكمِ العدلِ الخافضِ الرافعِ المعزِ المذلِ العظيمِ الجليلِ الكبيرِ المجيدِ الوالي المتعالي مالكِ الملك إلىٰ غيرِ ذلك من الأسماءِ العائدة إلىٰ الملَك.

٨. تفيدُ كمالَ غنىٰ اللهِ تعالىٰ، فهو الربُّ الخالقُ، المالكُ الملكُ لهذا الكون والغني عنهم، كما قال تعالىٰ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦].

٩. تفيدُ فقرَ الخلق إلىٰ اللهِ تعالىٰ فقرًا لا يستطيعون الاستغناءَ عنه طرفةَ عين؛ بل حاجتُهم إليه أعظمُ من حاجتِهم إلىٰ حياتِهم وروحهم.

١٠. تفيدُ إثباتَ ألوهيتهِ جلَّ وعلا، فهو معبودُهم الحقُّ الذي ليس لهم

معبودٌ سواه يستحقُ العبادة، فمن كانت تلك صفاتُه من الربوبيةِ والملكِ التي لم يشاركه فيها أحد، فهو المستحقُ لأن يعبدَ وحده سبحانه، ولا يشركَ معه أحد، فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكًا في إلهيته كما لا شريكَ معه في ربوبيتِهِ وملكه.

١١. تفيدُ تذكيرًا لمن يعبدون غيرَه أن اللهَ تعالىٰ هو المستحقُ وحدَه الإفرادَ بالعبادةِ، فلا ينبغي أن يتوكلَ أو يخافَ أو يرجوَ سواه ولا يذلُ لغيرِه ولا يخضعُ لسواه؛ فهو مربِّيهم والقيِّمُ بأمورِهم والمتولي لشؤونهم، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٢ – ٣].

١٢. تفيدُ أهميةَ استحضارِ معاني هذه الصفاتِ لمن يستعيذُ به جل وعلا من شرِ الوسواسِ الخناس، فمن أدركَ عظمةَ صفاتِ من يستعينُ به هانَ عندَه المستعاذ منه بقدرِ إدراكِهِ لعظمةِ المستعيذِ به.

١٣. تفيدُ بيانَ فضلِ الإنسانِ بين سائرِ الخلق حيث خصَّ ربوبيتَه وملكَه وألوهيتَه بهم، وإنما أضيفت هذه الصفاتُ الثلاثةُ للناسِ مع أنه ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكُه ومعبودُه تشريفًا لهم، فهم متميزون عن سائرِ الخلق؛ ولأن الاستعاذةَ وقعت من شرِ الموسوسِ في صدورهم، فأعلمَ أنه ربَّهم، ليعلموا أنه هو الذي يعيذُ من شرِهم، ومن شرِ ما يلقيهِ الشيطانُ في قلوبِ الناس.

١٤. يفيدُ تكرارُ لفظِ الناس في المواضعِ الثلاثةِ وعدمُ ايقاعِ المضمر موقعه فيقولُ رب الناسِ وملكِهم وإلههم، لبيانِ مزيدِ شرفِ الناس، ولذا

سميت هذه السورةُ باسمِهم الذي كررَ فيها خمس مرات.

١٥. تفيدُ أن المتصفَ بتلكَ الصفاتِ الثلاثة هو الذي يستحقُ أن يفردَ بالعبادةِ، ويستعاذُ بجنابهِ ويلاذ به، فمن كان ربُّهم وملكُهم وإلُههم هو الله تعالىٰ فهم جديرون ألا يستعيذوا بغيرِه، ولا يستنصرون بسواه ولا يلجؤون إلىٰ غيرِ حِماه، فهو كافيُهم وحسبُهم وناصرُهم ووليُّهم ومتولي أمورِهم جميعا بربوبيته وملكه وإلهيته لهم.

١٦. تفيدُ دقةَ التناسبِ من خلالِ ما جاء في ترتيبِ ألفاظِ الاستعاذةِ، فبدأ بذكرِ الربوبية ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾؛ لأنها من أوائلِ النعم وأعظمِها وأعمِها، فهو الذي خلقَهم بها، وحفظَهم من يومِ أن كانوا ضعافًا في بطونِ أمهاتِهم، وقامَ بتدبيرِ وإصلاح جميعِ شؤونهم من أوائلِ أعمارِهم إلىٰ أن بلغوا رشدَهم، ثم ثنَّىٰ بملكه لأن ملكَه لهم تابعٌ لخلقه إياهم، فملكُه من كمالِ ربوبيته ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، ثم ثلث بإلهيتِه ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾؛ لأن من أدركَ كمالَ ملكه أدرك أنه المستوجبُ للخضوعِ والعبادة، فربوبيتُه تستلزمُ ملكَه وتقتضيه، وملكُه يستلزمُ إلهيتَه ويقتضيها.

١٧. تفيدُ عقلًا أن عبادةَ اللهِ تعالىٰ لازمةٌ للعبدِ واجبةٌ عليه، وأنه عبدٌ مخلوق، وبسلطانِ ربه مقهور، ولعبوديتهِ مخلوق.

١٨. تفيدُ أن الخلقَ كلّهم داخلون تحت الربوبيةِ والملكِ، فكلُّ دابةٍ هو آخذٌ بناصيتِها، فمن أخطأَ في إدراكِ صفاتهِ ضلَّ في طريقِ استقامته، ومن هنا جعلوا لهم أربابًا نسبوا إليهم بعض النعمِ ولجؤوا إليهم في دفعِ النقم، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ

﴿إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

١٩. تفيدُ التذكيرَ للناسِ بثلاثِ صفاتٍ لله تعالىٰ من صفاتِ العظمةِ والكمالِ بما يؤكدُ أنه المستحقُ للعبادةِ دون سواه؛ لأن من أقرَّ بربوبيتهِ أقرَّ بملكه، ومن أقرَّ بكمالِ ملكه أقرَّ بألوهيته، فالعبدُ المملوكُ يجبُ عليه السمعُ والطاعةُ لمالكهِ بمجرد الملك، وإن كان مالكُه عبدًا مثلَه فكيف بالعبدِ المملوك لربهِ الواحدِ الأحد الفردِ الصمد.

٢٠. تفيدُ خطورةَ الضررِ الذي يقعُ علىٰ الدينِ من الضررِ الذي يقعُ علىٰ البدن؛ لأنه لما كانت الاستعاذةُ في السورةِ المتقدمةِ من المضارِّ التي تقعُ علىٰ البدنِ غالبًا جاءت الاستعاذةُ بصفةٍ واحدة، ولما كانَ خطرُ الشيطانِ الأولِ متجهًا نحو الدينِ جاءت الاستعاذةُ بثلاثِ صفاتٍ له جل وعلا بما ينبه علىٰ خطرِ التأثيرِ علىٰ الأديان. قال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كانت مضرةُ الدين، وهي آفةُ الوسوسةِ أعظم من مضرةِ الدنيا وإن عظمت جاء البناءُ في الاستعاذةِ منها بصفاتِ ثلاث: الربُّ، والملك، والإله، وإن اتحد المطلوب»(١).

٢١. تفيدُ دلالةً علىٰ أنه تعالىٰ أهل للإعاذةِ بجنابه ، قادرٌ علىٰ حماية من لاذ به وآوىٰ إلىٰ ركنه من خلالِ ما ذكرَ من صفاتهِ.

٢٢. تفيدُ أن معرفةَ معاني الربوبيةِ هو السبيلُ لمعرفةِ موجباتِ الألوهية، فإن العبدَ عليه أن يعلمَ أن له ربًا هو الذي افاضَ عليه بالنعم الظاهرةِ والباطنة، وهو المالكُ لكلِّ شيءٍ، المتصرفُ فيه كما يشاءُ منه، فمن أدركَ تلك المعاني أدركَ بكلِّ سهولةٍ أنه المستحقُ للعبادةِ دون سواه.

---

(١) البحر المحيط أبو حيان الأندلسي (٨/ ٣٩٨).

٢٣. تفيدُ من خلالِ هذا الترتيبِ مراتبَ النظرِ في معرفةِ اللهِ تعالىٰ، فإن الناظرَ يعلمُ بادئَ ذي بدءٍ بأن له ربًا أوجدَه، ومنه كلُّ نعمةٍ عليه، ثم يعمقُ النظرَ فيدركُ أن ربَّه هو الملكُ الحقُّ، المتصرفُ في خلقهِ بما يشاءُ، الغني عن الخلق، ثم يعلمُ أنه المستحق للعبادة فهو إله الناسِ كلهم، فقد جاءت أوصافُ الله بالنسبةِ إلىٰ الناس مرتبةً ترتيبًا مدرَّجًا فإن اللهَ خالقهم، ثم هم غيرُ خارجين عن حكمهِ إذا شاء أن يتصرفَ في شؤونهم، ثم إذا تعمقَ في النظرِ علمَ أنه المستحقُ للعبادة.

٢٤. تفيدُ إرشادًا للنبيِّ ﷺ أهميةَ التعوذِ بالله تعالىٰ من شرِ الوسواس الذي يحاولُ إفسادَ عمله، وإفسادَ إرشادِه الناس، ويلقي في نفوسِ الناسِ الإعراضَ عن دعوته.

٢٥. تفيدُ بالإيماء من خلالِ الأمرِ له أن الله تعالىٰ مُعيذُه من ذلك وعاصمُه في نفسهِ من تسلطِ ووسوسةِ الوسواس عليه، ومتممُ دعوتهِ حتىٰ تعمَّ في الناس.

٢٦. تفيدُ تعليمَ المسلمين التعوذَ بما جاء فيها، وأن لهم السلامةَ من شرِ عدوهم بقدرِ ثقتِهم في ربِّهم والزلفىٰ منه، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٨ – ١٠٠].

٢٧. تفيدُ مشروعيةَ الاستعاذةَ باللهِ تعالىٰ وحده من شرِ الشياطين وشرِ وسوستهم فأوقعَ الاستعاذةَ من شرِ الشيطانِ الموصوفِ بالوسواسِ الخناس الذي

يوسوس في صدورِ الناس ولم يقل من شرِ وسوسته لتعمَّ الاستعاذةُ جميعَ شره.

٢٨. تفيدُ خطورةَ الغفلةِ عن ذكرِ الله تعالىٰ حيث أن الشيطانَ لا يتراجعُ عنه إلا إذا ذكر الله تعالىٰ، فهو يوسوسُ عند غفلةِ العبدِ عن ذكرِ ربه، فإذا ذكرَ اللّٰهَ تعالىٰ خنس، كما دل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦ – ٣٧].

٢٩. تفيدُ خطورةَ الوسوسةِ وعظيمَ ضررها، فهي التي أخرجت آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ من الجنة كما قال تعالىٰ: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه:١٢٠]، فهي شرُّ صفاتهِ وأقواها تأثيرا، وأعمُّها فسادا، فهي مبدأُ الإرادةِ، فإن القلبَ يكون فارغا من الشرِ والمعصيةِ، فيوسوسُ إليه حتىٰ يخطرَ الذنبُ ببالهِ، فيمنِّيه ويشهيه فيصيرُ شهوةً، ويزينُها له ويحسنَها وينسيه علمَه بضررِها، ويطوي عنه سوءَ عاقبتِها، فتصيرُ الإرادةُ عزيمةً جازمةً فيشتدُ الحرصُ عليها من القلب، ثم يبعثُ جنودَه ليحركَهم إليها كلما فترت عزائِمهم، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]، فلا تزالُ بالعبدِ تقودُه إلىٰ الذنبِ بألطفِ حيلةٍ وأتمِّ مكيدة.

٣٠. تفيدُ تسميةَ الشيطانِ بالحدثِ ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ لكثرةِ ملابسته للوسوسة، وشدةِ حرصه علىٰ إضلالِ الناس؛ لأن الوسواسَ: كثيرُ الوسوسةِ ليضلَ بها الناس.

٣١. تفيدُ دليلًا من أدلةِ صدقِ القرآن؛ لأن كلَّ إنسانٍ يحسُ بهذه

الوسوسة التي يجدُها في صدرِه.

٣٢. تفيدُ خطورةَ الشيطان الذي هو أصلُ الشرورِ كلِّها ومادُتها وذلك للآتي:

- خصصت له سورةٌ كاملةٌ في الاستعاذة.
- جاءت الاستعاذةُ منه بثلاثِ صفاتِ الله تعالىٰ، بربِّ الناس ومالكِهم وإلههم، مع أن سورةَ الفلقِ في الاستعاذةِ من ثلاثةِ شرور جاءت الاستعاذةُ بصفة واحدة.
- أنه يوجه سهامَه للقلبِ الذي إذا فسدَ فسدَ كلُّ شيءٍ، وإذا صلحَ صلحَ كلُّ شيء، فهو يوسوسُ في صدور الناس.
- أنه يجري من الإنسانِ مجرىٰ الدم، فلا يستطيعُ أن يحفظَ نفسَه من شرِه إلا بالاعتصامِ بربه.
- أن وسوستَه دائمةٌ، وسعيَه في الإضلالِ مستمر، فهو عدوٌ متربصٌ بالليلِ والنهار، كثيرُ العددِ، متنوعُ الحيل.
- أن وسوستَه تأتي بطرقٍ خفية قد لا يدركُها الكثيرُ من الناس، فهو خبيرٌ بطرقِ السوءِ وتزيينِ القبيح حتىٰ يراه الناسُ في صورةٍ حسنة، وينشطُ إرادتَهم لفعلِه، ويقبحُ الحسنَ، ويريهم إياه في صورةٍ غيرِ صورتِه.
- أنه يريدُ أن يقطعَ الخلقَ عن ربوبيةِ الله تعالىٰ، ويسعىٰ لجعلِ العبادِ من حزبِه ليكونوا من أصحابِ السعير.

٣٣. تفيدُ كثرةَ وساوسِ الشيطان ﴿يُوَسْوِسُ﴾ فهو يوسوسُ بأشياءَ كثيرةٍ للوصولِ إلىٰ أهدافِه في الإضلال، منها وساوسُ لإفسادِ الإيمانِ والتشكيكِ في المعتقدِ، وإذا لم يستطع ذلك أمرَه وحثه ودفعَه إلىٰ المعاصي وزينها له، فإن

لم يستطع علىٰ ذلك ثبَّطه عن الطاعاتِ وقبَّحها له، فإن لم يقدر علىٰ ذلك أدخلَ عليه الرياءَ في الطاعات ليحبطَها، فإن سلم من ذلك أدخلَ عليه العجبَ بنفسه واستكثارَ عمله، فهو يقودُ الإنسانَ إلىٰ شرِّ الأعمالِ وأقبحِ الأحوال.

٣٤. تفيدُ تفرُّغَ الشيطانِ للوسوسةِ، وأن الحالةَ المستمرةَ له يوسوسُ ثم يخنسُ، فهو لا يألو جهده فيما يفسدُ علىٰ الإنسانِ دينه وآخرته، وفي صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ). قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (وَإِيَّايَ إِلاَّ أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلاَ يَأْمُرُنِي إِلاَّ بِخَيْرٍ)(١).

٣٥. تفيدُ إشارةً إلىٰ عدمِ تمكن الوسوسة من القلبِ، وأنها غيرُ حالَّةٍ فيه؛ بل هي تحوم في الصدرِ حول القلب لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

٣٦. تفيد أن إبليسَ يوسوسُ في صدورِ الجن كما يوسوس في صدورِ الإنس ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

٣٧. تفيد أن الشياطينَ كما يكونون من الجنِ يكونون من الإنسِ، وأن الإنسَ لهم شياطين يستعاذ منهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]. وقال قتادةُ: إن من الجنِ شياطين، وإن من الإنسِ شياطين، فنعوذُ باللهِ من شياطين الجن والإنس.

٣٨. تفيدُ أن الوسوسةَ كما تكون من الجنِ تكون من الإنس، وهم

(١) أخرجه مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بَابُ تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا، ح رقم (٢٨١٤).

كذلك يقومون بالوسوسة قال: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ فهذا بيانٌ لجنسِ الوسواس، وأنه يكون من الجنِّ ومن الناس، فالشرُ من الجهتين جميعًا، أما شيطانُ الجنِّ فيوسوسُ في صدورِ الناس، وأما شيطانُ الإنسِ فوسوستُه في صدورِ الناس أنه يريه نفسَه كالناصحِ المشفقِ فيوقعُ في الصدرِ من كلامِهِ الذي أخرجَه مخرج النصيحة ما يوقعُ الشيطان فيه بوسوسته.

٣٩. يفيدُ مجيءُ الفعلِ هنا بوزنِ (فعال) الذي للمبالغةِ ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ دون الخانسِ والمنخنس إيذانًا بشدةِ هروبِهِ ورجوعِهِ وعظمِ نفوره عند ذكرِ الله، فإن ذكرَ اللهِ هو المقمعة التي يقمعُ بها، ولهذا يكون شيطانُ المؤمن هزيلا ضئيلا مضنيًا مما يعذبُه ويقمعُه به من ذكرِ الله وطاعته، بينما شيطانُ الفاجرِ الذي هو معه في راحةٍ ودعة؛ ولهذا يكون قويًا عاتيًا شديدًا، قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن لم يعذب شيطانَه في هذه الدارِ بذكرِ اللهِ تعالىٰ وتوحيدِه واستغفارِه وطاعتِهِ عذَّبَه شيطانُه في الآخرةِ بعذابِ النارِ، فلا بدَ لكلِّ أحدٍ أن يعذبَ شيطانَه أو يعذبُه شيطانُه.. وتأمل كيف جاءَ بناءُ الوسواسِ مكررًا لتكريرِه الوسوسةِ الواحدة مرارًا حتىٰ يعزمُ عليها العبدُ، وجاء بناءُ الخناسِ علىٰ وزنِ الفعال الذي يتكررُ منه نوعُ الفعل؛ لأنه كلما ذكرَ الله انخنس، ثم إذا غفلَ العبدُ عاوده بالوسوسةِ فجاء بناءُ اللفظين مطابقًا لمعنييهما»(١).

٤٠. تفيدُ أن علاجَ وسوستِه بثلاثةِ أشياء:

أولها: الإكثارُ من ذكرِ الله.

وثانيها: الإكثارُ من الاستعاذةِ بالله منه، ومن أنفعِ الأشياءِ في ذلك قراءة هذه السورة.

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٣٧٥).

وثالثها: مخالفتُه والعزمُ علىٰ عصيانه، فإنه لا يوسوس إلا فيما فيه ضررُ الإنسانِ من خلال حرفه عن عبودية ربه، وصرفه نحو معصيته.

٤١. تفيدُ أن جميعَ الناسِ معرضين بصورةٍ دائمةٍ لوساوسِ الشياطين، ويسعىٰ الشياطين للنفوذِ إلىٰ قلوبِهم مهما كان علمُهم وصلاحُهم، فالشيطان يسعىٰ لإفساد أمورِهم وصرفِهم عن جادةِ الحقِّ والهدىٰ.

٤٢. تفيدُ أن عبوديةَ اللهِ تعالىٰ لا تتمُّ في صورتِها المطلوبةِ إلا بدفعِ شرِّ عدوهم، الذي يريدُ أن يقتطعَهم عنها ويحولُ بينهم وبينها، ويريدُ أن يجعلَهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير.

٤٣. تفيدُ أهميةَ الاستعاذةِ والذكرِ لردِ خطرِ الشيطان الذي إذا ذكرَ العبدُ ربَّه خنس وإن لم يذكر وسوس.

٤٤. تفيدُ تذكيرَ الثقلين أن من استعاذَ بالله ارتفعت عنه محنُ الدنيا والآخرة، فهي في الترغيبِ في الاستعاذةِ، وتجديدِ التوكلِّ علىٰ الله تعالىٰ.

٤٥. تفيدُ خطورةَ ما توسوسُ به النفسُ من شهواتِ الهوىٰ، وهذا الذي نُهي المرءُ عن اتِّباعه وأُمِر بمعصيتِه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

٤٦. تفيدُ أهميةَ التنبهِ ممن يوسوسُ بخدعةٍ من البشر، ويدعو إلىٰ الباطلِ ممن يزينُ الشرَّ ويحسنُ القبيح، ويلقي الشبه في النفس، ويثيرُ الهواجسَ والخواطرَ بالكلماتِ الفاسدة.

٤٧. تفيدُ ما يوجبُ محبةَ اللهِ تعالىٰ الناصرِ لأوليائِه، الحافظِ لمن احتمىٰ بجنابه.

٤٨. يفيدُ تقديمُ الجنة هنا علىٰ الناسِ أنهم أصلُ الوسواسِ، بخلافِ تقديم الإنس علىٰ الجن في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢] لأن خُبثاء الناس أشد مُخالطة للأنبياءِ من الشياطين؛ ولأن اللهَ عصمَ أنبياءه من تسلطِ الشياطين علىٰ نفوسِهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر:٤٢]، ولم يعصمهم من لحاقِ ضرِ الناس بهم والكيدِ لهم لضعفِ خطرهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠] ولكنه ضمنَ لرسلهِ النجاة من كلِّ ما يقطعُ إبلاغَ الرسالةَ إلىٰ أن يتمَّ مرادَ الله.

٤٩. تفيدُ الحثَّ علىٰ معاداةِ الشيطان الخاذل لأوليائه، الساعي في إفساد شؤونهم.

٥٠. تفيدُ أهميةَ التنبه لخطورةِ الشيطانِ وضررِه وشره العريض، فهو لصٌ سارقٌ لأموالِ الناس فكلُّ طعامٍ أو شرابٍ لم يذكر اسمُ الله تعالىٰ عليه فله فيه حظٌ بالسرقةِ والخطف، وإذا نامَ العبدُ عقدَ علىٰ رأسهِ عقدا تمنعه من اليقظة للعبادةِ، كما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا إلىٰ النَّبيّ ﷺ: (يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلَاثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلًا طَوِيلًا، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَتَانِ، فَإِذَا صَلَّىٰ انْحَلَّتِ الْعُقَدُ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا

أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ)[١]، ومن شرِّه أنه يبولُ في أذنِ العبدِ حتىٰ ينامَ إلىٰ الصباح كما جاء في الصحيحين عَنْ أَبِىٰ وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّىٰ أَصْبَحَ قَالَ: (ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ في أُذُنَيْهِ) أَوْ قَالَ: (فِي أُذُنِهِ)[٢]، فهو قاعدٌ لابنِ آدم بطرقِ الخير كلِّها فما من طريقٍ من طرقِ الخير إلا والشيطانُ قاعدٌ عليه يمنعُه بجهدِه أن يسلكَه، كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ – ١٧]، ولقد بلغَ شرّه أن أعملَ المكيدة وبالغَ في الحيلةِ حتىٰ أخرج آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ من الجنة، ثم لم يكفه ذلك حتىٰ استقطعَ من أولادِه من كلِّ ألفٍ تسعةَ وتسعين ليكونوا في نارِ جهنم معه، ثم لم يكفه ذلك حتىٰ أعملَ الحيلةَ في إبطالِ دعوة اللهِ من الأرض، وسعىٰ أن تكون الدعوةُ له، وأن يعبدَ من دونِ الله، فهو ساعٍ بأقصىٰ جهدِه علىٰ إطفاءِ نورِ اللهِ، وإبطالِ دعوته وإقامة دعوةِ الكفرِ والشرك ومحو التوحيدِ وأعلامه من الأرض... ولا يمكن حصرُ أجناسِ شرِه فضلا عن آحادِها إذ كلُّ شرٍ في العالمِ فهو السبب فيه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، بَابُ عَقْدِ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ قَافِيَةِ الرَّأْسِ إِذَا لَمْ يُصَلِّ بِاللَّيْلِ، ح رقم (١١٤٢)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ مَا رُوِيَ فِيمَنْ نَامَ اللَّيْلَ أَجْمَعَ حَتَّىٰ أَصْبَحَ، ح رقم (٧٧٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، بَابُ صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ ح رقم (٣٢٧٠)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ مَا رُوِيَ فِيمَنْ نَامَ اللَّيْلَ أَجْمَعَ حَتَّىٰ أَصْبَحَ، ح رقم (٧٧٤).

ثالثًا: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما كانت سورةُ الفلقِ في الاستعاذةِ من شرِّ ما خلقَ من جميعِ المضارِ البدنية وغيرِها، العامةِ للإنسانِ وغيره، وخصصَ فيها شرورًا بعينها وهي (الغاسقُ، والساحرُ، والحاسد)، جاءت سورةُ الناسِ في الاستعاذةِ من شرٍّ خاص وهو الوسواس، وهو سببُ الذنوبِ والمعاصي كلِّها، لما كانت صفةُ الربوبيةِ من صفاتِ كمالِه سبحانه أليقَ بالحمايةِ والإعانةِ والرعايةِ والتدبيرِ والتربية والإصلاح، المتضمنةِ للقدرةِ التامة والرحمةِ الواسعة بدأ بذكرِها، فقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ولما ذكرَهم بربوبيتَه، وهي أقربُ إلىٰ اللطفِ والتربية، ذكرَ صفتَه التي تدلُ علىٰ القهرِ والغلبة، وهي من لوازم ربوبيته، فقال تعالىٰ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، ولما كان انفرادُه بالربوبيةِ والملك مستلزمًا لانفرادِه بالألوهية، قال: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾، ولما أكملَ الاستعاذةَ من جميعِ وجوهِها التي مدارُها الإحسانُ أو العظمةُ أو القهرُ أو الإذعانُ والتذللُ ذكرَ المستعاذَ منه بأعظمِ وصفٍ يدلُ علىٰ خطورتهِ فقال: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾، ولما كان الملكُ الأعظمُ سبحانه لم ينزل داءً إلا أنزلَ له دواء، وكان قد جعلَ دواءَ الوسوسةِ ذكرَه سبحانه وتعالىٰ، فإنه يطردُ الشيطانَ، وينيرُ القلبَ ويصفيه، وصفَ سبحانه وتعالىٰ فعلَ الموسوس عند استعمالِ الدواء إعلامًا فقال: ﴿ٱلۡخَنَّاسِ﴾ أي الذي عادتُه أنه يخنسُ عند ذكرِه تعالىٰ، ولما ذكرَ صفةَ المستعاذ منه بالصورةِ التي تنبه علىٰ خطرِه ذكرَ محلَّ وسوستهِ بما يزيدُ التنبهِ لشرِّه، فقال: ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾، ولما كان الذي يوسوسُ بالشرِّ تارةً من الجنِ وتارةً من الإنس جاء التحذيرُ من كليهما مقدمًا الأهمَ الأضرَّ، فقال تعالىٰ: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

رابعًا: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها:

قد ختمت السورةُ بما بدئت به، فبدأت بالناسِ وختمت بهم، وبدأت بما يستعاذُ به وختمت بما يستعاذُ منه.

خامسًا: خصائص السورة في عرض هداياتها:

- الاستعاذةُ بثلاثِ صفاتٍ لله تعالىٰ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ① مَلِكِ ٱلنَّاسِ ② إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾.
- تسميةُ الشيطانِ بالوصفِ الملامس له ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾.
- بيانُ مكانِ وسوسته ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ﴾.
- ذكرُ من تقعَ عليهم الوسوسة ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

سادسًا: التكاليفُ الإيمانيةُ والعمليةُ من هدايات السورة:

١. إدراكُ شدةِ عداوةِ الشيطان وخطورتِه وكثرةِ شرورِه.

٢. معرفةُ مكائدِ الشيطان وطرقِه وخطواتِه في الدخولِ علىٰ العلماءِ والعُبَّادِ وعوام الناس للتنبه لشره، فإن اللهَ تعالىٰ نهىٰ عن اتباعِ خطواته.

٣. الاستعاذةُ باللهِ من الشيطانِ وشرِّه، ودعائه تعالىٰ أن يقينا شرَّه.

٤. صدقُ الالتجاءِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ مما يخافُه العبدُ ويخشاه مع الثقةِ بكفايتهِ.

٥. التحصنُ بقراءةِ هاتين السورتين فإن لهما تأثيرا عجيبا في الاستعاذةِ باللهِ تعالىٰ من شرِّ الشيطان ودفعهِ؛ ولهذا قال النبيُّ ﷺ: (مَا تَعَوَّذَ النَّاسُ بِأَفْضَلَ مِنْهُمَا)[1].

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٧٨٠٩) وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (١١/ ٤٢٩).

٦. الإكثارُ من قراءةِ السورِ التي تقي خطورةَ الشيطان، وتدفعُ شرَّه كسورة الإخلاص والمعوذتين، وسورة البقرة، وآية الكرسي والآيتين الأخيرتين من سورة البقرة.

٧. المحافظةُ علىٰ الاذكارِ خاصةً أذكارَ الصباحِ والمساءِ، والإكثارِ منها، بصورةٍ خاصة التي جاء فيها الدليلُ علىٰ أنها تكونُ حرزًا من الشيطان، كما جاء في الصحيحين عَنْ أَبِىٰ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ. كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. وَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ)[١]. فهذا حرزٌ عظيمُ النفعِ جليلُ الفائدةِ يسيرٌ سهلٌ علىٰ من يسرَّه اللهُ تعالىٰ عليه.

٨. الحفاظُ علىٰ أعمالِ القلوب، ودفعُ نزغاتِ الشياطين ووسوستِهم وتأثيرِهم.

٩. المداومةُ علىٰ الطاعاتِ، وعدمُ التراخي عنها، مع الابتعادِ عن المعاصي والذنوبِ.

١٠. تحقيقُ التوحيدِ بإخلاصِ العبوديةِ له، فهو أعظمُ حصنٍ للعبدِ كما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب بدء الخلق، بَابُ صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، ح رقم (٣٢٩٣)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ، ح رقم (٢٦٩١).

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢ – ٨٣].

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة الناس ولله الحمد والمنة ببلد الله الحرام

مكة في يوم الجمعة ١٥ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ

خاتمة الكتاب

بعد جهد استمر لأربع سنوات متتالية بين قراءة ومدارسة وتدريس - ولله الحمد والمنه، ومنه التوفيق والتيسير - أصل اليوم ومع نهاية العام الهجري ١٤٣٨ إلىٰ ختام هذا الجزء المبارك «جزء عمَّ»، وهذا الختام لا يعني نهاية نظري وبحثي فيه، فإني كلما نظرت وتدبرت في آيات هذا الكتاب ظهرت لي معان ودلالات لم تكن في خيالي وأنا أتلوها وأدرسها أكثر من ربع قرن من الزمان؛ ولكني أختم ما توصلت إليه وانتهىٰ عنده جهدي حتىٰ يخرج هذا العمل الذي أسأل الله تعالىٰ أن يكون خالصًا نافعًا متقبلًا، وينفعني به في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم.

أ- نتائج عامة من الدراسة:

وقد ظهرت لي من خلال الاستقراء والتتبع والدراسة لسور وآيات «جزء عمَّ» نتائج كلية غير التي أثبتها في دراسة كل سورة ألخصها في الآتي:

١- المقاصد الكلية لسور وآيات جزء عمَّ دارت حول خمس مقاصد مهمة وأساسية في إصلاح وتربية الفرد والمجتمع، تتلخص في الآتي:

- إبراز جوانب توحيد الله تعالىٰ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته بما يظهر عظمته، وقدرته عَزَّوَجَلَّ علىٰ ما يشاء، وجليل نعمه وفضله علىٰ عباده، من السورة الخادمة لهذا المقصد بصورة بارزة:» النبأ – النازعات – عبس

- البروج -الطارق- الأعلىٰ - الغاشية - الفجر - البلد - الشمس -الليل - التين -العلق - الفيل - قريش - الكافرون - الإخلاص - المعوذتين».

▪ زرع اليقين بيوم الدين، من خلال بيان: أدلته، وكيفية وقوعه، وما يسبق القيامة من علامات وأحداث، وما يتبع ذلك من أهوال وطامات، مع بيان حال الناس ومصيرهم من لحظة قيامهم، وعند أخذهم لكتبهم، ورؤيتهم لأعمالهم إلىٰ الانتهاء بمصيرهم إلىٰ الجنة أو النار، مع بيان الأسباب الصارفة عن الآخرة، والمؤدية إلىٰ التكذيب به، في أسلوب يزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة، وهو المقصد البارز في معظم سور الجزء، والتي من أبرزها: «النبأ - النازعات - عبس - التكوير- الانفطار - المطففين- الانشقاق- البروج- الطارق-الغاشية-الفجر-الليل-البينة- الزلزلة-العاديات- القارعة- التكاثر- الهمزة-الماعون-المسد».

▪ إثبات صدق القرآن الكريم، وإظهار مكانته وفضله، بما يبين عظمته ويحبب الخلق إليه، من هذه السورة الخادمة لهذا المقصد بصورة بارزة: « عبس - التكوير - الطارق - الانشقاق- البروج - الأعلىٰ- العلق -القدر - البينة».

▪ بيان مكانة وقدر النبي ﷺ وما حباه الله تعالىٰ به من الكرامة والعناية والفضل، من السور الخادمة لهذا المقصد بصورة بارزة: «عبس -التكوير - الأعلىٰ - البلد - العلق - الضحىٰ-الشرح - البينة- قريش - الكوثر - الكافرون - النصر -المسد».

- الدعوة إلىٰ مكارم الأخلاق وتزكية النفوس وتهذيبها، من السور الخادمة لهذا المقصد بصورة بارزة : «النازعات - عبس – المطففين – الأعلىٰ- الفجر– البلد – الشمس - الليل– العلق – العاديات – العصر- الهمزة - الماعون».

٢- تميزت كل سورة من سور الجزء بمميزات خاصة في افتتاحيتها وخاتمتها وموضوعاتها وأسلوبها تحتاج أن تفرد بدراسات علمية؛ لأني اكتفيت هنا بالإشارة إلىٰ بعضها.

٣- التناسق والتناسب الدقيق بين سور وموضوعات وآيات وجمل وألفاظ هذا الجزء، وبين مقدمات كل سورة وخاتمتها؛ اكتفيت بالإشارة إلىٰ بعضها، وتركت الكثير منها اختصارًا من جهة، وعجزاً من جهة أخرىٰ، وهو موضوع عظيم تنقطع دونه الأنفاس، وتحتار فيه الألباب، بما يؤكد أن ترتيب السور والآيات كله من عند الله تعالىٰ ليس للاجتهاد في ذلك نصيب، وهو يحتاج أن يفرد بدراسات خاصة.

٤- تميُّز اللفظة القرآنية بدقة اختيارها في الدلالة علىٰ المعنىٰ الواحد حسب موضوع كل سورة ومقاصدها، وسياقها التي وردت فيه، فالقيامة مثلاً عُبِّر عنها: «بيوم الفصل، والطامة الكبرىٰ، والصاخة، والغاشية، والقارعة، والزلزلة وغيرها»، وكل اختيار له معان متجددة تسحر الألباب.

٥-تنوع وتعدد هدايات هذا الجزء، وترجع الدلالة في غالبها للألفاظ أو السياق، أو الأسلوب، أو تنوع القراءات، وهنالك هدايات نص عليها بعض العلماء تجد لتخصص العالم أو زمانه أو بيئته أثر في التنبيه عليها وبيانها.

٦-أن غالب من كتبوا في التفسير ذكروا بعض الهدايات؛ لكنهم لم يولوها عنايتهم ولم يقصدوها بالتأليف والدراسة؛ بل كان الغالب عندهم بيان المعنىٰ؛ ولكن ما نثر فيها عند جمعه كثير.

٧-تنوع وتميز الأسلوب الذي عرضت به هدايات هذا الجزء بما يتناسب مع غرض الكلام في كل سورة بصورة دقيقة وعجيبة من تلك الأساليب البارزة: القسم الذي تنوع وتعدد بصورة عجيبة في المقسم به والمقسم عليه، والاستفهام الذي تنوع كذلك في أغراضه ودلالاته، والشرط، والاجمال ثم التفصيل، والغيبة والحضور في الخطاب، والترغيب والترهيب، والتأكيد والتكرار، والقصص والأمر وغيرها من أساليب بيانية رائعة ومؤثرة بصورة قوية في دلالة المعنىٰ وأثره في النفوس من حيث التشويق أو التفخيم أو التقرير وغيرها بصورة تحتاج أن تفرد بدراسة خاصة.

ب- توصيات الدراسة:

من خلال النتائج السابقة يوصي الباحث بالآتي:

○ أهمية دراسة موضوع السورة ومحاورها وإظهارها للناس في رسوم بيانية تيسر فهم القرآن للناس اليوم.

○ اهتمام من يفسرون القرآن بهدايات الآيات، لأننا في زمان يحتاج الناس إلىٰ ذلك، وأن يكون دور المفسر فتح العقول لمزيد من التدبر كذلك في هداياته، وليس حصر الناس حول فهم ما توصل إليه من خلال نظره واجتهاده، فالقرآن أعظم من أن تحيط به عقول العالمين.

○ السعي لربط الواقع بهدايات القرآن، وربط الأمة بهدي القرآن، وجعل القرآن قائد مسيرة الأمة نحو السعادة وبر الأمان بشتىٰ الطرق والوسائل.

تم بحمد الله

ببلد الله الحرام في ليلة الخميس

٢٩ من ذي الحجة ١٤٣٨ هـ

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفىٰ الباز، ط: مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، مكة المكرمة، ط١: ١٤١٧ هـ ١٩٩٦م.

٣. أحكام القرآن، لابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط: دار الفكر للطباعة، بيروت، بدون.

٤. أحكام القرآن، لمحمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق ط: دار الكتب العلمية -بيروت، ١٤٠٠هـ.

٥. إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، للقاضي محمد بن محمد بن مصطفىٰ المعروف بأبي السعود، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٦. أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، ط: دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٥هـ.

٧. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، للشيخ أبو بكر جابر الجزائري، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٣: ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٨. بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، تحقيق د. محمود مطرجي، ط: دار الفكر، بيروت، بدون.

٩. البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، طبعة جديدة بعناية زهير جعيد، ط: دار الفكر، بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

١٠. بدائع الفوائد، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق علي بن محمد العمران، ط: دار عالم الفوائد، مكة، ط١/ ١٤٢٥ه.

١١. البرهان في تناسب سور القرآن، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، تحقيق: محمد شعباني ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٢. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط: دار المعرفة، بيروت، ط: ١٣٩١م.

١٣. بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادىٰ، تحقيق الأستاذ محمد علىٰ النجار، ط: المكتبة العلمية، بيروت.

١٤. التبيان في أقسام القرآن، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الفكر.

١٥. التحرير والتنوير للإمام محمد بن الطاهر عاشور، ط: دار سحنون، تونس، بدون.

١٦. التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤: سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

١٧. تفسير الإمام ابن عرفة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: د. حسن المناعي، دار النشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية، ط١-تونس -١٩٨٦م.

١٨. التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح الميسور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بشير ياسين، ط: دار المآثر، المدينة النبوية، ط١/ ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

١٩. تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير الدمشقي، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٢٠. تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، ابن أبي حاتم. عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط: مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، مكة، ط٢: ١٤٢٧هـ ٢٠٠١م.

٢١. تفسير القرآن لإمام أبي مظفر السمعاني، منصور بن محمد عبد الجبار التميمي المرزوي، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، ط: مدار الوطن، ط ٢: ١٤٣٢ – ٢٠١١م.

٢٢. تفسير المراغي، أحمد مصطفىٰ المراغي، ط: توزيع مكتبة عباس بن أحمد الباز، مكة المكرمة، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢: ٢٠٠٦م –١٤٢٧هـ.

٢٣. تفسير جزء عم، لمحمد بن صالح العثيمين، ط: دار الثريا للنشر، ط١: ١٤٢٥ه–٢٠٠٤م.

٢٤. تفسير حدائق الروح والرياح في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبدالله الهرري، ط: دار طوق النجاة–بيروت–لبنان، ط: بدون.

٢٥. تهذيب اللغة، أبو المنصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١: ٢٠٠١م.

٢٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢١هـ-٢٠٠٠ م.

٢٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٨. الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: محمد إبراهيم الخناويِّ ومحمود حامد عثمان، ط: دار الحديث، القاهرة، ط: ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٢٩. الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ط: دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، ضبطه وصححه علىٰ عبد الباري عطيَّة، ط: المكتبة العلمية، بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٣١. زاد المسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣: ١٤٠٤هـ.

٣٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي، دمشق، ١٤٠٥هـ.

٣٣. سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ط: إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

٣٤. سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، ط: المكتبة العصرية، بيروت، بدون.

٣٥. سنن الترمذي لمحمد بن عيسىٰ أبو عيسىٰ الترمذي ط: دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

٣٦. سنن الدارقطني، علىٰ بن عمر الدار قطني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، بدون.

٣٧. سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٠٧ه.

٣٨. السنن الكبرىٰ وفي ذيله الجوهر النقي، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ط١: ١٣٤٤هـ.

٣٩. سنن النسائي لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ط: دار البشائر الإسلامية، ط: ١٩٨٦م.

٤٠. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد بسيوني زغلول، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤١٠هـ.

٤١. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ط: دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨-١٩٧٨، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي.

٤٢. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت، ط٢، ١٤١٤ه -١٩٩٣م.

٤٣. صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض ١٤٠٠هـ.

٤٤. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض ١٤٠٠هـ

٤٥. صحيح وضعيف الجامع وزيادته لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢: ١٣٩٩ه.

٤٦. صحيح وضعيف سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف، الرياض، ط١، بدون.

٤٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، ط: دار الكتب العلمية –بيروت، ط١: ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٤٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي بن عبد العزيز الشبل، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار السلام، الرياض، ط١: ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٤٩. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، ط: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٥٠. فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني تحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة، ط: دار الوفاء، المنصورة، ط٢: ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٥١. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط: دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط١٧: ١٤١٢هـ.

٥٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ط: دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٣. الكشف والبيان، لأبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، ط: دار إحياء التراث العربي -بيروت -لبنان ،ط١: ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م

٥٤. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الشهير بالخازن، ط: دار الفكر بيروت، ط١: ١٣٩٩هـ.

٥٥. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الشهير بالخازن، ط: دار الفكر بيروت، ط١: ١٣٩٩هـ.

٥٦. متن القصيدة النونية، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، ط٢: ١٤١٧هـ.

٥٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علىٰ بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر، ط: دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٥٨. مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميّة، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط:١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٥٩. محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١: ١٤١٥هـ ١٩٩٤.

٦٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ط١: ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م.

٦١. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢: ١٣٩٣ ه – ١٩٧٣م.

٦٢. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط: دار الكلم الطيب-بيروت، ط١: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٦٣. المستدرك علىٰ الصحيحين للحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ط: دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٦٤. مسند الإمام أحمد، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ط: المكتب الإسلامي بيروت، ط: ١٩٨٥م.

٦٥. مصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، ط: مكتبة الرشد، الرياض، ط١: ١٤٠٩، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٦٦. معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله نمر، ود. عثمان جمعة، وسليمان مسلم، ط: دار طيبة، الرياض، ط١: ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٦٧. معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، ط: عالم الكتب – بيروت ط١: ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٦٨. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط: مكتبة العلوم والحكم–الموصل، ط٢: ١٤٠٤ه-١٩٨٣م.

٦٩. المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفىٰ أحمد الزيات حامد عبد القادر محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط: دار الدعوة، بدون.

٧٠. مفاتيح الغيب للإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٧١. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، للإمام ابن قيم الجوزية، ط: دار ابن حزم، بيروت، ط١: ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد ابن أبي بكر أيوب الزرعي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٢. المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني تحقيق وضبط محمد خليل عيتاني، ط: دار المعرفة، بيروت، ط٣: ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٧٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤١٥هـ.

٧٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤١٥هـ.

٧٥. نكت القرآن الدالة علىٰ البيان في أنواع العلوم والأحكام، للحافظ محمد بن علي الكرجي القصاب، تحقيق: د. علي بن غازي التويجري، ط: دار ابن القيم، ط٢: ١٤٢٩ه–٢٠٠٨م.

٧٦. النكت والعيون في تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية بيروت، ط١: ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٧٧. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ–١٩٩٤م.

المحتوى

تفسير وهدايات سورة الفجر ٣

مدخل لدراسة السورة.. ٥

الموضوعُ الأول: بيانُ أدلةِ الإيابِ والحساب ٧

الموضوعُ الثاني: بيانُ أحوالِ العباد من الابتلاء ٢٣

الموضوعُ الثالث: ما يكون في يومِ الحساب، وكشفُ بعض أحوالِ العباد٣٦

تفسير وهدايات سورة البلد.. ٤٩

مدخل لدراسة السورة.. ٥١

الموضوعُ الأول: خلقُ الإنسانِ في كبد، وما هو عليه من غرورٍ وجهلٍ وغفلة... ٥٣

الموضوعُ الثاني: الحضُ على طريقِ الخيرِ والتحذيرِ من طريقِ الشر .. ٦١

وبهذا تمَّ الكلام عن سورة البلد ولله الحمد والمنة ببلد الله الحرام مكة في يوم الجمعة ٢٤ ذو الحجة من عام ١٤٣٦هـ ٧٢

تفسير وهدايات سورة الشمس ٧٣

مدخل لدراسة السورة.. ٧٥

الموضوعُ الأول: القسمُ بعظيمِ مخلوقاتهِ لبيانِ ما يكونُ به الفوزُ والخسران ٧٧

الموضوعُ الثاني: ذكرُ نموذجٍ لمن دسوا أنفسَهم فتحققَت خيبتُهم ٨٤

تفسير وهدايات سورة الليل ٩٣

مدخل لدراسة السورة.. ٩٥

الموضوعُ الأول: بيان تفاوت الناس في الخير والشر وعاقبتهما ٩٧

الموضوعُ الثاني: الترهيبُ من سعي الشرِ والترغيبُ في سعي الخير ...١٠٤

تفسير وهدايات سورة الضحى ١١٥

مدخل لدراسة السورة...١١٧

موضوع السورة ومحاورها بيانُ قدرِ النبيِّ ﷺ، وكمالِ عنايةِ الله به ١٢٠

الموضوعُ الأول: تبشيرُ النبيِّ ﷺ ببشاراتٍ عظيمةٍ من ربِّه ١٢٣

الموضوعُ الثاني: بيانُ بعضِ مننه عز وجلَّ على رسولهِ ﷺ في حياتهِ السابقة ١٢٨

الموضوعُ الثالث: تكليفُه ﷺ ببعضِ الوصايا العظيمة ١٣٢

تفسير وهدايات سورة الشرح ١٣٩

مدخل لدراسة السورة...١٤١

موضوع السورة بيانُ عنايةِ اللهِ تعالى بالرسولِ ﷺ ١٤٢

تفسير وهدايات سورة التين ١٥٣

مدخل لدراسة السورة...١٥٥

موضوع السورة بيانُ عنايةِ اللهِ تعالى بالإنسانِ وما به يكون سفوله وعلوه .. ١٥٧

تفسير وهدايات سورة العلق ١٦٩

مدخل لدراسة السورة...١٧١

الموضوعُ الأول: الحديثُ عن خلقِ الإنسانِ وتعليمِهِ ١٧٥

الموضوعُ الثاني: بيانُ طغيانِ الإنسانِ وأسبابُ علاجه وذكر نموذج منه١٩٠

تفسير وهدايات سورة القدر ٢٠٧

مدخل لدراسة السورة.......................................٢٠٩

موضوع السورة بيانِ فضلِ القرآنِ الكريم ببيانِ فضلِ الليلةِ التي أنزلَ فيها.. ٢١٠

تفسير وهدايات سورة البينة ٢٢٣

مدخل لدراسة السورة.......................................٢٢٥

الموضوعُ الأول: بيانُ حالِ الكفارِ عند نزولِ القرآن وتناقضِهم ٢٢٧

الموضوعُ الثاني: بيانُ مصيرِ الكافرين بالبينةِ وجزاءِ المؤمنين بها ٢٣٥

تفسير وهدايات سورة الزلزلة..............................٢٤٥

مدخل لدراسة السورة.......................................٢٤٧

موضوع السورة بيانُ حالِ الأرضِ وساكنيِها يوم القيامة ٢٤٩

تفسير وهدايات سورة العاديات ٢٦١

مدخل لدراسة السورة.......................................٢٦٣

موضوع السورة بيانُ حالِ ومصير من ركنوا إلى الدنيا، وبخلوا بما عندهم.......................................٢٦٤

تفسير وهدايات سورة القارعة ٢٧٥

مدخل لدراسة السورة.......................................٢٧٧

موضوع السورة بعضُ مشاهدِ القارعة وما يتبعه من وزنٍ للأعمال ٢٧٨

تفسير وهدايات سورة التكاثر..........................٢٨٥

مدخل لدراسة السورة..٢٨٧

موضوع السورة بيانُ نتيجة التشاغل بالدنيا وعواقبه ٩٨٢

تفسير وهدايات سورة العصر ٣٠١

مدخل لدراسة السورة..٣٠٣

موضوع السورة بيانُ المنهجِ الكاملِ لسعادةِ الإنسانِ ونجاته ٣٠٤

تفسير وهدايات سورة الهمزة..........................٣١٣

مدخل لدراسة السورة..٣١٥

موضوع السورة بيان عاقبة أذية الناس بالهمز واللمز والتلهي بالدنيا وشهواتها..٣١٦

تفسير وهدايات سورة الفيل ٣٢٩

مدخل لدراسة السورة..٣٣١

موضوعُ السورة بيانُ ما في قصةِ أصحابِ الفيلِ من العبر ٣٣٣

تفسير وهدايات سورة قريش ٣٤١

مدخل لدراسة السورة..٣٤٣

موضوع السورة بيانُ فضلِ اللهِ على قريشٍ ٥٤٣

تفسير وهدايات سورة الماعون..........................٣٥٣

مدخل لدراسة السورة..٣٥٥

موضوع السورة عاقبةِ التكذيبِ بيومِ الدين وكيف يؤدي إلى مساوئ الأخلاقِ ٣٥٦

تفسير وهدايات سورة الكوثر.. ٣٦٩

مدخل لدراسة السورة.. ٣٧١

موضوع السورة تبشيرُ النبيِّ ﷺ بما أعطاه اللهُ من الخيرِ الكثير ٣٧٣

تفسير وهدايات سورة الكافرون ٣٧٩

مدخل لدراسة السورة.. ٣٨١

موضوعُ السورة تيئيسُ الكفارِ من موافقتهم في شيءٍ مما هم عليه.......... ٣٨٥

تفسير وهدايات سورة النصر ٣٩٣

مدخلٌ لدراسةِ السورة.. ٣٩٥

موضوعُ السورة البشارةُ بالنصرِ والفتحِ وما يترتبُ عليهما وما يجبُ بعدهما.. ٣٩٧

تفسير وهدايات سورة المسد.............................. ٤١١

مدخل لدراسة السورة.. ٤١٣

موضوع السورة الحتمُ بخسرانِ الكافرِ المؤذي لرسولِ اللهِ الكريم ٤١٥

تفسير وهدايات سورة الإخلاص ٤٢٧

مدخل لدراسة السورة.. ٤٢٩

موضوع السورة بيانُ صفاتِ اللهِ تعالى المتضمنةُ لتوحيدِه تعالى.......... ٤٤٢

تفسير وهدايات سورة الفلق ٤٥٩

مدخلٌ لدراسةِ السورتين ٤٦١

موضوع السورة بيانُ أربعةِ شرورٍ يتعوذُ منها ٤٦٥

مدخل لدراسة السورة.. ٤٨١

موضوع السورة الاستعاذةُ من شرِ الشيطانِ الرجيم ٤٨٤
خاتمة الكتاب...٥٠٣
فهرس المصادر والمراجع ٥٠٩
المحتوى ٥١٩